

بِتَحْقِيقِ وَتَرْجُومَةِ
عبد الله محمد هادي

مكتبة الجاهل
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاهل
٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الثاني

النبأ والنبين

الجزء الأول

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصوري

مكتبة الخانجي

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة السابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م

إهداء

حَفِظَكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ وَأَمْتَعَ بِكَ ، وَجَعَلَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ
مِنْ وَدٍّ مَوْصُولًا أَبَدَ الدَّهْرِ ، فَقَدْ عَرَفْتُكَ صَدِيقًا
لَا يَشُوبُ صِدَاقَهُ زَيْفٌ مِنْ شَوَائِبِ الدُّنْيَا ، وَعَرَفْتُكَ عَلَى تَقَادُمِ
العَهْدِ وَتَطَاوُلِ الزَّمَانِ ، أَخَا ثَابِتِ الْإِخَاءِ وَثِقَ النَّفْسِ ،
لَيْسَ كَمَنْ يَدُورُ بَحْلَتَهُ بَيْنَ النَّاسِ مُلْتَمِسًا بِهَا الْغَنَمَ ، وَبَاغِيًا
بِهَا النِّفْعَ ، فَكَانَ ذَلِكَ ، أَيَّدَكَ اللَّهُ ، مِمَّا أَكْبَرَكَ فِي عَيْنِي ،
وَأَعْظَمَكَ فِي نَفْسِي ، وَبَسَطَنِي أَنْ أُقَدِّمَ إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ بِالْخَالِدِ
لِزَيِّ فِيهِ ، وَلِنَعْلَمَ أَيُّهَا السَّمِيُّ الْكَرِيمُ ، أَنِّي أَحْفَظُ لَكَ فِي نَفْسِي
مِثْلَ مَا تَحْفَظُ لِي مِنْ وَفَاءٍ ، وَأَطْوِي لَكَ صَدْرِي
عَلَى مِثْلِ مَا تَطْوِي مِنْ وِلَاءٍ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - عرض الكتاب

وهذا الكتاب هو الحلقة الثانية من سلسلة مكتبة الجاحظ التي أخذت نفسى بإخراجها وجلائها على الناس ، وهو ، لا جرم ، أسير كتب أئى عثمان وأكثرها تداولاً ، وأعظمها نفعاً وعائدة ؛ فيه تخرج كثير من الأدباء ، واستقامت ألسنهم على الطريقة المثلى . فهو أستاذ أرهاط متعاقبة من المتأدين ، وهو شيخ جماعات متتابعة ممن صقلوا ذوقهم بصيقل الجاحظ ، ورفعوا فتنهم بالتأمل فى فنه وعبقريته .

٢ - بعض أقوال القدماء

فيه يقول أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى ^(١) فى الصناعتين ، عند الكلام على كتب البلاغة : « وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين ، لأئى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وهو لعمرى كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم فى البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونعوته المستحسنة . إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة ، ماثوثة فى تضاعيفه ، وممتثرة فى أثنائها ، فهى ضالة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير » .

وهو كلام رجل قد خبر الكتاب ورازه ، ولكنه لم يشأ أن يرسم لنا صورة مفصلة واضحة .

(١) توفى نحو سنة ٣٩٥ .

وابن رشيق القيرواني (٣٩٠ — ٤٦٣) في العمدة ^(١) يقول : « وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ — وهو علامة وقته — الجهد ، وصنع كتابا لا يُبلغ جودة وفضلا ، ثم ما ادّعى إحاطته بهذا الفن ؛ لكثرتة ، وأنّ كلام الناس لا يُحيط به إلا الله عز وجل » .

أما ابن خلدون المغربي (٧٣٢ — ٨٠٨) فيسجل لنا رأى قدماء العلماء في هذا الكتاب ؛ إذ يقول عند الكلام على علم الأدب ^(٢) : « وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين : وهى أدب الكتاب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها » .

٣ — تفصيل الكتاب

إنّ دأب الجاحظ في تأليفه أن يرسل نفسه على سجيّتها ، فهو لا يتقيد بنظام محكم يترسّمه ، ولا يلتزم نهجاً مستقيماً يحذوه ، ولذلك تراه يبدأ الكلام في قضية من القضايا ، ثم يدعها في أثناء ذلك ليدخل في قضية أخرى ، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل . وقد كانت هذه سبيل كثير من علماء دهره ، كما أن علوّ سنه وجِدّة التأليف في تلك الأبحاث التى طرّقها ، كل أولئك كان شقيقاً له في هذا الاسترسال والانطلاق .

وكان أبو عثمان يشعر بذلك ويعتذر عنه أحياناً ، فهو يقول عند الكلام على البيان ^(٣) : « وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب ، ولكنّا أخرناه لبعض التدبير » .

(١) العمدة (١ : ١٧١) فى باب البيان .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٨٠٥ .

(٣) الجزء الأول ص ٧٦ .

وهو يَعُدُّ في أواخر هذا الجزء ^(١) أن يتكلم في الجزء الثاني على طعن الشعوبية على العرب في اتخاذ المِخْصَرة ، ثم يحاول الوفاء بما وعد ، في الجزء الثاني ، ولكنه يرى أن الفرصة لم تسنح له بعد ، فيعتذر بقوله : ولكننا أحببنا أن نصُدِّر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلَّة من التابعين . ويمضي الجزء الثاني بأكمله ، ولا يستطيع صاحبنا الوفاء بما وعد به إلا في صدر الجزء الثالث من الكتاب .

ونحن نستطيع أن نردِّ مباحث الكتاب وقضاياها إلى الضروب التالية :

- | | | |
|------------------------------------|--|--------------------------|
| (١) البيان والبلاغة | (٢) القواعد البلاغية | (٣) القول في |
| مذهب الوسط | (٤) الخطابة | (٥) الشعر |
| (٦) الأسجاع | (٧) نماذج من الوصايا والرسائل | (٨) طائفة من كلام النساك |
| والقصاص وأخبارهم | (٩) عَرَضٌ لبعض كلام النوكى والحمقى ونوادرهم | |
| (١٠) ضروب من الاختيارات البلاغية . | | |

البيان والبلاغة :

تحدث الجاحظ في تعريف البيان ، وساق في تفصيل أنواع الدلالات البيانية من اللفظ ، والإشارة ، والعقد ، والنُصْبَة ^(٢) . وعقد أبواباً لمدح اللسان والبيان ^(٣) ، وصنع موازنة بين لغة العامة والحضرين والبدويين ^(٤) ، ونوه تنويعها بصحة لغة الأعراب في عصره ^(٥) ، وروى مقطعات من نوادر الأعراب وأشعارهم ^(٦) وتحدث في لُكْنَة النبط والروم ^(٧) ، وعَرَض نماذج من كلام الموالى ^(٨) ، وعقد في الجزء الثاني باباً للحن وأخبار اللحنين ، بعد أن تكلم

(٢) انظر ١ : ٧٥ .

(٤) ١ : ١٢٠ .

(٦) الجزء الثالث .

(٨) ١ : ١٦١ — ١٦٥ .

(١) الجزء الأول ص ٣٨٣ .

(٣) ١ : ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٩٢ .

(٥) ١ : ١٥٧ .

(٧) ١ : ٧٠ .

في الجزء الأول ^(١) على اللحن ومتى يُستملح ومتى يُستهجن . وفي الجزء الثاني عرض صوراً من صور العي والحصر ، وبسط مذهباً له في وجوب أداء القصص والنوادر كما هي ، إن معربة فمعربة ، أو ملحونة فملحونة ، زاعماً أن الإعراب يفسد نوادر المولدين .

ولم ينس أن يسوق في صدر كتابه طائفة من الآيات التي تنوّه بشأن البيان والبلاغة ، ثم يعيد الكرة في الحث على البيان والتبيين ^(٢) ، إذ يقول : « وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة ... » .

وهو لا يُغفل أن يتكلم في مخارج الحروف ، ويبين أثر سعة الشدق وأثر اكتمال الأسنان أو نقصها في البيان ^(٣) ، وكذلك أثر لحم اللثة ^(٤) ، وكذا أثر سقوط الأسنان ، وينقل قول محمد الرومي ^(٥) : « قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها » .

ويعقد باباً للحروف التي تدخلها اللثغة ، ويبين : أي لثغة أشنع وأيها أظرف ^(٦) . ولعل الذي دفعه إلى ذلك ما كان معروفاً من لثغة واصل بن عطاء المعتزلي ، الذي حاول أن يعتذر له ، وأن يجعل من هذا النقص الذي كان يتغلب عليه ، كلاً وعبقريّة يسوق فيها الدليل إثر الدليل ^(٧) .

وهو كذلك يروى طائفة صالحة من أخبار البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء ^(٨) ، ومن جمع بين الخطابة والشعر ^(٩) ، ويعرض نماذج من كلام الرسول في صدر الجزء الثاني ^(١٠) ، كما عقد باباً للغز في الجواب في ذاك الجزء . فإذا ما حاول الكلام في البلاغة ، وهي المرتبة التي فوق البيان ، ذهب

(١) ١ : ١٤٦ . (٢) ١ : ١٤٥ . (٣) ١ : ٢٠٠ . (٤) ١ : ٥٨ .

(٥) ١ : ٦١ . (٦) ١ : ٦١ . (٧) ١ : ٦٤ .

(٨) ١ : ١٤ . (٩) ١ : ٩٨ . (١٠) ١ : ٥١ .

يسرُّ تعريفها عند الفرس والروم والهند ، والأعراب ، وأعلام البلغاء ، كالعتابى وسهل بن هارون ، وعمرو بن عبيد ، وابن المقفع ^(١) . ثم لا يرضيه ذلك حتى يظهر بترجمة لصحيفة هندية ترسم حدود البلاغة وتبين أصولها ^(٢) .

ولم يتعرض لمسائل البلاغة التي عرفت فيما بعد ، إلا ما قدّم من كلام في تنافر الحروف وائتلافها ^(٣) ، وكذلك وجوب مراعاة مقتضى الحال ^(٤) . وهو يتكلم في الإيجاز والإطناب ويعيّن المواضع الصالحة لكل منهما ^(٥) ، ويروى لنا الشعر الذى يمدح فيه الشعراء الإيجاز ^(٦) . ويتكلم في المشاكلة البديعية ، ويعرض فيها أمثلة من القرآن والشعر ^(٧) .

القول في مذهب الوسط :

يستطيع المتصفح لهذا الكتاب أن يلمح للجاحظ مجهوداً طريفاً ، فهو قد عقد باباً للصمت والحث عليه ^(٨) ، ويحكى أقوال المعارضين لأصحاب الخطابة والبلاغة الذين يفضلون هذا الصمت ^(٩) ، ويخصص باباً آخر يقذف فيه بطائفة من كلام المُعَرِّبين وأصحاب التفعير ^(١٠) ، وأبواباً أخرى في مديح اللسان وشدة العارضة ^(١١) ولكنه لا يرضيه هؤلاء ولا أولئك ، بل يرى أن كلا منهما قد جنح إلى غير الصواب ، وأن الصواب والخير كله في إصابة القدر في الكلام ^(١٢) ، وأن تكون الألفاظ والمعاني أوساطاً بينَ بين ^(١٣) .

(٣) ١ : ٦٩ .

(٢) ١ : ٩٢ .

(١) ١ : ٨٨ .

(٦) ١ : ٢٧٦ .

(٥) ١ : ١٤٩ .

(٤) ١ : ١٤٩ .

(٨) ١ : ١٩٤ .

(٧) ١ : ١٥٢ .

(١٠) ١ : ٣٧٧ .

(٩) ١ : ٢٦٩ .

(١٢) ١ : ٢٧٧ .

(١١) ١ : ٢٣١ ، ٢١٢ ، ١٦٦ .

(١٣) ١ : ٢٥٥ .

الخطابة :

وقد عني الجاحظ بهذا الفن عناية خاصة . ولا غرو ، فالخطابة دِعامَة من دعائم الدعوة . وكان المعتزلة يلجئون إلى الخطابة والجدال في تأييد أمرهم ، وبيان مذهبهم ومقالاتهم ^(١) . فهو يرسم للخطابة أدبا يستحسن فيه أن يقتبس القرآن والشعر ^(٢) ، ويبين ما ينبغي اتباعه في ضروب من الخطب ، كخطبة النكاح ^(٣) ، وما تتطلبه الخطابة من الجهر بالقول وترفع الصوت ، ذاكرًا في ذلك الخبر والمثل ^(٤) ومن عُرف بجهارة الصوت ^(٥) ، وهو يسترسل فيذكر أن الروم أهل جَهارة ، وينقل خبرًا غريبًا : « لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمع الناس جميعًا صوتَ وجوبِ القرص في المغرب ^(٦) » . ويتكلم في الدمامة ومدى أثرها في قدر الخطيب والشاعر ^(٧) ، ويتعرض للخلاف في تأثير حركة الخطيب وإشارته ، أو سكونه وهدوء جوارحه ، في سامعيه ^(٨) . ويتكلم في استعمال المخاطر والعصى في الخطبة ^(٩) وطعن الشعوبية على العرب في ذلك ^(١٠) ، ويذكر أسماء الخطباء وقبائلهم وأنسابهم ^(١١) وأخبار خطباء الخوارج خاصة ^(١٢) ، كما عقد بابًا لأسماء الكهّان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان ^(١٣) ، وكما نوه بخصلة إياد وتيم في الخطب ^(١٤) . وهو في أثناء ذلك يسرد مختارات قوية من خطب الرسول والخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، وكذا خطب رجالات الخوارج وأهل الدعوة .

(٢) ١ : ١١٨ .

(٤) ١ : ١٢٠ .

(٦) ١ : ١٣٣ .

(٨) ١ : ٩١ .

(١٠) ١ : ٢٨٣ ثم أول الثاني ، ثم أول الثالث .

(١٢) الجزء الثالث .

(١٤) ١ : ٥٢ .

(١) ١ : ١٤ .

(٣) ١ : ١١٦ .

(٥) ١ : ١٢٣ .

(٧) ١ : ٢٣٧ .

(٩) ١ : ٣٧٠ .

(١١) ١ : ٣٠٧ .

(١٣) ١ : ٣٥٨ .

الشعر

والشعر وسيلة من وسائل البيان ، ومعرض من معارض البلاغة ، وله ميسم يبقَى على الدهر في المدح والهجاء ^(١) ، وله أوزان لابد منها ولا بد من القصد إليها ؛ فمن جاء كلامه على وزن الشعر ولم يتعمد هو هذا الوزن فليس كلامه بشعر ، فقد ورد القرآن وفي الحديث كلام موزون على أعاريض الشعر ولكنه لا يسمى شعراً ^(٢) . ومن يجمع بين الشعر والخطابة قليل ^(٣) . وليس ينبغي للقصيد أن تكون كلها أمثالا وحكما ، فإنها إذا كانت كذلك لم تسير ولم تجر مجرى النواذر ^(٤) وفي المولدين شعراء مطبوعون ^(٥) ، وللشعراء رسوم خاصة ^(٦) ، وقد كان بعض أبيات الشعر سبباً من أسباب تسمية الشاعر ^(٧) . والشعر خير الوسائل لتخليد الإنتاج الفني ، « فما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشرة ، ولا ضاع من الموزون عُشره ^(٨) » .

السجع

وهذا الفن من البيان يثير خلافا بين العلماء والأدباء والديانين ؛ فهناك حديث : « أسجع كسجع الجاهلية ؟ ! » . فهو في ظاهره حجة لمن يرفض استعمال هذا الفن ويستهجنه ، وهو عند التأويل محمول على السجع الذي يراد به إبطال الحق ^(٩) . على أن من الأدباء من يرى أن السجع إنما كان منياً عنه في نأنة الإسلام ، لقرب عهدهم بالجاهلية ، حيث كان السجع يجري في

(٢) ٢٨٧ : ١ - ٢٨٩ .

(٤) ٢٠٦ : ١ .

(٦) ٩٣ : ١ .

(٨) ٢٨٧ : ١ .

(١) ١٥٦ : ١ .

(٣) ٤٥ : ١ .

(٥) ٥٠ : ١ .

(٧) ٣٧٤ : ١ .

(٩) ٢٨٧ : ١ .

الكهانة والترجيم بالغيب ، فلما زالت العلة زال التحريم ^(١) . ولهذا شبيه في النهي عن مريثة ابن أوى الصلت لقتلى أهل بدر في أول الأمر ، فلما زالت العلة زال النهي ^(٢) . ويسوق الجاحظ من بعد ذلك ماثورا من متخير السجع وبديعه ^(٣) .

الرسائل والوصايا :

ولقد كانت الرسائل والوصايا مظهرا من مظاهر البيان العربى ، فهو ينثر في تضاعيف كتابه قدراً صالحاً مختاراً منها ^(٤) ، لتكون إماماً يحتذى ، وقالبا يُصاغ عليه القول .

النسك والقصاص :

وللنسك حظ وافر من عناية الجاحظ في الكتاب . فهؤلاء النسك الروحيون قد نبغ منهم نوابغ في البيان ، فهم قوم قد لانت ألسنتهم ودق إحساسهم ، بما حفظوا كلام الله وحديث الرسول ، وهم قد تصدوا لوعظ العامة والتأثير فيهم ببلغ القول وحسن المحاضرة ، وكانت لهم جولات في مساجد البصرة والكوفة ، حيث كانت تُؤثر عنهم الحكمة وتروى العظة ، ويُتناقل البيان الرفيع .

وأما القصاص فقد كانت صناعتهم تقتضيهم العناية بقوة البيان وحسن الأداء ، وكانوا ذوى فصاحة وبلاغة ، فمنهم: موسى بن سيار الأسوارى « كان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ

(٢) ١ : ٢٩١ .

(١) ١ : ٢٩٠ .

(٤) انظر الجزء الثانى .

(٣) ١ : ٢٧٤ ، ٢٩٧ .

الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها بالفارسية ، فلا تُدري بأيّ لسان هو أبين ^(١)»

لذلك وهذا عقد الجاحظ بابا لذكر النساك والزهاد من أهل البيان ^(٢) ، وآخر لذكر القصاص ^(٣) كما روى طائفة من كلام النساك ^(٤) ومقطعات من كلام القصاص ^(٥) ، كما خصص في الجزء الثالث من الكتاب باباً كبيراً في الزهد ساق فيه مواعظ عيسى وداود عليهما السلام ، ومواعظ الحسن وعمر وآخرين من النساك ، ومن زهاد البصرة والكوفة . وأتبع ذلك بمختارات من دعاء السلف الصالح ، والأعراب والنساك .

النوكى والحمقى :

والجاحظ ذلك المرح الضاحك ، لا يفتأ يعجّب الناس من هذا الخلق الطريف ، أولئك الذين شاء الله أن يكونوا مصدر عبء وموعظة ، كما شاء أن يكونوا مصدر عزاء وتسرية عن النفس . هؤلاء النوكى والحمقى قد يتفق لبعضهم من البيان الساخر ، ومن التبيين العجيب ، ما يكون في الصدر المقدم من حسن التعبير وجميل التعليل ، كما يتفق لبعضهم أن يريد البيان فيخطئ خطأ ظاهراً أو خفياً ، فيكون كلامه غواراً جديراً بأن ينبه الجاحظ على التحذير منه ، وبأن يكشف عما به من خلل ومجانبة للصواب ، كما صنع في باب العى . وهو يروى في الجزء الثانى وفى الجزء الثالث طائفة من أخبارهم وأقوالهم ؛ ليكون فى ذلك ترويح عن نفس المتصفح ، ونفع له فى بيانه وعبارته ، وهدى له أن يضل السبيل . ويستطرد الجاحظ فيما يستطرد فيلحق هؤلاء النوكى والحمقى طائفة خاصة من المعلمين ^(٦) ، لا يلبث أن يستثنى منهم

(٢) ١ : ٣٦٢ .

(٤) ١ : ٢١٠ .

(٦) ١ : ٢٤٨ ، ٢٥٠ .

(١) ١ : ٣٦٨ .

(٣) ١ : ٣٦٧ .

(٥) فى الجزء الثانى .

جماعة من جلة المعلمين والمؤدبين .

الاختيارات :

والجاحظ بين الفينة والأخرى يوشع كتابه بالجيد المتخير من النثر والشعر ، ولا سيما في الجزأين الثاني والثالث ، حيث تطالعك الأبيات الحسان والفقر المستملحة . فمنها ما يكون شاهداً لما ينبغي أن يدعمه ويؤيده من قضايا البيان ، ومنها ما يرويه ليكون للحفظ والمذاكرة . وقد روى طائفة من مختارات المرائي ، ومن الخمريات ومن هجاء البرامكة ومدحهم ، ومما قيل في الشيب ، ومما حوى الحكمة والزهد ، وروى كذلك كثيراً من أقوال الأعراب ونواديرهم ، وطائفة من أدب بني العباس ومجموعة من قصار الخطب وطواها ، ومتنخل الرسائل والوصايا ، كما سبق القول .

هذه صورة لست أراها كاملة التكوين مستوفية الوضوح ، ولكنها تقرّب الكتاب إلى قارئه تقريباً ، وتخط الخطوط الرئيسة التي يستطيع بها أن يتتبع ما يحوى الكتاب من فن .

٤ — أثر الكتاب

لعل من نافلة الكلام أن أردد القول في عظيم أثر هذا الكتاب . ويمكنني أن أقول في ثقة : إنه ليس يوجد أديب نابه في العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يفد منه . وقلما تجد أديباً من المحدثين لم يتمرس بما فيه من أدب . كما كان من هذا الكتاب مادة غزيرة استمدّها كبار المؤلفين القدماء في مؤلفاتهم كابن قتيبة ^(١) في عيون الأخبار ، والمبرد ^(٢) في الكامل ، وابن عبد ربه ^(٣) في العقد ، والعسكري ^(٤) في الصناعتين ، والحصري ^(٥) في زهر الآداب وجمع الجواهر ،

(١) سنة ٢١٣ — ٢٧٦ .

(٢) سنة ٢١٠ — ٢٨٦ .

(٣) ٢٤٦ — ٣٢٨ .

(٤) توفي بعد ٣٩٥ .

(٥) توفي سنة ٤٥٣ .

وابن رشيقي (١) في العمدة ، وعبد القاهر الجرجاني (٢) في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، وأسامة بن منقذ (٣) في لباب الآداب .

٥ - تاريخ تأليفه

ذكرت طرفاً من ذلك في مقدمة الحيوان (٤) ، وسقت الدليل على أن الجاحظ ألفه في أخريات حياته ، حين علت به السن وقعد به المرض ، وذكرت أيضاً أنه ألفه بعد كتاب الحيوان ؛ إذ أننى عثرت على نصّ قاطع في البيان والتبيين يدل على ذلك ، وهو قوله : « كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشرَ ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لما ذكرت من عجبك بذلك ، فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله » .

ومن المعروف أن الجاحظ أهدى كتاب البيان والتبيين إلى القاضي أحمد بن أبى دواد (٥) ، كما أهدى من قبله كتاب الحيوان إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات المتوفى سنة ٢٣٣ ، وكتاب الزرع والنخل إلى الكاتب إبراهيم بن العباس الصولى المتوفى سنة ٢٤٣ ، وأن كلا منهم أعطاه خمسة آلاف دينار (٦) .

والذى يعيننا من هؤلاء هو القاضي أحمد بن أبى دواد . كان أحمد من بلغاء الناس وفصحائهم وشعرائهم ، وكان قد برع في الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ وكان من أصحاب واصل بن عطاء المعتزلى ، فصار بذلك إلى الاعتزال ، وكان ذا حظوة عند المأمون ، وقد أوصى به أخاه المعتصم ، فلما صارت الخلافة إليه جعله قاضى القضاة بعد أن عزل يحيى بن أكرم . ولما مات المعتصم وتولى ولده

(٢) توفى سنة ٤٧١ .

(٤) مقدمة الحيوان ص ٢٦ .

(٦) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦)

(١) ٣٩٠ - ٤٦٣ .

(٣) ٥٨٤ - ٤٨٨ .

(٥) ١٦٠ - ٢٤٠ .

الوائق حسنت حال أبي دواد في أول خلافته ، فقلد المتوكل ولده محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ثم عزل وقلد يحيى بن أكرم ثانية ، وتوفي أحمد سنة ٢٤٠ ، وكان بين محمد بن عبد الملك وبين أحمد بن أبي دواد منافسة شديدة ، وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دواد للعداوة كانت بين أحمد ومحمد ، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقبل له : لم هربت ؟ فقال : « خفت أن أكون ثانی اثنين إذ هما في التنور ! » . يريد ما صنع بمحمد وإدخاله تنور حديد فيه مسامير ، كان هو صنعه ليعذب الناس فيه ، فعذب هو فيه حتى مات

ويروى ياقوت ^(١) ، أنه بعد قتل ابن الزيات جرى بالجاحظ مقيداً إلى مجلس ابن أبي دواد ، فجرت بينه وبين القاضي محاورة انتصر فيها الجاحظ ، وكان من عاقبتها أن رضى عنه ابن أبي دواد وأجازه وقربه إلى نفسه . وهذا الخبر يعين لنا أن كتاب البيان والتبيين لم يظهر إلا بعد سنة ٢٣٣ ، وهي السنة التي قتل فيها ابن الزيات .

٦ - نسخ الكتاب

النسخة الأولى والنسخة الثانية :

يذكر ياقوت ^(٢) أن كتاب البيان والتبيين نسختان : « أولى وثانية ، والثانية أصح وأجود » . فيشتد سؤال الأدباء : أين أولاهما وأين الأخرى ؟ وكان من صنع الله حينما اتجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضها ببعض ، أن تبين لي في أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبرلي ، هي أصح نسخة من أصول الكتاب ، ولحظت أيضاً أنها كثيراً ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات ، التي لا توجد في

(١) إرشاد الأريب (١٦ : ٧٩) .

(٢) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦) .

سائر النسخ ، أو توجد ولكن بعبارة أخرى مخالفة . كما أن سائر النسخ كثيراً ما تتفق في ذكر نصوص وعبارات لا نجدها في نسخة كويريلي ، أو نجدها ولكن بصورة أخرى . ومهما يكن من شيء فلا ريب عندي أن نسخة كويريلي هي أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً ، ونستطيع أن نترجم هذا بأن القائم لدينا من أصول الكتاب نسختان : إحداهما نسخة كويريلي ، والأخرى ما عداها من النسخ التوائم التي قلما تشذ واحدة منها عن الأخرى ^(١) .

وصف المخطوطات :

جعل الجاحظ كتابه هذا في ثلاثة أجزاء ، كما نص على ذلك في أول الجزأين الثاني والثالث . وقد توافر لي من نسخ الكتاب أربع مخطوطات : (الأولى) : نسخة مكتبة كويريلي ^(٢) المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٤٣٧٠ أدب) ، المرموز لها بالرمز (ل) . وهذه النسخة المصورة في أربع مجلدات أصلها المخطوط جزءان اثنان ، ولكنها مع ذلك تنبّه في آخر كل جزء من تقسيم الجاحظ على أنه قد انتهى وابتدأ الذي يليه . والجزء الأول في ٣٥٦ صفحة والثاني في ٣٥٥ ، وفي كل صفحة ١٧ سطراً ، وبكل سطر نحو عشرين كلمة . وهذه النسخة القديمة مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق . وفي نهايتها : « كمل السفر الثاني ، ويتامه تم الكتاب بأسره بفضل الله وعونه . والصلاة على سيدنا محمد وآله في الجمعة سابع المحرم بن سنة أربع وثمانين وستمائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعري » .

(١) تجد أيضاً أن افتتاح نسخة كويريلي وحدها « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » ، أما سائر النسخ فتتفق في أن افتتاحها « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد النبي الكريم وسلم ، عونك اللهم وتيسرك » .

(٢) نص خاتم وقف هذه المكتبة « هذا مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد ، عرف بكويريلي ، أقال الله عثاره ١٠٨٨ » .

(الثانية) : نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (٤٧١ أدب) وهى المرموز لها بالرمز (ب) وهى فى مجلد واحد يقع فى ٧٠٠ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١٣ كلمة ، وهى مكتوبة بالخط الفارسى الجميل وليس بها ضبط ، وعنوانها عجيب « كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن يحيى (كذا) الجاحظ وهو كتاب جيد النظم والنثر الموضوع على منوال كامل المبرد (كذا) بل يفوق عليه حسناً وبلاغة » . وكتب فى صدرها أيضاً « فيما صار نسخه بالمدينة المنورة على ذمة الكتبخانة الخديوية . ومضاف فيماه مايو سنة ١٨٨٢ » . وكلمة « فيماه » مكونة من « فى » العربية ، و « ماه » الفارسية التى بمعنى شهر ، فتاريخ هذه النسخة يرجع إلى سنة ١٢٩٩ الهجرية .

(الثالثة) : نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (١٨٧٢ أدب) وهى المرموز إليها بالرمز (جـ) وهى فى مجلد يقع فى ٥٧١ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١١ كلمة . وهى مكتوبة بالخط المعتاد وليس بها ضبط ، ولكن بها أثر قراءة وتصحيح ، وبعض كتابات ذاهبة فى الندرة بخط المغفور له العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركى الشنقيطى ، وقد ألصق بآخرها ورقة بها تعليقات فهرسية لمواضع متفرقة من الكتاب بخطه أيضاً . وفى خاتمة هذه النسخة : « وكان الفراغ من كتابه هذا الكتاب يوم الخميس المبارك الموافق ١١ محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ثلاثمائة وتسعة بعد الألف ، على يد كاتبها الفقير راجى عفو الكريم ، محمد سليم » .

(الرابعة) : نسخة المكتبة التيمورية المحفوظة برقم (٤٩٨ أدب) ، وهى فى مجلد واحد به ٥٨٨ صفحة مكتوبة بالخط الفارسى المعتاد ، وبكل صفحة ١٩ سطراً وبكل سطر نحو ١٧ كلمة ، وبهامش هذه النسخة تعليقات كثيرة

بخط الناسخ وكتب في صدرها : « من كتب الفقير عبد السلام المولحي في ٢ رجب سنة ١٢٨٥ » ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ ، وبها عدة أسقاط قيّد موضعها في أول الكتاب العلامة المغفور له أحمد تيمور باشا . وتبلغ هذه الأسقاط نحو ٢٠ صفحة من مواضع متفرقة .

الطبعات السابقة :

(١) النشرة الأولى في مجلدين في ٢٢٢ صفحة و ١٩٠ صفحة ، وذلك بالمطبعة العلمية من سنة ١٣١١ — ١٣١٣ ، عني بها حسن أفندي الفاكهاني إلى نهاية الكراسة السابعة من الجزء الأول ، وباقى الكتاب بعناية الشيخ محمد الزهرى الغمراوى ، وهذه النشرة مجردة من الضبط ، وبها تعليقات يسيرة في الجزء الأول فقط .

(٢) النشرة الثانية في ثلاث مجلدات في ٢١٨ صفحة ، ١٩٦ صفحة ، ٢٣٦ صفحة . وذلك في مطبعة الفتوح ومطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ . أشرف عليها الأستاذ الكبير السيد محب الدين الخطيب ، ونجد في نهاية الجزء الثالث : « وكتب بعض حواشى هذا الجزء إبراهيم بن محمد الدجمنى الأزهرى ^(١) ، عُفى عنه » . وهذه الطبعة بها قليل من الضبط وقليل من التعليق ، وتمتاز عن سابقتها بالإشارة إلى بعض روايات النسخ المخطوطة ، ومما يجدر ذكره أن تلك النسخ المخطوطة غير معينة .

(٣ ، ٤) النشرة الثالثة والرابعة ، صنع الأستاذ الجليل حسن السندوى ١٣٤٥ ، ١٣٥١ وكل منهما في ثلاث مجلدات ، وتمتاز الرابعة بكثرة التعليقات والتراجم ، وألحق بهما بعض الفهارس .

هذا وقد طبع كتاب عنوانه « منتخبات من البيان والتبيين » يقع في

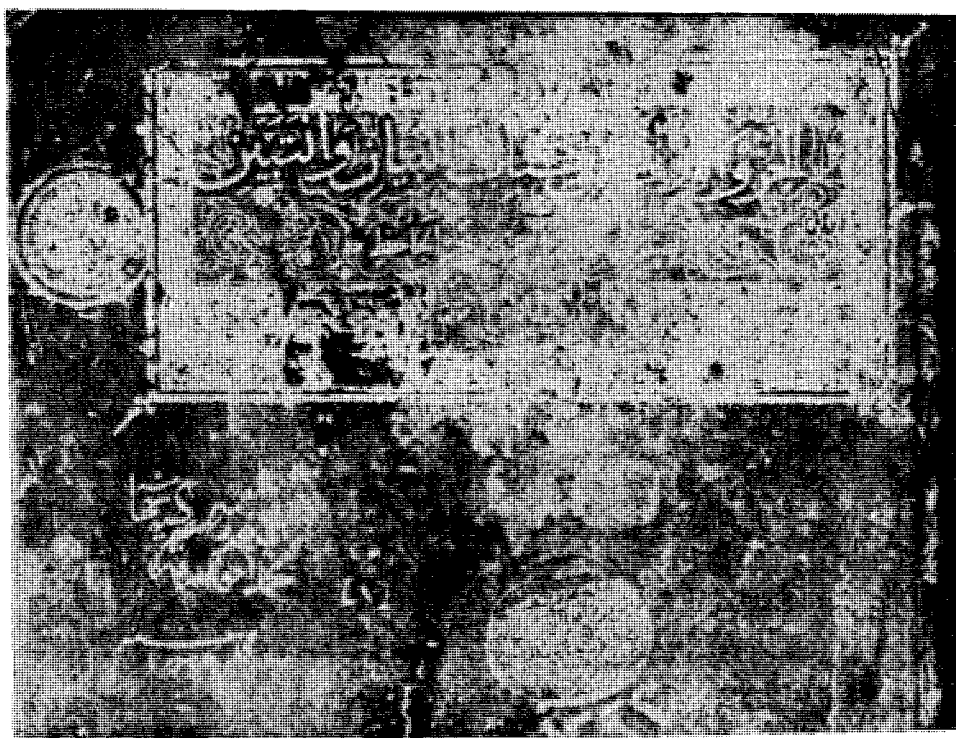
(١) كان غفر الله له من أعلام أدباء الأزهر ، وقد تلمعت له عاما في الأزهر سنة ١٣٤٠. ومن آثاره شرح ديوان الحماسة المنسوب للرافعى ؛ ونشرة من كامل المبرد .

ثمانين صفحة ، وذلك بمطبعة الجوائب ١٣٠١ ثم بمطبعة الرغائب ١٣٢٨ . وكتاب آخر عنوانه « مختار البيان والتبيين » باعتناء الأديبين : خليل بيدس ، وشريف النشاشيبي ، وهو في ٢٤٨ صفحة طبع بمطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٣ الميلادية .

٧ — تحقيق الكتاب

عندما فرغت من تحقيق تلك المعلمة الكبيرة ، أعنى كتاب الحيوان ، رأيت أن أتمس شيئاً من الهدوء والروح ، إثر ذلك المجهود العاقي ، ولكن تلك الرغبة الملحة في بعث مكتبة الجاحظ، وهي رغبة توشك أن تكون جهاداً، حملتني أن أدخل في الميدان كرة أخرى ، استجابة لدعوة النفس ، وتلبية لإرادة صديق كريم أثير لدى، هو الأستاذ « عبد السلام محمد الناظر » ، الذي سعدتُ بأخوته وزمالاته زهاء ربع قرن قضينا منها ثمانى سنين جنباً إلى جنب زمان الطلب بدار العلوم ، فقد أرادني على أن أعجل بوفاء ما وعدت به من قبل ، فكان بتلك الرغبة الكريمة وبما أخذ على عاتقه من المشاركة في نفقات الطبع، صاحب فضل عظيم في ظهور هذه النشرة الحديثة من البيان التي جعلت إهداءها إليه .

وكان الأدباء من قبلُ يجدون كثيراً من العسر ، ويلمسون كثيراً من الاستغلاق ، الناجم عن تحريف النصوص وتصحيفها ، وقلة التعرض لبيان ما بها من إشارة ، وحل ما فيها من رموز ، فلما شرعت في تحرير هذا الكتاب هالني ما رأيت في الطباعات السابقة من تحريف وتشويه ، مع أن الذين تولوا هذه النشرات علماء فضلاء ، ذلك أنهم لم يعنوا بدراسة الأصول المخطوطة دراسة متصلة ، ولم يراعوها مراعاة تامة ، فلم يسعفهم فضلهم الواسع بإخراج النسخة القريبة من السلامة ، أما نسختنا هذه فقد عورضت على المخطوطات التي أسلفت وصفها في الفصل السابق وصنعت — فيما نرى — على ما تقتضيه أساليب النشر الحديث ، وأعدت لها الفهارس الكاشفة عن خباياها وما بها من خير كثير .



صورة الصفحة الأولى من نسخة كوبريلي

وقد اتُخذت نسخة كويريل أصلاً لهذه النشرة ، منهاً على ما بينها وبين سائر النسخ من خلاف . وما كان من زيادة في سائر النسخة على سائر النسخ لم أنه عليه . وهو كثير ، وما كان من زيادة في سائر النسخ أضفته بين معقفين : [] ونهت عليه . على أنني فيما بعد صفحة ٢٩٤ من هذا الجزء قد أضربت عن هذا التنبيه ؛ تحجباً للإسهاب ، وجعلت وضع الكلمة بين المعقفين دليلاً على أنها من سائر النسخ ، وقد أثبت أرقام نسخة الأصل على جوانب الصفحات مكتفياً بذكر الصفحات عن ذكر رقم الجزء ؛ فإن الجزء الثاني من الأصل إنما يبدأ في نحو منتصف الجزء الثاني من نشرتنا هذه ، وسأنبه على ذلك في حينه .

وعُني بضبط الكتاب محققاً ما به من الألفاظ الغريبة والكلمات الفارسية والبصرية ونحوها ، كما عني خاصة بتحقيق الأعلام وترجمتها على ما في ذلك من عسر شديد وجهد جهيد ، فقد أُرئت الأعلام المترجمة في هذا الجزء فقط على الأربعمائة والأربعين ، وبذلت العناية في تحقيق النصوص وتخرجها ، ونسبة الشعر إلى قائله ، منهاً على المراجع من الدواوين وغيرها من كتب اللغة والأدب والتاريخ والسير والحديث والتفسير والقراءات .

وأما تقسيم الكتاب فقد أبقيته كما صنع الجاحظ ، ثلاث مجلدات ، لم أحدث فيه تغييراً ، ولم أضف إليه شيئاً من العناوين .

وقد شك بعضهم في التفسيرات اللغوية التي وردت في صلب الكتاب ، فظن أنها من زيادات القراء والناسخين ، وقد فاته أن الجاحظ قد عمد إلى تفسير كثير من لغات كتابيه : الحيوان ، والبيان . ويجد القارئ في ثنايا الحيوان كثيراً من التفسيرات والنصوص اللغوية التي تناقلها اللغويون ورووها عن الجاحظ . ولقد استطعت أن أستخرج فهرساً كبيراً للمواد اللغوية الجاحظية في كتاب

الحيوان ، وقع في نحو ٢٧ صفحة ^(١)، لذلك حافظت على هذه النصوص وأبقيتها في مكانها من صلب الكتاب .

٨ - الفهارس

وستضاف إلى الكتاب فهارس تقتضيها طبيعته ، وهي :

- ١ - فهرس البيان والبلاغة
- ٢ - » الخطب .
- ٣ - » الرسائل والوصايا .
- ٤ - » الأشعار والأرجاز .
- ٥ - » الأمثال .
- ٦ - » اللغات .
- ٧ - » الأعلام .
- ٨ - » القبائل والأرهاب والطوائف .
- ٩ - » البلدان .
- ١٠ - » أيام العرب .
- ١١ - » معالم الحضارة .
- ١٢ - » الكتب

ويلحق بها من بعدُ جريدةُ تعيين المراجع والمصادر ، وطائفة من الاستدراكات العامة للكتاب .

اللهم منك نستمدّ التوفيق ، وبك نستعين ، وعليك نعتمد . والحمد لله رب العالمين .

١١ شوال سنة ١٣٦٧ هـ
منشية الصدر في صبيحة الاثنين
١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ م
عبد السلام محمد هارون

(١) انظر الحيوان (٧ : ٥٨٨ - ٦١٥) .

مقدمة الطبعة الثانية

كنت قد أشرت في أواخر الجزء الرابع من الطبعة الأولى أنني عثرت على نسخة خامسة من أصول الكتاب ، جليها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من مكتبة (فيض الله) بالآستانة . ورقم هذه النسخة في المكتبة هو ١٥٨٠ ورقمها في المعهد ٨٨٧ وهي مخطوطة بخط أندلسي كتبها بخطه لنفسه محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن حجاج بن زهير اللخمي ، وهو نقلها من نسخة أبي زر بن محمد بن مسعود الخشني ، وعليها بخط أبي زر ما يفيد أن نسخة أبي زر منسوخة من نسخة أبي جعفر البغدادي . ونسخة أبي جعفر هذه كتبت في غرة ربيع الآخر من سنة ٣٤٧ . وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (هـ) .

فكان من حظ هذه النشرة الثانية أن تظهر بمقابلة كاملة على نسخة مكتبة (فيض الله) . وبذلك امتازت هذه الطبعة بكثير من التصحيحات ، وتعديل في الشروح والتعليقات ، وبعض الإضافات الحديثة .

وقد وجدت اشتراك نسختي (ل) و (هـ) في كثير من الإضافات التي كنت قد وضعتها في النشرة الأولى بين علامتي الزيادة [] مقتبسة من نسخة (ل) فقط ، فلما وجدت هذا الاشتراك ساريا في الجمهور من هذه المواضع أغفلت وضع علامتي الزيادة في كل ما اشتراكا فيه ؛ لما وضح لي أنهما أصلان عظيمان من أصول الكتاب .

وقد أدخلت في أصول الكتاب وحواشيه ما كان قد عن لي من تصحيحات ، وما ظهر لي من صواب أخطاء الطبع ، فجاءت هذه النشرة أصح من سابقتها وأدنى إلى الكمال الذي نبغى . والحمد لله وحده .

الْبَيْتُ وَالنَّبِيَّةُ

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بمحقق

عبد السلام محمد هارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر ، رحمه الله :

اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ التَّكَلُّفِ لَمَّا لَا تُحْسِنُ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعُجْبِ بِمَا نَحْسِنُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ السَّلَاطَةِ وَالْهَذَرِ ^(١) ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعِيِّ وَالْحَصَرِ . وَقَدِيمًا مَا نَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمَا ، وَتَضَرَّعُوا ^(٢) إِلَى اللَّهِ فِي السَّلَامَةِ مِنْهُمَا .

وقد قال الثَّمر بن توبل ^(٣):

أَعِزَّنِي رَبُّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عِلَاجًا

وقال الهذلي ^(٤) :

ولا حَصَرٌ بِخُطْبَتِهِ إِذَا مَا عَزَّتِ الْخُطْبُ ^(٥)
وقال مكيُّ بن سَوَادَةَ ^(٦) :

(١) السَّلَاطَةُ : حدة اللسان ، والصخب . والهذر : كثرة الكلام في خطأ .

(٢) كتب إزاءها في ل : « ورغبوا » إشارة إلى أنها كذلك في نسخة .

(٣) الثمر بن توبل : شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي ﷺ وكتب له كتاباً ، وروى عنه حديثاً . وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفسانهم . الإصابة ٧٨٠٣ ١٥
والشعر والشعراء لابن قتيبة . والخزانة (١ : ٢٩١) . ويقال « الثمر » بكسر الميم . وصحح ابن دريد في الاشتقاق ١١٣ أنه بفتح النون وسكون الميم .

(٤) هو أبو العيال الهذلي ، أحد الشعراء المخضرمين ، عمر وعاش إلى خلافة معاوية ، وكان هو وبدر بن عامر يسكنان مصر ، خرجا إليها في خلافة عمر بن الخطاب ، الأغاني (٢٠ : ١٦٧)
والإصابة ٨٥٣ من باب الكنى . ٢٠

(٥) البيت من أبيات في الأغاني . والقصيدة في شرح أشعار الهذليين للسكري ١٣٧ ، ومخطوطة الشنقيطي من الهذليين ٩٥ . وفي شرح السكري : « عزت : غلبت وقلت ، عند ملك أو في جمع » .

(٦) مكي بن سوادَةَ البرهمي البصري ، ذكره المزياني في معجمة ٤٧١ .

حَصِيرٌ مُسَهَّبٌ جَرِيءٌ جَبَانٌ خَيْرُ عَمَى الرِّجَالِ عَمَى السُّكُوتِ
وقال الآخر :

مَلَى بِيْهَرٍ وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةٍ عُثْنُونٍ وَفَتْلِ أَصَابِعٍ ^(١)
ومما ذُكِرَ به العَمَى قوله ^(٢) :
وما بَيَّ مِنْ عَمَى وَلَا أَنْطَقُ الْحَنَّا إِذَا جَمَعَ الْأَقْوَامُ فِي الْخُطْبِ مَحْفِلُ
وقال الراجز وهو يمتَحُ بدلوه :
عَلَقْتُ يَا حَارِثُ عِنْدَ الْوَرْدِ بِجَائِي لَا رَفْلٍ التَّرْدَى ^(٣)
* وَلَا عَمَى بَابْتِنَاءِ الْمَجْدِ ^(٤) *

وهذا كقول بشار الأعمى :
وَعَمَى الْفَعَالِ كَعَمَى الْمَقَالِ وَفِي الصَّمْتِ عَمَى كَعَمَى الْكَلِمِ ١٠
وهذا المذهب شبيه بما ذهب إليه شتيم بن خويلد ^(٥) في قوله :
وَلَا يَشْعِبُونَ الصَّدْعَ بَعْدَ تَفَاقُمِ وَفِي رَفْقِ أَيْدِيكُمْ لِذِي الصَّدْعِ شَاعِبٌ ^(٦)
ومثل هذا قول زبَّان بن سيار ^(٧) :
وَلَسْنَا كَأَقْوَامٍ أَجْدُوا رِيَّاسَةً يُرَى مَالُهَا وَلَا يُحَسُّ فَعَالُهَا
يُرِيفُونَ فِي الْخِصْبِ الْأُمُورَ وَنَفْعُهُمْ قَلِيلٌ إِذَا الْأُمُورُ طَالَ هُزَالُهَا ^(٨) ١٥

(١) هذه رواية ل . وفي سائر النسخ والكامل ٢٠ ليسك : « الأصابع » .
(٢) هو يحيى بن سعيد ، كما في العقفة والبرة لأبي عبيدة . نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٤) .
(٣) الجاني : الذي يطلع فجأة . والرفل : الذي يجز ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء ٢٠
ل : « فجاءني » صوابه في سائر النسخ . والرجز في الحيوان (٣ : ٤١٩) .
(٤) ل : « ولا عيباً » وفي هامشها : « الرواية : بجائي » . ولا عَمَى .
(٥) شتيم بن خويلد : شاعر جاهلي ، كما في الخزائن (٤ : ١٦٤) . وشتيم بهيمة التصغير .
(٦) ل : « لدى الصدع » .
(٧) هـ : « وهذا كقول » . وزبان بن سيار بن عمرو الفزاري . شاعر جاهلي كان بينه وبين
٢٥ الحادرة الذيباني مهاجرة . الأغاني (٣ : ٧٩ — ٨٠) والاشتقاق ١٧٢ .
(٨) يريفون : يطلبون ويدبرون . الأموال : الإبل .

وَقُلْنَا بَلَا عِيَّ وَسَنَسْنَا بَطَاقِيَةَ إِذَا النَّارُ نَارُ الْحَرْبِ طَالِ اشْتِعَالُهَا
لَأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْعَجَزَ وَالْعِيَّ مِنَ الْحَرْقِ ، كَانَا فِي الْجَوَارِحِ أَمْ فِي الْأَلْسِنَةِ .
وقال ابن أحمر الباهلي :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيف لي بالعلم بعد تَدَبُّرِ الأمرِ (١)
وقالوا في الصمت كقولهم في المنطق . قال أَحْيَحَةُ بن الجُلَاح :
والصمت أَجْمَلُ بالفتى مالم يكن عِيَّ يَشِينُهُ (٢)
والقول ذو خَطَلٍ إِذَا مالم يكن لُبُّ يُعِينُهُ
وقال مُحَرَّرُ بن علقمة :

لقد وارى المقابر من شَرِيكِ كَثِيرٍ تحلُمُ وقليلَ عابِ (٣)
صموتاً في المجالس غير عِيَّ جديراً حين ينطق بالصَّوابِ ١٠
وقال مَكِّيُّ بن سواده :

تَسَلَّمَ بالسُّكُوتِ من العيوب فكان السُّكُوتُ أَجْلَبَ للعيوبِ
ويرتجلُ الكلامَ وليس فيه سوى الهَدْيَانِ من حَشْدِ الخطيبِ
وقال آخر (٤)

جَمَعَتْ صنوفُ العِيَّ من كلِّ وَجْهَةٍ وكنْتَ جديراً بالبلاغة من كَثْبِ (٥) ١٥

(١) في هامش ل : « تدبر ها هنا من الإدبار » . وفي اللسان : « وعرف الأمر تدبراً ، أى

بأخذه . قال جرير :

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم ولا تعرفون الأمر إلا تدبراً .

(٢) فيما عدل : « أحسن بالفتى » . وسيعاد البيتان في (٢ : ٣٧) .

(٣) ل : « كبير تعلم » ، والوجه ما في سائر النسخ . ٢٠

(٤) في الكامل ٢٠ ليسلك : « وقال رجل يصف رجلاً من إباد بالعي ، وكان أبوه خطيباً ونخاله » .

(٥) فيما عدل ل : « وكنْتَ حرياً » . وفي الكامل : « وكنْتَ مليئاً » .

أَبُوكَ مُعِمٌّ فِي الْكَلَامِ وَمُخَوِّلٌ وَخَالِكَ وَثَابُ الْجَرَاثِيمِ فِي الْخُطْبِ

وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ (١):

أَتَانَا وَلَمْ يَعِدْهُ سَحْبَانُ وَائِلٌ بَيَانًا وَعِلْمًا بِالذِي هُوَ قَاتِلُ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ مِنْ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِاقْلُ
سَحْبَانُ مِثْلُ فِي الْبَيَانِ ، وَبِاقِلُ مِثْلُ فِي الْعِيِّ ، وَلَهُمَا أَخْبَارٌ .

وَقَالَ الْآخَرُ :

مَاذَا رُزِينَا مِنْكَ أُمَّ الْأَسْوَدِ مِنْ رَحْبِ الصَّدْرِ وَعَقْلٍ مُتَلَدٍ (٢)
* وَهِيَ صَنَاعٌ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ *

وَقَالَ آخَرُ (٣) :

لَوْ صَحَّيْتُ شَهْرَيْنِ دَابًّا لَمْ تَمَلَّ وَجَعَلْتُ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ وَبَلَّ (٤)
حُبِّكَ لِلْبَاطِلِ قَدَمًا قَدْ شَعَلْ كَسْبِكَ عَنْ عِيَالِنَا ، قُلْتُ : أَجَلُ
* تَضَجُّرًا مِنِّي وَعِيًّا بِالْحَيْلِ *

(١) كذا . والصواب أن صاحب الشعر هو حميد الأرقط ، كما في اللسان (بقل ٦٥) . وحميد الأرقط شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصراً للحجاج ، كما في الخزانة (٢ : ٤٥٤) نقلاً عن الأنساب . وقد ذكر الحجاج في قوله من أبيات هذه القصيدة :

يقول وقد ألقى المراسي للقرى
أبن لي ما الحجاج بالناس فاعل

وأما حميد بن ثور الهلالي فصحافي عاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ١٨٢٠ .

(٢) يقال رجب رجباً ، كمحسن حسناً ، ورجب رجباً كنعب تعباً . والمتلد : القديم . وفي اللسان (تلد) :

ماذا رزينا منك أم معبد من سعة الحلم وخلق متلد

(٣) هو أبو الخطاب عمر بن عيسى البهذلي ، شاعر كان في عصر هارون الرشيد ، كما في أمالي ثعلب ١٩٤ .

(٤) تقرأ أيضاً « ويل » كفرح ، كما أشير ذلك في هامش ل . وفي أمالي ثعلب : « من قول العليل » .

قال : وقيل لُبْرُجِمَهَر بن البختكان الفارسي^(١) : أى شَيْءٌ أَسْتَر
لِلْعَى ؟ قال : عقلٌ بِجَمَلِهِ . قالوا : فإن لم يكن له عقلٌ . قال : فمالٌ يَسْتَرُهُ .
قالوا : فإن لم يكن له مالٌ . قال : فإِخْوَانٌ يَعْبُرُونَ عَنْهُ . قالوا : فإن لم يكن له
أَخْوَانٌ يَعْبُرُونَ عَنْهُ . قال : فَيَكُونُ عَيْبًا صَامِتًا . قالوا : فإن لم يكنْ ذَا
صَمْتٍ . قال : فموتٌ وَحْيٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي دَارِ الْحَيَاةِ .

وسأل الله عز وجل موسى بن عمران ، عليه السلام ، حين بعثه إلى
فرعونَ بإبلاغ رسالته ، والإبانة عن حجته ، والإفصاح عن أدلته ، فقال حين
ذكر العُقْدَةَ التى كانت فى لسانه ، والحُبْسَةَ التى كانت فى بيانه : ﴿ وَاحْلُلْ
عُقْدَةَ مِنِّى لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ .

- ١٠ وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعونَ بكلِّ سببٍ ، واستراحته إلى
كلِّ شَعْبٍ ، ونَبَّهنا بذلك على مذهبِ كلِّ جاحِدٍ معاندٍ ، وكلِّ مُخْتَلٍ
مكَايِدٍ ، حينَ خَبَرنا بقوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنَ الَّذِي هُوَ مَعِيْ وَلَا يَكَاذُ بَيِّنٌ ﴾ .
وقال موسى ﷺ : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ
مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ . وقال : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ ، رغبةً
منه فى غاية الإفصاح بالحجة ، والمبالغة فى وضوح الدلالة ؛ لتكون الأعناق
إليه أُمَيْلَ ، والعقول عنه أَفْهَمَ ، والنفوسُ إليه أَسْرَعَ ، وإن كان قد يأتى من
وراء الحاجة ، ويبلغ أفهامهم على بعض المشقة .

والله عز وجل أن يمتحنَ عباده بما شاء من التخفيف والتثقيل ، ويبلو
أخبارهم كيف أَحَبَّ من المحبوب والمكروه . ولكلِّ زمانٍ ضربٌ من المصلحة
ونوعٌ من المِحنة ، وشكلٌ من العبادة .

٢٠

(١) بزرجمهر بن البختكان ، حكيم فارسي ، وهو الذى قص تاريخ انتساخ كتاب كليلية ودمنة
وترجمته من كتب الهند . وتجد كثيراً من أقواله وحكمه منتورة فى عيون الأخبار لابن قتيبة . و* بن البختكان ،
من هـ .

ومن الدليل على أن الله تعالى حلّ تلك العقدة ، وأطلق ذلك التعقيد والحُبسة ، قوله : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ . فلم تقع الاستجابة (١) على شيء من دُعائه دون شيء ، لعموم الخبر .

وسنقول في شأن موسى عليه السلام ومسأَلته ، في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله .

وذكر الله تبارك وتعالى جميلَ بلائه في تعليم البيان ، وعظيمَ نعمته في تقويم اللسان ، فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، ومدح القرآن بالبيان والإفصاح ، وبِحَسَنِ التَّفْصِيلِ والإيضاح ، وبجودة الإِفْهَامِ وحكمة الإِبْلَاجِ ، وسماه فرقاناً كما سَمَاهُ قرآناً . وقال : ﴿ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وقال : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيْلًا ﴾ .

وذكر الله عز وجلّ لنبيه عليه السلام حالَ قريش في بلاغة المنطق ، ورجاحة الأحلام ، وصحة العقول ، وذكر العرب وما فيها (٣) من الدَّهَاءِ والنَّكْرَاءِ والمَكْر ، ومن بلاغة الألسنة ، واللَّدَدِ عند الخصومة ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ ﴾ . وقال : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ . وقال : ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، وقال :

(١) ل : « الإجابة » .

(٢) في النحل ١٠٣ : « وهذا لسان عربي مبين » . وفي الشعراء ١٩٥ : « بلسان عربي مبين » .

(٣) ل : « وما فيهم » .

﴿عَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ . ثم ذكر خلاصة ألسنتهم ، واستألتهم الأسماع بحسن منطقهم ، فقال : ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ . ثم قال : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مع قوله : ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ .

وقال الشاعر في قوم يُحسنون في القول ويسعون في العمل ، قال أبو حفص (١) : أنشدني الأصمعيّ للمكعبير الضبيّ (٢) :

كسالى إذا لاقيتهم غيرَ منطقٍ يُلْهَى بِهِ المحرّبُ وهو عناءُ
وقيل لِرُهمان (٣) : ما تقول في خُزاعة ؟ قال : جوعٌ وأحاديث !

وفي شبهه بهذا المعنى قال أفنون بن صُرَيْم التغلبيّ :

لو أننى كنتُ من عادٍ ومن إرمٍ غِذَى قَيْلٍ ولقمانٍ وذى جَدَنِ (٤)
لَمَّا وَقَوْا بِأَخِيهِمْ مِنْ مَهْولَةٍ أَخَا السَّكُونِ ولا حادُوا عن السَّتَنِ (٥)
أَتَى جَزَوْا عامراً سَوْىً بِفِعْلِهِمْ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنى السُّوءَى من الحَسَنِ (٦)

(١) أبو حفص ، كنية عمر بن أئى عثمان الشمرى .

(٢) المكعبير الضبى اسمه حريث بن عفوظ ، كما في حواشى الكامل ٤٨ ليبسك . والبيت الثالث

من أبيات منسوبة إليه في الكامل . ولكنها في الحماسة (٢ : ١٩١ - ١٩٣) منسوبة إلى ولده محرز بن المكعبير . وهو يهجو بالشعر بنى عدى بن جندب ، وكان استنجد بهم ليستردوا له إبله التى اغتصبتها بنو عمرو بن كلاب ، فلم يصنعوا شيئاً . و « المكعبير » بكسر الباء . وفي اللسان : « ويقال كعبيره بالسيف ، ومنه سُمى المكعبير الضبى ، لأنه ضرب قوماً بالسيف » . وضبط في الحماسة بالفتح ، وأجاز التبريزى الكسر أيضاً ، تبعاً لابن جنى في المبهج ٣٦ .

(٣) ما عدل ، هـ : « لنوهمان » .

(٤) ما عدل ، هـ : « ربيت فيهم ومن لقمان أرجدن » . والأبيات مشروحة مفصلة في

المفضليات ٢ : ٦٢ وخزانة الأدب (٤ : ٤٥٦) . وانظر أمالى الزجاجى ٥١ والقالى (٢ : ٥١) .

(٥) ل : « لما فلدوا » وأشير في هامشها إلى رواية « وقوا » . ل ، هـ : « ولا جاروا » .

(٦) ل ، هـ : « سوعا » وأشير في هامشها إلى رواية : « سوعى » .

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعُلُوقُ بِهِ رُثْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ
رُثْمَانُ ، أَصْلَهُ الرِّقَّةُ وَالرَّحْمَةُ . وَالرَّؤُومُ أَرْقُ مِنَ الرِّعُوفِ . فَقَالَ :
« رُثْمَانُ أَنْفٍ » ، كَأَنَّهَا تَبَرُّ وَلَدَهَا بِأَنْفِهَا وَتَمْنَعُهُ اللَّبَنَ .

وَلِأَنَّ الْعَرَبَ تَجْعَلُ الْحَدِيثَ وَالْبَسْطَ ، وَالتَّائِيْسَ وَالتَّلَقَّى بِالْبِشْرِ ، مِنْ
حَقُوقِ الْقِرَى وَمِنْ تَمَامِ الْإِكْرَامِ بِهِ . وَقَالُوا : « مِنْ تَمَامِ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ
أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَإِطَالَةُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاكِلَةِ » . وَقَالَ شَاعِرُهُمْ — وَهُوَ حَاتِمُ
الطَّائِي^(١) — :

سَلَى الْجَائِعَ الْعَرَثَانَ يَا أُمَّ مُنْذِرٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْزَرِي
هَلْ أَبْسَطُ وَجْهِي أَنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي
وَقَالَ الْآخَرُ^(٢) :

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ خَيْرٌ فَتَى وَخَيْرُهُمْ لَطَارِقِي إِذَا أَتَى
وَرُبَّ نِضْوٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَاداً وَحَدِيثاً مَا اشْتَهَى
« إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقِرَى »
وَقَالَ الْآخَرُ^(٣) :

لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتِ بَيْتُهُ وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مَقْنَعٌ
أَحَدُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجِعُ
وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَهَمِّ^(٤) :

(١) لعل هذه العبارة من زيادة بعض القراء . وإلا فإن الشعر ليس حاتم ، بل هو لعروة بن الورد
في ديوانه ٩٩ والخماسة (٢ : ٢٥٨) .

(٢) هو الشماخ ، وليس في ديوانه . وانظر معجم الشواهد ٢ : ٥٦٤ .

(٣) هو عروة بن الورد العبسي ، ديوانه ١٠٠ . ونسب البيتان في الخماسة (٢ : ٣٣٥) ٢٠ .

٢٠ إلى عتبة بن بجير ، أو مسكين الدارمي . ونسبها مع غيرها في الأغاني (١١ : ١٤٩) إلى العجير
السلولي ، وذكر أن من الناس من ينسبها لعروة .

(٤) هو عمرو بن سنان — وهو الأهم — بن سمي بن سنان بن خالد ، كان سيداً من سادات

قومه ، خطيباً بليغاً شاعراً شريفاً جميلاً ، وكان يقال لشعره : « الحلال المنشرة » . وفد إلى رسول الله ﷺ
في وفد بني تميم ، وسأله عن الزبرقان بن بدر فمدحه ثم هجاه ، ولم يكذب في الحالين ، فقال =

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيتٌ صالحٌ وصديقٌ^(١)
وقال آخر^(٢):

أضاحكٌ ضيفي قبلَ إنزالِ رَحْلِهِ . ويُخصبُ عندي والحلُّ جَدِيدُ
وما الخُصبُ للأضيافِ أنْ يكثرَ القَرَى . ولكنَّما وجهُ الكَرِيمِ خَصِيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى في باب آخر من صفة قريش والعرب : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ وقال : ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ وقال : ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ . وقال : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلْتَّرْوَلِ مِنْهُ الْجِبَالِ﴾ .

وعلى هذا المذهب قال : ﴿وَإِنْ يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ . وقد قال الشاعر في نظر الأعداء بعضهم إلى بعض :
يتقارضون إذا التقوا في موقفٍ نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ^(٣)

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ؛ لأنَّ مدار الأمرِ على البيان والتبيين^(٤) ، وعلى الإفهام والتفهيم^(٥) . وكلَّما كان اللسانُ أبينَ كان أحمدُ ، كما أنَّه كلما كان القلبُ أشدَّ استبانةً كان أحمدُ .
والمفهمُ لك والمتفهمُ عنك شريكان في الفضل ، إلَّا أنَّ المفهم أفضل من المتفهم^{١٥}

= رسول الله : « إن من الشعر حكماً وإن من البيان سحراً » .

(١) البيت من قصيدة طويلة لعمر بن الأَهمم في المفضليات (١ : ١٢٣ - ١٢٥) برواية :

« فهذا صبح زاهن وصديق » .

(٢) هو الخزيمى ، كما في عيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) . والخزيمى هو إسحاق بن حسان بن

قوى ، كما في الحيوان (١ : ٢٢٤)

(٣) وكذا ورد إنشاده في اللسان (قرض) . وقد أشير في هامش ل إلى رواية : « يزل مواقع

الأقدام » في نسخة . وفيما عدل : « يزيل مواقع » .

(٤) ما عدل ، هـ : « التبيين » .

(٥) ما عدل ، هـ : « التفهيم » .

وكذلك المعلم والمتعلم . هكذا ظاهر هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة ، إلا في الخاص الذي لا يُذكر ، والقليل الذي لا يُشهر .

وضرب الله عز وجل مثلاً لعمى اللسان ورداءة البيان ، حين (١) شبه أهله بالنساء والولدان : فقال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ . ولذلك قال الثمر بن توكب :

وكل خليل عليه الرعا ث والحبلات ، ضعيف ملق (٢)
الرعات : القرطة . والحبلات : كل ما تزينت به المرأة من حسن الحلى ، والواحدة حبلّة .

وليس ، حفظك الله ، مضرّة سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة ، بأعظم مما يحدث عن العمى من اختلال الحجّة ، وعن الحصر من فوت درك الحاجة . والناس لا يعيرون الخرس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز . وهم يذمون الحصر ، ويؤنبون العمى ، فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء ، وتعاطيا مناظرة البلغاء (٣) ، تضاعف عليهما الذم وتراذف عليهما التأنيب . ومماتنة العمى الحصر للبليغ المصقع ، في سبيل مماتنة المنقطع المفحم للشاعر المفلق (٤) ؛ وأحدهما ألوم من صاحبه ، والألسنة إليه أسرع . ١٥

وليس اللجلج والتتمتات ، والألثغ والفأفاء ، وذو الحبسة والحكلة والرئّة (٥) وذو اللّفيف والعجلة (٦) ، في سبيل الحصر في خطبته ، والعمى في مناظرة خصومه ،

(١) ل : « حتى » .

(٢) البيت في اللسان (رعث) . والتفسير بعده ساقط من هـ .

(٣) ل : « مناظرة البلغاء » .

(٤) ماتن فلان فلاناً ، إذا عارضه في جدل أو خصومة .

(٥) الحكلة : شبه العجمة ، لابين صاحبها الكلام . والرئة : عجلة في الكلام وقلة أناة .

(٦) رجل ألف ، أى عبي بطيء الكلام ، إذا تكلم ملاً لسانه فمه .

كما أن سبيل المُفَحِّم عند الشعراء ، والبكى عند الخطباء ، خلاف سبيل المسهَّب الثَّرثار ، والخطَل المِكنَّار .

- ثم اعلم — أبقاك الله — أن صاحب التشديق والتقير والتعقيب (١) من الخطباء والبلغاء ، مع سماحة التكلف ، وشُنعِ التزُّيد ، أعذر من عيبي يتكلف الخطابة ، ومن حصير يتعرض لأهل الاعتیاد والدُّرَّة . ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغةً يخالطها التكلف ، وبياناً يمازجه التزُّيد . إلا أن تعاطي الحَصير المنقوص مقامَ الدرب التام ، أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ، ومن تشاؤق الأعرابي الفَح . وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ ، وفي التعبير والارتجال ، أنه البحر الذي لا يُنزع ، والعمر الذي لا يُسبر ، أيسر من انتحال الحَصير المنخوب أنه في مِسالخ التام (٢) .
- الموقر ، والجامع المحكك (٣) . وإن كان النبي ﷺ قد قال : « إياي والتشاؤق » ، وقال : « أبغضكم إلى الثرثارون المتفهبون (٤) » ، وقال : « من بدا جفا » . وعاب الفدَّادين (٥) والمتزِّدين ، في جَهارة الصوت وانتحال سعة الأُشداق ، ورُحْبِ الغلاصم وهَدَلِ الشِّفاه ، وأَعْلَمْنَا أَنَّ ذلك في أهل الوبر أكثر ، وفي أهل المدر أقل — فإذا عاب المدرى بأكثر مما عاب به الوبرى (٦) ، فما ظنك بالموالد القروى والمتكلف البلدى . فالحصير المتكلف والعيى المتزيد ، ألوم من البليغ المتكلف

-
- (١) التقير : أن يتكلم بأقصى قعر فمه . والتعقيب في الكلام كالتقير فيه .
 (٢) المنخوب : الجبان الضعيف القلب . والمسالخ ، الجلد ، أراد أنه في هيئته ومنزلته .
 (٣) المحكك : المنجذ ، الذي جرب الأمور وعرفها .
 (٤) المتفهبون : الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم ، مأخوذ من الفهق ، وهو الامتلاء والانتساع .
 (٥) في الحيوان (٥ : ٥٠٧ — ٥٠٨) : « الفداد : الجافى الصوت والكلام » . وقد ساق في ذلك خبراً وحديثاً .
 (٦) المدرى : الحضرى ، ومباني أهل الحضَر بالمدر ، وهو قطع الطين اليابس . والوبرى : ساكن البادية ، والبداءة يتخذون بيوتهم من الوبر .

لأكثر مما عنده . وهو أعذر ؛ لأنَّ الشُّبهة الداخلة عليه أقوى . فَمَنْ أسوأ حالاً — أبقاك الله — مَمَّنْ يكون ألَّومٌ من المتشدِّقين ، ومن الثَّرارين المتفهبين ، ومن ذكره النبي ﷺ نصّاً ، وجعل النُّهى عن مذهبه مفسِّراً ، وذكر مقتله له وبغضه إياه .

- ٥ ولَمَّا علم واصلُ بنُ عطاء ^(١) أَنَّهُ أُلْتُغ فاحش اللَّغ ، وأنَّ مخرج ذلك منه شنيع ، وَأَنَّهُ إِذْ كَانَ دَاعِيَةً مَقَالَةً ، وَرئيسَ نَحْلَةٍ ، وَأَنَّهُ يَريدُ الاحتجاجَ على أربابِ النحل وزعماءِ الملل ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَقَارَعَةِ الأبطال ، ومن الخطب الطَّوَالِ ، وَأَنَّ البَيانَ يَحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزٍ وَسِيَاةٍ ، وَإِلَى تَرْتِيبٍ وَرِيَاضَةٍ ، وَإِلَى تَمَامِ الآلَةِ وَإِحْكَامِ الصَّنْعَةِ ، وَإِلَى سَهُولَةِ المَخْرَجِ وَجَهَارَةِ المنطق ، وتكميلِ الحروف
- ١٠ وإقامةِ الوزن ، وَأَنَّ حَاجَةَ المنطقِ إِلَى الحِلَاوَةِ ، كحاجتهِ إِلَى الجِزَالَةِ ١٠ والفَخَامَةِ ^(٢) ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْثَرِ مَا تُسْتَمَالُ بِهِ القُلُوبُ ، وَتُنْتَشَى بِهِ الأَعْنَاقُ ^(٣) ، وَتَزِينُ بِهِ المعَانِي ؛ وَعِلْمُ واصلٍ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ مَا يَنُوبُ عَنِ البَيَانِ التَّامِّ ، وَاللِّسَانِ الْمُتَمَكِّنِ والقُوَّةِ الْمُتَصَرِّفَةِ ، كَنَحْوِ مَا أُعْطِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْديدِ ، مَعَ لِبَاسِ التَّقْوَى وَطَابَعِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعَ المِخْنَةِ ^(٤)
- ١٥ والِاتِّسَاعِ فِي المَعْرِفَةِ ، وَمَعَ هَذِي النُّبِيِّينَ وَسَمَّتِ المرسلينَ ، وَمَا يُعَشِّيهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ القَبُولِ

(١) هو أبو حذيفة وأصل بن عطاء المعتزل ، وكان يجلس إلى الحسن البصري ، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر ، وقالت : الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر — خرج واصل عن الفريقين ، وقال : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، بل هو بمنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو بن عبيد ، فقبل لهما ولأتباعهما معتزلون . ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٨١ . وابن خلكان ، ولسان الميزان (٦ : ٢١٤) .

(٢) فيما عدل : « إلى الجلالة والفخامة » .

(٣) فيما عدل : هـ : « وتنشئ إليه الأعناق » .

(٤) المحنة : الامتحان والاختبار . فيما عدل : « المحبة » .

والمهابة . ولذلك قال بعضُ شعراء النبي ﷺ (١) :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبينَةٌ كانت بداهته تُنبئك بالخبر

ومع ما أعطى الله تبارك وتعالى موسى ، عليه السلام ، من الحجّة البالغة ، ومن العلامات الظاهرة ، والبرهانات الواضحة ، إلى أن حلَّ الله تلك العقدة وأطلق تلك الحبسة (٢) ، وأسقط تلك المنحة ؛ ومن أجل الحاجة إلى حُسن البيان ، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة — رَأَى أبو حذيفة إسقاطَ الرأى من كلامه ، وإخراجها من حروفٍ منطِقَةٍ ؛ فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ، ويناضله ويساجله ، ويتأثّر لستره والراحة من هُجنته ، حتّى انتظم له ما حاول ، وأتسق له ما أُمِّل .

ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتّى صار لغرابته مثلاً ، ولطرافته معلماً ، لما استجزنا الإقرار به ، والتأكيد له . ولستُ أغنيَ خطبُه المحفوظة ورسائله المخلّدة ، لأنّ ذلك يحتمل الصنعة ، وإنما عنيّتُ محاكاة الخصوم ومناقلة الأكفء ، ومفاوضة الإخوان .

واللثغة في الرأى تكون بالغين والذال والياء ، والغين أقلها قبحاً ، وأوجدها في

كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم .

وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم ، بالغين ، فإذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الرأى . وقد ذكره في ذلك أبو الطرّوق الضبّي (٣) فقال : ١٥
علمٌ بإبدال الحروف وقامعٌ لكل خطيب يغلب الحقّ باطله

(١) هو عبد الله بن راحة الأنصاري . انظر الإصابة ٤٦٦٧ . وبعض أبيات القصيدة في

السيرة ٧٩٢ جوتنجن والمؤتلف ١٢٧ .

(٢) فيما عدا ل : « ورفع تلك الحبسة » .

(٣) أبو الطرّوق ، لم أجد له ترجمة إلا ما قال ابن خلكان ، أنه كان شاعراً من شعراء المعتزلة ، وأنه مدح واصل بن عطاء بإطالة الخطب ، واجتنابه الرأى على كثرة تردها في الكلام . انظر الوفيات في ترجمة واصل بن عطاء . وقد ذكره المرزباني في معجمه ٥١٣ في باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه . وانظر الحيوان (٦ : ٩٢) .

وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها ، وكان طويل العنق جداً ؛
ولذلك قال بشار الأعمى :

مالى أشايُع غَزْلاً له عنقٌ كَيَقِينِ الدَّوَّ إن وَلَّى وإن مَثَلًا^(١)
عُنُقُ الزَّرَافَةِ ما بالى وبِالْكُمِ أَتُكْفِرُونَ رجالاً أَكْفَرُوا رَجُلًا

١١ فلما هجا واصلًا وصوب رأى إبليس في تقديم النَّارِ على الطِّينِ ، وقال :
الأرض مظلمةٌ والنَّارُ مُشْرِقةٌ والنار معبودةٌ مذ كانت النارُ
وجعل واصل بن عطاء غَزْلاً ، وزعم أنَّ جميعَ المسلمين كفَرُوا بعد وفاة
الرسول ﷺ ، فقبل له : وعلى أيضاً ؟ فأنشد :

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرو بصاحبك الذى لا تَصْبَحِينَا^(٢)
١٠ قال واصل بن عطاء عند ذلك : « أما لهذا الأعمى الملحد المُشَنَّفِ المَكْنَى بأبى
معاذٍ مَنْ يَقتله^(٣) . أما والله لولا أن الغيلةَ سَجِيَّةٌ من سجايا الغالية ، لبعثتُ إليه
من يبعج بطنه على مضجعه ، ويقتله في جوف منزله وفي يوم حَفْله ، ثم كان
لا يتولى ذلك منه إلا عُقَيْلٌ أو سُدُوسى^(٤) » .

قال إسماعيل بن محمد الأنصارى ، وعبد الكريم بن روح الغفارى : قال أبو
١٥ حفص عمر بن أبى عثمان الشَّمرى : ألا تريان كيف تجنب الرءاء في كلامه هذا وأنتما
للذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنَّان به التكلف ، مع امتناعه
من حَرْفِ كثير الدُّوران في الكلام . ألا تريان أنه حين لم يستطع

(١) النقق ، بكسر النونين : ذكر النعام . واللوى ، واللوىة ، والدأوىة ، والدأوىة : الفلاة .

(٢) البيت لعمر بن كلثوم في معلقته . ل : « وما دون الثلاثة » وهى رواية غريبة . صبح

٢٠ القوم : سقاهم الصبوح : والمراد به الخمر . ما عدا هـ : « لا تصبحينا » .

(٣) المشنف : الذى لبس الشنف ، وهو بالفتح : القوط في أعلى الأذن . وفيما عدا ل :

« المكنى » بدل « المكنى » . وانظر الكامل ٥٤٨ ليسك .

(٤) بشار بن برد من أصل فارسى ، وكان أبوه برد مولى لأَمِ الأطباء العقلية السدوسية ، فادعى

بشار أنه مولى بنى عقيل لنزوله فيهم . الأغاني (٣ : ٢٠) .

أن يقول بشار ، وابن بُرد ، والمرعث ، جعل المشنف بدلا من المرعث ، والملحد بدلا من الكافر ؛ وقال : لولا أن الغيلة سجيّة من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصورية ولا المغيرة^(١) ؛ لمكان الرء ؛ وقال : لبعثت من يبيع بطنه ، ولم يقل : لأرسلت إليه ؛ وقال : علّى مضجعه ، ولم يقل : على فراشه .

- وكان إذا أراد أن يذكر البر قال : القمح أو الحنطة . والحنطة لغة كوفيّة . والقمح لغة شاميّة . هذا وهو يعلم أن لغة من قال برّ ، أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة . وقال أبو ذؤيب الهذليّ^(٢) :

لا درّ درّى إن أطعمت نازهم قرف الحيتى وعندى البرّ مكنوز^(٣)

وقال أميّة بن أبى الصلت فى مديح عبد الله بن جُدعان^(٤) :

- له داع بمكة مشمعلٌ وآخر فوق دارته يُنادى ١٠

(١) المنصورية : إحدى فرق الغالية من الشيعة ، وهم أصحاب منصور العجلي ، وكان يزعم أن علياً هو الكسف الساقط من السماء ، وأن أول ما خلق الله عيسى عليه السلام ، ثم على بن أبى طالب . انظر الملل (٢ : ١٤) ومفاتيح العلوم ٢٢ والمواقف ٩٢٥ والفرق بين الفرق ٢٣٤ . والمغيرة : فرقة من غلاة الشيعة أيضاً ، وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي . وكان مولى لخالد بن عبد الله القسرى ، ادعى النبوة لنفسه ، وغلا فى حق على غلواً ظاهراً . انظر الملل (٢ : ١٣) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٢٤ والفرق بين الفرق ٢٢٩ والحيوان (٢ : ٢٦٧) .

(٢) وكذا نسبه الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٢٨٥) . وفيما عدال : « المتنخل الهذلي » . وهذه النسبة الأخيرة فى القسم الثانى من مجموعة أشعار الهذليين ص ٨٧ وجمهرة ابن دريد (١ : ٢٧) . وانظر اللسان (٥ : ٣٦٥ / ١٨ : ١٧٩) وجمهرة الأمثال للعسكري ١٧٩ .

- (٣) القرف ، بالكسر : القشر . وحتى : سويق المقل ، وقيل رديته ، وقيل يابسه . ٢٠

(٤) عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، أحد أجواد العرب فى الجاهلية ، وكان ممدحاً لأمية بن أبى الصلت ، مدحه بقوله :

أذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء

ثم بقوله :

- عطاؤك زين لامرئى إن حبوته ببذل وما كل العطاء يزين ٢٥

وكان له أمتان تسميان : الجرادتين ، فوهبه إياهما . الأغاني (٨ : ٢ - ٤) .

إلى رُدْح من الشَّيزَى عليها لُبَابُ الثَّبرِ يُلبِكُ بالشَّهادِ (١)

وقال بعض القرشيين يذكر قيسَ بنَ مَعْدٍ يَكْرِبُ ومَقْدَمُهُ مكة في كلمة له :

قيسُ أبو الأشعثِ بِطريقِ اليمنِ لا يسألُ السائلُ عنه ابنُ مَنْ (٢)
« أشبَعُ آلُ الله من بُرِّ عَدْنِ »

٥ وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أَتُرَوْنَ إِنِّي لا أعرفُ رقيقَ العيشِ ؟
لُبَابُ الثَّبرِ بصغارِ المِعْزَى (٣) .

وسمع الحسنُ رجلاً يعيبُ الفالوذَقَ ، فقال : « لُبَابُ الثَّبرِ ، بُلْعابُ النَّحْلِ ، بخالصِ السَّمَنِ ، ما عاب هذا مسلماً ! » .

وقالت عائشة : « ما شَبِعَ رسولُ الله ﷺ من هذه الثَّبرَةِ السَّمرَاءِ
١٠ حتَّى فارَقَ الدُّنيا » .

وأهلُ الأُمصارِ إِنَّمَا يتكلمون على لُغةِ النازلةِ فيهم من العرب ، ولذلك
تَجِدُ الاختلافَ في ألفاظِ من أَلْفَازِ أهلِ الكوفةِ والبصرةِ والشَّامِ ومصرِ .

حدَّثني أبو سعيدٍ عبدُ الكريمِ بنُ رَوْحٍ قال : قال أهلُ مَكَّةَ لمحمد بن
المُنَازِرِ الشاعرِ (٤) : ليست لَكم معاشِرَ أهلِ البصرةِ لُغةٌ فصِيحةٌ ، إِنَّمَا الفصاحةُ

١٥ (١) الرُدْح : جمع رِداح ، كسحاب ، وهي الجفنة العظيمة . والشَّيزَى : خشب أسود تتخذ منه
القِصاع . واللُّباب : الخالص . والشَّهاد ، بالكسر : جمع شهد ، وهو العسل . وقد نسب البيت في
اللسان (شيز) إلى ابن الزبيري ، وفي (روح ، شهد) إلى أُمية .

(٢) ل : « يا ابن من » . والسائل تقرأ بالرفع بمعنى أنه لا يحتاج إلى التعريف بأبيه ، وبالنصب
بمعنى أنه يعطى من يعرف ومن لا يعرف .

٢٠ (٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨١) .

(٤) هو محمد بن مناذر ، مولى بني صبير بن يربوع ، كان إماماً في علم اللغة وكلام العرب ،
وكان في أول أمره ناسكاً ملازماً للمسجد كثير النوافل جميل الأمر ، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب
التفقي ، فتهتك بعد ستره ، وقتل بعد نسكه . وكان معاصراً للأصمعي ، وخلف الأحمر ، وأبي العتاهية ،
وأبي نواس . ومناذر ، بضم الميم . ولمحمد أخبار حسان في الأغاني (١٧ : ٩ - ٣٠) .

- لنا أهل مكة . فقال ابن المُنَازِر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقةً ، فضَعُوا القرآنَ بعد هذا حيثُ شِئْتُمْ . أنتم تُسمُّون القِدْر بُرْمَةً وتجمعون البرمة على بِرَامٍ ، ونحن نقول قِدْر ونجمعها على قُدور ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَجِفَانُ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٌ رَأْسِيَّاتٍ ^(١) ﴾ . وأنتم تسمُّون البيت إذا كان فوق البيت عَلِيَّةً ^(٢) ، وتجمعون هذا الاسم على عَلَالِيٍّ ، ونحن نسمِّيه غرفة ونجمعها على غُرَفَاتٍ وغُرِفٍ . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ وقال : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾ . وأنتم تسمُّون الطَّلَعَ الكافورَ والإغريضَ ، ونحن نسمِّيه : الطَّلَعُ . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَخْلِلُ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ . فعَدَّ عشر كلماتٍ لم أحفظ أنا منها إلا هذا .
- ألا ترى أنَّ أهل المدينة لما نزل فيهم ناسٌ من الفُرس في قديم الدهر عَلِقُوا ١٠ بألفاظٍ من ألفاظهم ، ولذلك يسمُّون البَطِيخَ : الخِرْبِزَ ، ويسمُّون السميطة : الرَزْدَقَ ^(٣) ، ويسمُّون المَصْصُوفَ : المَزُورَ ^(٤) ، ويسمون الشَّطْرَنْجَ : الأَشْتَرَنْجَ ، في غير ذلك من الأسماء . وكذلك أهل الكوفة ؛ فإنَّهم يسمُّون المسحاة : بَالٌ ، وبَالٌ بالفارسية .
- ولو عَلِقَ ذلك لغة أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد ١٥ العرب كان ذلك أشَبَّهَ ، إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد التَّبَطِّ وأقصى بلاد العرب .

(١) كالجواب ، هذا ما في ل ، هـ : وهي قراءة ورش وأنى عمرو في الوصل ، وابن كثير ويعقوب في الوصل والوقف . وقراءة سائر القراء : كالجواب . وهي ما في سائر النسخ . وانظر الحيوان (٤) : ٦/٩١ (١٦٣) .

(٢) العلية ، بكسر العين وضمها مع تشديد اللام المكسورة ، لغتان .
(٣) السميطة ، كشریف وبهيئة التصغير أيضاً : الآجُرُ القائم بعضه فوق بعض . والرزدق ، فارسي معرب ، وأصله بالفارسية « رسته » ومعناه السطر والصف من النخل وغيره . وفي الأصول : « الرودق » محرف .

(٤) المصوص : لحم ينقع في الخل ويطبخ .

ويسمى أهل الكوفة الحَوْك : الباذرُوج ^(١) ، والباذرُوج بالفارسية ،
والحَوْك كلمة عربية . وأهل البصرة إذ التقت أربع طرق يسمونها : مُرْبعة ،
ويُسميها أهل الكوفة : الجِهار سوك . والجِهار سوك بالفارسية . ويسمّون السُّوق
والسُّويقة : « وازار » ، والوازار بالفارسية . ويسمّون القِثاء : خِياراً ، والخيار
بالفارسية . ويسمّون المجلوم : وَيَذَى ، بالفارسية .

وقد يستخفُّ الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقُّ بذلك منها . ألا
تري أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوعَ إلّا في موضع العقاب أو في
موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السَّعْب ويذكرون
الجوع في حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر ؛ لأنك لا تجد القرآن
يلفظ به إلّا في موضع الانتقام . والعامة وأكثرُ الخاصّة لا يفصلون بين ذكر
المطر وبين ذكر الغيث . ولفظُ القرآن الذي عليه نزلَ أنه إذا ذكر الأبصار لم
يقل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين . ألا تراه لا يجمع الأرض
أرضين ، ولا السمع أسماعاً . والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقّدون
من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعضُ القراء أنه لم
يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلّا في موضع التزويج .

والعامة ربّما استخفت أقلَّ اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ما هو أقلُّ في
أصل اللغة استعمالاً وتدع ما هو أظهر وأكثر ، ولذلك صيرنا نجد البيت من
الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه ، وكذلك المثل السائر .

وقد يبلغ الفارسُ والجوادرُ الغاية في الشهرة ولا يُرزق ذلك الذكر والتنويه
بعضُ من هو أولى بذلك منه . ألا ترى أن العامة ابنُ القرية ^(٢) عندها أشهر في

(١) الباذرُوج ، ذكر في المعتمد ١٠ أنه ربحانة معروفة .

(٢) ابن القرية ، هو أبو سليمان أيوب بن زيد ، كان أعزياً أمياً . وهو معدود في الخطباء
المشهورين ، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٨٤ . والقرية ، بكسر القاف وتشديد =

الخطابة من سبحان وائل . وعبيد الله بن الحر^(١) أذكرُ عندهم في الفروسيّة من زهير بن ذؤيب . وكذلك مذهبه في عنترة بن شدّاد ، وعُتَيْبَةُ بن الحارث ابن شهاب^(٢) . وهم يضربون المثل بعمرو بن معديكرب ، ولا يعرفون بسطام ابن قيس^(٣) .

- وفي القرآن معان لا تكاد تفترق ، مثل الصلاة والزكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والإنس . قال قطرب : أنشدني ضرار بن عمرو^(٤) قول الشاعر في واصل بن عطاء : ويجعل البر قمحاً في تصرفه وجائب الرأى حتى احتال للشعر^(٥)

= الرأى المكسورة : اسم لإحدى جداته . وذكر الأصبهاني في الأغاني أن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم واشتهرت أخبارهم ولا حقيقة لهم ولا وجود في الدنيا ، وهم : مجنون ليلى ، وابن القرية ، وابن أئى العقب . ١٠ انظر وفيات الأعيان والمعارف ٢٥٨ والأغاني (١ : ١٦٣) .

(١) عبيد الله بن الحر الجعفي : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب بن الزبير منافسة ، صمد عبيد الله لرجال مصعب صموداً ، ولكن أصحابه تفرقوا عنه فخاف أن يؤسر فألقى بنفسه في الفرات فمات غرقاً . وكان عبيد الله شاعراً فحلاً . انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٦٨ والحيوان (١ : ١٠٣ - ١٠٤) . ١٥

(٢) كان فارس تميم ، وقيه يقول عمرو بن معديكرب : « مأبألى أى ظمينة لقيت على ماء من أمواه معد ، ما لم يلقني دونها عبداها أو حراها » . يعنى بالحرين : عامر بن الطفيل ، وعتية بن الحارث ، وبالعبدين : عنترة ، والسليك بن السليكة . الأغاني (١٤ : ٢٧) .

(٣) بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبي يوم الشقيقة . ٢٠

(٤) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية ، وكان في بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلي ، ثم خالفه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازي ٦٩ والفرق بين الفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود ، وحرف أئى بن كعب ، ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل (١ : ١١٥) . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضي ، فأمر بضرب عنقه فهرب ، وقيل إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه . لسان الميزان (٣ : ٢٠٣) . ٢٥

(٥) من أسماء الشعر مما ليس فيه الرأى « السبد » بالتحريك ، و« الهلب » بالضم ، و« المسيحة » ، و« الجمة » : ما طال من الشعر ، و« اللمة » : ما زاد على الجمة . و« الخصلة » ، بالضم : ما اجتمع من الشعر ، كذلك . انظر المخصص (١ : ٦٢ - ٦٩) .

ولم يُطَقْ مطراً والقول يُعْجَلُهُ فعادَ بالغيث إشفافاً من المطرِ
 قال وسألت عُثْمَانَ الْبُرِّيَّ (١) : كيف كان واصلُ يصنع في العدد ؛
 وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ؛ وكيف كان يصنع بالقمر والبدر
 ويوم الأربعاء وشهر رمضان ، وكيف كان يصنع بالحرم وصفر وربيع الأول وربيع
 الآخر وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه قولٌ إلا ما قال صفوان :
 ملقن ملهم فيما يحاوله . جَمَّ خواطرُه جوابُ آفاقِ
 وأنشدني ديسم (٢) قال : أنشدني أبو محمد اليزيدي :

وَحَلَّةُ اللَّفْظِ فِي الْيَاءَاتِ إِنْ ذَكِرَتْ كَحَلَّةِ اللَّفْظِ فِي اللَّامَاتِ وَالْأَلِفِ (٣)
 وَخَصَلَةُ الرَّاءِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَةٍ فَاعْرِفْ مَوَاقِعَهَا فِي الْقَوْلِ وَالصَّحْفِ (٤)
 يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها ، والحاجة إليها أشد .
 واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطيب . من جملة خطب الناس
 ورسائلهم ؛ فإنك متى حصّلت جميع حروفها ، وعددت كل شكل على
 حدة ، علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد .

(١) هو أبو سلمة عثمان بن مقسم البري الكندي البصري . قال السمعاني في الأنساب : ٧٧
 هذه النسبة إلى البر وهو الخطبة ، وهذه النسبة إلى بيعه ، والمشهور بهذا الانساب أبو سلمة عثمان بن
 مقسم البري الكندي مولى لهم من أهل الكوفة يروى عن قتادة ، وابن أبي إسحاق ، وحماد بن أبي
 سليمان ، وجابر ، وعاصم بن أبي النجود . وكان قدراً معروفاً بالكذب ووضع الحديث . لسان الميزان
 (٤ : ١٥٥) .

(٢) هو ديسم العنزي أحد من هجاهم بشار . الحيوان (١ : ١٨٣) . وكان بشار كثير الولوع
 بديسم العنزي ، وكان صديقاً له ، وهو مع ذلك يكثر هجاءه . الأغاني (٣ : ٢٧) .
 (٣) الخلّة ، بالفتح : الخلصة . فيما عدل : « إن فقدت » ؛ والمعنى يتجه بكل منهما .
 (٤) أشير في هامش هـ إلى رواية : « وحصة » في نسخة .

ذكر ما جاء في تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه

قال أبو عثمان : فمن ذلك ما خبرنا به الأصمعي قال : أنشدني

المعتمر بن سليمان ، لإسحاق بن سويد العدوي :

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب (١)
ومن قوم إذا ذكروا علياً يردون السلام على السحاب
ولكنني أحب بكل قلبي وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا به أرجو غداً حسن الثواب (٢)
وفي مثل ذلك قال بشار :

مالي أشايغ غزلاً له عنق كنفني الدو إن ولي وإن مثلاً (٣)

ومن ذلك قول معدان الشميطي (٤) :

يوم تشفى النفوس من يعصر اللؤ ويثنى بسامة الرجال (٥)
وعدي وتيمها وثقيف وأمّي وتغليب وهلال
لا حرورا ولا النواصب تنجو لا ولا صحب واصل الغزال (٦)

(١) يعنى بالغزال واصل بن عطاء . وابن باب ، هو عمرو بن عبيد ، من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد المشهورين . توفي بمران سنة ١٤٤ وراه المنصور . قالوا : ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . ١٥ تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ . وانظر لتعليل تسمية المعتزلة بالخوارج الفرق بين الفرق ٩٩ حيث أنشد البيتين . وفي اللسان (عزل ٤٦٧) : « من الغزال » بالعين المهملة . وانظر الكامل ٥٤٦ . (٢) فيما عدل : « حسن المآب » .

(٣) سبق البيت في ص ١٦ .

(٤) هو أبو السرى معدان الأعمى الشميطي المديري . ونسبته إلى الشميطية ، وهى فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، تنتمى إلى أحرر بن شبيب صاحب المختار . وقد قتلها معاً مصعب بن الزبير . ما عدا هـ : « الشميطي » تصحيف . انظر الفرق بين الفرق ٣٦ ، ٣٩ ومفاتيح العلوم ٢٢ ، وكامل المبرد ٦٤٣ والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٥) يعصر : أبو قبيلة ، وهو يعصر - ويقال أعصر أيضاً - بن سعد بن قيس بن غطفان . انظر الاشتقاق ١٦٤ ، والمعارف ٣٦ والقاموس (عصر) . وسامة ، هو سامة بن لؤى ، ولقبه بالرجال لأن أخاه عامر بن لؤى توعده حين فقأ عينه ، فرحل إلى عمان هارباً حيث لقي حتفه في الطريق . انظر سيرة ابن هشام ٦٣ جوتنجن .

(٦) النواصب ، والناصبية ، وأهل النصب : المتدينون ببغضه على ؛ لأنهم نصبوا له ، =

وكان بشارٌ كثير المدح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بشارٌ بالرجعة ،
ويكفر جميع الأمة. وكان قد قال في تفضيله على خالد بن صفوان ^(١) وشبيب ^{١٦}
ابن شيبه ^(٢) ، والفضل بن عيسى ^(٣) ، ويوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن
عبد العزيز وإلى العراق :

أبا حذيفة قد أوتيت مُعْجِبَةً في خُطْبَةٍ بَدَهَتْ من غير تقدير
وإنَّ قولاً يروق الخالدين معاً لمُسْكِتٍ مُخْرِسٍ عن كلِّ تحبير ^(٤)
لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الرأ ^(٥) ، كانت مع ذلك
أطول من خطبهم . وقال بشار :

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا وحبروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلاً تغلى بداهته كمرجل القين لما حُفَّ باللهب ^{١٠}
وجانب الرأ لم يشعر بها أحد قبل التصفح والإغراق في الطلب ^(٦)
وقال في كلمة له يعنى تلك الخطبة :

فهذا بديهة لا كتخبير قائل إذا ما أراد القول زوره شهرا ^(٧)

= أى عادوه . فيما عدل ، هـ : « النوايب » تحريف ، صواب هذه « النوايب » كما في هـ . وقد أشير
إلى هذه الرواية الأخيرة في هامش ل . ^{١٥}

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهم ، كان قريباً لشبيب ، وعلمنا من أعلام الخطابة ،
وقد وفد إلى هشام ، وكان من سمار أبن العباس ، وكان مطلقاً ، روى أنه قال : « ما من ليلة أحب إلى
من ليلة قد طلقت فيها نسائي ، فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فتبعث إلى بنتي
بسليلة فيها طعامي ، وتبعث إلى الأخرى بفراش أنام عليه » . المعارف ١٧٧ .

(٢) شبيب بن شيبه ، كان من رهنط خالد بن صفوان ، وكان بينهما منافسة شديدة ، وهو
شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم . وسرد ذكره فيما بعد . ^{٢٠}

(٣) في هاشم هـ : « يعنى بالخالدين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه » .

(٤) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي ، وسيترجم له في باب أسماء الخطباء والبلغاء .

(٥) خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها الرأ ، محفوظة في مكتبة مدرسة النبي شيث
بالموصل . انظر مخطوطات الموصل ص ٢٠٨ . وقد عثرت على نسخة من الخطبة ملحقة بنهاية نسخة
فيض الله من البيان ونشرتها محققة في نوادر المخطوطات ١ : ١١٧ - ١٣٦ . ^{٢٥}

(٦) فيما عدل : « لم يشعر به أحد » ، وهي رواية الأغاني (٣ : ٥٩) .

(٧) زور الكلام : أصلحه وهيأه .

فلما انقلب عليهم بشَّارٌ ومَقَاتِلُهُ لهم بادية ، هجوه ونَفْوه ، فما زال غائباً حتى مات عمرو بن عُبيد . وقال صفوان الأنصارى :

- متى كان غَزَالٌ له يا ابن حَوْشِبٍ غلامٌ كعمرو أو كعيسى بن حاضِرٍ^(١)
 أما كان عُثْمَانُ الطَّوِيلُ ابنُ خَالِدٍ أو القَرْمُ حَفْصٌ نُهْيَةٌ لِلْمُخَاطِرِ^(٢)
 له خَلَفَ شَعْبُ الصِّينِ في كلِّ ثُغْرَةٍ إلى سُوسِهَا الْأَقْصَى وَخَلَفَ الْبَرَابِرِ^(٣) ٥
 رَجَالٌ دُعَاةٌ لَا يُفْلُ عَزِيمُهُمْ تَهْكُمُ جَبَارٍ وَلَا كَيْدُ مَاكِرٍ^(٤)
 إِذَا قَالَ مُرُّوا فِي الشِّتَاءِ تَطَوَّعُوا وَإِنْ كَانَ صَيْفٌ لَمْ يُخَفْ شَهْرُ نَاجِرٍ^(٥)
 بِهَجْرَةٍ أَوْطَانٍ وَيَذَلِّ وَكُلْفَةٍ وَشِدَّةٍ أخطارٍ وَكَدِّ الْمَسَافِرِ
 فَأَنْجَحَ مَسْعَاهُمْ وَأَثَقَبَ زَنْدَهُمْ وَأَوْرَى بِفُلْجٍ لِلْمُخَاصِمِ قَاهِرٍ^(٦)
 وَأَوْتَادُ أَرْضِ اللَّهِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَمَوْضِعٌ فُتِيهَا وَعَلِمَ التَّشَاجِرِ^(٧) ١٠
 وَمَا كَانَ سَحْبَانٌ يَشُقُّ غُبَارَهُمْ وَلَا الشُّدُقُ مِنْ حَيٍّ هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ^(٨)
 وَلَا النَّاطِقُ النَّحَّارُ وَالشَّيْخُ دَغْفَلٌ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُم بِالْمُخَاصِرِ^(٩)

(١) عيسى بن حاضِر ، أحد رجال المعتزلة ، وكان صاحب عمرو بن عبيد ، انظر الحيوان (١) :

(٣٣٧ - ٣٣٨) .

(٢) حفص ، هو حفص الفرد ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليسك ،
 وذكر أنه من المجبة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه
 أبو الهذيل . والنهية ، بالضم : غاية كل شيء ، كالنهاية . والمخاطر : الذي يخاطر غيره ، أى يراهنه .
 (٣) السوس الأقصى : كورة بالمغرب مدينتها طنجة . والسوس الأدنى : بلدة بالأهواز .
 (٤) العزيم والعزيمة والعزم والمعزم ، بمعنى . والتكبر : يقال تهكم عليه ، إذا اشتد غضبه .
 (٥) تطاوع للأمر وتطوع به وتطوعه : تكلف استطاعته . فيما عدل : « تطاوعوا » و : « وإن
 كان صيفاً » .

(٦) أثقب الزند : قدحه فأخرج منه النار . وأورى الزند إيراً : أثقبه .

(٧) التشاجر : التنازع والاختلاف في الخصومات ، أراد النزاع الكلامي .

(٨) الشدق : جمع أشدق ، وهو المتفوه ذو البيان .

(٩) النخار ، هو النخار بن أوس العذري ، قال فيه صاحب القاموس « أنسب العرب » . وكان ٢٥
 معاصراً لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر في الأغاني (٧ : ٩٥) . وسيأتى قول الجاحظ في علة تسميته
 بالنخار ، أنه ربما حمى في الكلام فنخر . ودغفل ، هو دغفل بن حنظلة =

ولا القالة الأعْلُون رَهْطٌ مَكْحَلٌ إذا نَطَقُوا فِي الصَّلْحِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ (١)
 بِجَمْعٍ مِنَ الْجُفَيْنِ رَاضٍ وَسَاخِطٌ وَقَدْ زَحَفَتْ بُدَاؤُهُمْ لِلْمَحَاضِرِ (٢)
 الْجُفَّانِ : بَكَرٌ وَتَمِيمٌ . وَالرُّوْقَانُ : بَكَرٌ وَتَغْلِبُ . وَالْغَارَانُ : الْأَزْدُ وَتَمِيمٌ .
 وَيُقَالُ ذَلِكَ لِكُلِّ عِمَارَةٍ مِنَ النَّاسِ (٣) ، وَهِيَ الْجَمْعُ ، وَهُمْ الْعِمَائِرُ أَيْضاً :
 غَارٌ . وَالْجُفُّ أَيْضاً : قِشْرُ الطَّلْعَةِ —

تَلَقَّبَ بِالْعَزَّالِ وَاحِدٌ عَصِرُهُ فَمَنْ لِلتَّيَامِي وَالْقَبِيلِ الْمَكَائِرِ
 وَمَنْ لِحَرْوَرِيٍّ وَآخَرٍ رَافِضٍ وَآخَرٍ مُرْجِيٍّ وَآخَرٍ جَائِرٍ (٤)
 وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْكَارٍ مِنْكَرٍ وَتَحْصِينَ دِينَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ
 يُصَيِّبُونَ فَصْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ كَمَا طَبَّقَتْ فِي الْعِظَمِ مُدْيَةُ جَازِرٍ
 تَرَاهُمْ كَأَنَّ الطَّيْرَ فَوْقَ رِعْوَسِهِمْ عَلَى عِمَّةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي الْمَعَاشِرِ
 وَسِيْمَاهُمْ مَعْرُوفَةٌ فِي وَجُوهِهِمْ وَفِي الْمَشِيِّ حُجَّاجاً وَفَوْقَ الْأَبَاعِرِ
 وَفِي رَكْعَةٍ تَأْتِي عَلَى اللَّيْلِ كُلِّهِ وَظَاهِرِ قَوْلٍ فِي مِثَالِ الضَّمَائِرِ
 وَفِي قَصِّ هُدَايٍ وَإِحْفَاءِ شَارِبٍ وَكَوْرٍ عَلَى شَيْبٍ يُضْيِئُ لِنَاطِرٍ (٥)
 وَعَنْفَقَةٍ مَصْلُومَةٍ ، وَلِنَعْلِهِ قِبَالَانِ ، فِي رُذْنٍ رَحِيبِ الْخَوَاصِرِ (٦)
 فَتَلُكُ عِلَامَاتٌ تَحِيطُ بِوَصْفِهِمْ وَلَيْسَ جَهُولُ الْقَوْمِ فِي عِلْمِ خَابِرٍ (٧)

= السُدُوسِي ، أَذْرَكَ النَّبِيَّ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ شَيْئاً ، وَوَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ . وَقَتْلُهُ الْأَزْرَاقَةَ . انْظُرْ أَمْثَالَ الْمِيدَانِي فِي : « أَنْسَبُ مِنْ دَغْلٍ » وَالْإِصَابَةُ ٢٣٩٥ .

(١) مَكْحَلٌ ، هُوَ عَمْرُو بْنُ الْأَهَمِّ الْمَنْقَرِيُّ ، كَمَا سَيَأْتِي فِي ص ٣٥٥ .

(٢) الْبِدَاءُ : جَمْعُ بَادٍ ، وَهُوَ سَاكِنُ الْبَادِيَةِ . وَالْمَحَاضِرُ : الْمَنَاهِلُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهَا .

(٣) الْجَفُّ ، وَالرُّوْقُ ، وَالْغَارُ : الْجَمْعُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ .

(٤) هـ ، ب « حَائِرٌ » .

(٥) الْكَوْرُ : لَوْثُ الْعِمَامَةِ ، أَيْ إِدَارَتِهَا عَلَى الرَّأْسِ .

(٦) الْعَنْفَقَةُ : مَا بَيْنَ الشِّفَةِ السُّفْلَى وَالذَّقْنِ . قِبَالُ النُّعْلِ : زِمَامُهَا .

(٧) هـ ، ب : « فِي جِرمِ خَابِرٍ » .

وفي واصل يقول صفوان :

١٨ فما مَسَّ ديناراً ولا صَرَّ درهما ولا عرف الثوبَ الذى هو قاطعه

وفيه يقول أسباط بن واصل الشيباني :

وأشهد أن الله سَمَّاكَ واصلًا وأنتَ محمود النقية والشَّيْمِ

ولما قام بشار بِعُذر^(١) إبليس في أن النار خير من الأرض ، وذكر

واصل بما ذكره به ، قال صفوان :

زَعَمْتُ بَأَنَّ النَّارَ أَكْرَمُ عَنَصْرًا وفي الأرض تَحْيَا بالحجارة والزَّيْدِ^(٢)

وَتُخْلَقُ فِي أَرْحَامِهَا وَأَرْوَمِهَا أعاجيبُ لا تُحصى بِحَظٍّ ولا عَقْدِ^(٣)

وفي القعر من لُجِّ البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد

كذلك سِرُّ الأرض في البحر كله وفي العَيْضة الغنَّاء والجبل الصلْدِ ١٠

ولا بَدَّ من أرض لكل مُطَيِّرٍ وكلُّ سَبُوحٍ في الغمائر من جُدِّ^(٤)

كذاك وما ينساحُ في الأرض ماشيا على بطنه مَشَى الْمُجَانِبِ للقَصْدِ^(٥)

وَيَسْرَى على جلد يقيم حُزُوزَهُ تَعْمَجُ ماء السَّيْلِ في صَبَبٍ حَرْدِ^(٦)

وفي قُلِّلِ الأَجبال خَلْفَ مُقَطَّم زَبْرَجْدٍ أَملاك الوردى ساعة الحشْدِ^(٧)

١٥ (١) فيما عدا ل : هـ : « يعذر » .

(٢) يعنى أن النار كاتمة في الحجارة والزند .

(٣) الأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل . والعقد : ضرب من الحساب .

(٤) ما عدا هـ : « لكل مطهر » ولا يستقيم به المعنى ، وصوابه من هـ والفرق بين الفرق حيث

أنشد القصيدة . والغمائر : جمع غمير ، وهو الماء الكثير . والجُد : بالضم والفتح : شاطئ النهر . أى

لا بد لكل سابح من شاطئ . ٢٠

(٥) ينساح : يمشى على بطنه . ل : « كذلك ما ينساح » .

(٦) التعمج : التلوى . والصبيب : الموضع المنحدر . والحرد : المتنحي المعتزل .

(٧) المقطم : جبل يمتد من أسوان على شاطئ النيل الشرق حتى يكون منقطعه طرف القاهرة .

قال ياقوت : « وذكر قوم أنه جبل الزبرجد » . والأملاك : الملوك .

- وفي الحرة الرجلاء تُلقى معادن
من الذهب الإبريز والفضة التي
وكل فلز من نحاس وألك
وفيها زرايخ ومكر ومرك
وفيها ضروب القار والشبب والمها
تري العرق منها في المقاطع لائحا
ومن إثمجد جون وكلسي وفضة
وفي كل أغوار البلاد معادن
وكل يواقيت الأنام وحليها
وفيها مقام الخلل والركن والصفاء ١٠
- لهن مغارات تبجس بالنقد (١)
تروق وتصبى ذا القناعة والزهد
ومن زئبق حتى ونوشاذر يسدي (٢)
ومن مرقشيثا غير كاب ولا مكدي (٣)
وأصناف كبريت مطاوله الوقدي (٤) ١٩
كما قديت الحسناء حاشية البرد
ومن ثوتياء في معادنه هندي
وفي ظاهر البيداء من مستوي نجد (٥)
من الأرض والأحجار فاخرة المعجد
ومستلم الحجاج من جنة الخلد

(١) الحرة : أرض حجازها سود . والرجلاء : التي لا يستطيع المشي فيها حتى يترجل فيها ؛
لخشونتها وصعوبتها . تبجس بالنقد ، أى تنفجر بالذهب والفضة .

(٢) الفلز : جواهر الأرض كلها . والآلك : الأسرب ، وهو الرصاص القلعي . وقال كراع : هو
القرديز . وجعل الزئبق حيا لسرعة حركته . والنوشاذر ، بالذال المضمومة ، ويقال بالمهملة أيضاً : حجر
صاف كالبلور . انظر حواشي الحيوان (٥ : ٣٤٩) . فيما عدل ، هـ : « ونوشادر » . وفي الفرق بين
الفرق ٤٠ : « ونوشادر سندی » نسبة إلى السند . قال داود : « يكون بالبلاد الحارة » . ١٥

(٣) الزرينخ : معدن له ألوان كثيرة ، منها الأصفر والأحمر والأخضر ، وأجودها الصفائح الذي
يستعمله النقاشون الذي له لون كلون الذهب ، وكانت صفائحه تنقشر وكأنها مركبة بعضها فوق بعض .
المعتمد لابن رسولا ١٤٠ . وفي اللسان أنه لفظ أعجمي ، وضبط فيه وفي المغرب ١٧٤ بكسر الزاي .
والمكر ، بالفتح : المغرة ، وهى طين أحمر يصبغ به . والمرك : مبيض المرادسج . والمرادسج : رصاص
عبيط وأسرنخ أو رصاص محروق ، يسبك حتى يمتزج ، وتبييضه أن يلف في صوف ويطبخ بفول ، وكلما
نضج غير الصوف والفول حتى يبيض . تذكرة داود . وهو فارسي معرب . والمرقشيثا : صنف من الحجارة
يستخرج منه النحاس . المعتمد . ٢٠

(٤) المها : جمع مهاة ، وهى البلورة التى تبصر لشدة بياضها . فيما عدل ، هـ : « النهى » ،
وهو بالفتح : ضرب من الخرز . ٢٥

(٥) النجد : ماغلط من الأرض وارتفع واستوى .

- وفي صخرة الخضر التي عند حوتها وفي الصخرة الصماء تُصدعُ آيةٌ
مفاخرُ الطين الذي كان أصلنا فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمة
أَتَجْعَلُ عَمراً والنَّطَاسِيَّ واصلاً وتفخر بالميلاء والعليج عاصم
وتحكى لدى الأقوام شُنعاً رأيهِ وسَمِيَّتَهُ الغَزَّالَ في الشَّعرِ مطنباً
وفي الحجر المُمهي لموسى على عَمْدٍ (١) لَأَمَّ فَصِيلَ ذِي رُغَاءٍ وَذِي وَحْدٍ (٢)
ونحن بنوه غيرَ شكٍ ولا جَحْدٍ وأوضحُ برهانٍ على الواحد الفرد
كَاتَّبَاعِ دَيْصَانٍ وَهُمْ قُمُشُ الْمَدِّ (٣) وتضحك من جيد الرئيس أُنَى الْجَعْدِ (٤)
لتصرف أهواءِ النفوسِ إلى الرَّدِّ ومولاك عند الظلمِ قِصَّتَهُ (٥) مُرْدِي
— يقول : إن مولاك ملاح ؛ لأن الملاحين إذا تظلموا رفعوا المرادى — ١٠
فيا ابنَ حليفِ الطينِ واللُّومِ والعَمَى وأبعدَ خلقِ الله من طُرقِ الرُّشْدِ (٦)
أَتَهْجُو أبا بكرٍ وتحلَعُ بَعْدَهُ علياً وتغزو كلَّ ذاكِ إلى بُرْدٍ
كَأَنَّكَ غَضِبَانٌ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَطالِبُ دَخِيلٍ لَا يَبِيْتُ عَلَى حِقْدٍ
رَجَعْتَ إِلَى الْأَمْصَارِ مِنْ بَعْدِ وَاصِلٍ وَكُنْتَ شَرِيداً فِي التَّهَائِمِ وَالتَّجْدِ (٧)

- (١) صخرة الخضر : التي نسي عندها الحوت . وفي سورة الكهف : (قال أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسبت الحوت) . والخضر ، بكسر الحاء ، ويقال فيه أيضاً خضر ككف . أمهي الحجر : ظهر مأوه ، إشارة إلى ضرب موسى بعصاه الحجر .
(٢) إشارة إلى الصخرة التي ظهرت منها ناقة صالح عشاء ، وتنجت سقبا . والوخد ، ضرب من سير الإبل . ب ، جـ . « وجد » بالجيم ، وأثبت ما في ل ، هـ ، والتميورية .
(٣) ديسان : صاحب الديصانية من المحجوس الثنوية . والقمش ، جمع قماش ، وهو الرذال من كل شيء .
(٤) الميلاء ، هي حاضنة أبي منصور العجلى صاحب المنصورية . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٨) . وأبو المجد ، كنية لواصل بن عطاء ، وكنيته المعروفة « أبو حذيفة » .
(٥) في هامش هـ : « القصة : القطعة ترفع فيها الظلامة » .
(٦) في هامش ل : « إنما قال ابن حليف الطين ؛ لأن أباه كان فخاراً يصنع الجرار » .
(٧) التهائم : الأرض المتصوبة إلى البحر . ومنه تهامة . والتجد بضمتين ، وسكن الجيم الشعر : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وأشرف واستوى .

أَتَجْعَلُ لَيْلِي النَّاعِظِيَّةَ نَحْلَةً وكلَّ عَرِيْقٍ فِي التَّنَاسُخِ وَالرَّدِّ (١)
 عَلَيْكَ بَدْعِدٍ وَالصَّدُوفَ وَفَرْتَنِي وَحَاضِنَتِي كِسْفٍ وَزَامِلَتِي هِنْدَ (٢)
 تُؤَاثِبُ أَقْمَاراً وَأَنْتَ مُشَوِّهٌ وَأَقْرَبُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ شَبِّهِ الْقِرْدِ
 ولذلك قال فيه حمادُ عَجْرَدٍ (٣) بعد ذلك :

ويا أَقْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

ويقال إنه لم يَجْزَعْ بشار من شيء قطَّ جَزَعَهُ من هذا البيت (٤).

وذكره الشاعرُ وذكر أخويه لأمه فقال :

لقد ولدتُ أُمُّ الْأَكِيمِهِ أَعْرَجاً وَآخَرَ مَقْطُوعَ الْقِفَا نَاقِصَ الْعَضُدِ (٥)

وكانوا ثلاثةً مختلفي الآباء والأُمُّ واحدةٌ ، وكلُّهم وُلِدَ زَمِناً . ولذلك قال

بعضُ من يهجوهُ :

إِذَا دَعَا الْخَالَ أَقْمَى وَنَكَصَ وَهُجْنَةُ الْإِقْرَافِ فِيهِ بِالْحِصَصِ (٦)

وقال الشاعر :

لَا تَشْهَدَنَّ بِخَارِجِي مُطْرِفٌ حَتَّى تَرَى مِنْ نَجْلِهِ أَفْرَاسًا (٧)

(١) ليلي الناعظية : إحدى نساء الغالية ، منسوبة إلى بنى ناعظ ، بالطاء المعجمة ، وهم بطن من

العرب . انظر القاموس واللسان والجمهرة (٣ : ١٢١) . نخلة : أى صاحبة نخلة ومذهب .

(٢) دعد ، وأختها من الأسماء الشائعة في غزل العرب . والكسف ، هو أبو منصور العجلي .

انظر الحيوان (٢ : ٢٦٦ / ٦ : ٣٨٩) . والزامل : من يزل غيرة ، أى يتبعه .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر من مخضرمي الدولتين ، ٢٠

ولم يشتهر إلا في العباسية ، وكان بينه وبين بشار مهاجرة فاحشة . توفي سنة ١٦١ و قبل ١٦٨ .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٦٦ / ٦ : ٢٢٨) .

(٥) الأكيمه : مصغر الأكمه ، وهو الذى ولد أعمى .

(٦) الإقراف : الهجنة من قبل الأب ، عنى أنه لثيم الأم والأب .

(٧) أى لا تشهد به المخافل والحروب . والخارجي من الخيل : الذى يخرج بنفسه من غير أن

يكون له عرق في الجودة . والمطرف ، كالطارف : المستحدث .

وقال صفوان الأنصاري في بشارٍ وأخويه ، وكان يخاطب أمهم :
 وَلَدَتْ حُلْدًا وَذِيحًا فِي تَشْتَمِهِ وبعده حُزْرًا يَشْتَدُّ فِي الصُّعْدِ (١)
 ثَلَاثَةٌ مِنْ ثَلَاثٍ فُرُقُوا فِرْقًا فأعرف بذلك عِرْقَ الْخَالِ فِي الْوَلَدِ
 الْخُلْدُ : ضَرْبٌ مِنَ الْجُرْذَانِ يُولَدُ أَعْمَى . وَالذِّيخُ : ذَكَرُ الضَّبَاعِ ، وَهُوَ أَعْرَجُ .
 وَالْحُزْرُ : ذَكَرُ الْأَرَانِبِ ، وَهُوَ قَصِيرُ الْيَدَيْنِ لَا يَلْحَقُهُ الْكَلْبُ فِي الصُّعْدِ (٢) .
 وقال بعد ذلك سليمان الأعمى ، أخو مسلم بن الوليد الأنصاري
 الشَّاعِرُ (٣) ، فِي اعْتِدَارِ بَشَارٍ لِإِبْلِيسَ وَهُوَ يَخْبِرُ عَنْ كَرَمِ خِصَالِ الْأَرْضِ :
 لَا بَدُّ لِلْأَرْضِ إِنْ طَابَتْ وَإِنْ خَبِثَتْ مِنْ أَنْ تُحِيلَ إِلَيْهَا كُلَّ مَغْرُوسٍ
 وَتُرْبَةُ الْأَرْضِ إِنْ جِدَتْ وَإِنْ فُحِطَتْ فَحَمْلُهَا أَبَدًا فِي إِثْرِ مَنْفُوسٍ (٤)
 وَبَطْنُهَا يَفْلَزُ الْأَرْضَ ذُو نَخَبٍ بِكُلِّ ذِي جَوْهَرٍ فِي الْأَرْضِ مَرْمُوسٍ (٥)
 — الْفَلَزُ : جَوْهَرُ الْأَرْضِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْأَثْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ —
 وَكُلُّ آتِيَةٍ عَمَتْ مِرَاقِقَهَا وَكُلُّ مُنْتَقِدٍ فِيهَا وَمَلْبُوسٍ
 وَكُلُّ مَاغُونِهَا كَالْمِلْحِ مِرْفَقَةٌ وَكُلُّهَا مُضْحِكٌ مِنْ قَوْلِ إِبْلِيسِ (٦)
 وقال بعضُ خُلَعَاءِ بَغْدَادِ (٧) :

-
- (١) التشتيم ، أراد به الشتامة : وهي القبح . والصعد : جمع الصعود ، بالفتح ، وهي العقبة الشاقة .
 (٢) انظر الحيوان (٥ : ٤٤٧ / ٦ : ٣٥٦ : ٧ / ١٣٢) .
 (٣) وكذلك في الحيوان (٤ : ١٩٥) لكن ياقوتاً في معجم البلدان (١١ : ٢٥٥) والصفدي
 في نكت الحميان ١٦٠ قد جعلاه ابناً لمسلم بن الوليد . قال ياقوت : « وهو ابن مسلم بن الوليد ،
 المعروف بصريع الغواني ، الشاعر المعروف ، كان كأبيه شاعراً مجيداً » .
 (٤) جيدت : مطرت بالجود ، وهو المطر الغزير . والمنفوس : المولود .
 (٥) ل ، هـ : « بكل جوهرة » . والمرموس : المدفون .
 (٦) الماعون : كل ما انتفع به .
 (٧) الخلعاء : جمع خليع ، وهو المستهتر بالشرب واللهو ، والذي أعطى نفسه هواها . فيما عدا
 ل ، هـ : « خلفاء بغداد » وهو تحريف . وسيعاد البينان في (٣ : ١٥٢) الأصل . وقبلهما : « وقال
 بعض الطيِّاب » . والطيِّاب ، بالكسر : جمع طيب ، وهو الفك المَرَّاح . انظر سيبويه (٢ : ٢١١)
 والحيوان (٣ : ٢٧) .

عجبتُ من إبليس في كبرِهِ وفُجِع ما أظهرَ من نيته (١)
 تاه على آدمَ في سجدةٍ وصار قَوَاداً لذريَّتِهِ (٢)
 وذكره بهذا المعنى سليمانُ الأعمى ، أخو مسلم الأنصارى (٣) ، فقال :
 يَأبَى السَّجُودَ له من فَرَطَ كُخُوتِهِ وقد تَحَوَّلَ في مِسالَخِ قَوَادِ
 وقال صفوانُ في شأنِ واصلٍ وبشارٍ ، وفي شأنِ النَّارِ والطَّيْنِ ، في كلمةٍ
 له :

وفي جوفها للعبد أَسْتَرُ منزلٍ وفي ظهرها يَقْضِي فرائضَه العبدُ
 تَمُجُّ لُفَاطُ المِلْحِ مَجًّا وتَصْطَفِي سَبَائِكَ لا تَصْنَدَا وإن قَدُمَ العهدُ
 وليس بِمُحْصِي كُنْهَ ما في بَطُونِهَا حسابٌ ولا حَظٌّ وإن يُلْبَغِ الجَهْدُ
 فسائِلُ بعبدِ الله في يومِ حَفْلِهِ وذاك مَقَامٌ لا يشاهده وَغَدُ (٤)
 أقام شبيبُ وابنُ صفوانَ قبلَه بقول خطيبٍ لا يجانبه القَصْدُ (٥)
 وقام ابنُ عيسى ثُمَّ قَفَاه واصلُ فأبَدَعَ قولاً ماله في الورى نِدُّ
 فما نَقَصَتْهُ الرِّاءُ إذْ كان قادراً على تَرْكِهَا واللفظُ مطرِدٌ سَرْدُ
 فَفَضَّلَ عبدُ اللهِ حُطْبَةَ واصلٍ وضُوعفَ في قَسَمِ الصَّلَاتِ له الشُّكْدُ (٦)
 فأقْنَعَ كُلَّ القومِ شُكْرُ حَبَائِهِمْ وَقَلَّلَ ذاكَ الضَّعْفَ في عينه الرُّهْدُ ١٥

قد كتبنا احتجاجَ مَنْ زعم أنَّ واصلَ بنَ عطاءٍ كان غَزَّالاً، واحتجاجَ مَنْ

(١) هـ ، ب : « وخبت ما ابداه » .

(٢) ل : « في سجدة » .

(٣) انظر ما سبق في ٣١ س ٦ .

(٤) يشير إلى ما كان من اجتماع شبيب وخالد بن صفوان والفضل بن عيسى وواصل ، عند

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز . انظر ما سبق في ص ٢٤ .

(٥) القصد : المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط . ل ، هـ : « أقام شبيباً » .

(٦) الشكد ، بالضم : الجزاء والعطاء .

دفع ذلك عنه ، ويزعم هؤلاء أَنَّ قولَ الناس : واصل الغزال ، كما يقولون : خالد الحذاء^(١) ، وكما يقولون : هشام الدستوائي^(٢) . وإنما قيل ذلك لأنَّ الإباضية^(٣) كانت تبعثُ إليه من صدقاتها ثياباً دَسْتَوَائِيَّة ، فكان يكسوها الأعراب الذين يكونون بالجَنَاب^(٤) ، فأجابوه إلى قول الإباضية ، وكانوا قبل ذلك لا يزوّجون الهُجَنَاء ، فأجابوه إلى التَّسْوِيَةِ وَرَوَّجُوا هَجِيئاً ، فقال الهجين في ذلك :

إنا وَجَدْنَا الدَّسْتَوَائِيَّة الصَّائِمِينَ المتعبدينا

أفضلَ منكم حَسَباً وَدِيناً أَخْزَى الإلهُ المتكبرينا

* أَفِيكُم مَّن يُنَكِّحِ الهَجِيئَا ^(٥) *

وقال : إنما قيل ذلك لواصل لأنه كان يكثر الجلوس^(٦) في سوق الغزالين ، إلى أبي عبد الله ، مولى قَطْنِ الهِلَالِي . وكذلك كانت حالُ خَالِدِ الحَدَّاءِ الفقيه . وكما قالوا : أبو مسعود البدرى^(٧) ، لأنه كان نازلاً على ذلك الماء . وكما قالوا : أبو مالك

(١) هو خالد بن مهران ، ويكنى أبا المبارك ، مولى لقريش لآل عبد الله بن عامر بن كريز . قيل إنما سُمي حذاءً لأنه كان يتكلم فيقول : اُحْذِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ . المعارف ٢١٩ . وقيل إنه تزوج امرأة فنزل عليها في الحذائين فنسب إليها . السمعاني ١٦٠ .

(٢) هو أبو بكر هشام بن بن أبي عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائي البصري البكري ، وكان يرمى بالقدر ، روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ودرستوا ، بفتح الدال والتاء ، من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . معجم البلدان ، والمعارف ٣٢٣ ، وتهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٥) .

(٣) الإباضية : فرقة من فرق الخوارج ، نسبة إلى عبد الله بن إباض ، الخارج في أيام مروان بن محمد . انظر آراءهم في الملل (١ : ١٨٠) والفرق بين الفرق ٨٢ والمواقف ٦٣٠ .

(٤) الجَنَاب ، بالفتح : موضع في أرض كلب في السماوة ، بين العراق والشام . ل : « بالحباب » تحريف .

(٥) الهجين : عرنى وُلِدَ من أُمَةٍ ، أو من أبوه خير من أُمِّه .

(٦) فيما عدل « لكثرة جلوسه » .

(٧) هو أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدرى ، وشهرته بكنيته . صحاحي شهد

العقبة ويدرا ، توفي سنة ٤٠ . الإصابة ٥٥٩٩ والسمعاني ٦٨ .

السُّدِّيَّ (١) ؛ لأنه كان يبيع الخُمُر في سُدة المسجد (٢) .
وهذا الباب مستقصى في كتاب « الأسماء والكنى » ، وقد ذكرنا جملة
منه في كتاب « أبناء السُّراري والمهيرات » .

ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرنى منها

٥ قال أبو عثمان : وهي أربعة أحرف : القاف ، والسين ، واللام ، والراء .
فأما التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط ؛ لأنه ليس من
الحروف المعروفة ، وإنما هو مخرج من الخارج ، والمخرج لا تحصي ولا يُوقف
عليها . وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ؛ وليس ذلك
في شيء أكثر منه في لغة الخوز . وفي سواحل البحر من أسياف فارس ناسٌ
كثير ، كلامهم يشبه الصِّفِير (٣) . فمن يستطيع أن يصور كثيراً
١٠ من حروف الزمزمة ، والحروف التي تظهر من فم المجوس إذا ترك الإفصاح عن
معانيه ، وأخذ في باب الكناية وهو على الطعام ؟!

فالثَّغَةُ التي تعرض للسين تكون ثاء ، كقولهم لأبي يكسوم (١) : أبي
يكثوم ؛ وكما يقولون : بُثْرَةٌ ، وبِثْمُ الله ، إذا أرادوا بُسْرَةً ، وبِسم الله .
والثانية اللثغة التي تعرض للقاف ؛ فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا
١٥ أراد أن يقول : قلت له ، قال : طُلت له ؛ وإذا أراد أن يقول : قال لي ، قال : طال لي .

(١) في القاموس (سدد) : « وإسماعيل السدي لبيعه المقانع في سدة مسجد الكوفة » . ومثله
في اللسان . وفي تهذيب التهذيب : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي ، أبو محمد الكوفي .
مات سنة سبع وعشرين ومائة . وذكر السمعاني ٢٩٤ أنه مولى زينب بنت قيس بن مخزوم ، حجازي
الأصل ، سكن الكوفة .

٢٠ (٢) السدة : بالضم : الباب ، أو ما حول المسجد من الرواق .

(٣) فيما عدا ل : « شبيه بالصفير » .

(٤) أبو يكسوم : كنية أبرهة الملك الحبشي ، صاحب الفيل الذي وجه لهدم الكعبة ، وكان له
ابن يسمى « يكسوم » ، وبه كان يكنى . انظر السيرة ٤١ جوتنجن .

وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : اعتللتُ : اعتييتُ ، وبدل جَمَل : جَمَى . وآخرون يجعلون اللام كافاً ، كالذي عرض لعمر أخى هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة في هذا ، قال : مَكْعَكَة في هذا .

- وَأَمَّا اللُّثْغَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي الرَّاءِ فَإِنَّ عِدَّةَهَا يُضَعِّفُ عَلَى عِدَدِ لُثْغَةِ اللَّام ؛
لأنَّ الَّذِي يَعْرِضُ لَهَا أَرْبَعَةُ أَحْرَفٍ : فَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ عَمْرُو ، قَالَ :
عَمَى ، فَيَجْعَلُ الرَّاءَ يَاءً . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ عَمْرُو ، قَالَ : عَمْعُ ،
فَيَجْعَلُ الرَّاءَ غَيْنًا . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ عَمْرُو ، قَالَ : عَمْدُ ، فَيَجْعَلُ
الرَّاءَ ذَالًا . وَإِذَا أَنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ (١) :

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ
قَالَ :

وَاسْتَبَدَّتْ مَدَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ
فَمَنْ هُوَ لَا عَلَى بَنِ الْجُنَيْدِ بْنِ فُرَيْدَى .

- وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الرَّاءَ ظَاءً مَعْجَمَةً ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ :
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ
يَقُولُ :

وَاسْتَبَدَّتْ مَظَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الرَّاءَ غَيْنًا مَعْجَمَةً ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْشُدَ هَذَا الْبَيْتَ قَالَ :
وَاسْتَبَدَّتْ مَعَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ

- كَمَا أَنَّ الَّذِي لُثِّغَتْهُ بِالْيَاءِ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : « وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً » يَقُولُ
« وَاسْتَبَدَّتْ مَيَّةً وَاحِدَةً » .

(١) هو عمر بن أبي ربيعة ، من قصيدة في ديوانه ٧٦ مطلعها :

لَيْتَ هَذَا أَتَخَرَّجَنَا مَا تَعَدَّ وَشَفَّتْ أَنْفُسُنَا مِمَّا تَهَيَّجَدُ

وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء ، ولسليمان بن يزيد العدوى^(١) الشاعر ، فليس إلى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التى تعرض فى السين^(٢) كنعو ما كان يعرض لمحمد بن الحجاج ، كاتب داود بن محمد ، كاتب أم جعفر ؛ فإن تلك أيضاً ليست لها صورة فى الخط تُرى بالعين ، وإنما يصورها اللسان وتتأدى إلى السمع . وربما اجتمعت فى الواحد لثغتان فى حرفين ، كنعو لثغة شوشى ، صاحب عبد الله خالد الأموى ؛ فإنه كان يجعل اللام ياء والراء ياء . قال مرة : مَوِيَّاءُ وَيَّيُّ أَيْي . يريد: مولاي ولى الرى . واللثغة التى فى الراء إذا كانت بالياء فهى أحقرهن وأوضعهن لذى المروءة ، ثم التى على الظاء ، ثم التى على الذال . فأما التى على الغين فهى أيسرهن ، ويقال إن صاحبها لو جَهد نفسه جَهدَه ، وأخذ لسانه^(٣) ، وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها ، لم يك بعيداً من أن تُجيبه الطبيعة ، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً .

وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم ، بالعين ، وكان إذا شاء أن يقول عَمَرُو ، ولعمري ، وما أشبه ذلك على الصَّحَّة قاله ، ولكنه كان يستقل التكلف والتهيو لذلك ، فقلت له : إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلسْتُ أشك أنك لو احتملتَ هذا التكلف والتَّبُع شهراً واحداً أن لسانك كان يستقيم . فأما من تعثره اللثغة فى الضاد وربما اعتراه أيضاً فى الصَّاد والراء ، حتَّى إذا أراد أن يقول مُضَرَّ قال مُضَيَّ ، فهذا وأشباهه لاحقون بشوشى . وقد زعم ناس من العوام أن موسى عليه السلام كان ألثغ ، ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له على شئ بعينه . فمنهم من جعل ذلك خلقة ، ومنهم من زعم أنه إنما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون :

(١) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٦ : ١٩١) وروى له القالى شعراً فى (٣ : ٢٨) .

(٢) فيما عدل : « الشين » .

(٣) هـ : « وأخذ لسانه » .

« لَا تَقْتُلْ طِفْلاً لَا يَعْرِفُ الثَّمَرُ مِنَ الْجَمْرِ ^(١) ». فَلَمَّا دَعَا لَهُ فِرْعَوْنُ بِهِمَا جَمِيعاً تَنَاولَ جَمْرَةً فَأَهْوَى بِهَا إِلَى فِيهِ ، فَاعْتَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ مَا اعْتَرَاهُ .

وَأَمَّا اللَّثْغَةُ فِي الرَّاءِ فَتَكُونُ بِالْيَاءِ وَالظَّاءِ وَالذَّالِ وَالغَيْنِ ، وَهِيَ أَقْلُهَا قَبْحاً وَأَوْجَدُهَا فِي ذَوِي الشَّرَفِ وَكِبَارِ النَّاسِ وَبُلْغَائِهِمْ وَعِلْمَائِهِمْ . ٢٥

- وَكَانَتْ لَثْغَةُ مُحَمَّدِ بْنِ شَيْبٍ الْمُتَكَلِّمِ ، بِالْغَيْنِ ، فَإِذَا حَمَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِ ٥
لِسَانَهُ أَخْرَجَ الرَّاءَ عَلَى الصَّحَّةِ فَتَأْتَى لَهُ ذَلِكَ . وَكَانَ يَدْعُ ذَلِكَ اسْتِثْقَالاً . أَنَا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ .

قَالَ : وَكَانَ الْوَاقِدِيُّ ^(٢) يَرَوِي عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ ، أَنَّ لِسَانَ مُوسَى كَانَتْ عَلَيْهِ شَامَةٌ ^(٣) فِيهَا شَعْرَاتٌ . وَلَيْسَ يَدُلُّ الْقُرْآنُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا ^(٤) ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ دَلِيلٌ عَلَى شَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ . ١٠
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا تَتَعَتَعَ اللِّسَانُ فِي التَّاءِ فَهُوَ تَمْتَامٌ ، وَإِذَا تَتَعَتَعَ فِي الْفَاءِ فَهُوَ فَأَفَاءٌ . وَأَنْشُدْ لِرُؤْبَةِ بْنِ الْعَجَّاجِ :

يَا حَمْدَ ذَاتِ الْمُنْطِقِ التَّمْتَامِ ^(٥) كَأَنَّ وَسْوَاسِكَ فِي اللَّمَامِ ^(٦)

* حَدِيثُ شَيْطَانِ بَنِي هَنَامٍ ^(٧) * .

(١) فِيمَا عَدَالَ : « لَا يَفْرُقُ » بَدَلُ « لَا يَعْرِفُ » . ١٥

(٢) الْوَاقِدِيُّ ، هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ وَاقِدِ الْوَاقِدِيُّ ، مَوْلَى الْأَسْلَمِيِّينَ . كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَانْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَوَلَّى الْقَضَاءَ بِهَا لِلْمَأْمُونِ . وَكَانَ عَالِماً بِالْمَغَارِي وَالسِّيَرِ وَالْفَتْوحِ وَالْأَخْبَارِ . وَلَدَ سَنَةَ ١٣٠ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٠٧ . الْفَهْرِسْتُ لِابْنِ النَّدِيمِ ١٤٤ وَالْمَعَارِفُ ٢٢٦ وَتَارِيخُ بَغْدَادَ (٣ : ٣) — (٢١) وَابْنُ خُلِكَانَ (١ : ٥٠٦) وَالسَّمْعَانِيُّ ٥٧٧ .

(٣) الشَّامَةُ ، بِالْهَمْزِ وَيُدْوَنُ : الْخَالُ فِي الْجَسَدِ . فِيمَا عَدَالَ : « شَامَةٌ » . ٢٥

(٤) فِيمَا عَدَالَ : « مِمَّا قَالُوا » .

(٥) فِي الدِّيَوَانِ ١٤٤ : « يَا هَالِ » مَرْخَمُ هَالَةٍ . وَالْبَيْتُ مَطْلَعُ أَرْجُوزَةٍ لَهُ يَمْدَحُ بِهَا مُسْلِمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ .

(٦) يُقَالُ : مَا يَزُورُنَا إِلَّا لَمَامًا : أَيْ إِلَّا أحياناً عَلَى غَيْرِ مُوَاطَئَةٍ .

(٧) فِي اللِّسَانِ : « بَنُو هَنَامٍ : حَيٌّ مِنَ الْجِنِّ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ الْفَصِيحِ » . وَفِي الْأَصُولِ :

« بَنِي هَمَامٍ » صَوَابُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ .

وبعضهم ينشد :

* ياحمد ذات المنطق التمتام *

وليس ذلك بشيء ، وإنما هو كما قال أبو الرّحف (١) :

لست بفأفأ ولا تمتام ولا كثير الهُجُر في الكلام
وأنشُد أيضاً للحوّلاني في كلمة له :

٥
إنّ السيّاط تَرَكْنَ لاسيتك منطقاً كمقالة التمتام ليس بمُعَرَّب
فجعل الحوّلاني التمتام غير مُعَرَّب عن معناه ، ولا مفصّح بحاجته .
وقال أبو عبيدة : إذا أدخَلَ الرَّجُلُ بعضَ كلامه في بعض ألف ،
وقيل بلسانه لَفَفٌ . وأنشدني لأبي الرّحف الراجز :
١٠
كَأَنَّ فِيهِ لَفَفًا إِذَا نَطَقَ مِنْ طُولِ تَحْيِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرْقٍ
كَأَنَّهُ لَمَّا جَلَسَ وَحْدَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَكَلِّمُهُ ، وَطَالَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، أَصَابَهُ
لَفَفٌ فِي لِسَانِهِ .

وكان يزيد بن جابر ، قاضي الأزارقة (٢) بعد المُقْعَطِل ، يقال له الصّموت ؛
لأنّه لما طال صمته ثَقُلَ عليه الكلام ، فكان لسانه يلتوى ، ولا يكاد يبين .
١٥
وأخبرني محمد بنُ الجهم (٣) أنّ مثل ذلك اعتراه أيام محاربة الرُّط (٤) ، من
طول التفكير (٥) ولزوم الصّمّت .

(١) هو أبو الرّحف بن عطاء بن الخطفي — ابن عم جرير بن الخطفي — وعمر أبو الرّحف حتى بلغ
زمان محمد بن سليمان بن عبد الله بن عباس . انظر الشعراء لابن قتيبة .
(٢) الأزارقة : فرقة من فرق الخوارج السبع : نسبة إلى نافع بن الأزرق . انظر آراءهم في الملل (١) :
١٦٠) ومفاتيح العلوم ١٩ والمواقف ٦٢٩ والفرق بين الفرق ٨٢ .
(٣) هو محمد بن الجهم اليرمكي ، ولاء المأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج في الأغاني (١٣) :
١٥) أسئلة طريفة في الأدب والشعر ، وجهها إليه المأمون فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختيار مؤهلاً لحصوله
على هذه الولايات .

(٤) الرط : جيل من الهند . انظر تحقيق اسمهم في حواشي الحيوان (٤٠٧ : ٥) . وقد كان هؤلاء ممن
٢٥
حاربهم المأمون . انظر حوادث سنة ٢٠٥ ، ٢٠٦ من كتب التاريخ .
(٥) هـ : « التفكير » .

قال : وأنشدني الأصمعي :

- حديث بنى قُرْطٍ إذا ما لقيتهم كَنَزُوا الدُّبَا في العَرَجِ المَتَقَارِبِ (١)
 قال ذلك حين كان في كلامهم عَجَلَةٌ . وقال سلمة بن عِيَّاش (٢) :
 كَأَنَّ بَنِي رَأْلَانَ إِذْ جَاءَ جَمْعُهُمْ فَرَارِيحُ يُلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيْقُ (٣)
 فقال ذلك لِدَقَّةِ أَصْوَاتِهِمْ (٤) وَعَجَلَةٌ كَلَامُهُمْ . وقال اللَّهْمِيُّ (٥) في اللِّجْلَاجِ :
 ليس خَطِيبُ القَوْمِ بِاللِّجْلَاجِ ولا الذِي يَزْحَلُ كَالِهَلْبَاجِ (٦)
 وَرُبَّ يِدَاءٍ وَلَيْلٍ دَاجٍ هَتَكَتْهُ بِالنَّصِّ وَالْإِدْلَاجِ
 وقال محمد بن سَلَامِ الجُمَحِي : كان عَمْرُ بن الخطاب ، رحمه الله ،
 إِذَا رَأَى رَجُلًا يَتَلَجَّلِجُ في كَلَامِهِ ، قال : « خَالِقُ هَذَا وَخَالِقُ عَمْرِو بنِ العَاصِي وَاحِدٌ (٧) » .
 ويقال : في لِسَانِهِ حُبْسَةٌ ، إِذَا كَانَ الكَلَامُ يَثْقُلُ عَلَيْهِ ولم يَبْلُغْ حَدَّ الْفَافَاءِ ١٠
 وَالتَّمَامِ . ويقال في لِسَانِهِ عُقْلَةٌ ، إِذَا تَعَقَّلَ عَلَيْهِ الكَلَامُ (٨) . ويقال في لِسَانِهِ

(١) بنو قُرْطٍ : بطن من بني بكر بن كلاب . انظر المعارف ٤٠ والقاموس (قُرْط) . فيما عدا ل ، هـ « بنى زط » تحريف ، اجتلبه ما سبق من الكلام . والدُّبَا : الجراد قبل أن يطير .

(٢) سلمة بن عِيَّاش : شاعر بصري من مخضرمي الدولتين ، وكان منقطعاً إلى جعفر ومحمد ، ابني سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، يمدحهما . انظر الأغاني (٢١ : ٨٤ - ٨٦) . ١٥
 (٣) بنو رَأْلَانَ : قبيلة من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « لَوَقَةُ أَصْوَاتِهِمْ » تحريف .

(٥) اللهبي ، هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، أحد شعراء بني هاشم ، وكان ممن وفد على عبد الملك بن مروان . انظر الأغاني (١٥ : ٢ - ١٠) ، والمؤتلف ٣٥ والمرزباني ٣٠٩ .

(٦) يزحل : يزل عن مقامه . قال لبيد : ٢٠

لو يقوم الفيل أو فيَّاله زل عن مثل مقامى وزحل
 والهلْبَاج : الأحمق الشديد الخلق .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « إِذَا رَأَى الرَّجُلَ » و « عَمْرُو بنِ العَاصِ » . وفي تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) :
 « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصي بالياء ، لا يجوز حذفها . وقد لهجت العامة بحذفها . قال
 النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » ٢٥
 وانظر شرح الرضي للشافعية (٢ : ٣٠٣) . والخبر في الحيوان (٥ : ٥٨٧) وعيون الأخبار (٢ : ١٧١) .
 (٨) الكلام بعد « التمام » إلى هنا من ل ، هـ .

لكنَّه ، إذا أدخل بعضَ حروف العَجَم في حروف العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأوَّل . فإذا قالوا في لسانه حُكْلَة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق ، وعجز أداة اللفظ ، حتى لا تُعرَف معانيه إلا بالاستدلال .

وقال رؤبة بن العجاج :

لو أننى أوتيتُ عِلْمَ الحُكْلِ عِلْمَ سليمانَ كلامَ التَّمْلِ (١)

وقال محمد بن ذؤيب (٢) ، في مدح عبد الملك بن صالح :

ويفهمُ قول الحُكْلِ لو أنَّ ذَرَّةً تساوِدُ أخرى لم يُفْتَه سِوَاُهَا (٣)

وقال التيمي (٤) في هجائه لبنى ثعلب :

ولكنَّ حُكْلًا لا تُبَيِّنُ وديئُها عبادةُ أعلّاج عليها البرانس (٥)

قال : وأنشدني سُحَيْمُ بن حفص (٦) ، في الخطيب الذى تُعرِضُ له

النَّحْنَحَة والسُّعْلَة ، وذلك إذا انتفَخَ سَخْرُه ، وَكَبَا زَنْدُه ، وَبَا حُدُّه ؛ فقال :

نَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الْإِهْمَالِ وَمِنْ كَلَالِ الْعَرَبِ فِي الْمَقَالِ

* ومن خطيب دائم السُّعَالِ *

(١) وكذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميداني (١) :

١٥ ٢/٤٥٤ (٨٥ : ٤ ، ٨ ، ٢٣) . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان

(حكل) . والحكل : ما لا يسمع له صوت من الحيوان .

(٢) هو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي العماني الراجز ، وقيل له العماني وهو بصرى ولم

يكن من أهل عمان ؛ لأن دكيناً الراجز نظر إليه فقال : من هذا العماني ؟ وذلك أنه كان أصفر

٢٠ مطحولاً . وهو شاعر راجز من شعراء الدولة العباسية ، كان مقرباً من الرشيد . الأغاني (١٧ : ٧٨ -

٨٣) والشعراء لابن فتيبة .

(٣) السواد ، بالكسر : السرار . وانظر الحيوان (٤ : ٢٣) .

(٤) في الحيوان (٤ : ٢٤) : « وقال التيمي الشاعر المتكلم » .

(٥) أنشده في الحيوان برواية : « عجم وحكل لا تبين » .

(٦) ويقال أيضاً في اسمه « عامر بن حفص » ولقبه « سحيم » . ويلقبه هذا يذكره الجاحظ في

٢٥ مواضع كثيرة . والمدائني في كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست لابن النديم ٩٤ ليسك

١٣٨ . مصر . قال ابن النديم : كان عالماً بالأخبار والأنساب ، ثقة فيما يرويه . وتوفى سنة ١٩٠ .

وأنشدني ابن الأعرابي :

إنَّ زياداً ليس بالبكيِّ ولا بهيَّابٍ كثيرِ العيِّ

وأنشدني بعض أصحابنا :

ناديتُ هَيْدَانَ والأبوابُ مغلقةٌ ومثلُ هَيْدَانَ سَنَى فتحةَ البابِ (١)

كالهِنْدَوَانِي لم تُقلِّ مَضارِيهٗ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجَابِ (٢)

وقال آخر :

* إذا الله سَنَى عَقْدَ شَيْءٍ تيسراً (٣) *

وقال بشر بن المعتَمِر (٤) ، في مثل ذلك :

وَمِنَ الْكَبَائِرِ مَقُولُ مُتَتَعِّجُ جَمُّ التَّنَحُّجِ مُتَعَبٌ مَبْهُورٌ (٥)

وذلك أنه شهد ريسان ، أبا بُجَيْرِ بن ريسان ، يخطب . وقد شهدتُ

أنا هذه الخطبة ولم أر جباناً قط أجراً منه ، ولا جريئاً قط أجبن منه .

وقال الأشُّلُّ الأزرقِي - من بعض أحوالِ عمران بن حِطَّانِ الصُّفَرِيِّ القَعْدِيِّ (٦) .

(١) سَنَى : فتح وسهل . والبيتان محرفان في العقد (٣ : ٣٩٠) .

(٢) الهندواني ، بضم الدال مع ضم الهاء وكسرهما : السيف المطبوع من حديد الهند . تفلل : تنلم .

والوَجَاب : الخفاق المضطرب من الخوف .

(٣) يروى صدره : * وأعلم علماً ليس بالظن أنه * .

و : * فلا تيأسوا واستغفروا الله إنه * .

انظر اللسان (غور ، سنا) وأمل القالي ١ : ٢٣٥ .

(٤) بشر بن المعتمر ، صاحب البشرية ، انتهت إليه راسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن أصحابه المعتزلة في

بعض مسائل أوردتها في كتابي « معجم الفرق الإسلامية » . وكان بشر نحاساً في الرقيق . توفي سنة ٢١٠ . انظر

لسان الميزان (٢ : ٣٣) والملل والنحل (١ : ٨١) والمواقف ٦٢٢ ومفاتيح العلوم ١٩ والفرق ١٤١ واعتقادات الرازي

٤٢ واللسان (ربح) . فيما عدل ، هـ : « بشر بن معمر » تحريف . ولبشر قصيدتان في الحيوان (٦ : ٢٨٤ - ٢٩٧) .

(٥) المقول : الكثير القول .

(٦) هو أبو سماك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي ، رأس القعدة من الصفرية ، وخطيبهم

وشاعرهم ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ثم لحق بالشرأة فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام ، فطلبه

عبد الملك ففر إلى عمان . ولما طال عمره قعد عن الحرب ، فاكتفى بالتحريض والدعوة بشعره . توفي سنة

٨٤ . الإصابة ٦٨٦٩ .

- في زيد بن جندب الإيادي (١) خطيب الأزارقة ، وقد اجتمعا في بعض المحافل ، فقال بعد ذلك الأمثل البكري (٢) :

٢٨

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلٌ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلُ
وَيْلُ أُمِّهِ إِذَا ارْتَجَلُ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَقَلَ

وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الإيادي ، الخطيب الأزرقى ، في مراثيه لأبى دؤاد بن حريز الإيادي (٣) ، حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد ، فقال :

كُفَسُ إِيَادٍ أَوْ لَقِيْطُ بْنُ مَعْبِدٍ وَعُذْرَةُ وَالْمِنْطَبِقُ زَيْدُ بْنُ جُنْدَبٍ
وزيد بن جندب هو الذى قال فى الاختلاف الذى وقع بين الأزارقة :
١٠ قُلْ لِلْمَجْلِسَيْنِ قَدْ قَرَّتْ عِيُونُكُمْ بِفِرْقَةِ الْقَوْمِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْهَرَبِ (٤)
كُنَّا أَنْسَاءً عَلَى دِينٍ فَفَرَّقْنَا طَوْلُ الْجِدَالِ وَخَلَطَ الْجِدُّ بِاللَّعِبِ (٥)
مَا كَانَ أَغْنَى رَجُلًا ضَلَّ سَعِيَهُمْ عَنِ الْجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطْبِ
إِنِّى لَأَهْوَنُكُمْ فِى الْأَرْضِ مُضْطَرِيًّا مَالِ سِوَى فَرَسَى وَالرُّمَجِ مِنْ نَشِبِ
وَأَمَّا عُذْرَةُ الْمَذْكُورِ فِى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَهُوَ عُذْرَةُ بْنُ حُجَيْرَةَ (٦) الْخَطِيبُ الْإِيَادِي .
١٥ وَيَدُلُّ عَلَى قَدْرِهِ فِيهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِهِ فِى اللَّسَنِ وَفِى الْخُطْبِ ، قَوْلُ شَاعِرِهِمْ :
وَأَيُّ فَتَى صَبَّرَ عَلَى الْإَيْنِ وَالظَّمَا إِذْ اعْتَصَرُوا لِلُّوحِ مَاءَ فِظَاطِهَا (٧)
إِذَا ضَرَجُوهَا سَاعَةً بِدِمَائِهَا وَحُلَّ عَنِ الْكُومَاءِ عَقْدُ شِظَاطِهَا (٨)

(١) له شعر فى الحيوان (٦ : ٢١٩) .

(٢) هـ : « النكري » .

(٣) فيما عدل ، هـ : « بن جرير » تحريف . انظر اللآلى ٧١٨ .

(٤) فيما عدل : « قد قرئت عيونكم » .

(٥) فيما عدل : « قرع الكلام » .

(٦) فيما عدل ، هـ : « عذرة بن حجرة » .

(٧) اللوح ، بالفتح والضم : العطش . والفظاظ : جمع فظ ، وهو ماء الكرش . وكانوا يعتصرون

٢٥ ماء الكرش إذ عز عليهم الماء فى المفاوز .

(٨) الكوماء : الناقة العظيمة السنم . والشظاظ : العمود الذى يدخل فى عروة الخواقي .

فإِنَّكَ ضَحَّاكٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ وَأَنْطَقُ مِنْ قُسٍّ غَدَاةٍ عُكَاظِهَا
إِذَا شَعَبَ الْمَوْلَى مُشَاغِبٌ مَعَشِرٍ فَعُذْرَةٌ فِيهَا آخِذٌ بِكِطَاظِهَا^(١)

فلم يضرب هذا الشاعرُ الإيادى المثلَ لهذا الخطيبِ الإيادى ، إلّا
٢٩ برجلٍ من خطباء إياد ، وهو قُسُّ بنُ ساعدة . ولم يضرب صاحبُ مرثية ألى
دُوَادِ بن حَرِيزِ الإيادى^(٢) المثلَ إلّا بخطباءِ إيادٍ فقط ، ولم يفتقر إلى غيرهم ،
حيث قال في عُذرة بن حُجيرة^(٣) :

كَقُسِّ إِيَادٍ أَوْ لَقِيْطِ بْنِ مَعْبِدٍ وَعُذْرَةُ وَالْمِنْطِيقِ زَيْدِ بْنِ جُنْدَبٍ
وأول هذه المرثية قوله :

نَعَى ابْنَ حَرِيزٍ جَاهِلٌ بِمُصَابِيهِ فَعَمَّ نَزَارًا بِالْبُكَاءِ وَالتَّحْوِبِ^(٤)
نَعَاهُ لَنَا كَاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِيْنَهُ وَكَالْبَدْرِ يُغْشِي ضَوْؤُهُ كُلَّ كَوْكَبٍ
وَأَصْبِرْ مِنْ عَوْدٍ وَأَهْدَى إِذَا سَرَى مِنَ النَّجْمِ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبٍ^(٥)
وَأَذْرُبْ مِنْ حَدِّ السَّنَانِ لِسَانَهُ وَأَمْضَى مِنَ السَّيْفِ الْحَسَامِ الْمَشْطَبِ^(٦)
زَعِيمُ نَزَائِرٍ كُلُّهَا وَخَطِيْبُهَا إِذَا قَامَ طَاظًا رَأْسَهُ كُلُّ مِشْعَبٍ
سَلِيلُ قُرُومٍ سَادَةٍ ثُمَّ قَالَةٍ يَبْذُونَ يَوْمَ الْجَمْعِ أَهْلَ الْمُحْصَبِ^(٧)
كَقُسِّ إِيَادٍ أَوْ لَقِيْطِ بْنِ مَعْبِدٍ وَعُذْرَةُ وَالْمِنْطِيقِ زَيْدِ بْنِ جُنْدَبٍ
١٥

(١) الكظاظ : ممارسة الشدة وملازمتها .

(٢) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدل ، هـ : « بن جرير » .

(٣) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدل ، هـ : « ابن حجرة » .

(٤) التحوب : البكاء في جزع وصياح . والبيت في سمط اللال ٧١٨ .

(٥) العود ، بالفتح : الجمل المسن وفيه بقية . وفي أمثالهم : « زاحم يعود أودع » ، أى استعن على
٢٠ حرك بأهل السن والمعرفة ، فإن رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

(٦) الذرب : الحدة . والحسام : القاطع . والمشتب : الذى فيه طرائق في منته .

(٧) أشير في هامش ل إلى رواية « ثم قادة » في نسخة . والمحصب : موضع رمى الجمار بمنى .

- في كلمة له طويلة . وإيّاهم عَنَى الشاعِرُ بقوله :
- يَرْمُونُ بِالْحُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حِظَ خِيْفَةِ الرُّقْبَاءِ^(١)
- قال : أخبرني مُحَمَّد بن عَبَّاد^(٢) بن كاسِب ، كاتبُ زهير ومولى بَجيلة من سَبِي دابق^(٣) ، وكان شاعراً راوية ، وطلّابة للعلم غلاماً ، قال : سمعت أبا داود بن حَرِيز^(٤) يقول وقد جَرى شيءٌ من ذكر الحُطْبِ وتحبير الكلام واقتضابه ، وصعوبة ذلك المَقام وأهواله ، فقال : « تلخيص المعاني رَفَقٌ^(٥) ، والاستعانة بالغريب عَجَزٌ ، والتشادُق من غير أهل البادية بُغْضٌ ، والنظر في عيون الناس عَيٌّ ، ومسُّ اللّحية هُلْكٌ ، والخروج ممّا بُنى عليه أوّل الكلام إسهاب » .
- قال : وسمعته يقول : « رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الذّرية ، وجناحها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تَخْيِير الألفاظ^(٦) » . والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه » . وأنشدني بيتاً له في صفة خطباء إِياد :
- يَرْمُونُ بِالْحُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حِظَ خِيْفَةِ الرُّقْبَاءِ
- فلذكر المبسوط في موضعه ، والمخنوف في موضعه ، والموجز ، والكناية والوَحَى باللّحِظ ودلالة الإشارة . وأنشدني له الثّقة في كلمة له معروفة :
- الجودُ أَحْسَنُ مَسْأَ يا بنى مَطَرٍ مِنْ أَنْ تُبْزَكُمُوهُ كَفَّ مُسْتَلَبٍ^(٧)
ما أَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الجودَ مَدْفَعَةٌ لِلذَّمِّ لَكِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّشَبِ

(١) عنى بالملاحظ العيون ، لحظه لحظاً : نظره بمؤخر عينه . والبيت منسوب إلى أبي داود بن حريز . وهو بهذه النسبة في زهر الآداب (١ : ٩٦) .

(٢) هـ : « عتاب » .

(٣) دابق ، بكسر الباء ، وروى بفتحها : قرية قرب حلب .

(٤) فيما عدل : « حريز » . وانظر ما مضى ص ٤٢ .

(٥) التلخيص : التبيين والشرح والتقريب .

(٦) فيما عدل : « اللفظ » .

(٧) بنو مطر : رهط معن بن زائدة الشيباني ، الجواد المعروف . وابن أخيه يزيد الشيباني المملوح بالكرم والشجاعة . انظر أخبارهما في وفيات الأعيان وغيرها . بَزَّ الشيء : استلبه منه .

قال : ثم لم يحفل بها ، فادّعاها مسلم بن الوليد الأنصارى ، أو ادّعى له . وكان أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الخطب (١) .

وفي الخطباء من يكون شاعراً ويكون إذا تحدّث أو وصف أو احتجّ بليغاً مفوهاً بيناً ، وربما كان خطيباً فقط ، وبين اللسان فقط .

- فمن الخطباء الشعراء ، الأبياء الحكماء : قس بن ساعدة الإيادي .
والخطباء كثير ، والشعراء أكثر منهم ، ومن يجمع الشعر والخطابة قليل .
ومنهم : عمرو بن الأهتم المنقري ، وهو المكلّحل ، قالوا : كأنّ شعره في مجالس الملوك حلّل منشورة (٢) . قيل لعمر بن الخطاب رحمه الله : « قيل للأوسية : أيّ منظر أحسن ؟ فقالت : قصور بيض في حدائق حُضر » ، فأنشد عند ذلك عمر بن الخطاب ، بيت عدى بن زيد العبّادي :
كدمى العاج في المحارب أو كالبيض في الرّوض زهره مُستنير
قال : فقال قسامة بن زهير (٣) : « كلام عمرو بن الأهتم أتق ، وشعره أحسن » . هذا ، وقسامة أحد أبناء العرب .

ومن الخطباء الشعراء : البغيث المجاشعي ، واسمه خدّاش بن بشر بن بَيَّة (٤) .

ومن الخطباء الشعراء : الكميّ بن زيد الأسدي (٥) ، وكنيته أبو المستهل .

(١) فيما عدل ، هـ : « الكلام » .

(٢) هـ : « منشورة » .

(٣) قسامة بن زهير المازني ، له إدراك ، وكان ممن افتتح الأبلّة مع عتبة بن غزوان ، وكان رأساً في

٢٠ تلك الحروب . مات بعد الثمانين . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٤) في المؤلف ٥٦ ، أنه خدّاش بن بشر بن خالد بن بَيَّة بن قوط بن سفيان بن مجاشع .

دخل بين جرير وغسان السليطي ، وأعان غسان ، فلج الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق ، وسقط البيت . فيما عدل : « لبدي » بدل « بَيَّة » تحريف .

(٥) من يقال له الكميّ من الشعراء ثلاثة ، كلهم أسدي ، من بنى أسد بن خزيمه . وأعرفهم

٦٥ وأشهرهم الكميّ بن زيد ، وكان مكثراً جداً ، يتعمّل لإدخال الغريب في شعره ، وله في أهل البيت الأشعار المشهورة ، وهي أجود شعره . وهذا الكميّ هو الكميّ الأصغر =

ومن الخطباء الشعراء : الطَّرِمَاحُ بن حَكِيم الطَّائِي^(١) ، وكنيته أبو نُفَيْرٍ
قال القاسم بن مَعْنٍ : قال مُحَمَّد بن سهل رَاوِيَةُ الكُميت : أنشدتُ الكُميت
قَوْل الطَّرِمَاح :

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرِمَاحِ أُخْلِقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ الْقَصَائِدِ

قال : فقال الكُميت : إِي وَاللَّهِ ، وَعِنَانُ الْخُطَابَةِ وَالرَّوَايَةِ .

وقال أبو عثمان الجاحظ : ولم يَرِ النَّاسُ أَعْجَبَ حَالاً مِنْ الْكُميتِ
وَالطَّرِمَاحِ . وكان الكُميتُ عَدْنَانِيًّا عَصِيًّا ، وكان الطَّرِمَاحُ قَحْطَانِيًّا عَصِيًّا .
وكان الكُميتُ شِيعِيًّا مِنَ الْغَالِيَةِ ، وكان الطَّرِمَاحُ خَارِجِيًّا مِنَ الصُّفَرِيَّةِ . وكان
الْكُميتُ يَتَعَصَّبُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ ، وكان الطَّرِمَاحُ يَتَعَصَّبُ لِأَهْلِ الشَّامِ . وبينهما
مع ذلك من الْخَاصَّةِ وَالْمُخَالَطَةِ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ نَفْسَيْنِ قَطُّ ، ثُمَّ لَمْ يَجْرَ بَيْنَهُمَا
صُرْمٌ وَلَا جَفْوَةٌ وَلَا إِعْرَاضٌ ، وَلَا شَيْءٌ مِمَّا تَدْعُو هَذِهِ الْخِصَالَ إِلَيْهِ . ولم يَرِ النَّاسُ
مِثْلَهُمَا إِلَّا مَا ذَكَرُوا مِنْ حَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدِ الْإِبَاضِيِّ^(٢) ، وَهَيْشَامِ بْنِ الْحَكَمِ
الرَّافِضِيِّ^(٣) ؛ فَإِنَّهُمَا صَارَا إِلَى الْمِشَارَكَةِ بَعْدَ الْخِلَاطَةِ وَالْمَصَاحِبَةِ^(٤) .

= وَأَمَّا الْأَكْبَرُ فَهُوَ الْكُميتُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الْمُخَضْرَمِينَ ، وَهُوَ جَدُّ الْكُميتِ الْأَوْسَطِ :
الْكُميتُ بْنُ مَعْرُوفٍ الْكُميتُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، شَاعِرٌ مُخَضَّرٌ أَيْضاً . انظر المُوْتَلَفُ ١٨٠ والمرزبانى ٣٤٧ .

(١) الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ : شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، مَوْلَدُهُ وَمَنْشُؤُهُ بِالشَّامِ ، ثُمَّ
انْتَقَلَ إِلَى الْكُوفَةِ مَعَ مَنْ وَرَدَهَا مِنْ جِيُوشِ أَهْلِ الشَّامِ فَاعْتَقَدَ مَذْهَبَ الشَّرَاةِ وَالْأَزَاقَةِ ، وَكَانَ فَصِيحاً يَكْثُرُ
فِي شِعْرِهِ الْغَرِيبِ . قال مُحَمَّد بْنُ حَبِيبٍ : سَأَلْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ مَسْأَلَةً كُلُّهَا مِنْ غَرِيبِ شِعْرِ
الطَّرِمَاحِ فَلَمْ يَعْرِفْ وَاحِدَةً مِنْهَا . انظر الشُّعْرَاءُ لِابْنِ قَتِيبَةَ وَالْأَغَانِي (١٠ : ١٤٨) وَالْخَزَنَةِ (٣ : ٤١٨) .

(٢) فِيمَا عَدَلَ : « بْنُ يَزِيدِ الْإِبَاضِيِّ» .

(٣) هَيْشَامُ بْنُ الْحَكَمِ : صَاحِبُ مَذْهَبِ الْهَشَامِيَّةِ ، وَهُمُ فِرْقَةٌ مِنَ الْغَالِيَةِ عِنْدَ الشَّاهِرِسْتَانِيِّ ، وَمِنْ
الْمُشَبَّهِةِ عِنْدَ الْخَوَارِزْمِيِّ فِي مَفَاتِيحِ الْعُلُومِ ٢٠ ، وَمِنْ الْإِمَامِيَّةِ الرَّافِضَةِ عِنْدَ صَاحِبِ الْفَرَقِ . وَكَانَ يَقُولُ
بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ . وَآرَأَوْهُ مَفْصَلَةً فِي الْفَرَقِ ٤٧ — ٥٣ وَالْمَلَلُ وَالنَّحْلُ (٢ : ٢١ — ٢٣) . وَانْظُرْ

الْحَيَوَانَ (٣ : ١١) .

(٤) الْخِلَاطَةُ ، بِالْكَسْرِ : الْعِشْرَةُ ؛ وَبِالضَّمِّ : الشَّرَكَةُ .

وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، الحال التي تدعو إلى المفارقة بعد المنافسة والمحاسدة ؛ للذي اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقراية والمجاورة ، فكان يُقال : لولا أنهما أحكمُ تميم لتباينا تباين الأسد والثمر . وكذلك كانت حال هشام بن الحكم الرافضي ، وعبد الله بن يزيد الإباضي^(١) ، إلا أنهما أفضلا^(٢) على سائر المتضادين ، بما صارا إليه من الشراكة في جميع تجارتيهما . وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا عدو في العلانية^(٣) » ، فلم يعارضه شبيب . وتدل كلمة خالد هذه على أنه يُحسِن أن يسبَّ سبَّ الأشراف .

٣٢ ومن الشعراء الخطباء : عمران بن حطان ؛ وكنيته أبو شهاب ، أحد بنى عمرو بن شيبان إخوة سُدوس . ١٠

فمن بنى عمرو بن شيبان مع قتلهم من الخطباء والعلماء والشعراء: عمران بن حطان رئيس القعد من الصُفَرِيَّة ، وصاحب فتياهم ، ومفزعهم عند اختلافهم . ومنهم : دَعْفَل بن حنظلة النَّسَّابَة ، الخطيب العلامة . ومنهم القَعْقَاع بن شُور^(٤) . وسنذكر شأنهم إذا انتهينا إلى موضع ذكرهم إن شاء الله . ومن الخطباء الشعراء: نصر بن سَيَّار^(٥) ، أحد بنى لَيْث بن بكر ، صاحب ١٥

(١) فيما عدل ، هـ : « بن زيد » . وانظر ما سبق ص ٤٦ .

(٢) فيما عدل ، هـ : « فضلا » وهما سيان ، يقال فضل كنصر وعلم ، وأفضل عليه وعنه ، أى زاد .

(٣) الخبر في الحيوان (٥ : ٥٩٢) وعبير الأخبار (٣ : ٧٣) والعقد (٢ : ٢٧١) وسيأتي في ٣٤٠ .

(٤) شور ، بفتح الشين المعجمة . وفي القاموس أن القَعْقَاع بن شور تابعي . وترجم له في لسان

الميزان (٤ : ٤٧٤) ، وقال : من كبار الأمراء في دولة بنى أمية . وفيه يقول الشاعر : ٢٠

وكتبت جليس قَعْقَاع بن شور ولا يشقى بقَعْقَاع جليس

(٥) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ ، وله هشام بن

عبد الملك . ثم غزا ما وراء النهر ففتح حصونا وغنم كثيرا ، وأقام بمر . وقد انتبه إلى استفحال الدعوة

العباسية ، فكتب إلى بنى مروان بالشام فلم يأبهوا بالخطر ، وظل يكافح حتى عجز وتغلب أبو مسلم على

خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قومن ، واستمر في كفاحه إلى أن لحقه المرض في مفازة بين الرى ٢٥

وهمذان . ومات بساوة سنة ١٣١ .

خراسان . وهو يُعَدُّ في أصحاب الولايات والحروب ، في التدبير ، وفي العقل
وشِدَّة الرأي

ومن الخطباء الشعراء العلماء : زيد بن جندب الإيادي ، وقد ذكرنا
شأنه (١) .

ومن الخطباء الشعراء : عجلان بن سحبان الباهلي ؛ وسحبان هذا هو
سحبان وائل ، وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء ، ومن قد تنافر إليه الأشراف : أعشى
همدان .

ومن الشعراء الخطباء : عمران بن عصام العنزي (٢) ، وهو الذي أشار
على عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه ، والبيعة للوليد بن عبد الملك ، في
خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة . وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان
قتل الحجاج له قال : ولم قتله ، ونيله ؟ ألا رعى له قوله فيه :

وَبَعَثْتُ مِنْ وَلَدِ الْأَعْرُ مُعْتَبٍ صَقْرًا يَلُودُ حَمَامَهُ بِالْعَرْفِجِ (٣)
فَإِذَا طَبَخَتْ بِنَارِهِ أَنْضَجَتْهَا وَإِذَا طَبَخَتْ بِغَيْرِهَا لَمْ تَنْضَجِ
وهو الهزير إذا أراد فريسة لم يُنَجِّها مِنْهُ صِيَاخُ مُهْجِهَجِ (٤)

(١) انظر ما سبق ص ٤٢ .

(٢) عمران بن عصام العنزي : شاعر خطيب ذو لسان وذو جلد وشجاعة ، عرفه الحجاج فبعثه إلى
عبد الملك بن مروان لينزع الولاية من أخيه عبد العزيز بن مروان ، ويجعلها لابنه الوليد بن عبد الملك ، فقام
بذلك ، ولم يلبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات . فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام
معه على الحجاج ، فأُتِيَ به حين قتل ابن الأشعث فقتله . الأغاني (١٦ : ٥٨ — ٥٩) . والعنزي :
نسبة إلى عنزة ، بالتحريك ، إحدى قبائل بني أسد . فيما عدا ل ، هـ : « العرنى » تحريف . وهو معدود
في رجال عنزة . انظر الاشتقاق ١٦٩ ، والطبري (٧ : ٢٥) .

(٣) معتب ، بكسر التاء المشددة : جد من أجداد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن
مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف .
(٤) هجج بالسيح : صاح به وزجره . ما عدا هـ : « المهجج » ، تحريف .

ومن خطباء الأمصار وشعرائهم والمولدين منهم : بَشَّارُ الأعمى ، وهو
 بشار بن بُرد ، وكنيته أبو مُعَاذ ، وكان من أحد موالى بنى عُقَيْل . فإن كان
 مولى أُمِّ الطَّبَّاءِ على ما يقول بَنُو سَدُوس ، وعلى ما ذكره حَمَّادُ عَجْرَدٍ ، فهو
 من موالى بنى سَدُوس . ويقال إنه من أهل خراسان نازلاً فى بنى عُقَيْل . وله
 ٣٣ مديحٌ كثيرٌ فى فُرسانِ أهلِ خُراسانَ ورجالاتهم . وهو الذى يقول :
 من خُراسانَ ويَتى فى الذُّرى وَلَدَى المَسْعَاةِ فَرَعَى قَد بَسَقَ

وقال :

وَأَتَى لِمَنْ قَوْمُ خُراسانَ دارَهُمْ كَرَامٍ وَفَرَعَى فِيهِمْ ناضِرٌ بَسَقَ
 وكان شاعراً راجزاً ، وسجّاعاً خطيباً ، وصاحب منشورٍ ومزدوج . وله
 رسائلٌ معروفة .

وأنشد عُقْبَةُ بْنُ رُؤْيَةَ ، عَقْبَةُ بْنُ سَلَمٍ ^(١) ، رَجْزاً يمتدحه به ، وبشّارٌ
 حاضر ، فأظهرَ بشارٌ استحسانَ الأرجوزة ، فقال له عَقْبَةُ بْنُ رُؤْيَةَ : هذا طراز
 يا أبا مُعَاذٍ لاثْحَسِنِهِ . فقال بشارٌ : أَلِثْلَى يُقال هذا الكلام ؟ أنا واللهِ أَرَجُ
 منك وَمِنْ أَيْيِكَ وَمَنْ جَدِّكَ . ثم غدا عَلَى عَقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ بأرجوزته التى أولها :
 يا طَلَلُ الحَيِّ بذاتِ الصَّمَدِ باللهِ خَبِرَ كيفَ كُنْتَ بَعْدَى

وفىها يقول :

اسْلَمْ وَحُيِّتَ أبا المِلْدِّ للهِ أَيامُكَ فى مَعَدِّ

وفىها يقول :

(١) عَقْبَةُ بْنُ سَلَمٍ ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٩٢ : « ومن بنى هُناة فى الإسلام : عَقْبَةُ بْنُ
 سَلَمٍ ، صاحب دار عَقْبَةَ بالبصرة ، ابن نافع بن هلال بن أَهْبَانَ بن هَراب بن عَائِذ بن خَنْزِير بن أَسَلَمٍ ٢٠
 بن هُناة » . والخبر مفصل فى الأغاني (٣ : ٣٦ — ٣٧) وزهر الآداب (٢ : ١٢١) .

الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وليس للمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

وفيها يقول :

وصاحب كالذَّمْلِ المُمِدِّ حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي

* وما دَرَى مَا رَغَبْتِي مِنْ زُهْدِي *

٥ أَيْ لَمْ أَرِهِ زُهْداً فِيهِ وَلَا رَغْبَةً ^(١) . ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ الْأَعْرَ الشَّاعِرِ ^(٢) :

لَقَدْ كُنْتُ فِي قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشِجَّةٌ بنفسك ، لَوْلَا أَنَّ مَنْ طَاحَ طَائِحُ
يُودُّونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ وَهَلْ يَدْفَعُ الْمَوْتَ التَّفُوسُ الشَّحَائِحُ ^(٣)

* * *

والمطبوعون على الشعر من المولدين بشارٌ العُقَيْلِيّ ، والسَيِّدُ الجِمَيْرِيّ ، وأبو
١٠ العتاهية ، وابن أُمَيَّة ^(٤) . وقد ذَكَرَ النَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ يَحْيَى بْنَ نَوْفَلٍ ،
وَسَلَمًا الْخَاسِرَ ، وَخَلْفَ بْنَ خَلِيفَةَ ^(٥) . وَأَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْلاحِقِيُّ أَوَّلُ
بِالطَّبْعِ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَبِشَارٌ أَطْبَعَهُمْ كُلَّهُمْ .

(١) قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَذَكَرَ لِي أَبُو دَلْفِ هَاشِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ هَذَا الْخَبْرَ عَنِ الْجَاحِظِ ، وَزَادَ فِيهِ
١٥ الْجَاحِظُ قَالَ : فَانْظُرْ إِلَى سُوءِ أَدَبِ عَقْبَةِ بْنِ رُوَيْبَةَ وَقَدْ أَجْمَلَ بِشَارٌ مُحَضَّرُهُ وَعَشْرَتُهُ ، فَقَابَلَهُ بِهَذِهِ الْمَقَابِلَةِ الْقَبِيحَةِ .
(٢) كَلِمَةُ « الْأَعْرَ » مِنْ لَ فَقَطْ . وَفِي الْمُؤْتَلَفِ ص ٤٠ شَاعِرَانِ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ بْنِ وَائِلٍ ، يُقَالُ
لِكُلِّ مِنْهُمَا « الْأَعْرَ » .

(٣) انْفَرَدَتْ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ وَكُتِبَ فِيهَا فَوْقَ « هَلْ » : « لَا » إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمَا رَوَايَتَانِ . وَفِيمَا عَدَا
لِ وَكَذَا زَهْرُ الْأَدَابِ (٢ : ١٢١) : « وَلَا » .

(٤) هُوَ أَبُو عَيْنَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أُمَيَّةَ صَفْرَةَ ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ
٢٠ وَسَاكِنِي الْبَصْرَةِ ، أَنْفَدَ أَكْثَرَ أَشْعَارِهِ فِي هِجَاءِ ابْنِ عَمِّهِ خَالِدٍ . انْظُرِ الْأَخَانِي (١٨ : ٨ — ٢٩) .
(٥) مِنْ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ « الْأَقْطَعُ » لِأَنَّهُ قَطَعَتْ يَدُهُ فِي سَرَقَةٍ ، فَاسْتَعَاضَ عَنْهَا
بِأَصَابِعِ مَنْ جُلُودَ ، وَكَانَ مِنْ مَعَاصِرِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ ، دَخَلَ يَوْمًا عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُبَيْرَةَ ، فِي يَوْمِ
مَهْرَجَانٍ ، وَقَدْ أَهْدَيْتَ لَهُ هَدَايَا وَهُوَ يَفْرِقُهَا فِي النَّاسِ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ ، فَوَقَفَ ثُمَّ قَالَ :

كَأَنَا شَمَامِيسٌ فِي بَيْعَةٍ تَقَسَّسَ فِي بَعْضِ عِبَادَتَا
وَقَدْ حَضَرَتْ رَسْلَ الْمَهْرَجَانِ وَصَفُّوا كَرِيمَ هَدَايَاتَا

ومن الخطباء الشعراء وَمَنْ يُؤَلِّفَ الكلامَ الجيّدَ ، ويصنّع المناقلاّت الحسانَ
ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة ، مع بيانٍ عجيبٍ ورواية كثيرة ، وحُسن دَلِّ
وإشارة : عيسى بن يزيد بن دأب ، أحد بني ليث بن بكر ، وكنيته أبو الوليد .

- ومن الخطباء الشعراء مَنْ كان يجمع الحَظابةَ والشُّعرَ الجيّدَ والرسائلَ
الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتّائيّ ، وكنيته أبو عمرو ، وعلى
ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقولُ جميعُ من يتكلّف مثلَ ذلك من شعراء
المولّدين ، كنبحو مَنْصُورِ النَّمري ، ومسلم بن الوليد الأنصاريّ وأشباههما .
وكان العتّائيّ يَحْذُو حَذُوَ بَشَّارٍ في البديع . ولم يكن في المولّدين أصوبُ
بديعاً من بَشَّارٍ ، وابن هُرْمَة .

- ١٠ والعتّائيّ من ولد عمرو بن كلثوم ، ولذلك قال :
إِنِّي امرؤٌ هَدَمَ الإِقْتَارُ مَأْتَرَتِي واجتاحَ مَابَتِ الأَيَّامُ من خَطَرِي
أَيَّامَ عمرو بنِ كلثوم يسوّدُهُ حَيًّا ربيعَةً والأَفْنَاءُ من مُضَرِّ (١)
أُرُومَةٍ عَطَلَتْنِي مِن مَكَارِمِهَا كَالْقَوْسِ عَطَلَهَا الرّامِي مِن الوَثَرِ
وَدَلٌّ في هذه القصيدة على أَنَّهُ كان قصيراً بقوله (٢) :
١٥ نَهَى ظَرَافَ العَوَانِي عن مُواصَلَتِي ما يَفْجَأُ العَيْنَ من شَيْبِي ومن قِصَرِي

- = علوت برأسي فوق الرعوس وأشخصنه فوق هاماتها
لأكسب صاحبتى صحيفة تغيط بها بعض جاراتها
وكان بين يديه جامات من ذهب وفضة ، فأمر له منها بعشرين جاما ، وأقبل يقسم الباقي ويقول :
٢٠ لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فليس تبقى وياق شكرها خلف
انظر الشعراء لابن قتيبة .

(١) الأفناء : الأخطا من القبائل ، واحدها فنو ، بالكسر ، وفنا ، كعصا .

(٢) هـ : « قوله » .

ومن الخطباء الشعراء الذين قد جَمَعُوا الشُّعْرَ والخطبَ ، والرسائل الطَّوَالَ والقصارَ ، والكتبَ الكبارَ المخلدة ^(١) ، والسِّيرَ الحِسانَ المدونةَ ، والأخبارَ المولدة : سهلُ بن هارون بن راهبوني ^(٢) الكاتب ، صاحب كتاب ثُعلبة وعُفْرة ، في معارضة كتاب كليله ودمنة ، وكتاب الإخوان ^(٣) وكتاب المسائل ، وكتاب المخزومي والهدلية ، وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء : عليُّ بن إبراهيم بن جبلة بن مخرمة ، ويكنى أبا الحسن ^(٤) . وسنذكر كلام قُصَّ بن ساعدة وشأن لقيط بن معبد ، وهند بنت الحُصَّ ، وجمعة بنت حابس ، وخطباء إياد ، إذا صرنا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله .

وإيادٍ وتميم في الخطب خصلة ليست لأحدٍ من العرب ؛ لأنَّ رسولَ الله ﷺ هو الذي رَوَى كلامَ قُصَّ بن ساعدة وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته ، وهو الذي رَوَاهُ لقريش والعرب ، وهو الذي عَجَّبَ من حُسْنِهِ وأظْهَرَ من تصوّيه . وهذا إسنادٌ تعجز عنه الأماني ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفقَّ الله ذلك الكلامَ لقُصَّ بن ساعدة لاحتجاجة للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث . ولذلك كان خطيبَ العرب قاطبةً .

(١) فيما عدل ، هـ : « المخلدة » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « راهبوني » وقد ضبطت الهاء في هـ بالفتح والكسر معا . وفي الفهرست ١٠ ليسك « راهيون » . وسهل بن هارون ، نسبته إلى دستميسان ، كورة بين واسط البصرة والأهواز . كان سهل متحققا بالأمون ، وصاحب بيت الحكمة ، وهو فارسي الأصل ، شعوني المذهب ، شديد العصبية على العرب ، وله في ذلك كتب كثيرة . عمل للحسن بن سهل رسالة يمدح فيها البخل ويرغبه فيه ويستميحه في خلال ذلك ، فأجابه الحسن بكلام جاء فيه : « قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معنك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئا » . انظر الفهرست ١٢٠ ليسك و ١٧ مصر و سرح العيون بهامش لامية العجم (١ : ٢٦١ — ٢٧٢) .

(٣) عند ابن النديم « كتاب اسبابيوس في اتخاذ الإخوان » .

(٤) فيما عدل : « ولا أعلمه يكنى إلا أبا الحسن » .

وكذلك ليس لأحد في ذلك مثل الذي لبنى تميم ؛ لأنَّ النبيَّ عليه السلام لما سأل عمرو بن الأَهمَّ عن الزُّبرقان بن بدر ^(١) قال : « مانعٌ لحوزته ، مطاعٌ في أذنيه ^(٢) » . فقال الزُّبرقان : « أما إنَّه قد علِمَ أكثر ممَّا قال ، ولكنَّه حسدني شرفي » . فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلَّا ضيَّقَ الصدر ^(٣) ، زَمِرَ المروءة ^(٤) لقيم الخال ، حديث الغنى » ، فلما رأى أنه خالف قوله الآخر ، قوله الأوَّل ، ورأى الإنكار في عيني رسول الله قال : « يا رسول الله ، رضيْتُ فقلْتُ أحسنَ ما علمتُ ، وغضِبتُ فقلْتُ أقبحَ ما علمتُ ؛ وما كذبتُ في الأوَّلَى ولقد صدقتُ في الآخرة » . فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « إنَّ من البيان لسحرا » .

- ١٠ . فهاتان الحَصلتان حُصِّتَ بهما إِيادٌ وتيم ، دون جميع القبائل ^(٥) .
- ودخل الأحنفُ بنُ قيسٍ على معاويةَ بنِ سفيان ، فأشار له إلى الوساد فقال له : اجلس . فجلس على الأرض ، فقال له معاوية : وما منعك يا أحنفُ من الجلوس على الوساد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ فيما أوصى به قيسُ بنُ عاصمِ

(١) عمرو بن الأَهمَّ ، هو عمرو بن سنان بن سمى التميمي ، والأَهمَّ لقب أبيه سنان . وقد عمرو إلى رسول الله في وفد تميم ، وكان سيِّداً خطيباً شاعراً . انظر الإصابة ٦٧٦٥ ومعجم المرتباني ٢١٢ .

١٥ والزُّبرقان بن بدر ، هو الحصين بن بدر ، ولقب الزُّبرقان لحسن وجهه . وهو وعمرو بن الأَهمَّ ممن نادوا الرسول الكريم من وراء الحجرات حين وفدوا في بني تميم ، وله شعر في كتاب الحيوان (٣ : ١٠٣ / ٦ : ٩٨) والسيرة ٩٣٥ جوتنجن . وانظر الإصابة ٢٧٧٦ والمعارف ٣٦ ، ١٣١ والمؤتلف ١٢٨ وزهر الآداب (١ : ٦ - ٧) .

(٢) فيما عدل ، هـ : « أذنيه » تحريف . ويروى : « مطاع في عشيرته » . وانظر القصة في زهر الآداب (١ : ٥) ولياب الآداب ٣٥٤ - ٣٥٥ وأول أمثال الميداني .

(٣) في زهر الآداب والأمثال : « ضيق العطن » . والعطن : مناح الإبل حول الماء ، وهو كناية عن البخل .

(٤) زمر المروءة : قليلاً ، يقال هو زمر بين الزمارة والزمورة . وفي زهر الآداب : « زمن » محرف .

(٥) فيما عدل ، هـ : « دون سائر القبائل » .

الْمِنْقَرِيُّ وَلَدَهُ أَنْ قَالَ : « لَا تَغْشَ السُّلْطَانَ حَتَّى يَمْلِكَ ، وَلَا تَقْطَعَهُ حَتَّى
يَنْسَاكَ ، وَلَا تَجْلِسَ لَهُ عَلَى فِرَاشٍ وَلَا وِسَادٍ ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَجْلِسَ رَجُلٍ
أَوْ رَجُلَيْنِ ؛ فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَأْتِيَ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ مِنْكَ فَتُقَامَ لَهُ ،
فَيَكُونَ قِيَامُكَ زِيَادَةً لَهُ ، وَنُقْصَانًا عَلَيْكَ (١) » . حَسْبِيَ بِهَذَا الْمَجْلِسِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، لَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ مِنِّي ؛ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : « لَقَدْ
أُوتِيتَ تَمِيمَ الْحِكْمَةِ ، مَعَ رِقَّةٍ حَوَاشِي الْكَلِمِ (٢) » . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
يَأْتِيهَا السَّائِلُ عَمَّا مَضَى وَعِلْمٌ هَذَا الزَّمَنِ الْعَائِبِ (٣)
إِنْ كُنْتُ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبٍ
فَاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِسُكَّانِهَا وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ

٠ ٠ ٠

وَذَهَبَ الشَّاعِرُ فِي مَرثِيَةِ أَبِي دُوَادٍ فِي قَوْلِهِ :
وَأَصْبَرَ مِنْ عَوْدٍ وَأَهْدَى إِذَا سَرَى مِنْ النَّجْمِ فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهِبِ (٤)
إِلَى شَبِيهِه بِقَوْلِ جَبَّارِ بْنِ سُلَيْمَى (٥) بَنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، حِينَ
وَقَفَ عَلَى قَبْرِ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ لَا يَضِلُّ حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ ،
وَلَا يَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ ، وَلَا يَهَابُ حَتَّى يَهَابَ السَّيْلُ ، وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ مَا
يَكُونُ حِينَ لَا تَنْظُرُ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا (٦) » .

(١) فِيمَا عَدَلَ : « وَنُقْصَا عَلَيْكَ » .

(٢) فِيمَا عَدَلَ : « الْكَلَامُ » .

(٣) ل ، هـ : « الْعَائِبُ » .

(٤) انْظُرْ مَا سَبَقَ ص ٤٣ س ١١ .

(٥) سُلَيْمَى ، بِضَمِّ السَّيْنِ ، وَقِيلَ بِفَتْحِهَا ، كَمَا نَصَّ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ ١٠٥١ . ب :

« سُلَيْمَانُ » تَحْرِيفٌ . وَجَبَّارٌ ، أَحَدُ الصَّحَابَةِ الْفَرَسَانِ ، أَسْلَمَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَرْ مَعُونَةَ ، لِسَبَبِ طَرِيفٍ ، بَعْدَ مَا

كَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ . انْظُرِ السِّيَرَةَ ٦٥٠ ، ٩٣٩ جَوْتَنَجَن .

(٦) انْظُرِ الْحَيَوَانَ (٣ : ٤٨١) وَشُرُوحَ سَقَطِ الزُّنْد ٥٠٠ . هـ : « مَا كَانَ يَكُونُ » .

- وكان ريد بن جندب أشعًى أفلح^(١) ، ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبةً . وقال عبيدة بن هلال اليشكري^(٢) في هجائه له :
- أشعًى عَقْنَبَةٌ ونابٌ ذو عَصَل^(٣) وقلحٌ بادٍ وسينٌ قد نَصَل^(٤)
- وقال عبيدة أيضاً فيه :
- ولفوك أشنعٌ حين تنطقُ فاغراً من في قريحٍ قد أصابَ بريراً^(٥) ٥
- وقد قال الكميت :
- تُشَبِّه في الهام آثأرها مشافراً قَرَحَى أَكَلْنَ البيرأ^(٦)
- وقال النمر بن تولب في شئعة أشداق الجمل :
- كم ضربةً لك تحكي فاقراسيةً من المصاعب في أشداقه شنع^(٧)
- القراسية : بعيرٌ أضجم^(٨) . والضَّجَم : اعوجاجٌ في الفم ، والفَقَم مثله . والرَّوَق : ركوبُ السنِّ الشَّفَّة .
- ١٠ وفي الخطباء من كان أشعًى ، ومن كان أشدق ، ومن كان أرَّوق ، ومن كان أضجم ، ومن كان أفقم . وفي كل ذلك قد روينا الشاهد والمثل .

(١) الشعا : اختلاف بينة الأسنان بالطول والقصر ، والدخول والخروج . والفَلَح : شق في الشفة العليا ، فإذا كان في العليا فهو عَلم . ل : « أفلح » بالجيم ، تحريف .

(٢) ذكره الآمدي في المؤتلف ١٥٤ . وفي الاشتقاق ٢٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطري بن الفجاءة ثم ولي بعده أمر الخوارج . وهو الذي يقول في حصارهم لما حاصبرهم سفيان بن الأبرد الكلبي :

إلى الله أشكو ما نرى من جياننا تساوك هزلى مخهن قليل »

(٣) العقبة : العقاب الحديدية المخالب . والعصل : الالتواء .

(٤) ل : « وفلح » تحريف . نصل : خرج وظهر .

(٥) القريح : المصاب بالقرحة ، فيهدل لذلك مشفوه . والبير : الأول من ثمر الأراك .

(٦) عجز البيت في الحيوان (٣ / ٣١٠ : ٦ / ٤١٢) .

(٧) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل . وانظر الحيوان (٣ / ٣١٠) . والتفسير التالى ساقط من هـ .

٢٥

(٨) الذى في المعاجم أنه البعير الضخم الشديد .

وروى الهيثم بن عدى ^(١) عن أنى يعقوب الثقفي ، عن عبد الملك بن عمير ^(٢) ، قال : قدم علينا الأحنف بن قيس الكوفي ، مع المصعب بن الزبير ، فما رأيتُ حَصْلَةً تُدَمُّ في رجلٍ إلّا وقد رأيتها فيه : كان صَعَلَ الرأس أحجَنَ الأنف ، أغضَفَ الأذن ^(٣) ، متراكب الأسنان ، أشدَقَ ^(٤) ، مائل الذَّقن ، ناتيء الوجنة ، باحق العين ^(٥) ، خفيف العارضين ، أحنَفَ الرجلين ، ولكنته كان إذا تكلم جَلَى عن نفسه .

ولو استطاع الهيثم أن يمتعه البيان أيضاً لمتعه . ولولا أنه لم يجد بداً من أن يجعل له شيئاً على حالٍ لَمَا أَقَرَّ بأنه إذا تكلم جَلَى عن نفسه ^(٦) .
وقوله ^(٧) في كلمته هذه كقول هند بنت عتبة ، حين أتاها نعيُّ يزيد بن أبي سفيان ، فقال لها بعض المعزَّين : إنا لنرجو أن يكونَ في معاويةَ خلفٌ من يزيد ، فقالت هند : « ومثل معاويةَ لا يكونُ خلفاً من أحد ، فوالله أن لو جُمِعت العربُ من أقطارها ثم رُميَ به فيها ، لخرَجَ من أيِّ أعراضها شاء » .
ولكننا نقول : المثل الأحنف يقال : « إلّا أنه كان إذا تكلم جَلَى عن نفسه » ؟

* * *

١٥ (١) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى الأخباري ، كان ممن جالس المنصور والمهدى والهادي ، وفيه يقول أبو نواس :

إذا نسبت عديا في بني ثعل فقدم الدال قبل العين في النسب

وله تصانيف كثيرة . ولد قبل ١٣٠ وتوفى سنة سبع ومائتين . ابن خلكان .

٢٠ (٢) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حازمة القرشي — ويقال القُرسِي — أبو عمرو الكوفي ، المعروف بالقبطي ، روى عن الأشعث بن قيس ، وجابر بن سمرة ، والمغيرة ، والنعمان بن بشير ، وعنه ابنه موسى ، وشهر بن حوشب ، والأعمش ، توفي سنة ١٣٦ . انظر تهذيب التهذيب .

(٣) صعل الرأس : دقيقه . أحجن : مقبل الروثة نحو الفم . أغضف ، مسترخ .

(٤) الأشدق : الواسع الشدق المائله .

(٥) البحق : أن تحسف العين بعد العور .

٢٥ (٦) هذه الفقرة ليست في ل . والكلام في الخبر لعبد الملك بن عمير ، لا الهيثم بن عدى .

(٧) في النسخ : « وقولنا » .

ثم رَجَعَ بنا القول إلى الكلام الأول فيما يعتري اللسان من ضروب الآفات . قال ابن الأعرابي : طَلَّقَ أَبُو رَمَادَةَ ^(١) امرأته حين وجدها لثغاء ، وخاف أن تجيئه بولدٍ أثلغ ، فقال :

لثغاء تأتي بِحَيْفَسٍ أثلغ تَمِيسُ في المَوْشَى والمَصْبَغِ

الحَيْفَسُ : الولد القصير الصغير ^(٢) .

وأنشدني ابن الأعرابي كلمةً جامعةً لكثير من هذه المعاني، وهي قول الشاعر:
اسْكُتْ وَلَا تَنْطِقْ فَأَنْتَ حَبْحَابٌ ^(٣) كُلُّكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيْيَابٌ
إِنْ صَدَقَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ كَذَّابٌ أَوْ نَطَقَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ هَيْيَابٌ
أَوْ سَكَتَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ قَبَقَابٌ ^(٤) أَوْ أَقْدَمُوا يَوْمًا فَأَنْتَ وَجَّابٌ ^(٥)
وأنشدني في هذا المعنى أيضاً :

ولست بِدُمَيْجَةٍ فِي الْفِرَا ش وَجَّابَةٌ يَحْتَمِي أَنْ يُجَيِّبَا ^(٦)
وَلَا ذِي قَلَّازِمٍ عِنْدَ الْحِيَاظِ إِذَا مَا الشَّرِبُ أَرَابَ الشَّرِبَا ^(٧)
الدُّمَيْجَةُ : الثقليل عن الحركة ^(٨) . والقَلَّازِم : كثرة الصِّيَاح . وأنشدني :

(١) ل : « أبو زمعة » . وفي عيون الأخبار (٤ : ٨) . « طلق زياد » .

(٢) الحيفس : كهرزير وصيقل . وقيل في تفسيره : الدميم الخلقة . والتفسير ساقط من هـ .
(٣) الحبحاب : الصغير الجسم المتداخل العظام . ل : « خبحاب » تحريف . وأنشده في أمالي
ثعلب ٢٦٢ من المخطوطة واللسان (خيب) ، وهو القداح الذي لا يورى . والقداح والقداحة : حجر
القدح . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٥) .
(٤) قبقاب : كثير الكلام مخلطه .

(٥) الوجاب : الجبان الفرق . وأنشده في اللسان (قدم) : « أو قدموا » شاهداً على أن قدم ،
بالتشديد ، بمعنى تقدم .

(٦) الدميعة ، بالدال المهملة . وفي الأصول : « بزميعة » تحريف صوابه في اللسان (دمج) ،
وجب (ونوادر أبي زيد ٢٤٢ وما سيأتى في ص ٦٨ و ٣ : ٣٣٩ ، حيث أنشد البيت . والوجابة :
الفرع الفرق . ورواية النوادر : « هيابة » .

(٧) البيت في اللسان (وجب ، قلم) .

(٨) فسر في اللسان (دمج) بأنه المتداخل ، وفي (وجب) بأنه الذي يندمج في الفراش . وفي
النوادر : « ابن الأعرابي : رجل دميعة ، إذا كان ملازماً لفراشه » .

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحٍ الْجَبِيبِ وابنُ أبٍ مُتَّهِمٍ الْعَيْبِ (١)
 ورُبَّ عَيَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ مُشْتَمِلُ الثُّوبِ عَلَى الْعَيْبِ (٢)
 وأنشدني أيضاً :
 وأجراً من رأيتُ بظَهْرِ غَيْبٍ على عَيْبِ الرِّجَالِ ذُووِ الْعِيوبِ (٣)

* * *

وقال سهل بن هارون : « لو عَرَفَ الرَّنْجِيُّ فَرَطَ حاجته إلى ثنائه في إقامة الحروف ، وتكميل آلة البيان (٤) ، لما نزع ثنائه » .
 وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في سهيل بن عمرو الخطيب (٥) : « يا رسول الله ، انزع ثنيتيه السفليتين حتى يدلّع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً » (٦) .
 وإنما قال ذلك لأن سهيلاً كان أعلم من شفته السفلى (٧) .
 وقال خلاد بن يزيد الأرقط (٨) : خطب الجمحي خطبة نكاح أصاب فيها معاني الكلام ، وكان في كلامه صفيّر يخرج من موضع ثنائه المنزوعة ، فأجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه ، إلا أنه فضّله بحسن المخرج

- (١) رجل ناصح الجيب : نقى الصدر ، ناصح القلب ، لا غش فيه .
 (٢) البتان في عيون الأخبار (٢ : ١٤) برواية : « وكل عياب » .
 (٣) كأنه مأخوذ من قول المستورد حين قال له رجل : أريد أن أرى رجلاً عياباً . قال « اتصمه بفضل معايب فيه » . الكامل ٥٧٩ ليسك . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٤) .
 (٤) هـ ، ح : « وتكمل جميل البيان » .
 (٥) هو أبو زيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، خطيب قريش ، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه الرسول الكريم مائة من الإبل . مات بالطاعون سنة ثمان عشرة . الإصابة ٣٥٦٦ وصفة الصفوة (١ : ٣٠٧) والسير ٤٧٦ جوتنجن .
 (٦) في الإصابة : « قال عمر للنبي ﷺ : دعني أنزع ثنيتي سهيل فلا يقوم علينا خطيباً . فقال : دعها فلعلها أن تسرك يوماً . فلما مات النبي ﷺ قام سهيل بن عمرو فقال لهم : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فالله حي لا يموت » .
 (٧) كذا . وإنما أعلم مشقوق الشفة العليا . ومشقوق الشفة السفلى يقال له الأفلح .
 (٨) خلاد بن يزيد الأرقط ، أحد الرواة للقبائل ، والعارفين بالقبائل والأشعار . توفي سنة ٢٢٠ . ابن النديم ١٧ ليسك ١٥٦ مصر وتهذيب التهذيب (٣ : ١٧٦) .

والسَّلَامَةِ من الصَّغِيرِ ، فَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ مَعَاوِيَةَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ ، سَلَامَةً لَفِظَ زَيْدٍ لِسَلَامَةِ أَسْنَانِهِ ، فَقَالَ فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

قَلْتُ قَوَادِحُهَا وَتَمَّ عَدِيدُهَا فَلَهُ بِذَاكَ مَرْيَّةٌ لَا تَنْكُرُ ^(١)

وَيُرَوَّى : « صَحَّتْ مَخَارِجُهَا وَتَمَّ حُرُوفُهَا » . الْمَرْيَّةُ : الْفَضِيلَةُ .

وَزَعَمَ يَحْيَى بنُ نُجَيْمٍ بنَ مَعَاوِيَةَ بنَ زَمْعَةَ ، أَحَدُ رَوَاةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ^(٢) ، قَالَ : قَالَ يُونُسُ بنُ حَبِيبٍ ، فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ الْأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ :

أَنَا ابْنُ الزَّافَرِيَّةِ أَرْضَعْتَنِي بِثَدْيٍ لَا أَجَدُّ وَلَا وَحِيمٍ ^(٣)

أَتَمَّتْنِي فَلَمْ تَنْقُصْ عِظَامِي وَلَا صَوْتِي إِذَا جَدُّ الْخَصُومِ ^(٤)

قَالَ : إِنَّمَا عَنِيَ بِقَوْلِهِ عِظَامِي أَسْنَانُهُ الَّتِي فِي فَمِهِ ، وَهِيَ الَّتِي إِذَا تَمَّتْ

تَمَّتِ الْحُرُوفُ ، وَإِذَا نَقَصَتْ نَقَصَتْ الْحُرُوفُ .

وَقَالَ يُونُسُ : وَكَيْفَ يَقُولُ مِثْلَهُ : « أَتَمَّتْنِي فَلَمْ تَنْقُصْ عِظَامِي » وَهُوَ يَرِيدُ

بِالْعِظَامِ عِظَامَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ ، وَهُوَ أَحْنَفُ مِنْ رَجْلَيْهِ جَمِيعاً ، مَعَ قَوْلِ الْحُتَاتِ ٣٩

لَهُ ^(٥) : « وَاللَّهِ إِنَّكَ لَضَعِيلٌ » ، وَإِنْ أَمَلَكُ لَوَرَهَاءُ ^(٦) . وَكَانَ أَعْرَفَ بِمَوَاقِعِ الْعُيُوبِ

وَأَبْصَرَ بِدَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا . وَكَيْفَ يَقُولُ ذَلِكَ وَهُوَ نُصِبَ عِيُونِ الْأَعْدَاءِ وَالشُّعْرَاءِ

١٥ (١) الْقَادِحُ : أَكَالُ يَقَعُ فِي الْأَسْنَانِ .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ ١٧٠ لَيْسَلِك ٢٤٢ مِصْرَ ، مَعَ أَصْحَابِ الْقِصَائِدِ الَّتِي قِيلَتْ فِي

الْغَرِيبِ .

(٣) الزَّافَرِيَّةُ ، لَمْ أَحَدُ فِي قِبَالِهِمْ مَا يَحْتَمِلُ هَذِهِ النِّسْبَةَ . وَأُمُّ الْأَحْنَفِ ، هِيَ حَبَّةُ بِنْتُ عَمْرِو بنِ قُرْطٍ بنِ

ثُعْلَبَةَ الْبَاهِلِيَّةِ ، كَمَا فِي الْإِصَابَةِ ٤٢٦ . وَالْأَجَدُّ : الْيَاسِ الَّذِي ذَهَبَ لَبَنُهُ .

٢٠ (٤) فِيمَا عَدَالُ : « اصْطَلَكِ الْخَصُومَ » . وَفِي الْبَيْتِ إِقْوَاءُ .

(٥) الْحُتَاتُ ، كُفْرَابُ ، هُوَ الْحُتَاتُ بنُ يَزِيدَ بنِ عَلْقَمَةَ التَّمِيمِيِّ الدَّارِمِيِّ الْجَمَاشَعِيِّ ، وَكَانَ الرَّسُولُ قَدْ

آخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعَاوِيَةَ ، فَمَاتَ فِي خِلَاتِهِ ، فَوَرَّثَهُ بِالْأَخُوَّةِ . الْإِصَابَةُ ١٦٠٧ . وَهُوَ أَحَدُ مَنْ وَقَدَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ . السِّيَرَةُ ٩٣٣ — ٩٣٤ .

(٦) الْوَرَهَاءُ : الْحَمَقَاءُ الَّتِي لَا تَهْلِكُ حَقّاً .

والأكفاء ، وهو أنف مُضَرّ الذي تَعِطُس عنه ، وأَبَيْنُ العربِ والعجم قاطبة .
 قالوا : ولم يتكلم معاوية على منبر جماعةٍ منذ سقطت ثناياه في الطّست .
 قال أبو الحسن وغيره : لما شَقَّ على معاوية سقوطُ مَقَادِمِ فيه قال له يزيد
 ابن معن السُّلَميّ : « والله ما بلغ أحدٌ سِنِّكَ إلا أبغض بعضه بعضاً ، ففُوك
 أهونٌ علينا من سمعك وبصرِكَ » . فطابت نفسه .

وقال أبو الحسن المدائنيّ : لما شَدَّ عبدُ الملك أسنانه بالذهب قال :
 « لولا المنابر والنساء ، ما بالبيت متى سقطت » .

قال : وسألتُ مباركا الرّنجيّ الفاشكار (١) ، ولا أعلم رنجياً بلغ في
 الفَشْكَرة مبلّغاً ، فقلت له : لِمَ تنزع الرّنج ثناياها ؟ ولِمَ يحدّدُ ناسٌ منهم
 أسنانهم ؟ فقال : أمّا أصحاب التحديد فللقِتال والنّهش ، ولأنّهم يأكلون
 لحومَ الناس ، ومتى حاربَ ملكٌ ملكاً فأخذه أسيراً أو قتيلاً أكله ، وكذلك إذا
 قاتل بعضهم بعضاً أكل الغالبُ منهم المغلوب . وأمّا أصحاب القلَع فإنّهم قالوا :
 نَظَرْنَا إلى مَقَادِمِ أفواهِ العَنَمِ فكرهنا أن تشبه مَقَادِمُ أفواهنا مَقَادِمَ أفواهِ العَنَمِ ، فكم
 تَظُنُّهُمْ — أكرمَكَ الله — فَقَدُوا من المنافع العِظامِ بِفَقْدِ تلك الثنايا .

وفي هذا كلامٌ يقع في كتاب الحيوان . ١٥

وقال أبو الهنديّ في اللّثغ :

سَقَيْتُ أبا المَصْرَحِ إِذْ أَتَانِي وَذُو الرِّعَثَاتِ مُنْتَصِبٌ يَصِيحُ (٢)
 شَرَاباً تَهْرُبُ الذِّبَابُ مِنْهُ وَيَلْتَفِعُ حِينَ يَشْرِبُهُ الْفَصِيحُ (٣)

(١) الفاشكار : لفظة فارسية معربة ، مأخوذة من « بشكارى » الفارسية ، بمعنى الزراعة والفلاحة :
 ٢٠ (Agriculture, tillage) . انظر استينجاس ١٨٩ . وفي هامش هـ : « الفاشكار هو الفلاح .
 والفشكرة : الفلاحة » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « إذا تَأَنَّى » تخويف . والرّعة ، بالضم ، والتّحريك : عشون الديك .
 (٣) الذبان تسقط على النيذ الحلو ولا تسقط على الحارر . انظر الحيوان (٣ : ٣٦٠ ،
 ٣٨٠) . هـ : « الذبان عنه » .

- وقال محمد بن عمرو الرُّومى ، مولى أمير المؤمنين : قد صَحَّت التجربة وقامت العبرة على أن سقوطَ جميع الأسنان أصلحُ في الإبانة عن الحروف ، منه إذا سقط أكثرها ، وخالف أحدُ شَطْرَيْهَا الشَّطْر الآخر .
- وقد رأينا تصديقَ ذلك في أفواه قوم شاهدَهم النَّاسُ بعد أن سقطت جميعُ أسنانهم ، وبعد أن بقى منها الثُّلثُ أو الرَّبْع .
- فممن سقطت جميعُ أسنانه وكان معنَى كلامه مفهوماً : الوليدُ بن هشامِ القَحْذَمى ^(١) صاحبُ الأخبار . ومنهم : أبو سفيان بن العلاءِ بن ليبيد التغلبى ^(٢) ، وكان ذا بيانٍ ولسن .
- وكان عبيد الله بن أبى غَسَّانَ ظريفاً يصرفُ لسانه كيف شاء ^(٣) ، وكان الإلحاح على القيسى ^(٤) قد برَدَ أسنانه ، حتَّى لا يرى أحدٌ منها شيئاً إلاَّ .
- ١٠ إن تطلَّعَ في لحم اللثة ، أو في أصول منابتِ الأسنان .
- وكان سفيانُ بن الأبرد الكلبى ^(٥) كثيراً ما يجمع بين الحارِّ والقارِّ ، فتساقطت أسنانه جُمعُ ، وكان في ذلك كله خطيئاً بيِّناً .
- وقال أهل التجربة : إذا كان في اللحم الذى فيه مَعاوِزُ الأسنان تشميرٌ وقصَّرَ سَمَكُ ^(٦) ، ذهبت الحروفُ وفسدَ البيان . وإذا وجَدَ اللسانُ من جميع
- ١٥

(١) الوليد بن هشام بن قحزم ، أبو عبد الرحمن القحذمى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان ، وروى عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى . توفى سنة ٢٢٢ . لسان الميزان وأنساب السمعاني ٤٤٣ .

(٢) ذكره الجاحظ في (١ : ١٩١) من الأصل ، فيمن كنيته اسمه ، قال : « وأبو سفيان بن العلاء بن ليبيد التغلبى ، خليفة عيسى بن شبيب المازنى على شرط البصرة » .

(٣) فيما عدا ل : كيف أحب .

(٤) القيسى : المشمش باللغة التركية ، كما فسره استينجاس في معجمه ٩٩٨ . وفيه : « Apricot : قيسى T » . ل ، هـ : « القى » ، تحريف لا يستقيم .

(٥) سفيان بن الأبرد الكلبى : أحد قواد بنى أمية ، كان ذا ضلع كبيرة في حرب الخوارج ، وهو آخر من أرسل إلى قطرى بن الفجاءة وقتله سنة ٧٨ ، وكان المباشر لقتله سودة بن أنجر ، انظر ما سياتى في (٣ : ٢٦٤) ، وابن خلكان في ترجمة قطرى .

(٦) التشمير : التقليص . والسملك ، بالفتح : الارتفاع .

٢٥

جهاته شيئاً يقرعه ويصكه ، ولم يمرّ في هواءٍ واسع المجال ، وكان لسانه يملاً
جوبةً فيه ، لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المغتفر ، والجزء المحتمل . ويؤكد
ذلك قول صاحب المنطق ^(١) ، فإنه زعم في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع
والبهيمة كلّما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين ، وأحكى لما
يلقن ولما يسمع ، كنحو البغاء والغداف وغراب البين ^(٢) ، وما أشبه ذلك ؛
والذى يتبيّن من أفواه السنابير إذا تجاوزت ، من الحروف المقطعة المشاركة
لمخارج حروف الناس . وأمّا الغنم فليس يمكنها أن تقول إلا « ما » . والميم والباء
أول مايتبيّن في أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما ، وبابا ؛ لأنهما خارجان من
عمل اللسان ، وإنّما يظهران بالتقاء الشفتين . وليس شيء من الحروف
أدخل في باب النقص والعجز من فم الأهم ، من الفاء والسين إذا كانا في
وسط الكلمة . فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشّدق الأيمن ، إلا أن
يكون المتكلّم أعسر يسراً ^(٣) ، مثل عمر بن الخطاب رحمه الله ؛ فإنه كان
يخرج الضاد من أى شديقه شاء . فأما الأيمن والأعسر والأضبط ^(٤) ،
فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد .

وكذلك الأنفاس مقسومة على المنخرين ، فحالاً يكون في الاسترواح ^(٥)
ودفع البخار من الجوف من الشق الأيمن ، وحالاً يكون من الشق الأيسر ،

(١) صاحب المنطق ، هو أرسطوطاليس ، لأنه « أول من خلص صناعة البرهان من سائر
الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصاحب
المنطق » . الففطى ٢٢ . وانظر ابن النديم ٣٤٧ — ٣٤٩ .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ٢٨٨) . وجاء في الحيوان (٢ : ٣١٥) . « وغراب البين نوعان :

أحدهما غرابان صغار معروفة بالضعف واللؤم ، والآخر كل غراب يتشاءم به » .

(٣) رجل أعسر يسر : يعمل بيديه جميعاً .

(٤) الأعسر : الذى يعمل بيده اليسرى خاصة . والأضبط ، تفسره المعاجم بأنه الأعسر اليسر

الذى يعمل بكليتي يديه . وتأمل .

(٥) الاسترواح : التشمم .

ولا يجتمعان على ذلك في وقتٍ إلا أن يستكروَ ذلك مستكروً ، أو يتكلفه متكلف . فأما إذا ترك أنفاسه على سجيتها لم تكن إلا كما قالوا ^(١) .

وقالوا : الدليل على أن من سقط جميع أسنانه أن عظم اللسان نافع له ، قول كعب بن جُعيل ليزيد بن معاوية ، حين أمره بهجاء الأنصار ، فقال له : « أرأيت أنت إلى الكفر بعد الإيمان ^(٢) ، لا أهجؤ قوماً نصرؤ رسول الله ﷺ وآؤوه ، ولكني سأدلك على غلام في الحي كافر ، كأن لسانه لسان ثور » . يعنى الأخطل .

وجاء في الحديث : « إن الله تبارك وتعالى يُبغض الرجل الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة الحلا بلسانها ^(٣) » .

قالوا : ويدل على ذلك قول حسن بن ثابت ، حين قال له عليه السلام : ١٠ « ما بقى من لسانك ؟ » . فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أربنته ، ثم قال : « والله أن لو وضعته على شعر حلقة ، أو على صخر لفلقه ^(٤) وما يسرنى به مقول من معد » .
وأبو السمط مروان ^(٥) بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة ^(٦) ، وأبوه

١٥ (١) كذا وردت العبارة في جميع النسخ بدون ذكر فاء الجواب ، لغير ضرورة ، وحققها الإثبات كما في قول عمر :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعثنى فيخصر
(٢) ل : « الإسلام » .

(٣) يقال بقر وبقيرو وباقرو . انظر المعاجم والحيوان (٤ : ٤٦٩) . ومنه قراءة (إن الباقر تشابه علينا) . وأما « الباقرة » فلم أرها إلا هنا ، ومخرجها على أنها واحد الباقر . وفي الجامع الصغير للسيوطي ١٨٤٩ : « إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال ، الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها » ، وخرج الحديث من مسند أحمد ، وسنن أبى داود والترمذى ، وذكر أنه حديث حسن .

(٤) فيما عدل : « على صخر لفلقه ، أو على شعر حلقة » .

(٥) كان يقال له مروان الأصغر ، ولجده : مروان الأكبر . وكان شاعراً ساقط الشعر بارده ،

عاصر الوائق والمتوكل . وله في المتوكل وأحمد بن أبى دود قصائد عدة . تاريخ بغداد والأغانى (١١ : ٢) . ٢٥

(٦) مروان بن أبى حفصة ، هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة ، شاعر =

وابنه ، في نسقي واحد ، يقرعون بأطراف ألسنتهم أطراف أنفهم .
وتقول الهند : لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر
يتبها في لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة (١).

وقد ضرب الذين زعموا أن ذهاب جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن
الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين ، في ذلك مثلاً ، فقالوا : الحمام
المقصوص جناحاه جميعاً أجدر أن يطير من الذى يكون جناحاه أحدهما وافرأ
والآخر مقصوصاً . قالوا : وعلة ذلك التعديل والاستواء ، وإذا لم يكن ذلك
كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر ، فلم يجدف ولم يطير (٢).

والقطا من الطير قد يتبها من أفواها أن تقول : قطاقطا . وبذلك
سميت (٣) ويتبها من أفواه الكلاب العيئات والفئات والواوات ، كنحو قولها :
وَو وَو ، وكنحو قولها : عَفْ عَفْ .

قال الهيثم بن عدي : قيل لصبي : من أبوك ؟ فقال : وَو وَو ؛ لأن أباه
كان يسمى كلباً (٤) .

قال : ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم
للسين . واستعمال الجرامقة للعين (٥) .

= مجود من أهل الحماة ، قدم بغداد ومدح المهدي والرشيد ، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلوية في
شعره ، وله في معن بن زائدة مدائح ومراث عجيبة . ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٨٢ . وفيات الأعيان
وتاريخ بغداد ٧١٢٧ ومعجم المرزبانى ٣٩٦ وابن خلكان (٢ : ٨٩) .

(١) انظر الحيوان (١ : ٣١٠ / ٣ : ١٠ : ١٩٢) .

(٢) جذف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجذافه جناحاه . يقال
بالدال والذال جميعاً . انظر الحيوان (١ : ٣/٢٦٢ : ٢٣٠) .

(٣) ل : • ولذلك سميت • .

(٤) الخير في الحيوان (٢ : ٦٨ / ٥ : ٢٨٨) .

(٥) الجرامقة : طائفة من الكلدانيين ، أى السريانيين . قال المسعودى في التنبيه والإشراف ٦٨ :

« وكانوا شعوباً وقبائل ، منهم التونويون ، والأثوريون ، والأرمان ، والأردوان ، والجرامقة ، ونيط العراق ، وأهل السواد » .

وقال الأصمعيّ : ليس للروم ضادّ ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسريانيّ ذال .

قال : ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كان مجموعةً في بيت شعري لم يستطع المنشدُ إنشادها إلاّ ببعض الاستكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قربَ قبرٍ حربٍ قبرٌ^(١)

ولما رأى مَنْ لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت^(٢) .

ثلاث مرّاتٍ في نسقٍ واحدٍ فلا يتتبعُ ولا يتلجّجُ ، وقيل لهم إن ذلك إنما اعتراه ، إذ كان من أشعار الجنّ ، صدّقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن يسير^(٣) في أحمد بن يوسف^(٤) حين استبطّاه :

هَلْ مُعِينٌ عَلَى الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ أَمْ مُعَزٍِّ عَلَى الْمُصَابِ الْجَلِيلِ
مَيِّتٌ مَاتَ وَهُوَ فِي وَرَقِ الْعَيْشِ مَقِيمٌ بِهِ وَظِلِّ ظَلِيلِ^(٥)
فِي عِدَادِ الْمَوْتِ وَفِي عَامِرِ الدُّنْى يَا أَبُو جَعْفَرٍ أَخِي وَخَلِيلِ^(٦)

(١) البيت مجهول القائل ، ولتنافر لفظه نسبوه إلى بعض الجن ، وصنعوا في ذلك قصة . انظر الحيوان (٦ : ٢٠٧) ومعاهد النصيص (١ : ١٢) . وقد روى بلفظ : « وما بقرب قبر حرب قبر » .

(٢) البيت السابق من السريع . فيما عدل : « هذين البيتين » تحريف .

(٣) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه كان مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرّج الرياشي الأخباري الأديب ، وكان شاعراً طريفاً من شعراء المحدثين ، منقللاً ، لم يفارق البصرة ولا وفد إلى خليفة ولا شريف متجعاً ، ولا جاوز بلده ، وكان ماجناً هجاء خبيثاً من بخلاء الناس . انظر أخباره في الأغاني (١٢ : ١٢٤ — ١٣٦) . وله أخبار وأشعار شتى في كتاب الحيوان . وفي الأصول : « ابن بشر » تحريف . وفي القاموس (يسر) . « وأبو جعفر وهو محمد بن يسير ، شاعر ، وجاء في ترجمته من الأغاني (١٢ : ١٣٢) أن الخليفة المعتصم تفاعل باسمه وقال : « أمر محمود ، وسير سريع » .

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب ، كان كاتب ديوان الرسائل زمان المأمون ، وكان فصيح اللسان يقول الشعر في الغزل والمدح والهجاء ، وله أخبار مع إبراهيم بن المهدي ، وأبي العتاهية ، ومحمد بن يسير وغيرهم . توفي سنة ٢١٣ . تاريخ بغداد ٢٦٩٢ والأغاني (٢٠ : ٥٦ — ٥٨) . والأبيات في العقد (٦ : ١٩٢) .

(٥) ورق العيش : نضرته وحدائته .

(٦) ما عدا هـ : « عامر » .

لم يُمُتْ مِيتَةُ الْوَفَاةِ وَلَكِنْ مات عن كلِّ صالحٍ وجميلٍ
لا أَذِيلُ الْآمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي بَعْدَهَا بِالْآمَالِ حَقٌّ بَخِيلٍ
كَمْ لَهَا وَقْفَةٌ بِيَابِ كَرِيمٍ رَجَعَتْ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ (١)
ثم قال :

لم يَضِرُّهَا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، شَيْءٌ وَاثْنَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولِ (٢)
فَنَفَقَدِ النِّصْفَ الْأَخِيرَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ؛ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ بَعْضَ أَلْفَاظِهِ يَتَبَرَّأُ
مِنْ بَعْضٍ .

وَأُنْشِدُنِي أَبُو الْعَاصِي قَالَ : أَنْشَدُنِي خَلْفَ الْأَحْمَرِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :
وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ يَكُذُّ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ (٣)
وَقَالَ أَبُو الْعَاصِي : وَأُنْشِدُنِي فِي ذَلِكَ أَبُو الْبَيْدَاءِ الرَّيَّاحِيُّ (٤) :
وَشِعِرٍ كَبَعَرِ الْكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعَى فِي الْقَرِيضِ دَخِيلِ (٥)
وَأَمَّا قَوْلُ خَلْفَ :

* وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ *

فَأِنَّهُ يَقُولُ : إِذَا كَانَ الشَّعْرُ مُسْتَكْرَهًا ، وَكَانَتْ أَلْفَاظُ الْبَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ
لَا يَقَعُ بَعْضُهَا مِمَّاثِلًا لِبَعْضٍ ، كَانَ بَيْنَهَا مِنَ التَّنَافُرِ مَا بَيْنَ أَوْلَادِ الْعِلَّاتِ . وَإِذَا

(١) التَّعْطِيلُ : الْإِخْلَاءُ وَتَرْكُ الشَّيْءِ ضَيَاعًا . فِيمَا عَدَا لَ : « مَوْقِفًا بِيَابِ كَرِيمٍ » .
(٢) فِي اللَّسَانِ : « عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ تَعْرِفُ وَتَعْرِفُ عَرَفًا وَعَزَوُفًا : تَرَكْتَهُ بَعْدَ إِعْجَابِهَا
وَزَهْدَتِ فِيهِ » . وَالذَّهُولُ ، مِنَ الذَّهْلِ ، بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ تَرَكْتُ الشَّيْءَ تَنَاسَاهُ عَلَى عَمْدٍ ، أَوْ يَشْغَلُكَ عَنْهُ
شُغْلٌ . فِيمَا عَدَا لَ ، هـ : « نَحْوُ عَرَفَ » تَحْرِيفٌ .

(٣) أَوْلَادُ عِلَّةٍ : بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ أُمَهَاتِ شَتَّى . وَالْبَيْتُ فِي الْعُمْدَةِ (١ : ١٧٢) .
(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ ٦٦ وَقَالَ إِنَّهُ زَوْجُ أُمِّ أَبِي مَالِكٍ عَمْرُو بْنُ كَرْكَةِ . وَكَانَ أَبُو
مَالِكٍ رَاوِيَةً أَيْ الْبَيْدَاءِ . وَاسْمُ أَيْ الْبَيْدَاءِ أَسْعَدُ بْنُ أَيْ عَصْمَةَ ، وَهُوَ أَعْرَافِي نَزَلَ الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ يَعْلَمُ
الصَّبِيَّانَ بِأَجْرَةٍ .

(٥) انْظُرِ الْعُمْدَةَ (١ : ١٧٢) .

كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مريضاً موافقا ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة .

قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل الخارج ، فتعلم^(١) بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان .

وأما قوله : « كبر الكبش » ، فإنما ذهب إلى أن بحر الكبش يقع متفرقاً غير مؤتلف ولا متجاور . وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر ، تراها متفقة مُلساً ، ولينة المعاطف سهلة ؛ وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكُده . والأخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة متواتية ، سلسلة النظام ، خفيفة على اللسان ؛ حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد .

وقال سحيم بن حفص^(٢) : قالت بنت الحطيئة للحطيئة : « تركت قوماً كراماً ونزلت في بني كليب بحر الكبش » . فعابتهم بتفرق بيوتهم . فقليل لهم : فأنشدونا بعض ما لا تتباين ألفاظه ، ولا تتنافر أجزأؤه . فقالوا : قال الثقفى^(٣) :

من كان ذا عضدٍ يدرك ظلامته إن الدليل الذى ليست له عضدٌ
تنبو يدها إذا ماقل ناصره ويأنف الضيم إن أترى له عددٌ
وأنشدوا^(٤) :

(١) فيما عدل : « فيعلم » وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٤٠ .

(٣) هو الأجد الثقفى ، كما في الشعراء ٧١٢ . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢) ، والحيوان (٣ : ٣) :

(٤٥) . وفى ل : « فأنشدوا » فقط .

(٤) الأبيات التالية لأبي حية النعمري ، كما في الكامل ١٩ ليسك والحامسة (٢ : ١١٠) .

وانظر الحيوان (٣ : ٤٩) .

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ (١)
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْتِهَا
ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلَّا يَزَالَ يِهِمُ (٢)
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتُهَا
وَلَكِنْ عَهْدِي بِالتَّضَالِ قَدِيمُ (٣)
وَأَنْشُدُوا :

٤٤

وَلَسْتُ بِدُمَيْجَةٍ فِي الْفَرَا
يَشُ وَجَابَةٍ يَحْتَمِي أَنْ يُجَيِّبَا (٤)
وَلَا ذِي قَلَارِمٍ عِنْدَ الْحِيَاضِ
إِذَا مَا الشَّرِيبِ أَرَابَ الشَّرِيَا
وَقَالَ أَبُو نُوْفَلٍ بِنِ سَالِمٍ (٥) لِرُؤْيَةَ بِنِ الْعِجَاجِ : يَا أَبَا الْجَحَّافِ ، مَتَّ إِذَا
شَعْتُ (٦) . قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ عُقْبَةَ بِنِ رُؤْيَةَ يَنْشُدُ رَجْزاً
أَعْجَبْنِي . قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ ، لَوْ كَانَ لِقَوْلِهِ قِرَانٌ (٧) ! وَقَالَ الشَّاعِرُ :
مَهَاذِبَةٌ مَنَاجِبَةٌ قِرَانٌ مَنَادِبَةٌ كَأَنَّهُمُ الْأَسُودُ ١٠
وَأَنْشُدْ ابْنَ الْأَعْرَافِيِّ :

وَبَاتَ يَدْرُسُ شِعْراً لَا قِرَانَ لَهُ
قَدْ كَانَ تَقَعُّهُ حَوْلًا فَمَا زَادَا
وَقَالَ الْآخَرُ ، بَشَّارُ :
فَهَذَا بَدِيَّةٌ لَا كَتَحْبِيرَ قَائِلٍ
إِذَا مَا أَرَادَ الْقَوْلَ زَوْرَهُ شَهْرًا (٨)

* * *

١٥

- (١) رمتني ، أى بطرفها . ستر الله : الإسلام أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » ، وهو اسم موضع . ورميم : اسم خليلته .
(٢) يصح في « أن » أن تكون ناصبة ، أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل .
(٣) قال المبرد في تفسيره : « لو كنت شاباً لرميت كما رميت ، وفقت كما فقت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب » .
(٤) سبق البيتان والكلام عليهما في ٥٧ . وفي الأصول : « ولست بزميجة » ، تحريف .
(٥) فيما عدل ، هـ : « قال نوفل بن سالم » .
(٦) فيما عدل : « متى شئت » . وكتب فوقها في هـ : « إذا » .
(٧) في هامش هـ : « القرآن : التشابه والموافقة » .
(٨) سبق البيت في ٢٤ . ٢٥

فهذا في اقتران الألفاظ . فأما في اقتران الحروف ^(١) فإنَّ الجيم لا تقارن
الطاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا بتأخير . والزَّاي لا تقارن الطَّاء
ولا السَّين ولا الضاد ولا الذال ، بتقديم ولا بتأخير . وهذا بابٌ كبير . وقد
يُكتفى بذكر القليل حتَّى يُستدلَّ به على الغاية التي إليها يُجرى .

- وقد يتكلَّم المغلاق ^(٢) الذي نشأ في سواد الكوفة بالعريَّة المعروفة ،
ويكون لفظه متخيراً فاحراً ، ومعناه شريفاً كريماً ، ويعلم مع ذلك السامع
لكلامه ومخارج حروفه أَنه نبطيٌّ . وكذلك إذا تكلم الحُرَّاسانيُّ على هذه
الصفة ، فإنَّك تعلم مع إعرابه وتخبر ألفاظه في مخرج كلامه ، أَنه حُرَّاسانيٌّ .
وكذلك إن كان من كتَّاب الأهواز .
- ومع هذا إنا نجدُ الحاكية من الناس ^(٣) يحكى ألفاظ سُكان اليمَن
مع مَخارج كلامهم ، لا يُعادر من ذلك شيئاً . وكذلك تكون حكايته
للحُرَّاسانيِّ والأهوازيِّ والزُّنجيِّ والسُّنْدِيِّ والأجناسيِّ وغير ذلك ^(٤) . نعم حتَّى
تجدُه كأنه أَطْبَعُ منهم ، فإذا ما حكى كلامَ الفأفاء فكأنما قد جُمِعَتْ كلُّ
طُرُقَةٍ في كلِّ فأفاءٍ في الأرض في لسانٍ واحد . وتجدُه يحكى الأعمى بصوِّرٍ
ينشئها لوجهه وعينيه وأعضائه ، لا تكاد تجد من أَلِفَ أَعْمَى واحداً يجمع ذلك كله ،
فكأنَّه قد جَمَعَ جميعَ طُرُقٍ ^(٥) حركاتِ العُميان في أَعْمَى واحد .
- ولقد كان أبو دُبُوبَةَ الزُّنجيِّ ، مولى آل زيادٍ ، يقف بباب الكَرَّخ ،

(١) فيما عدل : « افتراق » في هذا الموضع وسابقه .

(٢) المغلاق : الذي يستعصى عليه الكلام .

(٣) الحاكية ، أراد به الذي يحكى كلام الناس ويفعل مثلهم في الحديث . وهذا اللفظ لم يرد في
المعاجم المتداولة .

(٤) ما عداه : « والأجناس وشير » تحريف .

(٥) فيما عدل ، هـ : « طرق » بالقاف .

بحضرة المكارين ^(١) ، فينهق ، فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير ، ولا مُتعبٌ بهيرٌ إلا نهق . وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة ، فلا تنبعث لذلك ، ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو دُبُوبَة يحركه . وقد كان جمَعَ جميعَ الصورِ التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد . وكذلك كان في بُباح الكلاب . ولذلك زعمت الأوائِلُ أنَّ الإنسانَ إنما قيل له العالمُ الصغيرُ سليلُ العالمِ الكبير ، لأنَّه يصوِّرُ بيديه كلَّ صورة ، ويحكى بفمه كل حكاية ^(٢) ولأنَّه يأكلُ الثَّباتَ كما تأكل البهائم ، ويأكل الحيوانَ كما تأكل السَّباع وأنَّ فيه من أخلاق جميع أجناسِ الحيوان أشكالا .

وإنما تهيأ وأمكن الحاكِية لجميع مخارج الأُم ، لِمَا أعطى الله الإنسانَ من الاستطاعة والتمكين ، وحين فضَّله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة . فبطول استعمال التكلف ذلَّتْ جوارحه لذلك . ومتى تَرَكَ شمائله على حالها ، ولسانه على سجيته ، كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذى لم يزل فيه . وهذه القضيةُ مقصورةٌ على هذه الجملة من مخارج الألفاظ ، وصوَرِ الحركات والسُّكون . فأما حروفُ الكلام فإنَّ حُكْمَهَا إذا تمكَّنَتْ فى الألسنة خلافُ هذا الحكم . ألا ترى أنَّ السَّنْدِي إذا جُلِبَ كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعلَ الجيمَ زائياً ولو أقامَ فى عُلياً تميم ، وفى سُفلى قيس ، وبين عَجْزِ هوازن ، خمسين عاماً . وكذلك النبطيُّ القَحْ ، خلافُ المغلاق الذى نشأ فى بلاد التَّبَطْ ؛ لأنَّ التَّبَطِّيَّ القَحْ ^(٣) يجعل الزَّائى سينا ، فإذا أراد أن يقول زَوْرَق قال : سَوْرَق ، ويجعل العين همزة ؛ فإذا أراد أن يقول مُشْمَعِلٌ ، قال : مُشْمَعِلٌ .

(١) المكارين : جمع مكار ، وهو من يكرِّك دابته تنتفع بها بالكراء ، وهو الأجر .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ل . وانظر الحيوان (١ : ٢١٣) .

(٣) ما بعد « القح » الأول إلى هنا ليس فى ل .

والتخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول : ناعمة ، وتقول : شمس ، ثلاث مرّات متواليات .

والذى يعتري اللسان ممّا يمنع من البيان أمور : منها اللثغة التى تعتري الصّبيان إلى أن ينشئوا ، وهو خلاف ما يعتري الشّيوخ الهرم الماّج^(١) ، المسترخى الحنك ، المرتفع اللثة ؛ وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من العجم ، ومن يُنشأ^(٢) من العرب مع العجم . فمن اللكن ممّن كان خطيباً ، أو شاعراً ، أو كاتباً داهياً^(٣) زياد بن سلمى أو أمانة ، وهو زياد الأعجم . قال أبو عبيدة : كان يُشيد قوله :

فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْوُدِّ رِفْعَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ^(٥)

قال : فكان يجعل السيّن شيئاً والطاء تاءً ، فيقول : « فَتَى زَادَهُ الشُّلْطَانُ » .

ومنه سَحِيمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ^(٦) ، قال له عمرُ بن الخطاب ، رحمه الله ، وأنشد قصيدته التى يقول أولها :

عُمَيْرَةٌ وَدَّعَ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

(١) الماّج : الهرم الذى يمج ريقه ولا يستطيع حبه .

(٢) ل : « خطيباً وشاعراً وكاتباً داهياً » .

(٣) هـ : « نشأ » .

(٤) زياد الأعجم : من شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أنى موسى الأشعري ، وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفي الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على عبد القيس : « ومنهم زياد بن سلمى الذى يقال له زياد الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضاً زياد بن سليمان . انظر الخزنة (٤ : ١٩٣) ومعجم المرزبانى ١٣٣ والمؤتلف ١٣١ والشعراء لابن قتيبة ٣٩٥ ، والأغانى (١٤ : ٩٨ — ١٠٥) ومعجم الآداب (١١ : ١٦٨) .

(٥) فى الحيوان (٧ : ١٥١) أن يزيد بن المهلب كان يعد هذا الشعر أحسن ما مدح به . وفى الكامل ٣١٦ أنه يمدح بالشعر المهلب بن أنى صفرة . ونسب فى الحماسة ١٧٩١ إلى حبيب بن عوف . (٦) سحيم من المخضرمين ، قد أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود شديد السواد يرتضخ لكنه حبشية . وكان عبد الله بن أنى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفان : إني قد ابتعت لك غلاماً شاعراً حبشياً . فكتب إليه عثمان : لا حاجة إليه فارده ؛ فإنما قصارى أهل العبد الشاعر إن شبع أن يشبّ بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم . فردّه عبد الله . قتل سحيم فى خلافة عثمان . انظر الأغانى (٢٠ : ٢) والخزنة (١ : ٢٧٢ — ٢٧٤) .

فقال له عُمر (١) : لو قَدِّمْتَ الإسلامَ على الشَّيْبِ لأَجَزْتُكَ . فقال له : ما سَعَرْتُ . يريد ما شَعَرْتُ ، جَعَلَ الشَّيْبَ المعجمة سينا غير معجمة .

وممنهم: عُبَيْدُ اللَّهِ بن زِيَادٍ (٢) ، وإلى العراق ، قال لهُنَّاءُ بن قَيْصَةَ : أَهْرُورِيٌّ سَائِرُ الْيَوْمِ ! يريد : أَحْرُورِيٌّ .

وممنهم: صُهِيبُ بن سِنَانِ التَّمَرِيِّ (٣) صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ كان يقول : إِنَّكَ لَهَائِنٌ ، يريد إِنَّكَ لَهَائِنٌ (٤) . وصُهِيبُ بن سِنَانٍ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً رُومِيَّةً ، وعُبَيْدُ اللَّهِ بن زِيَادٍ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً فَارْسِيَّةً ، وقد اجتمعا على جعلِ الحاءِ هاءً .

وَأَرَادُوا قَدْ أَرَادُوا لُكْنَةً نَبْطِيَّةً ، وكان مثلهما في جعلِ الحاءِ هاءً . وبعضُهُم يَرَوِي أَنَّهُ أُمْلِيٌّ عَلَى كَاتِبٍ لَهُ فَقَالَ : اكْتُبْ : « الْهَاصِلُ أَلْفُ كُرٍّ » (٥) فكَتَبَهَا الْكَاتِبُ بِالْهَاءِ كَاللَّفْظِ بِهَا (٦) فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ ، فَأَعَادَ الْكَاتِبُ . فَلَمَّا فَطِنَ لِاجْتِمَاعِهِمَا عَلَى الْجَهْلِ (٧) قَالَ : أَنْتَ لَا تُهَسِّنُ أَنْ تَكْتُبَ ، وَأَنَا لَا أَهْسِنُ أَنْ أُمْلِيَ ، فَاكْتُبْ : « الْهَاصِلُ أَلْفُ كُرٍّ » : فكَتَبَهَا بِالْجِيمِ مَعْجَمَةً .

(١) بدل هذه العبارة فيما عدل : « لو كان شعرك كله مثل هذا لأجرتك . هكذا وقع في جميع نسخ الكتاب . والحكاية مروية عن عمر رضي الله تعالى عنه في غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب » . وهو كلام مقحم من زيادة قارئ أو ناسخ . والقصة في الكامل ٣٦٦ .

(٢) في الكامل ٣٣٦ : « وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية ، وإنما أنه من قبل زوج أمه : شبرويه الأسواري » . وسيأتي في كلام الجاحظ نحو هذا .

(٣) صهيب بن سنان بن مالك التمرى الرومي ، قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً ، فنشأ فيهم فصار ألكن . وكان ممن عذب في بدء الإسلام . توفي سنة ٣٨ .

(٤) حائن : أى هالك . ما عدا هـ : « الحائن » والسياق يأباه .

(٥) الكر ، بالضم ، مكيال لأهل العراق ستون قفيزاً ، قال ابن سيده : يكون بالمصري أربعين إردباً .

(٦) فيما عدل : « كما لفظ بها » .

(٧) ل : « باجتماعهما على الخطأ » .

ومنه أبو مسلم صاحب الدَّعوة ^(١) ، وكان حسنَ الألفاظ جيِّدَ المعاني ، وكان إذا أراد أن يقول : قلت لك ، قال : كُنت لك . فشارك في تحويل القاف كافاً عبید الله بن زياد . كذلك خبرنا أبو عبيدة .

قال : وإِنَّمَا أتى عبید الله بن زياد في ذلك أَنَّهُ نشأ في الأساورة ^(٢) عند شيرويه الأسواري ، زوج أمِّه مَرَجَانة . ٤٧

وقد كان في آل زياد غير واحد يسمى شيرويه . قال : وفي دار شيرويه عاد على بن أبي طالب زياداً من عِلَّةٍ كانت به .

فهذا ما حضرنا من لُكنة البلغاء والخطباء والشعراء والرؤساء . فأما لُكنة العامة ومَن لم يكن له حظٌّ في المنطق فمثل فيل مولى زياد ^(٣) فإنه قال مرَّةً لزياد: «أَهْدُوا لَنَا هِمَارَ وَهْشٍ» . يريد حمار وحش . فقال زياد : ما تقول ١٠ . ويُلِكَ ! قال : «أَهْدُوا إِلَيْنَا أَيْراً» . يريد عيراً . فقال زياد : الأولُ أهْوَنُ ! وفهم ما أراد ^(٤)

وقالت أمُّ ولید الجريز بن الحُطَفَي ، لبعض ولدها : « وقع الجُرْدَان في عِجان أمِّكم ^(٥) » ، فأبدلت الدال من الجُرْدَان ^(٦) دالاً وضمت الجيم ، وجعلت العجين عجانا . وقال بعض الشعراء في أمُّ ولید له ، يذكر لُكنتها :

أَوَّلُ ما أَسْمَعُ منها في السَّخَر ^(٧) تذكيرها الأثني وتأنيث الذكر ١٥
« والسَّوَّةُ السَّوَاءُ في ذكر القَمَر * »

(١) هو أبو مسلم الخراساني ، الذي قام بالدعوة إلى الدولة العباسية . واسمه عبد الرحمن بن مسلم ، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧ .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ، كالأحامرة بالكوفة . انظر الحيوان (٥ : ٣٤٠) .

(٣) كان مولى زياد وحاجبه . انظر الحيوان (٧ : ٨٢ — ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٣٣) . ٢٠

(٤) هذه الجملة في ل فقط .

(٥) الجردان ، بالضم : قضيب ذوات الخوافر ، أو هو عام . والعجان : ما بين السوءتين .

(٦) الجردان ، بكسر الجيم وضمها : جمع جرد ، وهو ضرب من الفأر .

(٧) فيما عدل : « أكثر ما أسمع » . وسيعيده الجاحظ فيما بعد برواية : « أول » .

لأنها كانت إذا أرادت أن تقول القمر ، قالت : الكَمَر .
وقال ابنُ عبّاد (١) : رَكِبْتُ عَجُوزَ سِنْدِيَّةٍ جَمَلًا ، فلما مضى تحتها
متخلعاً اعتراها كهيئة حركة الجِماع ، فقالت : هذا الذَّمَل يذكّرنا بالسَّر .
تريد أنه يذكّرها بالوطء ، فقلبت الشين سيناً والجيم ذالا . وهذا كثير .
وباب آخر من اللكنة . قيل لَنَبْطَى : لِمَ ابتعتَ هذه الأتان ؟ قال :
« أركبها وتلذّ لي » فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ، ولا زاد فيها
ولا نقص ، ولكنّه فتح المكسور حين قال: وتلذّ لي ، ولم يقل: تلذّ لي .
قال : والصَّقْلِيُّ (٢) يجعل الذال المعجمة دالاً في الحروف .

★ ★ ★

١٠ (١) هو محمد بن عباد بن كاسب ، كما في الحيوان (٣ : ٢٩٢) ، حيث ساق القصة بعبارة أخرى .

(٢) الصقلبي : نسبة إلى صقلب ، وهي بلاد بين بلغاريا وقسطنطينية كما ذكر ياقوت . فيما عدا
ل : « الصقل » تحريف ، فإن الذين يعينهم الجاحظ عند ذكر الأمم هم الصقالبة . انظر الحيوان (١ :
١١٣ ، ١١٨ — ٣/١٢٠ : ١٤٦ ، ٤/٢٤٥ : ٧١ ، ٥/١٠٩ : ٧/٣٦ : ٢٣٦) .

باب البيان (١)

- قال بعض جهابذة الألفاظ وتقاد المعاني : المعاني القائمة في صدور الناس (٢) المتصورة في أذهانهم ، والمتخلجة في نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة ٤٨ أخيه وخليفه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره ، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره . وإنما يحيى تلك المعاني ذكرهم لها (٣) ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إياها . وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم ، وتجلّيها للعقل ، وتجعل الخفى منها ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً . وهي التي تلخّص الملتبس (٤) ، وتحلّ المنعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقاً ، ١٠ والمجهول معروفاً ، والوحشي مألوفاً ، والغفل موسوماً ، والموسوم معلوماً . وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون إظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أبين وأثور ، كان أنفع وأنجع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو إليه ويحث عليه . بذلك نطق القرآن ، ١٥ وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم (٥) .

(١) كلمة « البيان » ليست في ل ، هـ ؛ وهي في سائر النسخ .

(٢) فيما عدل ل : « العباد » .

(٣) فيما عدل ل ، هـ : « وإنما يحيى تلك المعاني في ذكرهم لها » .

(٤) التلخيص : التبيين والتفسير . وفي حديث علي « أنه قعد لتلخيص ما التبس على غيره » . ٢٠

(٥) فيما عدل ل ، هـ : « الأعجم » .

والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كَشَفَ لك قِنَاعَ المعنى ، وهتَكَ
الحِجَابَ دُونَ الضمير ، حَتَّى يُفْضِيَ السَّامِعُ إِلَى حَقِيقَتِهِ ، وَيَهْجُمَ عَلَى
مَحْصُولِهِ كائناً مَا كَانَ ذَلِكَ الْبَيَانُ ، وَمِنْ أَىِّ جَنْسٍ كَانَ الدَّلِيلُ ؛ لِأَنَّ مَدَارَ
الْأَمْرِ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا يَجْرَى الْقَائِلُ وَالسَّامِعُ ، إِنَّمَا هُوَ الْفَهْمُ وَالْإِفْهَامُ ؛ فَبَإَىِّ
شَيْءٍ بَلَغَتْ الْإِفْهَامُ وَأَوْضَحَتْ عَنِ الْمَعْنَى ، فَذَلِكَ هُوَ الْبَيَانُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ .

ثم اعلم — حِفْظَكَ اللَّهُ — أَنَّ حُكْمَ الْمَعَانِي خِلَافُ حُكْمِ الْأَلْفَاظِ ؛
لِأَنَّ الْمَعَانِيَ مَبْسُوطَةٌ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ ، وَمُمْتَدَّةٌ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ ، وَأَسْمَاءُ الْمَعَانِي
مَقْصُورَةٌ مَعْدُودَةٌ ، وَمَحْصَلَةٌ مَحْدُودَةٌ .

- وَجَمِيعُ أَصْنَافِ الدَّلَالَاتِ عَلَى الْمَعَانِي مِنْ لَفْظٍ وَغَيْرِ لَفْظٍ ، خَمْسَةٌ أَشْيَاءَ
١٠ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِيدُ : أَوَّلُهَا اللَّفْظُ ، ثُمَّ الْإِشَارَةُ ، ثُمَّ الْعَقْدُ ^(١) ، ثُمَّ الْخَطُّ ، ثُمَّ
الْحَالُ الَّتِي تَسْمَى نِصْبَةً ^(٢) . وَالنَّصْبَةُ هِيَ الْحَالُ الدَّالَّةُ ، الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ
تِلْكَ الْأَصْنَافِ ، وَلَا تَقْصُرُ عَنْ تِلْكَ الدَّلَالَاتِ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ
الْخَمْسَةِ صُورَةٌ بَائِنَةٌ مِنْ صُورَةِ صَاحِبَتِهَا ، وَحَلِيَّةٌ مُخَالَفَةٌ لِحَلِيَّةِ أُخْتِهَا ؛ وَهِيَ
الَّتِي تَكْشِفُ لَكَ عَنْ أَعْيَانِ الْمَعَانِي فِي الْجُمْلَةِ ، ثُمَّ عَنْ حَقَائِقِهَا فِي التَّفْسِيرِ ،
١٥ وَعَنْ أَجْنَاسِهَا وَأَقْدَارِهَا ، وَعَنْ خَاصَّهَا وَعَامَّهَا ، وَعَنْ طَبَقَاتِهَا فِي السَّارِّ وَالضَّارِّ ،
وَعَمَّا يَكُونُ مِنْهَا لَعَوًّا يَهْرَجًا ^(٣) ، وَسَاقِطًا مُطَرَّحًا .

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ : وَكَانَ فِي الْحَقِّ أَنَّ يَكُونُ هَذَا الْبَابُ فِي أَوَّلِ هَذَا
الْكِتَابِ ، وَلَكِنَّا أَخَّرْنَاهُ لِبَعْضِ التَّدْبِيرِ .

(١) العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد في
٢٠ الحديث أنه « عقد عقد تسعين » . وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزانة (٣ : ١٤٧)
والحيوان (١ : ٣٣) .

(٢) كذا ضبطت في هـ بكسر النون ، ضبط اسم الهيئة .

(٣) لعواً : أى لا يعتمد به ولا يحصل منه على فائدة ، ل : « هوأ » تحريف . والبحر : الباطل .

- وقالوا : البيان بَصْرٌ والعَيُّ عَمَى ، كما أَنَّ العلمَ بَصْرٌ والجهلُ عَمَى .
والبيانُ من نِتاجِ العِلْمِ ، والعَيُّ من نِتاجِ الجهلِ .
- وقال سهلُ بنُ هارون (١) : العقلُ رائدُ الرُّوحِ ، والعِلْمُ رائدُ العقلِ ،
والبيانُ تَرْجَمَانُ العِلْمِ (٢) .
- وقال صاحبُ المنطقِ : حَدُّ الْإِنْسَانِ : الْحَيُّ النَّاطِقُ الْمُبِينُ .
- وقالوا : حَيَاةُ المَرْوَةِ الصَّدَقِ ، وَحَيَاةُ الرُّوحِ العَفَافِ ، وَحَيَاةُ الحِلْمِ
العِلْمِ ، وَحَيَاةُ العِلْمِ البَيَانِ .
- وقال يونسُ بنُ حبيبٍ : ليسَ لعَيٍّ مَرْوَةٌ ، وَلَا لِمَنْقُوصِ البَيَانِ بَهَاءٌ ،
وَلَوْ حَكٌّ يِافُوحِهِ أُعْتَنَانَ السَّمَاءِ (٣) .
- وقالوا : شِعْرُ الرَّجُلِ قِطْعَةٌ مِنْ كَلَامِهِ ، وَظَنُّهُ قِطْعَةٌ مِنْ عِلْمِهِ ، وَاخْتِيَارُهُ
قِطْعَةٌ مِنْ عَقْلِهِ .
- وقال ابْنُ التَّوَّامِ (٤) : الرُّوحُ عِمَادُ البَدَنِ ، وَالْعِلْمُ عِمَادُ الرُّوحِ ، وَالبَيَانُ
عِمَادُ العِلْمِ .
- قد قلنا في الدِّلَالَةِ باللفظِ . فَأَمَّا الإِشَارَةُ فباليدِ ، وَبِالرَّأْسِ ، وَبِالْعَيْنِ
وَالْحَاجِبِ وَالْمَنْكِبِ ، إِذَا تَبَاعَدَ الشَّخْصَانِ ، وَبِالثُّوبِ وَبِالسَّيْفِ . وَقَدْ يَتَهَدَّدُ رَافِعُ
السَّيْفِ وَالسُّوْطُ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ زَاجِرًا ، وَمَانِعًا رَادِعًا ، وَيَكُونُ وَعِيدًا وَتَحْذِيرًا .

(١) سبقت ترجمته في ٢٥ .

(٢) الترجمان : كزعران وعنفوان ، ويفتح التاء وضم الجيم : المفسر للسان .

(٣) أعنان السماء : نواحيها ، واحدها عَنَنٌ وَعَنَّ . فيما عدل : « عنان » . وقد روى صاحب
اللسان قول يونس هذا ثم قال : « والعامة تقول عنان السماء » . لكنهم قالوا : عنان السماء : ما عن لك
منها وقد ضبط في اللسان ضبط قلم بالفتح ، وفي القاموس ضبط تعيين بالكسر .

(٤) أورد له الجاحظ في البيان ، وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار ، أخباراً تنبئ عن حكمته
وصواب رأيه . ولعله « صبار بن التوأم اليشكري » ، الذي ذكره الجاحظ في الحيوان (٦ : ٤٢١) .

والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه . وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تُغني عن الخط . ويعدُّ فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها . وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ، مرفق كبير ^(١) ومُعونة حاضرة ، في أمورٍ يسترها بعضُ النَّاسِ من بعض ، ويخفونها من المجلس وغير المجلس . ولولا الإشارة لم يتفاهم النَّاسُ معنى خاصّ الخاصّ ، ولَجَهِلُوا هذا الباب البتّة . ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر في دِلالات الإشارة :

أشارت بطرف العين خيفةً أهلها إشارة مذعورٍ ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً سهلاً بالحبيب المتيم ^(٢) ٥٠

وقال الآخر :

وللقلب على القلب دليلٌ حين يلقاه
وفي النَّاسِ من النَّاسِ مقاييسُ وأشباهُ
وفي العين غنى للمرء أن تنطق أفواهُ

وقال الآخر في هذا المعنى :

ومعشر صييد ذوى تجلّة ترى عليهم للندى أدله ١٥

وقال الآخر :

ترى عينها غني فتعرف وحيها وتعرف عيني ما به الوحي يرجع

وقال آخر :

(١) المرفق ، بفتح الميم والفاء : وكثير ومجلس : ما استعين به .

(٢) ل : « المسلم » . وما أثبت من سائر النسخ يوافق ما في العمدة (١ : ٢١٢) .

(٣) هو أبو العتاهية . انظر عيون الأخبار (٢ : ١٨٢) .

وعَيْنُ الْفَتَى تُبْدِي الَّذِي فِي ضَمِيرِهِ وَتَعْرِفُ بِالنَّجْوَى الْحَدِيثَ الْمَعْمَسَا (١)

وقال الآخر :

الْعَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنْ الْحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَ
وَالْعَيْنُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ ثُبَيَّانَا

هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصَّوْتِ . فهذا أيضاً باب تتقدَّم فيه
الإشارة الصوت .

والصَّوْتُ هو آله اللَّفْظُ ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع ، وبه يُوجَدُ
التأليف (٢) . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً
إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف . وحُسْنُ
الإشارة باليد والرأس ، من تمام حسن البيان باللسان ، مع الذي يكون مع
الإشارة من الدَّلِّ والشِّكْلِ (٣) والتَّقْتُلِ والتَّثْنِي (٤) ، واستدعاء الشهوة ، وغير
ذلك من الأمور .

قد قلنا في الدلالة بالإشارة . فأما الخطُّ ، فمما ذكر الله عزَّ وجلَّ في
كتابه من فضيلة الخطِّ والإِنْعَامِ بمنافع الكتاب ، قوله لَنَبِّيهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
﴿ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . ١٥
وأقسم به في كتابه المُنَزَّل ، على نبيه المُرسَل ، حيث قال : ﴿ نَ . وَالْقَلَمِ
وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ، ولذلك قالوا : الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ . كما قالوا : قِلَّةُ الْعِيَالِ
أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ . وقالوا : الْقَلَمُ أَبْقَى أَثَرًا ، وَاللِّسَانُ أَكْثَرُ هَذَرًا .

(١) المعمس ، بالعين المهملة وكسر الميم المشددة وفتحها : الغامض المظلم .

(٢) الكلام من هنا إلى كلمة « التأليف » التالية ساقط من ل .

(٣) الشكل ، بالكسر وبالفتح : دل المرأة وغنجها وغزها .

(٤) التقتل ، بالقاف : الاختيال والتثني والتكسر في المشي . ما عدا هـ : « التقتل » ، تحريف .

وقال عبد الرحمن بن كيسان ^(١) : استعمال القلم أجدرُّ أن يحضَّرَ ٥١
 الذَّهْنُ على تصحيح الكتاب ، من استعمال اللِّسان على تصحيح الكلام .
 وقالوا : اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر ، والقلم مطلقٌ في الشاهد
 والغائب ، وهو للغابرِ الحائن ^(٢) ، مثله للقائم الرَّاهن .
 والكتاب يُقرأ بكلِّ مكان ، ويُدرَس في كلِّ زمان ؛ واللسان لا يَعُدو
 سامِعَه ، ولا يتجاوزُه إلى غيره .

وأما القول في العَقْد ، وهو الحسابُ دونَ اللَّفْظ والخطِّ ، فالدَّلِيلُ على
 فضيلته ، وعِظَمُ قَدْرِ الانتفاع به ، قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَاتَّقُوا الْإِصْبَاحَ
 وَجَاعِلُ اللَّيْلِ ^(٣) سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ۝ ﴾ . وقال جلَّ وتقدَّس : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ
 الْبَيَانَ . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ ﴾ . وقال جلَّ وعزَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ
 الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ
 مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۝ ﴾ . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ
 فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصَرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا
 عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۝ ﴾ ١٥

والحسابُ يشتمل على معاني كثيرةٍ ومنافعٍ جليلةٍ ، ولولا معرفةُ العِبَادِ
 بمعنى الحساب في الدنيا لَمَا فَهَمُوا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة .
 وفي عدم اللَّفْظ ، وفساد الخطِّ ، والجهل بالعقد فسادٌ جُلُّ النِّعم ، وفقدانُ
 جُمهور المنافع ، واختلالُ كلِّ ما جعله الله عزَّ وجلَّ لنا قِواماً ، ومصلحةً ونظاماً

(١) ذكره الجاحظ في الحيوان (٤ : ٢٠٥) وروى عنه .

(٢) الحائن : الهالك . وفي الأصول : « الكائن » .

(٣) قرأ الكوفيون : (وجعل) ، وبقا السبعة : (وجاعل) . انظر تفسير أبي حيان (٤ : ١٨٦) .

وأما النّصبة ^(١) فهي الحال النّاطقة بغير اللفظ ، والمشييرة بغير اليد .
وذلك ظاهرٌ في خَلَقَ السّموات والأرض ، وفي كُلٌّ صامِتٍ وناطق ، وجامِدٍ
ونامٍ ، ومُقيمٍ وظاعن ، وزائدٍ وناقص . فالدّلالة التي في الموات الجامد ،
كالدّلالة التي في الحيوان الناطق . فالصّامِتُ ناطق من جهة الدّلالة ،
والعجماء مُعْرِيةٌ من جهة البرهان . ولذلك قال الأوّل ^(٢) .

« سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ : مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى
ثِمَارَكَ ؟ فَإِنْ لَمْ تَجِبْكَ جَوَاراً ، أَجَابَتْكَ عَتَبَاراً » .

وقال بعضُ الخطباء : « أَشْهَدُ أَنَّ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ آيَاتٌ دَالَاتٌ ^(٣)
وشواهدُ قائمات ، كُلٌّ يُوَدِّى عَنْكَ الْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ ^(٤) ، موسومةٌ
بآثار قُدْرَتِكَ ، وَمَعَالِمُ تَدْبِيرِكَ ، التي تَجَلَّيْتُ بِهَا لَخْلُقِكَ ، فأوصَلْتُ إِلَى
القلوب مِنْ معرفتك ما أُنْسَهَا مِنْ وَحْشَةِ الْفِكْرِ ، وَرَجَمَ الظَّنُونِ . فهي على
اعترافها لك ، وافتقارها إِلَيْكَ ^(٥) شاهدةٌ بأنك لا تُحِيطُ بِكَ الصّفَات ،
ولا تُحَدِّدُ الْأَوْهَامَ ، وَأَنْ حَظَّ الْفِكْرُ فَيْكَ ، الاعترافُ لك » .

وقال خطيبٌ من الخطباء ، حين قام على سَرِيرِ الْإِسْكَندَرِ وهو مَيّتٌ ^(٦) :
« الْإِسْكَندَرُ كَانَ أَمْسٍ أَنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْمَ ، وهو الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسٍ » .
ومتى دَلَّ الشَّيْءُ عَلَى مَعْنَى فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ صَامِتاً ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ وَإِنْ

(١) انظر ما سبق في حواشي ص ٧٦ .

(٢) هو الفضل بن عيسى بن أبان ، كما في الحيوان (١ : ٣٥) . وانظر عيون الأخبار (٢) :

(١٨٢) وما سبأني في ص ٣٠٨ .

(٣) ل : « ودلالات » .

(٤) فيما عدا ل : « ويعرب عنك بالربوبية » .

(٥) فيما عدا ل . « وذها إليك » .

(٦) القول التالي ينسب أيضاً إلى الموبد حين قام يرثي قباز الملك . الكامل ٣٢٠ ليسك

والعقد (٢ : ١٥٦) ومروج الذهب (٢ : ٣١٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) والحيوان (٦ -

٥٠٥) والصناعتين ١٤ - ١٥ .

كان ساكتاً . وهذا القول شائع في جميع اللغات ، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات .

وقال عنترة بن شداد العنسي وجعل نقيب الغراب خيراً للزاجر :

حرق الجناح كأن لحني رأسه جلمان بالأخبار هس مولع^(١)

الحرق : الأسود . شبه لحنيه بالجلمين ، لأن الغراب يخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان^(٢) . وأنشدني أبو الرديني العكلي^(٣) ، في تنسيم الذئب الريح واستنشائه^(٤) واسترواحه :

يستخير الريح إذا لم يسمع^(٥) يمثل مقراع الصفا الموقع

المقراع : الفأس التي يكسر بها الصخر . والموقع : المحدد . يقال وقعت الحديد إذا حددتها . وقال آخر ، وهو الراعي :

إن السماء وإن الريح شاهدة والأرض تشهد والأيام والبلد

لقد جزيت بنى بدر ببعيهم يوم الهباء يوماً ماله قود^(٦)

وقال نصيب في هذا المعنى ، يمدح سليمان بن عبد الملك :

(١) انظر الحيوان (١ : ٣٤ / ٢ : ٣١٦) .

(٢) الإنشاد التالي والتعليق عليه ، هو فيما عدل سابق لذاك الإنشاد المتقدم .

(٣) أبو الرديني العكلي هو الدلم بن شهاب ، أحد بني عوف بن كنانة ، من عكل ، ويروى الجاحظ فيما سيأتي أنه هجا بني نمير فتوعده بالقتل فقال :

أتوعدني لتقتلني نمير متى قتلت نمير من هجاها

فشهد عليهم منهم رجل فقتله . وكان يهاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد شعراء الدولة العباسية . انظر الأغاني (٢٠ : ١٨٣) والحيوان (٥ : ١٥٩ / ٦ : ٤٦٣) والخزانة (٣ : ١٠٥) .

(٤) الاستنشاء : الشم . فيما عدل : « واستنشاقه » ، وهما بمعنى .

(٥) انظر الحيوان (١ : ٣٤ / ٤ : ١٣٣ / ٧ : ١٤٠) . وفي اللسان (فخر ، قرع) : « يستمخر » .

(٦) يوم الهباء ، كان لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة بن بدر ، وأخوه حمل . انظر معجم

البلدان والكمال لابن الأثير (١ ، ٣٥٢) والعقد (٣ : ٣١٦) والعمدة (٢ : ١٦١) وأمثال

الميداني (٢ : ٣٦٢) والخزانة (١ : ٣٠٣ / ٣ : ٥٣٨ / ٤ : ٥٨٥) .

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لِقَيْتِهِمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ ^(١)
 قَفُّوا خَبْرُونَا عَنْ سَلِيمَانَ إِنَّنِي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبُ ^(٢)
 فَعَاوُجُوا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكُنُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
 وهذا كثيرٌ جداً .

* * *

وقال على رحمه الله ^(٣) : « قيمة كل امرئ ما يُحسِن ^(٤) » . فلو لم
 تَقِفْ من هذا الكتابِ إلّا على هذه الكلمة لوجدناها شافيةً كافيةً ، ومجزئة
 معنية ؛ بل لوجدناها فاضلةً عن الكفاية ، وغير مقصورة عن الغاية . وأحسن
 الكلام ما كان قليلاً يُغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عزَّ
 وجلَّ قد ألبسه من الجلالة ، وغشاه من نُور الحكمة على حَسَبِ نَبْءِ صاحبه
 ١٠ وتَقَوَّى قائله . فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً
 من الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف ، صنَعَ في القلوب
 صنيعَ العَيْثِ في التُّربةِ الكريمة . ومتى فَصَلَّتْ الكلمةُ على هذه الشريطة ،
 ونفذت من قائلها على هذه الصِّفة ، أصحَّها اللهُ من التوفيق
 ١٥ وَمَنَحَهَا من التأييد ، مالا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة ، ولا يذهل
 عن فهمها معه عقول الجُهَّلة .
 وقد قال عامر بن عبد قيس ^(٥) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في

(١) القارب : طالب الماء . وأراد بالمولى نفسه . ه ، ب : « لاغب » وكتب في هامش ل : « خ : لاغب » . وانظر الكامل ١٠٤ ليسك وزهر الآداب (٢ : ٤١ ، ٤٢) والعمدة (١ : ٤٤) .

(٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجحفة . قال ياقوت : « وقد أكثر نصيب من ذكرها في شعره » . وأنشد هذه الأبيات . ه ، ج : « آل ودان » وكذا ياقوت .

(٣) فيما عدل : « بسم الله الرحمن الرحيم وقال على بن أئى طالب كرم الله وجهه » .

(٤) فيما عدل : « قيمة كل إنسان » . وفي زهر الآداب (١ : ٤١) : « كل امرئ » .

(٥) هو عامر بن عبد قيس بن ثابت التميمي ، ويقال له أيضاً عامر بن عبد الله . تابعي ثقة من كبار التابعين

وعبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ وصفة
 الصفوة (٣ : ١٢٦ — ١٣٥) . وكان من الأنبياء الفصحاء ، كما ستري في مواضع كثيرة . توفي في خلافة معاوية .

القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان ^(١) .

وقال الحسن رحمه الله ، وسمع رجلاً ^(٢) يعظ ، فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ، ولم يرق عندها ، فقال له : « يا هذا ، إن بقلبك كسراً أو بقلبي » .
وقال علي بن الحسين بن علي رحمه الله ^(٣) : لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في صواب التبيين ، لأعربوا عن كل ما تخلج في صدورهم ، ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم . وعلى أن ذك ذلك كان لا يُعدهم في الأيام القليلة العدة ^(٤) ، والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بين مغرور بالجهل ، ومفتون بالعجب ، ومعدول بالهوى عن باب الثبوت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم . ١٠

وقد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح شأن الدنيا بخدافيرها في كلمتين ، فقال : « صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر ، ملء مكيال ثلثاه فطنة ، وثلثه تغافل » . فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً في ٥٤ الصلاح ؛ لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطن له وعرفه .

وذكر هذه الثلاثة الأخبار إبراهيم بن داحية ، عن محمد بن عمير . ١٥
وذكرها صالح بن علي الأقم ، عن محمد بن عمير . وهؤلاء جميعاً من مشايخ الشيع ، وكان ابن عمير أغلاهم .

وأخبرني إبراهيم بن السندی ، عن علي بن صالح الحاجب ، عن العباس ابن محمد قال : قيل لعبد الله بن عباس : أتى لك هذا العلم ؟ قال : « قلب عقول ،

(١) انظر الحيوان (٤ : ٢١٠) .

(٢) فيما عدل : « وسمع متكلماً » .

(٣) كلام علي هذا في زهر الآداب (١ : ٥٩) .

(٤) يقال : أعدهم الشيء ، إذا لم يجده .

(٥) في الكامل ٤٦ : « في ملء مكيال » ، وفي زهر الآداب (١ : ٧١) : « وهو ملء مكيال » .

ولسان سؤول . وقد رووا هذا الكلام عن دَعْفَلِ بن حنظلة العلامة ^(١) وعبد الله أولى به منه . والدليل على ذلك قول الحسن : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ عَرَّفَ بِالْبَصْرَةِ ابْنُ عَبَّاسٍ ، صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ، ففسرها حرفاً حرفاً ، وكان مِثْجاً يسيل غريباً ^(٢) .

المِثْجُ : السائل الكثير ، وهو من التَّجَاج . والغُرب ، ها هنا : الدَّوام .

- هشام بن حسان وغيره ، قال : قيل للحسن : يا أبا سعيد ، إِنَّ قَوْماً زَعَمُوا أَنَّكَ تَذُمُّ ابْنَ عَبَّاسٍ . قالوا : فبكى حتى اخضلت لحيتيه ، ثم قال : إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمَكَانٍ ، إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَانٍ ^(٣) ، وكان والله له لسان سؤول ، وقلب عقول ، وكان الله مِثْجاً يسيل غريباً .

- ١٠ قالوا : وقال علي بن عبد الله بن عباس : من لم يجد مَسَّ الجهل في عقله ، وذُلَّ المعصية في قلبه ، ولم يَسْتَبِنْ موضع الخلَّة في لسانه ، عند كلال حذِّه عن حَدِّ تخصِّمه ، فليس مِمَّنْ يَنْزِع ^(٤) عن ربيته ، ولا يرغب عن حال معجزة ، ولا يكثرث لفصيل ما بين حجة وشبهة .

- قالوا : وذكر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، بلاغة بعض أهله فقال : إِنِّي لَأُكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَقْدَارُ لِسَانِهِ فَاضِلاً عَلَى مَقْدَارِ عِلْمِهِ ، كَمَا أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَقْدَارُ عِلْمِهِ فَاضِلاً عَلَى مَقْدَارِ عَقْلِهِ .

وهذا كلام شريف نافع ، فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه ، ثم اعلّموا أَنَّ المعنى الحقير الفاسد ، والذنئ الساقط ، يعشش في القلب ثم يبيض ثم يفرّخ ،

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٨٩) وعيون الأخبار (٢ : ١١٨) . ودغفل بن حنظلة ممن أدرك النبي ولم

يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابها وكان منها هذا السؤال . انظر الميداني (٢ : ٢٧٣) .

(٢) الخير في اللسان (ثجج ، غرب) . وفي حواشي هـ : « معنى عرف بالبصرة : فعل فعل

الحاج بعرفة في جمع الناس للذكر والدعاء » .

(٣) فيما عدل : « كان من العلم بمكان » .

(٤) فيما عدل ، هـ : « يفرع » .

فإذا ضَرَبَ بِجِرَانِهِ وَمَكَّنَ لِعُرْوِهِ ، استفحل الفساد وبَزَلَ ، وَمَكَّنَ الْجَهْلَ
 وَفَرَحَ (١) ، فعند ذلك يقوى دأؤه ، ويمتنع دواؤه ؛ لأنَّ اللفظَ الهجينَ الردىَّ ،
 والمستكرَّةَ الغيبىَّ ، أعلَقَ باللسان ، وآلفَ للسمع ، وأشدُّ التحاماً بالقلب (٢)
 من اللفظِ النَّبِيهِ الشَّريفِ ، والمعنى الرَّفيعِ الكريمِ . ولو جالستَ الجُهَّالَ
 والنُّوكى ، والسُّخَفَاءَ والْحَمَقَى ، شهراً فقط ، لم تَنَقِّ من أَوْضَارِ كلامِهِمْ ، ٥٥
 وَخَبَالَ معَانِيهِمْ ، بمجالسةِ أهلِ البيانِ والعقلِ دهرًا ؛ لأنَّ الفسادَ أَسْرَعُ إلى
 النَّاسِ ، وأشدُّ التحاماً بالطَّبَائِعِ . والإنسانُ بالتَّعلُّمِ والتَّكَلُّفِ ، وبطُولِ
 الاختلافِ إلى العلماء ، ومدارسةِ كُتُبِ الحكماء ، يَجُودُ لفظُهُ ويَحْسُنُ أدبُهُ ،
 وهو لا يحتاجُ في الجهلِ إلى أَكْثَرِ من تركِ التَّعلُّمِ ، وفي فسادِ البيانِ إلى أَكْثَرِ
 من تركِ التَّخْيِيرِ . ١٠

ومما يُوَكِّدُ قَوْلَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلَ بَعْضِ
 الْحُكَمَاءِ حِينَ قِيلَ لَهُ : متى يَكُونُ الْأَدَبُ شَرًّا مِنْ عَدَمِهِ ؟ قَالَ : إذا كَثُرَ
 الْأَدَبُ ، وَنَقَصَتِ الْقَرِيحَةُ .

وقد قال بعضُ الأوَّلِينَ : « مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ ،
 كَانَ حَقُّهُ فِي أَغْلَبِ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ » . وهذا كَلَمَةٌ قَرِيبٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ . ١٥
 وذكرُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ « كَانَ وَاللَّهِ
 أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُخَدَعَ ، وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخَدَعَ » .

وقال مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ : « كَفَاكَ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ أَنْ
 تَعْرِفَ مَا لَا يَسَعُ جَهْلُهُ ، وَكَفَاكَ مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ أَنْ تَرَوْى الشَّاهِدَ وَالْمَثَلَ » .
 وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي يَرُوى عَنْ جَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ ، ٢٠

(١) بَزَلَ : بلغ سن البزول ، وهو التاسعة . وقرح : بلغ سن القروح ، والقارح من ذى الخافر
 بمنزلة البارز من الإبل . كنى بها عن القوة .
 (٢) من « وأشد » ساقط من ل .

قال : سمعتُ أبا مسلمٍ ^(١) يقول : سمعتُ الإمامَ إبراهيمَ بنَ محمدٍ ^(٢) يقول :
 يكفي من حظِّ البلاغة أن لا يُؤتَى السَّامِعُ من سوءِ إفهامِ النَّاطِقِ ، ولا يُؤتَى
 النَّاطِقُ من سوءِ فهمِ السَّامِعِ .

قال أبو عثمان : أما أنا فأستحسنُ هذا القولَ جدًّا .

★ ★ ★

◦

(١) هو أبو مسلم الخراساني الداعي للدولة العباسية .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أخو أبي العباس
 السفاح رأس الدولة العباسية ، حبسه مروان بن محمد ، وقتل في محبسه سنة ١٣٢ حيث ظهر بعده
 أبو العباس السفاح ، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، ولا [حول ولا ^(١)] قُوَّةٌ إلا بالله ، وصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ خاصَّةً ، وعلى أنبيائه عامة .

خَبَّرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ كَاتِبُ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانَ ^(٢) ، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ ٥ - وَلَا أَدْرِي كَاتِبُ مَنْ كَانَ - قَالَا :

قِيلَ لِلْفَارِسِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ .
 وَقِيلَ لِلْيُونَانِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ ، وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ .
 وَقِيلَ لِلرُّومِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : حَسَنُ الْاِقْتِضَابِ عِنْدَ الْبِدَاهَةِ ،
 وَالْعَزَازَةِ يَوْمَ الْإِطَالَةِ .
 ١٠ وَقِيلَ لِلْهِنْدِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : وَضُوحُ الدَّلَالَةِ ، وَاتِّهَازُ الْفُرْصَةِ ،
 وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ .

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْهِنْدِ : جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ الْفُرْصَةِ .
 ثُمَّ قَالَ : وَمِنَ الْبَصَرِ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ الْفُرْصَةِ ، أَنْ تَدْعَ
 الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكُنَايَةِ عَنْهَا ، إِذَا كَانَ الْإِفْصَاحُ أَوْعَرَ طَرِيقَةً . وَرَبَّمَا كَانَ
 ١٥ الْإِضْرَابُ عَنْهَا صَفْحًا أَبْلَغَ فِي الدَّرَكِ ، وَأَحَقَّ بِالظَّفْرِ .

٥٦ قَالَ : وَقَالَ مَرَّةً : جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ التَّمَاسُّ حُسْنُ الْمَوْقِعِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِسَاعَاتِ
 الْقَوْلِ ، وَقِلَّةُ الْخَرَقِ بِمَا التَّبَسُّسَ مِنَ الْمَعَانِي أَوْ غَمُضَ ^(٣) ، وَبِمَا شَرَّدَ عَلَيْكَ مِنَ
 اللَّفْظِ أَوْ تَعَدَّرَ .

(١) هذه مما عدل لـ .

(٢) هو محمد بن حسان بن سعد التميمي ، كان على خراج الكوفة . انظر الأغاني (٢ : ١٤٨) .

(٣) الخرق ، بالتحريك : الدهشة والحيرة . فيما عدل لـ ، هـ : الحرف ، تحريف .

ثم قال : وَزَيْنُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَبَهَاؤُهُ وَحِلَاوَتُهُ وَسَنَاؤُهُ ، أَنْ تَكُونَ الشَّمَائِلُ مُوزَوْنَةً ، وَالْأَلْفَاظُ مُعَدَّلَةٌ ، وَاللَّهْجَةُ نَقِيَّةٌ ^(١) . فَإِنَّ جَامَعَ ^(٢) ذَلِكَ السَّنُّ وَالسَمْتُ وَالْجَمَالُ وَطُولُ الصَّمْتِ ، فَقَدْ تَمَّ كُلُّ التَّامِّ ، وَكَمَلَ كُلُّ الْكَمَالِ .

وَنَخَالَفَ عَلَيْهِ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ سَهْلٌ فِي نَفْسِهِ عَتِيقَ الْوَجْهِ ، حَسَنَ الشَّارَةِ ، بَعِيداً مِنَ الْفَدَامَةِ ، مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ ، مُقْبُولَ الصُّورَةِ ، ٥ يُقْضَى لَهُ بِالْحِكْمَةِ قَبْلَ الْخَيْرَةِ ، وَبِرَقَّةِ الذَّهْنِ قَبْلَ الْمَخَاطَبَةِ ، وَبِدَقَّةِ الْمَذْهَبِ قَبْلَ الْامْتِحَانِ ، وَبِالْتُّبُلِ قَبْلَ التَّكْشُفِ . فَلَمْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ مَا هُوَ الْحَقُّ عِنْدَهُ وَإِنْ أَدْخَلَ ذَلِكَ عَلَى حَالِهِ النِّقْصَ .

قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ : لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَطَبَا أَوْ تَحَدَّثَا ، أَوْ احْتَجَّجَا أَوْ وَصَّفَا وَكَانَ أَحَدُهُمَا جَمِيلاً جَلِيلاً بَهِيّاً ، وَلِبَاساً نَبِيلاً ^(٣) ، وَذَا حَسَبٍ شَرِيفاً ، ١٠ وَكَانَ الْآخَرُ قَلِيلاً قَمِيئاً ، وَبَاذَ الْهَيْئَةِ دَمِيماً ، وَخَامِلَ الذِّكْرِ مَجْهُولاً ، ثُمَّ كَانَ كَلَامُهُمَا فِي مَقْدَارٍ وَاحِدٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ ، وَفِي وَزْنٍ وَاحِدٍ مِنَ الصَّوَابِ ، لَتَصَدَّعَ عَنْهُمَا الْجَمْعُ وَعَامَّتُهُمْ تَقْضَى لِلْقَلِيلِ الدَّمِيمِ عَلَى التَّيْلِ الْجَسِيمِ ، وَلِلْبَاذِ الْهَيْئَةِ عَلَى ذِي الْهَيْئَةِ ، وَلَشَغَلَهُمُ التَّعَجُّبُ مِنْهُ عَنْ مَسَاوِإِ صَاحِبِهِ بِهِ ، وَلِصَارَ ١٥ التَّعَجُّبُ مِنْهُ سَبَباً لِلْعَجَبِ بِهِ ، وَلِصَارَ الْإِكْتَارُ فِي شَأْنِهِ عِلَّةً لِلْإِكْتَارِ فِي مَدْحِهِ ، لِأَنَّ النُّفُوسَ كَانَتْ لَهُ أَحَقَرَّ ، وَمِنْ بَيَانِهِ أَيْأَسَ ، وَمِنْ حَسَدِهِ أَبْعَدَ . فَإِذَا هَجَمُوا مِنْهُ عَلَى مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَهُ ، وَظَهَرَ مِنْهُ خِلَافُ مَا قَدَّرُوهُ ، تَضَاعَفَ حُسْنُ كَلَامِهِ فِي صُدُورِهِمْ ، وَكَبُرَ فِي عَيُونِهِمْ ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ مِنْ غَيْرِ مَعْدَنِهِ أَغْرَبَ ، وَكَلِّمًا كَانَ أَغْرَبَ كَانَ أَبْعَدَ فِي الْوَهْمِ ، ٢٠ وَكَلِّمًا كَانَ أَبْعَدَ فِي الْوَهْمِ كَانَ أَطْرَفَ ، وَكَلِّمًا كَانَ أَطْرَفَ كَانَ أَعْجَبَ ،

(١) ل : « وَالْأَلْفَاظُ مُعْتَدِلَةٌ ، وَالْهَجَةُ نَقِيَّةٌ » ، وَفِيهَا تَحْرِيفٌ .

(٢) فِيمَا عَدَا ح : « جَاءَ مَعَ » .

(٣) ل فَقَطْ : « وَلِبَاساً » وَالْمَعْرُوفُ فِي الْمَعَاجِمِ الْمُنَادِلَةِ « لِبَاساً » كَمَا فِي سَائِرِ النُّسخِ .

- وكلما كان أعجب كان أبدع . وإثما ذلك كنوادرِ كلام الصَّبيان ومُلح المجانين ؛ فإنَّ ضحك السامعين من ذلك أشدُّ ، وتعجُّبهم به أكثر . والنَّاسُ مُوكَّلُون بتعظيم الغريب ، واستِطراف البعيد ^(١) ، وليس لهم في الموجود ٥٧ الرَّاهن ، وفيما تحت قُدرتهم من الرأى والهوى ، مثُل الذى لهم في الغريب القليل ، وفى النادر الشاذَّ ، وكلُّ ما كان فى مُلك غيرهم . وعلى ذلك زهد الجيرانُ فى عالمهم ، والأصحابُ فى الفائدة من صاحبهم . وعلى هذا السَّبيل يستطِفون القادَم عليهم ، ويرحَلون إلى النَّازح عنهم ، ويتركون مَنْ هو أعمُّ نفعاً وأكثرُ فى وجوه العِلْم تصرُّفاً ، وأخفُّ مَوُونَةً وأكثرُ فائدة . ولذلك قدَّم بعضُ الناس الخارجىَّ على العريق ^(٢) ، والطَّارف على التَّليد .
- وكان يقول ^(٣) : إذا كان الخليفةُ بليغاً والسَّيد خطيباً ، فإنَّك تجدُ ١٠ جمهورَ الناس وأكثرَ الخاصَّةَ فيهما على أمرين : إمَّا رجلاً يُعطى كلامهما من التعظيم والتَّفضيل ، والإكبار والتَّبجيل ، على قدر حالهما فى نفسه ، وموقعهما من قلبه ؛ وإمَّا رجلاً تعرَّضَ له التُّهمة لنفسه فيهما ، والخوفُ من أن يكون تعظيمُهُ لهما يُوهمه من صوابِ قولهما ، وبلاغةِ كلامهما ، ما ليس عندهما ، حتَّى يُفرط فى الإشفاق ، ويُسرِف فى التُّهمة . فالأوَّل يزيد فى حقِّه ١٥ للذى له فى نفسه ، والآخر ينقصه من حقِّه لتُّمته لنفسه ، ولإشفاقه من أن يكون مخدوعاً فى أمره . فإذا كان الحُبُّ يُعمى عن المساوى فالْبُغْضُ أيضاً يُعمى عن المحاسن . وليس يَعْرِفُ حقائق مقاديرِ المعانى ؛ ومحصولُ حدود لطائف الأمور ، إلَّا عالمٌ حكيم ، ومعتدلُ الأخلاق عليم ، وإلا القوىُ المُنَّة ، الوثيقُ العقْدة ، والذى لا يَمِيلُ مع ما يستميل الجمهورُ الأعظم ، والسَّوادُ الأكبر ^(٤) .

(١) فيما عدل ، ه : « واستطراف البديع » .

(٢) الخارجى : الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم .

(٣) أى سهل بن هارون . انظر ص ٨٩ س ٩ . وفيما عدل : « وكانوا يقولون » .

(٤) ه : « الأكبر » .

وكان سهل بن هارون شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة ،
وبالحلاوة والفخامة ، وجودة اللهجة والطلاوة .

وإذا صرنا إلى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم ، وبلغاء
رجال القبائل ، قلنا في وصفهما على حسب حالهما ، والفرق الذي بينهما ؛
ولأننا عسى أن نذكر جملة من خطباء الجاهليين والإسلاميين ، والبدويين
والحضرين ، وبعض ما يحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم ، وبالله التوفيق .
ثم رجع القول بنا إلى ذكر الإشارة .

وروى أبو شمر ^(١) عن معمر أبي الأشعث ^(٢) ، خلاف القول الأول
٥٨ في الإشارة والحركة عند الخطبة ، وعند منازعة الرجال ومناقلة الأكفاء .

وكان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ، ولم يقلب عينيه ،
ولم يحرك رأسه ، حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع صخرة . وكان يقضى على
صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك ، وبالعجز عن بلوغ إرادته . وكان يقول : ليس
من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره ، حتى كلمه إبراهيم بن سيار التظائم عند
أيوب بن جعفر ^(٣) ، فاضطره بالحجة ، وبالزيادة في المسألة ، حتى حرك يديه
وحل حبوته ، وحبا إليه حتى أخذ بيديه . وفي ذلك اليوم انتقل أيوب من قول
١٥ أني شمر إلى قول إبراهيم . وكان الذي غرأ أبا شمر وموه له هذا الرأي ، أن
أصحابه كانوا يستمعون منه ، ويسلمون له ويميلون إليه ، ويقبلون كل ما يورده

(١) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . انظر السمعاني . وتجد آراءه في الفرق ١٩٠ - ١٩٤ .

(٢) هو معمر بن عباد السلمى ، صاحب فرقة المعرية من المعتزلة ، وكان من تلاميذه

٢٠ أبو الحسن المدائنى ، وحفص الفرد ، وأبو شمر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح .
انظر ابن النديم ١٤٧ ، والمواقف ٦٢٣ طبع بولاق . ومعمر بتشديد الميم ، كما في لسان الميزان (٦ :

٧١) . توفي سنة ٢١٥ .

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، كان من أعلم الناس بقريش ، وبالدولة وبرجال

الدعوة كما سياتى . وذكر الجاحظ في الحيوان (٦ : ٧٨) أنه كان لا يحب أكل الضباب .

عليهم ، وثُبِّتَ عندهم . فلما طال عليه توقيرُهم له ، وثَرَك مجاذبتهم إياه ، وخَفَّتْ مؤونة الكلام عليه - نَسِيَ حالَ منازعة الأَكْفَاء ومجادبة الخصوم . وكان شيخاً وقوراً ، وزِمْتِيّاً رَكِيناً (١) ، وكان ذا تَصَرُّف في العلم ، ومذكوراً بالفهم والحلم .

٥ قال معمر ، أبو الأشعث : قلت لبَهْلَة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند ، مثل منْكَة وبازيكر (٢) وقلبرقل (٣) وسندباد وفلان وفلان : ما البلاغة عند الهند ؟ قال بهْلَة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ، ولكن لا أحسن ترجمتها لك (٤) ، ولم أعالج هذه الصناعة فأثِق من نفسى بالقيام بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها .

١٠ قال أبو الأشعث : فلقِيتُ بتلك الصحيفة التراجمة فإذا فيها (٥) :

أَوَّلُ البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيبُ رابطاً الجأش ، ساكنَ الجوارح ، قليلَ اللَّحْظ ، متخيرَ اللَّفْظ ، لا يكلمُ سيّد الأُمّة بكلام الأُمّة ولا الملوك بكلام السُّوقَة . ويكون في قُوَاه فضلُ التصرُّف في كلِّ طبقة ، ولا يدقُّ المعاني كلَّ التدقيق ، ولا يُنقَح الألفاظ كلَّ التنقيح ، ولا يُصَفِّيها كلَّ التصفية ، ولا يَهْدِيها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادفَ ١٥ حكيماً ، أو فيلسوفاً عليمًا ، ومن قد تعودَ حذف فضول الكلام ، وإسقاطَ مشتركات الألفاظ ، وقد نظَّر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصفُّح ، وعلى وجه الاستطراف والتطرُّف . قال : ومن علِمَ حَقَّ

(١) الزميت : الخليم الساكن القليل الكلام ، كالصميت . والركين : الرزين .

(٢) كذا ضبطت هذه الأسماء الهندية في ل ، هـ . لكن ضبطت « سندباد » في هـ بضم السين . ٢٠

وفي الحيوان (٧ : ٢١٣) أن « منْكَة » كان صحيح الإسلام .

(٣) ل : « وقل بن قل » وأثبت ما في سائر النسخ .

(٤) فيما عدل ، هـ : « مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك » . وكلمة « لك » ساقطة من هـ .

(٥) ذكر العسكري في الصناعتين ١٩ هذه الصحيفة ، وفسرها . كذلك ذكرها ابن قتيبة في

عيون الأخبار (٢ : ١٧٣) . ٢٥

- المعنى ^(١) أن يكون الاسم له طَبَقاً ، وتلك الحال له وَفْقاً ، ويكون الاسم له لا فاضلاً [ولا مفضولاً ^(٢)] ، ولا مقصراً ، ولا مشتركاً ، ولا مضمناً ، ويكون مع ذلك ذاكرةً لما عَقَدَ عليه أَوَّلَ كلامه ، ويكون تصفُّحه لِمَصَادِرِهِ ، في وزن تصفُّحه لموارده ، ويكون لفظه مُوْنِقاً ، ولهول تلك المقامات معاوداً ^(٣) .
- ومدارُ الأمر على إفهام كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، وأن ثَوَاتِيَةَ آلائه ، وتتصرَّف معه أَدَاتُهُ ، ويكون في التَّهْمَةِ لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظنِّ بها مقتصدًا ؛ فإنه إن تجاوزَ مقدارَ الحقِّ في التَّهْمَةِ لنفسه ظَلَمَهَا ، فأودَعَهَا ذِلَّةَ المظلومين ، وإن تجاوزَ الحقَّ في مقدارِ حُسْنِ الظنِّ بها ، آمنها فأودَعَهَا تهاوُنَ الآمنين . ولكل ذلك مقدارٌ من الشُّغْل ، ولكل شغلٍ مقدارٌ من الوهن ، ولكل وهنٍ مقدارٌ من الجهل .
- ١٠ وقال إبراهيم بن هانئ ^(٤) ، وكان ماجناً خليعاً ، وكثير العَبَثِ متمرداً . ولولا أن كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخُلُ في باب الجِدِّ ، لَمَّا جعلته صِلَةً الكلام الماضي . وليس في الأرض لفظٌ يسقط البتَّة ، ولا معنًى يبور حتى لا يصلح لمكانٍ من الأماكن .

- ١٥ قال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة القَصَص أن يكون القاصُّ أَعْمَى ، ويكون شيخاً بَعِيدَ مَدَى الصوت . ومن تمام آلة الرِّمْرِ أن تكون الرَّامِرَةُ

(١) فيما عدل : « وقال من علم حق المعنى » وفي الصناعتين : « قال واعلم أن حق المعنى » .

(٢) هذه مما عدل ل .

(٣) بدله في الصناعتين : « ومعناه نيراً واضحاً » . وهو يدل أن الترجمة التي حصل عليها

العسكري غير التي حصل عليها الجاحظ .

(٤) إبراهيم بن هانئ : أحد معاصري الجاحظ ، روى عنه أخباراً في الحيوان ، وخبراً في البخلاء

سوداء . ومن تمام آلة المعنى أن يكون فارة البرذون ، برآق الثياب ^(١) ،
عظيم الكبر ، سعى الخلق . ومن تمام آلة الحمار أن يكون ذمياً ، ويكون
اسمه أذين أو شلوما ، أو مازيار ، أو أزدانقازار ، أو ميساً ، ويكون أرقط
الثياب ، مختوم العنق . ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابياً ، ويكون
الداعي إلى الله صوفياً . ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد ثقیل السمع ، عظيم
الرأس . ولذلك قال ابن سنان الجديدي ^(٢) ، لراشد بن سلمة الهذلي : « ما أنت
بعظيم الرأس [ولا ثقیل السمع] ^(٣) فتكون سيّدا ، ولا بأرسح فتكون فارساً » .

وقال شبيب بن شيبّة الخطيب ، لبعض فتيان بني منقر : « والله
ما مُطِلّت مَطلُ الفرسان ، ولا فُتِقَت فتقُ السّادة » .

وقال الشاعر :

فقبِلْتُ رأساً لم يكن رأسَ سيّد وكفاً ككفّ الضّبّ أو هي أحقر ^(٤)
فعب صِعْرَ رأسه وصِعْرَ كفّه ، كما عاب الشاعر ^(٥) كفّ عبد الله
ابن مطيع العدوي ، حين وجدها غليظة جافية ، فقال :

دعا ابنُ مُطيعٍ للبياع فجثته إلى بيعةٍ قلبي لها غير ألف
فناولني خشناء لما لمستها بكفّي ليست من أكفّ الخلائف

وهذا الباب يقع (في كتاب الجوارح) مع ذكر البُصر والعُرج والعُسر

(١) فيما عدل ، هـ : « الثنايا » . ولكل وجه . وفي حواشي هـ : « خ : الثنايا » .

(٢) كذا ضبط في ل . وهو إما نسبة إلى « جديد » ، وهي خطة لبني جديد بالبصرة ، أو إلى
« الجديدة » وهي قلعة في كورة بين النهرين بين نصيبين والموصل .

(٣) هذه مما عدل ل .

(٤) فيما عدل ، هـ : « تقلب رأساً » .

(٥) هو فضالة بن شريك . وكان عبد الله بن الزبير قد ولي عبد الله بن مطيع بن الأسود
الكوفة ، فطرده عنها المختار بن أبي عبيد الثقفي ، فقال فضالة هذا الشعر في هجائه . انظر الأغاني
(١٠ : ١٦٤) . وسيعيد الجاحظ إنشاده فيما بعد .

والأذر والصُّلَع (١) [والحذب والقرع (٢)] ، وغير ذلك من علل الجوارح . وهو وارد عليكم إن شاء الله بعد هذا الكتاب .

وقال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة الشيعة أن يكون وافر الجمّة ، صاحب بازيكند (٣) . ومن تمام آلة صاحب الحرسي أن يكون زميتاً قطوباً أبيض اللحية ، أفتى أجنى (٤) ، ويتكلم بالفارسية (٥) .

وأخبرني إبراهيم بن السندي قال : دخل العماني الراجز على الرشيد ، لينشده شعراً ، وعليه قلنسوة طويلة ، وحفّ ساذج ، فقال : إياك أن تُشدني إلا عليك عمامة عظيمة الكور ، وحفان دُماليقان (٦) .

قال إبراهيم : قال أبو نصر : فبكر عليه من الغد وقد تزيّياً بزي الأعراب ، فأنشده ثم دنا فقبل يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جازته ، وأنشدت يزيد بن الوليد وإبراهيم ابن الوليد ورأيت وجوههما وقبلت أيديهما وأخذت جوازتهما ، وأنشدت السفاح ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جازته ، وأنشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جازته ، وأنشدت المهدي ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جازته ، وأنشدت الهادي ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جازته . هذا إلى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء ، والسادّة الرؤساء ، ولا والله

(١) فيما عدل ، ه : « والفليح » .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) في هامش ل : « بازيكند : نوع من الثياب ، فارسية » . وقد ضبطت الكلمة في المتن

والتعليق ، بفتح الزاي وضم الياء وفتح الكاف .

(٤) الأفتى : المرتفع أعلى الأنف المحدودب وسطه . والأجنى : تسهيل الأجناً ، وهو الأحدب

الظهر .

(٥) فيما عدل ، ه : « صاحب تكلم بالفارسية » .

(٦) الدمالق : المستدير الأملس . ل : « ذلقمان » صوابه في سائر النسخ . وانظر الشعر

والشعراء ٣٧١ وعيون الأخبار (١ : ٩٣ — ٩٤) .

إن رأيتُ فيهم أبهى منظراً ، ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أنعمَ كفأً ، ولا أئدَى راحة منك يا أمير المؤمنين . والله لو ألقى في روعي أني أتحدثُ عنك ما قلتُ لك ما قلت . قال : فأعظمَ له الجائزةَ على شِعْرِهِ ، وأضعفَ له على كلامِهِ ، وأقبل عليه فبسطَهُ ، حتّى تمتى والله جميعُ مَنْ حضرَ أنهم قاموا ذلكَ المَقامَ .

ثم رجع بنا القولُ إلى الكلامِ الأوّل . قال ابنُ الأعرابيّ : قال معاوية بن أبي سفيان لصُحارِ بن عِيّاشِ العبدى^(١) : ما هذه البلاغةُ التي فيكم ؟ قال : شيءٌ تُجيشُ به صدورنا فتَقذِفُهُ على ألسنتنا . فقال له رجلٌ من عُرضِ القومِ^(٢) : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء بالبُسرِ والرُطبِ ، أبصرُ منهم بالخطبِ . فقال له صُحار : أجلُ والله ، إنا لتعلم إن الرّيحَ تُلْقِيهِ^(٣) ، وإن البردَ ليعقِدُهُ ، وإن القمرَ ليضْبِعُهُ ، وإن الحرَّ ليُنْضِجُهُ .

وقال له معاوية : ما تعلّون البلاغةَ فيكم ؟ قال : الإيجاز . قال له معاوية : وما الإيجاز ؟ قال صُحار : أن تُجيبَ فلا تبطِئَ ، وتقولَ فلا تخطِئَ . فقال له معاوية : أو كذلك تقول يا صُحار ؟ قال صُحار : أقلنى يا أمير المؤمنين ، ألا تُبْطِئَ ولا تُخطِئَ^(٤) .

وشأن عبد القيس عَجَبٌ ، وذلك أنهم بعد مُحارَبةٍ إبَادٍ تفرّقوا فرقتين ، ففرقةٌ وقعتْ بَعْمَانَ وشَقَّ عُمانَ ، وهم خطباءُ العرب ؛ وفرقةٌ وقعتْ إلى البَحْرَيْنِ

(١) هو صحرار بن عياش - ويقال ابن عباس - بن شراحيل بن منقذ العبدى ، من بنى عبد القيس ، خطيب مفوه ، كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان علامة نسابة . توفي نحو سنة ٤٠ . انظر الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

(٢) من عرض القوم ، بضم العين ، أى عامتهم .

(٣) فى الأصول : « لتنفخه » صوابه فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٢) .

(٤) فيما عدل : « لا تبطئ ولا تخطئ » . وفى الحيوان (١ : ٩١) : « لا تخطئ ولا تبطئ » . وفى الصناعتين ٣٢ : « هو ألا تخطئ ولا تبطئ » .

[وَشِقُّ الْبَحْرَيْنِ ^(١)] ، وهم من أشعر قَبِيلٍ في العرب ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سُرَّةِ الْبَادِيَةِ ^(٢) وفي مَعْدِنِ الْفَصَاحَةِ . وهذا عَجَبٌ .

ومن خُطْبَائِهِمُ الْمَشْهُورِينَ : صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ ، وَزَيْدُ بْنُ صُوحَانَ ، وَسَيْحَانُ بْنُ صُوحَانَ ^(٣) . ومنهم صُحَارُ بْنُ عَيَّاشٍ . وصُحَارٌ مِنْ شِيعَةِ عُثْمَانَ ، وَبَنُو صُوحَانَ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ .

ومنهم مَصْقَلَةُ بْنُ رَقَبَةَ ، وَرَقَبَةُ بْنُ مَصْقَلَةَ ، وَكَرِبُ بْنُ رَقَبَةَ . وإذا صِرْنَا إِلَى ذِكْرِ الْخُطْبَاءِ وَالنَّسَائِينَ ، ذَكَرْنَا مِنْ كَلَامٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِقَدَرٍ مَا يَحْضُرُنَا ، وبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

قال لي ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : قال لي الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الضَّبِّيُّ : قلت لأعرابيٍّ مَنَّا : ما الْبَلَاغَةُ ؟ قال لي : الْإِيجَازُ فِي غَيْرِ عَجْزٍ ، وَالْإِطْنَابُ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . ١٠
قال ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : فقلتُ لِلْمُفَضَّلِ : ما الْإِيجَازُ عِنْدَكَ ؟ قال : حَذْفُ الْفُضُولِ ^(٤) ، وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ .

قال ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : لو دَعَوْتَ اللَّهَ بِدَعَوَاتٍ . فقال : اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا وَعَافِنَا وَارْزُقْنَا ! فقال له رجلٌ : لو زِدْتُنَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ . فقال : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ . ١٥

(١) هذه مما عدل .

(٢) ل : « في هذه الْبَادِيَةِ » .

(٣) ذَكَرَهُمُ ابْنُ دَرِيدٍ فِي الْاِسْتِشْقَاقِ ١٩٩ وقال : « بنو صُوحَانَ بن حجر بن الْحَارِثِ بن الْمَجْرَسِ . وَسَيْحَانُ فَعْلَانُ مِنَ السَّيْحِ ، سَاحُ الْمَاءِ يَسِيحُ سَيْحًا » . فِيمَا عَدَلَ : « شَيْخَانُ » تَحْرِيفٌ .

(٤) ل : « ما الْإِيجَازُ عِنْدَكُمْ ؟ قال : تَرَكَ الْفُضُولَ » .

باب

ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأئمة والفقهاء والأمراء

ممن كان لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل

منهم : زيد بن صُوحان . ومنهم : أبو وائلة إياس بن معاوية المُرَنيّ ^(١) .
القاضي القائف ، وصاحب الزَّكَن ، والمعروف بجودة الفِراسة . ولِكثرة كلامه
قال له عبد الله بن شُرمة ^(٢) : « أنا وأنت لا تتفق . أنت لا تشتهى أن تسكت
وأنا لا أشتهى أن أسمع » .

وأنتى حَلَقَةٌ من حَلَقِ قُرَيْشٍ في مسجد دمشق ، فاستولَى على المجلس ،
ورأوه أحمَر دميماً بأدْ أهَيْتة ، قَشِيفاً ، فاستهأثوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا
له : الذَّنْبُ مقسومٌ بيننا وبينك ؛ أتيتنا في زِيٍّ مسكينٍ ، تكلمنا بكلام الملوك .

ورأيتُ ناساً يستحسنون جوابَ إياس بن معاوية حين قيل له : ما فيك
عيبٌ غير أنك مُعْجَبٌ بقولك . قال : أفأعجبكم قولي ؟ قالوا : نعم . قال :
فأنا أحقُّ بأن أعجبَ بما أقول ، وبما يكون مِنِّي مِنكم ^(٣) .

والناسُ ، حَفِظَكَ اللهُ ، لم يَضَعُوا ذِكْرَ العُجْبِ في هذا الموضع . والمعيبُ
عند الناسِ ليس هو الذي لا يَعْرِفُ ما يكون منه من الحُسْنِ . والمعرفة لا تَدْخُلُ في
باب التَّسمية بالعُجْبِ ، والعُجْبُ مذموم . وقد جاء في الحديث . « إنَّ المؤمنَ

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة المرني ، من مزينة مضر ، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء
البصرة . وكان صادق الظن لطيفاً في الأمور ، وكان لأم ولد : ومنزله عند السي ، ومات بها سنة
١٢٢ . انظر المعارف ٢٠٥ وتهذيب التهذيب (١ : ٣٩) وأنساب السمعاني .

(٢) هو عبد الله بن شيرمة بن حسان الضبي ، أبو شيرمة الكوفي القاضي . ولاه أبو جعفر
المنصور قضاء الكوفة . ولد سنة ٧٢ وتوفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب

(٣) ل : « مني » فقط .

مَنْ سَاعَتَهُ سَيِّئُهُ وَسَرَّهَ حَسَنَتُهُ . وقيل لعمر : فلان لا يعرف الشر . قال : « ذاك أجدر أن يقع فيه » . وإنما العجب إسراف الرجل في السرور بما يكون منه والإفراط في استحسانه ، حتّى يظهر ذلك في لفظه وفي شمائله . وهو الذى وصّف به صعصعة بن صوحان ^(١) ، المنذر بن الجارود ^(٢) ، عند على بن أبى طالب رحمه الله ، فقال : « أما إته مع ذلك لتظارّ في عطفيه ، ثفالّ في شراكيه ، تُعجبه حمرة بُرديه ^(٣) » .

قال أبو الحسن : قيل لإياس : ما فيك عيبٌ إلّا كثرة الكلام . قال : فتسمعون صواباً أم خطأ ؟ قالوا : لا ، بل صواباً . قال : « فالزيادة من الخير خير » . وليس كما قال ؛ للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والمَلال ، فذلك الفاضل هو الهذر ، وهو الخطل ، وهو الإسهاب الذى سمعت الحكماء يعيّنونه ^(٣) .

وذكر الأصمعيّ أنّ عمر بن هُبيرة لما أرادَهُ على القضاء قال : إئني لا أصلح له . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأئننى عبيّ ، ولأئننى دميمّ ، ولأئننى حديد . قال ابن هُبيرة : أمّا الحِدّة فإنّ السّوط يقرّومك ، وأمّا الدّمامة فإنّني لا أريد أن أحاسين بك أحداً ، وأمّا العبيّ فقد عبّرت عمّا تُريد .

فإن كان إياسٌ عند نفسه عبيّاً فذاك أجدر بأن يهجر الإكثار . وبعد فما نعلّم أحداً رمى إياساً بالعبيّ ، وإنّما عابوه بالإكثار . وذكر صالح بن سليمان ، عن عُتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ، قال

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدى ، كان مسلماً في عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان وعلى ، وشهد صفين مع على ، وكان خطيباً فصيحاً . مات بالكوفة في خلافة معاوية . الإصابة ٢٠ : ٤١٢٥ . وصوحان ، بضم الصاد . الاشتقاق ١٩٩ والخبر في الحيوان (٥ : ٥٨٨) .

(٢) المنذر بن الجارود العبدى ، ولد في عهد النبي ، ولأبيه صحبة ، وشهد الجمل مع على وولاه عبيد الله بن زياد الهند في إمرة يزيد بن معاوية فمات هناك سنة ٦١ . انظر الإصابة ٨٣٢٨ .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٥٨٨) والبيان (٣ : ١١٢) .

ما رأيتُ عقولَ النَّاسِ إِلَّا قَريباً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْحِجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ ، وَإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ؛ فَإِنَّ عَقُولَهُمَا كَانَتْ تَرَجِّحُ عَلَى عَقُولِ النَّاسِ كَثِيراً .

وقال قائلٌ لإِيَّاسَ : لِمَ تَعْجَلُ بِالْقَضَاءِ ؟ فقال إِيَّاسُ : كَمْ لَكَفُّكَ مِنْ إصْبَعٍ ؟ قال : خَمْسَ . قال : عَجِلْتُ . قال : لِمَ يَعْجَلُ مَنْ قَالَ بَعْدَ مَا قَتَلَ الشَّيْءَ عُلْماً وَبِقِيْنًا . قال إِيَّاسُ : فَهَذَا هُوَ جَوَابِي لَكَ (١) .

وكان كثيراً ما يُنْشِدُ قَوْلَ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيَّ :

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَتَى امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتُبْ (٢)

قال : ومدح سلمة بن عِيَّاش (٣) ، سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (٤) ، بِمِثْلِ ما وصف به إِيَّاسُ نَفْسَهُ حِينَ قَالَ :

وَأَوْقَفَ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِيحْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِياً (٥)

وكتب عمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، إِلَى عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةٍ : إِنَّ قَبْلَكَ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةٍ ، قَوْلُ أَحَدِهِمَا قَضَاءُ الْبَصْرَةِ . يَعْنِي بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيَّ (٦) وَإِيَّاسَ ابْنَ مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ بَكْرُ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَ الْقَضَاءَ ، فَإِنْ كُنْتُ صَادِقاً فَمَا

٦٤

(١) ل : « فهذا جوابي » .

(٢) أَنشده فِي الْحَيَوَانَ (٣ : ٤٩٥) وقال : « ليس يريد أنه في حالة تبينه غير مرتاب ، وإنما يعني أن بصيرته لا تتغير » . لم أرتب ، بفتح التاء من الرتبة ، وبضمها أيضاً من الرتوب ، وهو التوقف .
(٣) سلمة بن عِيَّاش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، كان منقطعاً إلى جعفر ومحمد ولدى سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس يدحهما . وترجم له أبو الفرج في (٢١ : ٨٤ - ٨٦) .
(٤) أبو عبد الله سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة العنبري البصري ، نزل بغداد وولى بها قضاء الرصافة . وكان فقيهاً فصيحاً ، أديباً شاعراً . وقد وثقه كثيرون منهم أحمد بن حنبل . توفي سنة ٢٤٥ . انظر تاريخ بغداد ٤٧٨٨ .

(٥) بكر بن عبد الله المزني ، نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصري ، ثقة جليل ، توفي سنة

يَجَلَّ لك أن تولّيني ، وإن كنت كاذباً إنّها لأحراها (١) .

وكانوا إذا ذكروا البصرة قالوا : شيخُها الحسن ، وفتاها بكر .

وقال إياس بن معاوية : لست بِجَبِّ والجَبِّ لا يخدعني . وقال :

الجَبِّ (٢) لا يخدعُ ابنَ سيرين ، وهو يَخْدَعُ أبا ويخدع الحسن .

- ودخل الشام وهو غلامٌ ، فتقدّم خصماً له ، وكان الخصم شيخاً ٥
كبيراً ، إلى بعض قضاة عبد الملك بن مروان ، فقال له القاضي : أتقدم
شيخاً كبيراً ؟ قال : الحقُّ أكبر منه . قال : اسكث . قال : فمن ينطقُ
بُحْجَتِي . قال : لا أظنُّك تقول حقاً حتّى تقوم . قال : لا إله إلا الله ،
[أحقاً هذا أم باطلا (٣) ؟] . فقام القاضي فدخل على عبد الملك من
ساعته ، فخبّره بالخبر ، فقال عبد الملك : أقض حاجته الساعة وأخرجّه من ١٠
الشام ، لا يُفسد على الناس .

فإذا كان إياسٌ وهو غلامٌ يُخاف على جماعة أهل الشام ، فما ظنُّك به
وقد كبرت سنُّه ، وعرض على ناجذه .

- وجملة القول في إياسٍ أنّه كان من مفاخر مُضر ، ومن مُقدّمى القضاة ،
وكان فقيه البدن (٤) ، دقيق المسلك في الفطن ، وكان صادق الحدس نقاباً (٥) ، ١٥
وكان عجيب الفراسة مُلهمًا ، وكان عفيف الطعم (٦) ، كريم المداخل والشيم ،
وجيهاً عند الخلفاء ، مقدّماً عند الأكفاء . وفي مُزينة خير كثير .

(١) أى هذه الحالة أجدر الحالتين بإقصائي عن الولاية . ل : « فإن كنت كاذباً فما يحل لك أن تولّيني ، وإن كنت كاذباً فما يحل لك أن تولّيني » .

(٢) الحب ، بالفتح ويكسر : الخداع . وهذه الكلمة والتي قبلها في ل فقط ، وليست في الحيوان (٢ : ٢٧٩) . ٢٠
(٣) التكلمة من هـ .

(٤) في هامش هـ : « أى كأن بدنه مطبوع على الفقه لدكائه ولنفوذه فيما أشكل منه أو غمض » . وانظر تهذيب التهذيب في ترجمة بشر بن المفضل .

(٥) الحدس ، بالفتح : الظن والتخمين . والنقاب . ككتاب : الرجل العلامة الفطن . قال أوس بن حجر :

٢٥ نجيح جواد أخو مأقظ نقاب يحدث بالغائب

(٦) في حواشي هـ : أى إنه لا يأكل إلا من حلال هـ . ما عدا هـ : « المطعم » .

ثم رجعنا إلى القول الأول .

ومنهم ربيعة الرأي ^(١) ، وكان لا يكاد يسكت . قالوا : وتكلم يوماً فأكثر وأعجب بالذي كان منه ، فالتفت إلى أعرابي كان عنده فقال : يا أعرابي : ما تعدون العبي فيكم ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم . وكان يقول : السَّاکت بين النَّائم والأخرس .

ومنهم عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي ^(٢) . ومحمد بن حفص هو ابن عائشة ؛ ثم قيل لعبيد الله ابنه : ابن عائشة . وكان كثير العلم والسمع ، متصرفاً في الخير والأثر . وكان من أجواد قريش ^(٣) ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو في ذلك كثير الفوائد . وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن ، كثير العلم ، بعث إليه يَنخَاب ^(٤) خليفته في بعض الأمر ، فأتاه في خلقة في المسجد ، فقال له في بعض كلامه : أبو من أصلحك الله ، فقال له : هَلَّا عَرَفْتَ هذا قبل مجيئك ! وإن كان لا بد لك منه فاعترض من شئت فسئل . فقال له : إني أريد أن تُخَلِّينِي . قال : أفى حاجة لك أم في حاجة لي ؟ قال : بل في حاجة لي . قال : فالقيني في المنزل . قال : فإن الحاجة لك . قال : ما دون إخواني ستر .

ومنهم محمد بن مسعر العقيلي ، وكان كريماً كريم المجالسة ، يذهب مذهب

(١) ويقال له ربيعة صاحب الرأي . انظر الكلام على أصحاب الرأي في المعارف لابن قتيبة ٢١٦ — ٢١٩ وهو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مولى آل المنذر التميمي ، وكان أبو العباس السفاح قد قدمه للقضاء فلم يفعل . ومات بالأندلس سنة ١٣٦ . انظر المعارف ٢١٧ وتهذيب التهذيب وصفة الصقوة (٢ : ٨٣ — ٨٦) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي ، يقال له ابن عائشة . والعائشي ، والعيشي : نسبة إلى عائشة بنت طلحة ؛ لأنه من ذريتها . توفي بالبصرة سنة ٢٨٨ . انظر المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ ، وتهذيب التهذيب ، والأنساب ٣٧٩ والحيوان (٢ : ١٢) .

(٣) الأجواد : جمع جواد . فيما عدل ، هـ : « من أجود قريش » .

(٤) ل : بعث إليه زياد بنخاب « وكلمة « زياد » مقحمة . هـ : « بنخاب » . بدل

« بنخاب » . وضبط « بنخاب » هو ما في ل . وفي سائر النسخ : « ميخاب » .

النسك ، وكان جواداً . مرّ صديق له من بنى هاشم بقصر له وبُستانٍ نفيس ، فبلغه أنّه استحسّنه ، فوهبه له .

ومنهم أحمد بن المُعَدَّل بن غِيلَانَ ^(١) ، كان يذهب مذهب مالك رحمه الله ، وكان ذا بيانٍ وتبحُّرٍ في المعاني ، وتصرّف في الألفاظ .

ومن كان يُكثر الكلام جداً الفضل بن سهل ، ثم الحسن بن سهل ^(٢) في أيامه .

وحَدَّثني محمد بن الجهم ودُوَاد بن أُنَى دُوَاد قالَا : جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة ، لُتَعِيم بن خازم ^(٣) ، فأقبل نُعِيم حافياً حاسراً وهو يقول : ذُنْبِي أعظم من السماء ، ذُنْبِي أعظم من الهواء ، ذُنْبِي أعظم من الماء ! قالَا : فقال له الحسن بن سهل : على رِسْلِكَ ، تقدّمت منك طاعة ،

وكان آخرُ أَمْرِكَ إلى توبة ، وليس للذنب بينهما مكان ، وليس ذُنْبُكَ في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو .

ومن هؤلاء على بن هشام ، وكان لا يسكت ، ولا أدري كيف كان كلامه .

قال : وحَدَّثني مَهْدِيُّ بن ميمون ، قال : حَدَّثنا غِيلَان بن جرير ، قال : كان مطرّف بن عبد الله ^(٤) يقول : « لا تُطْعِم طعامك مَنْ لا يشتهيهِ » . يقول :

١٥ (١) هو أخو الشاعر المشهور عبد الصمد بن المعدل بن غيلان ، كلاهما من شعراء الدولة العباسية . قال أبو الفرج في أثناء ترجمة عبد الصمد : « وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً إلا أنه كان غفياً ذا مروءة و دين وتقدم في المعتزلة » . الأغاني (١٢ : ٥٤) والفوات (١ : ٣٥٣) .

(٢) استوزر المأمون الفضل بن سهل ، ثم أخاه الحسن بن سهل . قتل الفضل سنة ٢٠٢ . أما الحسن فقد توفى سنة ٢٣٦ . وهو والد بوران زوج المأمون ، التي فيها يقول الباهلي :

٢٠ بارك الله للحسن وليوران في الختن
يا ابن هارون قد ظفر ت ولكن بينت من

(٣) فيما عدل ، ه : « ابن خازم » بالحاء المهملة .

(٤) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير ؛ أحد التابعين ، وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، وكان لأبيه صحة . وكان يقص في مكان أبيه بمسجد البصرة . توفى سنة ٩٥ . الإصابة

٢٥ ٨٣١٨ والمعارف ١٩٣ وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) وتهذيب التهذيب .

لا تُقْبَلُ بحديثك على مَنْ لا يَقْبَلُ عليه بوجهه .

وقال عبدُ الله بنُ مسعود : « حَدَّثَ النَّاسَ مَا حَدَّثُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ ،
وَأَذْنُوا لَكَ بِأَسْمَاعِهِمْ ، [ولحظوك بأبصارهم ^(١)] ، وإذا رأيت منهم فترةً
فَأَمْسِكْ » .

قال : وجعل ابن السَّمَّاءِ ^(٢) يوماً يتكلَّم ، وجاريةٌ له حيثُ تسمع
كلامه ، فلما انصرفَ إليها قال لها : كيف سمِعتِ كلامي ؟ قالت :
ما أحسنه ، لولا أنَّك تكثُرُ تَرْداده . قال : أَرَدَدَهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ . ٦٦
قالت : إلى أن يَفْهَمَهُ مَنْ لا يَفْهَمُهُ قَدْ مَلَّهَ مِنْ فَهْمِهِ ^(٣) .

عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ ، عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ :
« لَا يَعَاذُ الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ ^(٤) » . ١٠

سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ^(٥) ، عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ : « إِعَادَةُ الْحَدِيثِ أَشَدُّ مِنْ
نَقْلِ الصَّخْرِ ^(٦) » .

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بنى عجل ، المعروف بابن السماك ، سمع هشام بن
عروة ، والعوام بن حوشب ، وسفيان الثوري ، وروى عنه الحسين الجعفي ، وأحمد بن حنبل . وهو كوفي
قدم بغداد زمن هارون الرشيد ، وكان يكي هارون من قوة موعظته . ومكث ببغداد مدة ثم رجع إلى
الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ . تاريخ بغداد ٢٨٩٥ وصفة الصفوة (٣ : ١٠٥) ولسان الميزان (٥ : ٢٠٤) .

(٣) ل : « يفهمه » . وانظر الخبر في عيون الأخبار (٢ : ١٧٨) .

(٤) ل فقط : « لا يعد » ، وأثبت ما في سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ١٧٩) .

(٥) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلال ، الكوفي ثم المكي ، ثقة حافظ . سمع الزهري وعبد الله
ابن دينار وغيرهما ، وحدث عنه الأعمش وابن جريج وشعبة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم . وفيه
يقول الشافعي : « لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز » . وكان يحدث في موسم الحج ، وقد حج
سبعين سنة . ولد سنة ١٠٧ وتوفي سنة ١٩٨ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٢) وتهذيب التهذيب .

(٦) في عيون الأخبار (٢ : ١٧٩) : « من وقع الصخر صواب هذه : « من رفع الصخر » .

وقال بعضُ الحكماء : « مَنْ لَمْ يَنْشَطْ لِحَدِيثِكَ فَارْفَعْ عَنْهُ مَوْثِقَةَ الاسْتِمَاعِ

مَنْكَ » .

وجملة القول في الترداد ، أنه ليس فيه حدٌ ينتهى إليه ، ولا يُؤمَى على وصفه (١) . وإتّما ذلك على قدر المستمعين ، وَمَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْعَوَامِّ وَالْخَوَاصِّ . وقد رأينا الله عزَّ وجلَّ رَدَّدَ ذِكْرَ قِصَّةِ مُوسَى وَهُودٍ ، وَهَارُونَ وَشُعَيْبٍ ، وَإِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ ، وَعَادٍ وَثَمُودَ . وكذلك ذِكْرَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأُمُورٍ كَثِيرَةٍ ؛ لِأَنَّهُ خَاطَبَ جَمِيعَ الْأُمَمِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَصْنَافِ الْعَجَمِ ، وَأَكْثَرَهُمْ غَبِيٌّ غَافِلٌ (٢) ، أَوْ مُعَانِدٌ مُشْغُولٌ الْفِكْرِ سَاهِي الْقَلْبِ .

وَأَمَّا أَحَادِيثُ الْقَصَصِ وَالرِّقَّةِ فَأُتِي لَمْ أَرِ أَحَدًا يَعِيبُ ذَلِكَ .

وما سَمِعْنَا بِأَحَدٍ مِنَ الْخُطَبَاءِ كَانَ يَرَى إِعَادَةَ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ وَتَرْدَادَ الْمَعَانِي عِيًّا ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ التَّنَخُّارِ بِنِ أَوْسِ الْعُذْرَى ؛ فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ فِي الْحَمَالَاتِ (٣) وَفِي الصَّفْحِ وَالْإِحْتِمَالِ وَصَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَتَخْوِيفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ التَّفَانِي وَالْبَوَارِ - كَانَ رُبَّمَا رَدَّدَ الْكَلَامَ عَلَى طَرِيقِ التَّهْوِيلِ وَالتَّخْوِيفِ ، وَرُبَّمَا حَمَى فَتَحَرَ .

وقال ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ (٤) : كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى (٥) أَنْطَقَ النَّاسَ ، قَدْ جَمَعَ ١٥

(١) فيما عدل ، هـ : « يُؤْتَى إِلَى وَصْفِهِ » تحريف .

(٢) ل : « عَى غَافِلٌ » .

(٣) الحمالة ، كسحابة : الذي يحملها قوم عن قوم . ل : « الجهالات » تحريف .

(٤) ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ التَّمِيمِيُّ مَوْلَى بَنِي نَعْمَرٍ ، كَانَ زَعِيمَ الْقُدْرَةِ فِي زَمَانِ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ وَالْوَاتِقِ . وَهُوَ الَّذِي دَعَا الْمَأْمُونِ إِلَى الْإِعْتِزَالِ . انْظُرِ الْفُرُقَ بَيْنَ الْفُرُقِ ١٥٧ . وَتَرَوِى عَنْهُ قِصَصُ تَشْرِيرِ إِلَى اسْتِخْفَافِهِ بِالْبَدِينِ ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى النَّاسَ يَوْمَ جُمُعَةٍ يَتَعَادُونَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ لِحُفُوفِهِمْ مِنْ فَوْتِ الصَّلَاةِ ، فَقَالَ لِرَفِيقٍ لَهُ : انْظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْحَمِيرِ وَالْبَقَرِ ! ثُمَّ قَالَ : مَا صَنَعَ ذَاكَ الْعَرَبِيُّ بِالنَّاسِ . تَأْوِيلُ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ ٦٠ . قَتْلُ ثُمَامَةَ فِي زَمَانِ الْوَاتِقِ الَّذِي تَوَلَّى الْخِلَافَةَ مِنْ ٢٢٧ - ٢٣٢ . وَقَبْلَ مَاتَ فِي ٢١٣ انْظُرِ الْفُرُقَ ١٥٩ وَلِسَانُ الْمِيزَانِ (٢ : ٨٤) وَتَارِيخُ بَغْدَادَ (٧ : ١٤٥ - ١٤٨) ، وَكَذَا مَعْجَمِ الْفُرُقِ الْإِسْلَامِيَّةِ (رَسْمُ الثَّمَامَةِ) .

(٥) جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبُرْمَكِيِّ ، مِنْ كِبَارِ الْبِرَامِكَةِ الَّذِينَ قَتَلَهُمُ الرَّشِيدُ . ٢٥

الهُدوءَ والتَّمَهِّلَ ، والجزالةَ والحلاوةَ ، وإفهاماً يُغْنِيهِ عن الإعادة . ولو كان في الأرض ناطقٌ يَسْتَغْنِي بمنطقه عن الإشارة ، لاستغنى جعفرٌ عن الإشارة ، كما استغنى عن الإعادة .

وقال مرّةً : ما رأيتُ أحداً كان لا يَتَحَبَّسَ ولا يَتَوَقَّفُ ، ولا يَتَلَجَّجَ ولا يَتَنَحَنجُ ، ولا يَرْتَقِبَ لفظاً قد استدعاه من بُعد ، ولا يَلْتَمِسُ التَّخْلَصَ إلى معنى قد تَعَصَّى عليه طلبه ، أشدَّ اقتداراً ، ولا أَقْلَ تكلفاً ، من جعفرِ بن يحيى .

وقال ثُمَامَةُ : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط بمعنَاكَ ، ويَجْلَى عن مَعْرَاكَ ، وتُخْرِجُهُ عن الشَّرْكَةِ ، ولا تستعين عليه بالفكرة . والذي لا بُدَّ له منه ، أن يكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصَّنعة ، بريئاً من التعقُّد ، غنياً عن التأويل ^(١) .

وهذا هو تأويلُ قولِ الأصمعيّ : « البليغُ مَنْ طَبَّقَ المَفْصِلَ ^(٢) » ، ٦٧ وأغناكَ عن المُفسِّرِ » .

وخبَّرني جعفرُ بن سَعِيدٍ ^(٣) ، رَضِيعُ أَيُوبَ بن جعفرٍ وحاجِبُهُ ^(٤) ، قال :
 ١٥ ذُكِرَتْ لَعَمْرُو بن مَسْعُودَةَ ^(٥) ، تَوَقَّعَاتُ جعفرِ بن يحيى ، فقال : قد قرأت

(١) كلام جعفر هذا في عيون الأخبار (٢ : ١٧٣) .

(٢) طبق المفصل : أصابه إصابة محكمة فأبان العضو من العضو ، ثم جعل لحسن الإصابة بالقول .

وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٧٤) .

(٣) جعفر بن سعيد هذا ، أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . وانظر

٢٠ الحيوان (٣ : ٤٦٩) .

(٤) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة ، وكان أول أمره على مذهب أبي ثمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام ، كما سيأتي .

(٥) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أحد الكتاب في زمان المأمون ، ذكر الخطيب في

تاريخ بغداد (١٢ : ٣٠٢) أنه ابن عم إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر . وكان إبراهيم قد ضاقت به حاله
 ٢٥ فبعث إليه عمرو مالا ، فكتب إليه إبراهيم :

لَمْ جَعْفِرِ تَوْقِيعَاتٍ فِي حَوَاشِي الْكُتُبِ وَأَسَافَلَهَا فَوَجَدْتُهَا أَجُودَ اخْتِصَارًا ،
وَأَجْمَعَ لِلْمَعَانِي .

قال : ووصف أعرابياً بالإيجاز والإصابة فقال : « كان والله
يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ ^(١) » . يَظُنُّونَ أَنَّهُ نَقَلَ قَوْلَ دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ ^(٢) ،
فِي الْخَنَسَاءِ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ ، إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَكَانَ دُرَيْدٌ قَالَ فِيهَا ^(٣) :
مَا إِنْ رَأَيْتَ وَلَا سَمِعْتَ بِهِ فِي النَّاسِ طَالَى أَثْبَقُ جُرْبٍ
مَتَبَذِّلاً تَبْدُو مُحَاسِنُهُ بَضْعَ الْهِنَاءِ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ
ويقولون فِي إِصَابَةِ عَيْنِ الْمَعْنَى بِالْكَلَامِ الْمَوْجَزِ : « فَلَانُ يُفْلُ الْمَحَزَّ ،
وَيَصِيبُ الْمَفْصِلَ » . وَأَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْجَزَارِ الْحَازِقِ ، فَجَعَلُوهُ مَثَلًا
لِلْمَصِيبِ الْمَوْجِزِ .

وَأَنشَدَنِي أَبُو قَطَنَ الْغَنَوِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ شَهِيدُ الْكَرَمِ ^(٤) ، وَكَانَ
أَبَيَّنَ مَنْ رَأَيْتُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ :

-
- = فَنِي غَيْرَ مُحَجَّبٍ الْغَنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مَظْهَرَ الشُّكُوى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ
- ومُسَعَّدٌ ، بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالْعَيْنِ ، كَمَا ضَبَطَهُ ابْنُ خُلِكَانَ . تَوَفَّى سَنَةَ ٢١٧ . وَبَعْضُ النَّاسِ يَعِدُّهُ فِي ١٥
الْوُزَرَاءِ . انْظُرِ التَّنْبِيهَ وَالْإِشْرَافَ ٣٠٤ .
- (١) الْهِنَاءُ ، بِالْكَسْرِ : ضَرْبٌ مِنَ الْقَطْرَانِ تَطْلِي بِهِ الْإِبِلُ : وَالنَّقْبُ ، بِسُكُونِ الْقَافِ وَضَمِّهَا :
جَمْعُ نَقْبَةٍ ، بِالضَّمِّ ، وَهِيَ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنَ الْجُرْبِ .
- (٢) دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ كَانَ سَيِّدَ بَنِي جِشْمٍ وَفَارِسِهِمْ وَقَائِدِهِمْ ، غَزَا مِائَةَ غَزَاةٍ مَا أَخْفَقَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا .
وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ فَلَمْ يَسْلَمْ ، وَخَرَجَ يَوْمَ حَتِّينَ مَظَاهِرًا لِلْمُشْرِكِينَ ، وَقَتَلَ عَلَى شِرْكِهِ . الْأَغَانِي (٩ : ٢) . ٢٠
- (٣) كَانَ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ قَدْ خَطَبَهَا فَرَدَّتْهُ ، وَكَانَ رَأَاهَا تَهْنَأُ بَعِيرًا فَقَالَ :
- حَيُّوا تَمَاضِرَ وَارْبِعُوا صَحْبِي وَقَفُّوا فَإِنْ وَقُوفَكُمْ حَسْبِي
أَخْنَسَ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ وَأَصَابَهُ تَبَلُّلٌ مِنَ الْحَبِّ
- وَبَعْدَهَا الْبَيْتَانِ التَّالِيَانِ انْظُرِ الْأَغَانِي (١٣ : ١٣٠) .
- (٤) رَوَى الْجَاهِظُ عَنْهُ أَيْضًا فِي الْخِيَوَانِ (٣ : ٩٤) . وَالشَّعْرُ التَّالِي مِنْ رَوَايَتِهِ وَلَيْسَ لَهُ ، بَلْ ٢٥
هُوَ لِشَقْرَانَ مَوْلَى بَنِي سَلَامَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ هَذِيمَ ، كَمَا فِي الْحَمَاسَةِ (٢ : ٢٧٤) .

فلو كنتُ مولى قيس عيلان لم تجد عليَّ لمخلوقٍ من الناس درهما
ولكنني مولى قضاة كلِّها فلستُ أبالي أن أدين ونعمما
أولئك قومٌ بَارَكَ اللهُ فيهم على كلِّ حالٍ ماعفٍ وأكرما
جُفَاءَ المَحَرِّ لا يُصَيِّبون مَفْصِلاً ولا يأكلون اللحم إلا تَحْذُماً (١)

يقول : هم ملوكٌ وأشباهُ الملوك ، وهم كُفَاءُ فهم لا يحسنون إصابة المَفْصِل .
وأنشدني أبو عبيدة في مثل ذلك :

وصُلِعَ الرَّعُوسِ عِظَامُ البُطُونِ جفَاءَ المَحَرِّ غِلَظَ القَصْرِ (٢)
ولذلك قال الراجز (٣) :

ليس براعى إبل ولا غنم ولا بحزارٍ على ظَهِرٍ وَضَمٍّ
وقال الآخر ، وهو ابنُ الرُّبْعَرَى (٤) :

وفتيانٌ صِدِّيقِ حسانِ الوجو ه لا يجُلُون لشيءٍ أَلَمٍ
مِنْ آلِ المُغِيرَةِ لا يَشْهَدُو نَ عندَ المَجَازِرِ لَحْمَ الوَضَمِّ
وقال الرَّاعِي في المعنى الأوَّل :

فطَبَّقَنَ عُرْضَ القَفِّ ثُمَّ جَزَعَنَّهُ كما طَبَّقَتْ في العظم مُذْيَةً جَازِرٍ (٥)

١٥ (١) قال التبريزي في شرح الحماسة : « أى لا يتأنقون في فصل اللحم كعمل الجزار ، لأنهم ليسوا بحزازين ، ولا ذلك من عادتهم . والحذم : سرعة القطع ، وفي التخدم زيادة تكلف . يقول : إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لانهشاً بالأسنان » .
(٢) القصر : جمع قصرة ، بالتحريك ، وهى أصل العنق ، وقرئ : (ترمى بشر كالقصر) .
(٣) هو رشيد بن رميض العنزي . انظر اللسان (حطم) . ورشيد هذا ممن أدرك الإسلام .
٢٠ انظر الإصابة ٢٧٣٣ .

(٤) هو عبد الله بن الزبير ، كان من أشعر قريش ، وكان شديداً على المسلمين ، ثم أسلم في الفتح سنة ثمان ، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول . الإصابة ٦٤٧٠ والمؤتلف ١٣٢ .
(٥) عرض القف ، بضم العين : وسطه ومعظمه - جزعته : قطعته . فيما عدل : « حتى لقيه » ، لكن في ه : « حين لقيه » .

وأنشد الأصمعي :

وكف فتى لم يعرف السِّلَحَ قَبْلَهَا تُجور يدها في الأديم وتجرُحُ

وأنشد الأصمعي :

لا يُمسيكُ العُرفُ إلَّا ريث يُرسلهُ ولا يُلاطمُ عند اللَّحمِ في السُّوقِ (١)

وقد فسّر ذلك لبيد بن ربيعة ، وبَيَّنَّه وضرب به المثل ، حيث قال في الحُكْمِ
بين عامر بن الطفيل ، وعَلَقَمَةَ بن عُلاثة (٢) :

يا هَرَمَ بنَ الأَكْرَمِينَ مَنصِبًا (٣) إنَّكَ قد أُوتيت حُكْمًا مُعْجِبًا

* فَطَبَّقَ المَفْصِلَ واغْنَمَ طَيِّبًا *

يقول : احكُم بين عامر بن الطفيل وعَلَقَمَةَ بن عُلاثة بكلمة فَصْل ، وبأمرٍ

قاطع ، فتفصِّل بها بين الحقِّ والباطل ، كما يفصل الجزائر الحاذق مَفْصِل العَظَمِينَ . ١٠

وقد قال الشاعر في هَرَم :

قَضَى هَرَمٌ يومَ المُرْتَبَةِ بينهم قضاءً امرئٍ بالأوَّلِيَّةِ عالمِ (٤)

قَضَى ثم وَلَّى الحكمَ مَنْ كان أهله وليس ذُنَابِي الرِّيشِ مِثْلَ القِوَادِمِ (٥)

ويقال في الفحل إذا لم يُحسِن الضُّراب : جمل عَيَايَاء ، وجمل طَبَاقَاء .

وقالت امرأة في الجاهلية تشكو زوجها « زوجي عَيَايَاء طَبَاقَاء ، وكل داءٍ له داءٌ » (٦) . ١٥

(١) ل : « إلَّا ريث يعثله » .

(٢) انظر لمنافرة عامر وعَلَقَمَةَ ، الأغاني (١٥ : ٥٠ - ٥٥) .

(٣) هَرَم هذا ، هو هَرَم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري ، أحد حكام العرب . وهو غير هَرَم
ابن سنان بن أبي حازمة المري ، ممدوح زهير . انظر الأغاني والاشتقاق ١٧٢ .

(٤) الأوَّلِيَّة : مفاخر الآباء . قال ذو الرمة :

وما فخر من ليست له أوَّلِيَّة تعد إذا عد القديم ولا ذكر

(٥) ذُنَابِي الرِّيش : ريشات أربع في جناحه بعد الخواقي . والخواقي : ريشات أربع بعد القوادِم .

(٦) ما عدا ه : « له دواء » تحريف . انظر اللسان (طبق ، عيسى ، دوا) . أى كل عيب

يكون في الرجال فهو فيه . وهذا الكلام من حديث أم زرع . انظر بلاغات النساء لابن طيفور ٧٩ -

حَتَّى جَعَلُوا ذَلِكَ مَثَلًا لِلْعَبِيِّ الْقَدَمِ ، وَالَّذِي لَا يَتَّجِهَ لِلْحِجَّةِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ (١) :

طِبَاقَاءُ لَمْ يَشْهَدْ خُصُومًا وَلَمْ يَقْدُ رِكَابًا إِلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تُعْكَفُ (٢)

٦٩

وَذَكَرَ زَهِيرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ الْخَطْلُ فَعَابَهُ فَقَالَ :

وَذَى خَطْلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يَلِمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ (٣)

عَبَّأَتْ لَهُ حِلْمًا وَأَكْرَمَتْ غَيْرَهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

وَقَالَ غَيْرُهُ (٤) :

شُمْسٌ إِذَا خَطَلَ الْحَدِيثَ أَوَّانِسٌ يَرْقُبْنَ كُلَّ مَجْدَرٍ تَنْبَالٍ

الشُّمْسُ ، مَاخُودٌ مِنَ الْخَيْلِ ، وَهِيَ الْخَيْلُ الْمَرْحَةُ الضَّارِبَةُ بِأَذْنَابِهَا مِنَ

التَّشَاطُ . وَالْمَجْدَرُ : الْقَصِيرُ . وَالتَّنْبَالُ : الْقَصِيرُ الدَّنِيءُ .

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْمَقْدَمِينَ فِي الْعِلْمِ ، وَاسْمُ أَبِي

الْأَسْوَدِ ظَالِمُ بْنُ عَمْرٍو :

وَشَاعِرٌ سَوَاءٌ يَهْضُبُ الْقَوْلَ ظَالِمًا كَمَا اقْتَمَّ أَعْشَى مُظْلِمُ اللَّيْلِ حَاطِبُ

يَهْضُبُ : يُكْثِرُ . وَالْأَهَاضِيبُ : الْمَطَرُ الْكَثِيرُ . اقْتَمَّ : افْتَعَلَ مِنْ

الْقِمَامَةِ . وَأَنْشَدَ :

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ مِنْ قَوْلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ أَعْلَمْ (٥)

* تَحْبِطُ الْأَعْمَى الضَّرِيرَ الْأَيْهَمَ (٦) *

(١) هُوَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ وَمَقَائِيسِ اللُّغَةِ (طَبَق) .

(٢) الْكُورُ ، بِالضَّمِّ : الرَّحْلُ بِأَدَاتِهِ . تَعْكَفُ : تَحْبِسُ .

(٣) مَا يَلِمُ بِهِ ، أَيْ مَا يَحْضُرُهُ . وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَطَابُقُ رِوَايَةِ الدِّيَوَانِ ١٣٩ . وَكُتِبَ فِي لِ فَوْقَ

٢٠ « يَلِمُ » : « يَهْمُ » ، وَلَعَلَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى رِوَايَةٍ ، وَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ ثَعْلَبٍ وَالشَّيْخِ تَمْرِي .

(٤) نَسَبَ فِي ص ٢٧٩ إِلَى الْأَخْطَلِ .

(٥) « قَوْلِي » كُتِبَ فَوْقَهَا فِي ل : « قَوْفِي » إِشَارَةٌ إِلَى رِوَايَةٍ أُخْرَى . وَالْقَوُوفُ : التَّبَعُ .

(٦) الْأَيْهَمُ : الْأَعْمَى ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا فَهْمَ . وَفِي هَامِشِ هـ : « فِي الْعَيْنِ : الْأَيْهَمُ

مِنَ الرِّجَالِ : الْأَصْمُ » .

وقال إبراهيم بن هرمة ^(١) ، في تطبيق المفصّل - وتلحق هذه المعاني بأخواتها قبل ^(٢) :

وَعَمِيْمَةٌ قَدْ سَقَتْ فِيهَا عَائِرًا غَفْلًا وَمِنْهَا عَائِرٌ مَوْسُومٌ ^(٣)
طَبَّقَتْ مَفْصِلَهَا بغير حديدَةٍ فرأى العلُو غَنَائِي حَيْثُ أَقُومُ ^(٤)

وهذه الصفات التي ذكرها ثمامة بن أشرس ، فوصف بها جعفر بن يحيى ^(٥) ، كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه ، واستولى عليها دون جميع أهل عصره. وما علمت أنه كان في زمانه قَرَوِيٌّ وَلَا بَلَدِيٌّ، كان بَلَعٌ من حُسْنِ الإِفْهَامِ مع قَلَّةِ عدد الحروف ، ولا من سُهولة المَخْرَجِ مع السلامة من التَكْلُفِ ، ما كان بَلَعَهُ . وكان لفظه في وزن إشارته ، ومعناه في طَبَقَةِ لَفْظِهِ ، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك .

قال بعضُ الكتاب : معاني ثمامة الظاهرة في ألفاظه ، الواضحة في مخارج كلامه ، كما وصف الخُرَمِيُّ شِعَرَ نفسه في مديح أبي دُلَفٍ ، حيث يقول :

لَهْ كَلِمٌ فِيكَ مَعْقُولَةٌ إِزَاءَ الْقُلُوبِ كَرَكِبٌ وَقُوفٍ ^(٦)

١٥ (١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الفهري ، كان من الشعراء المعاصرين لجريرو وكان الأصمعي يقول : « ختم الشعر بابن هرمة ، وحكم الخضرى ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العذرى » . وفى الأغاني (٤) : (١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومائة قصيدته التى يقول فيها :

إن العوائى قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة » . وقد ذكر ابن جنى فى المبهج ٥٥ اشتقاق اسمه من الهرم ، بالفتح ، وهو ضرب من النبت .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١٠٧ — ١٠٩ هـ : « وتلحق هذه بمعاني أخواتها قبل » .

(٣) عَمِيْمَةٌ ، أراد بها الخطبة الطويلة . والسهم العائر : الذى لا يدرى من رماه .

(٤) أراد أنه أصاب مفصل المعانى بكلامه الصائب ، فبهر بذلك الأعداء .

(٥) يشير إلى ما سبق فى ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(٦) روى البيت فى زهر الآداب (٤ : ٤٩) محرفا .

وأَوَّل هذه القصيدة قوله :

أَبَا دُلَيْفٌ دَلَفْتُ حَاجَتِي إِلَيْكَ وَمَا خِلْتُهَا بِالْذُلُوفِ ^(١)

وَيُظَنُّونَ أَنَّ الْخُرَيْمِيَّ إِنَّمَا احْتَذَى فِي هَذَا الْبَيْتِ عَلَى كَلَامِ أَيُّوبَ بْنِ الْقُرَيْبِ ^(٢) حِينَ قَالَ لَهُ بَعْضُ السَّلَاطِينِ ^(٣) : مَا أَعَدَدْتَ لِهَذَا الْمَوْقِفِ ؟ قَالَ : « ثَلَاثَةُ حُرُوفٍ ^(٤) كَأَنَّهُنَّ رُكْبٌ وَقُوفٌ : دُنْيَا ، وَآخِرَةٌ ، وَمَعْرُوفٌ ^(٥) » .

وَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ خَاقَانَ ، قَالَ : قَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ ^(٦) : « النَّاسُ مُوَكَّلُونَ بِتَفْضِيلِ جُودَةِ الْإِبْتِدَاءِ ، وَبِمَدْحِ صَاحِبِهِ ، وَأَنَا مُوَكَّلٌ بِتَفْضِيلِ جُودَةِ الْقَطْعِ ، وَبِمَدْحِ صَاحِبِهِ . وَحَظُّ جُودَةِ الْقَافِيَةِ وَإِنْ كَانَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، أَرْفَعُ مِنْ حَظِّ سَائِرِ الْبَيْتِ » . ثُمَّ قَالَ شَيْبُ : « فَإِنْ ابْتُلِيََتْ بِمَقَامٍ لَابُدَّ لَكَ فِيهِ مِنْ الْإِطَالَةِ ، فَقَدِّمُ إِحْكَامَ الْبُلُوغِ فِي طَلَبِ السَّلَامَةِ مِنَ الْخَطَلِ ، قَبْلَ التَّقَدُّمِ فِي إِحْكَامِ الْبُلُوغِ فِي شَرَفِ التَّجْوِيدِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْدِلَ بِالسَّلَامَةِ شَيْئاً ؛ فَإِنَّ قَلِيلاً كَافِياً خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرٍ شَافٍ » .

وَيَقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا خَطِيباً قَطَّ بَلَدِيّاً إِلَّا وَهُوَ فِي أَوَّلِ تَكَلُّفِهِ لَتِلْكَ الْمَقَامَاتِ كَانَ مُسْتَقْفِلاً مُسْتَصْلِفاً أَيَّامَ رِيَاضَتِهِ كُلِّهَا ، إِلَى أَنْ يَتَوَقَّعَ وَتَسْتَجِيبَ لَهُ الْمَعَانِي ،

(١) بدل هذا البيت في ل :

أَلَا مِنْ دَعَايَ وَمَنْ دَلَنِي عَلَى رَائِدِي وَرَسُولِي خُرُوفِي

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٠ — ٢١ .

(٣) هو الحجاج بن يوسف ، وكان قد أسره فيمن أسره من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث .

انظر زهر الآداب (٤ : ٤٩) وابن خلكان (١ : ٨٣) .

(٤) ل : « صروف » . وفي هامش ل : « الصرف : الحيلة » . والمراد بالحروف هنا الكلمات .

(٥) زاد في زهر الآداب : « فقال له الحجاج : يتسما منيت به نفسك يا ابن القرية . أتراني ممن

تخدعه بكلامك وخطبك ، والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نعلي هذا . قال : أقلني عنركي ، وأسغني ريقى ؛ فإنه لا بد للجواد من كبوة ، والسيف من نبوة ، والحليم من صبوة . قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو » .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٢٤ .

ويتمكّن من الألفاظ ، إلّا شبيب بن شيبه ؛ فإنه كان قد ابتدأ بحلاوة ورشاقة ، وسهولة وعذوبة ؛ فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره .

قالوا : ولما مات شبيب بن شيبه أتاهاهم صالح المرّي^(١) ، في بعض من أتاهاهم للتّعزية ، فقال : « رحمة الله على أديب الملوك ، وجليس الفقراء ، وأخى المساكين » .
وقال الرّاجز^(٢) :

إذا غَدَتْ سعدٌ على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مَطْلَعِ الشمسِ إلى مغيبها عَجِبْتُ مَنْ كَثَرَتْهَا وطيبها
حدثني صديق لي قال : قلت للعتّاي : ما البلاغة ؟ قال : كل مَنْ
أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فإن أردت
اللسان الذي يروق الألسنة^(٣) ، ويفوق كل خطيب ، فإظهار ما غمض من
الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق . قال : فقلت له : قد عرفت الإعادة
والحُبسة ، فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه :
يا هتاه ، ويا هذا ، وياهيّه ، واسمّع مني واستمع لي ، وافهم عني ، أولست
تفهم ، أولست تعقل . فهذا كله وما أشبهه عي وفساد .

(١) هو صالح بن بشير بن وادع المرّي ، أبو بشر البصري ، القاضي الزاهد ، أحد رواة الحديث العباد البلغاء ، كان مملوكا لامرأة من بني مرة بن الحارث فأعتقته . توفي سنة ١٧٢ أو ١٧٦ . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ٢٦٥) .

(٢) هو أبو نخيلة الراجز ، كما في الحيوان (٥ : ٥٩٢) والأغانى (١٨ : ١٣٩) . ويروي أبو الفرج من سبب الرجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته ، فسأله إياها فوعده فمطله ، فقال فيه :
يا قوم لا تسودوا شيبا الخائن ابن الخائن الكذوبا
هل تلد الذبى إلا الذبى

قال : فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فمدحه بهذا الرجز .

(٣) راق عليه : زاد عليه فضلا . وقد عداه هنا بغير الحرف . وأنشد في اللسان :

راقت على البيض الحسا ن بحسنا وبهاثها

قال عبد الكريم بن رَوْح الغَفَارِيُّ ، حدثني عُمَرُ الشَّمَّرِيُّ ، قال : قيل لعمر بن عُبيد ^(١) : ما البلاغة ؟ قال : ما بَلَغَ بك الجَنَّةَ ، وعدَلْ بك عن النَّارِ ، وما بَصَّرَكَ مواقعَ رُشْدِكَ وعواقبَ غَيِّكَ . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : مَنْ لم يُحَسِّنْ أَنْ يَسْكُتَ لم يُحَسِّنْ أَنْ يَسْتَمِعَ ، وَمَنْ لم يَحْسِنِ الاستماعَ لم يَحْسِنِ القولَ . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي ﷺ : « إِنَّا مَعْشَرُ الْأَنْبِيَاءِ بِكَاءٌ » أى قليلو الكلام . ومنه قيل رجل بَكِيٌّ . وكانوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ . قال : قال السائل : ليس هذا أريد . قال : كانوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ القولِ ، ومن سَقَطَاتِ الكلامِ ، ما لا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ السكوتِ ومن سَقَطَاتِ الصمتِ . قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنَّكَ إِنَّمَا تريد تَخْيِيرَ اللَّفْظِ ^(٢) ، فى حَسَنِ الْإِفْهَامِ ، قال : نعم . قال : إِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ فى عَقُولِ الْمُكَلِّفِينَ ^(٣) ، وتَخْفِيفَ الْمُؤَوَّنَةِ عَلَى الْمُسْتَمْعِينَ ، وتَزْيِينَ تِلْكَ الْمَعَانِي فى قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فى الْآذَانِ ، الْمُقْبُولَةِ عِنْدَ الْأَذْهَانِ ، رَغْبَةً فى سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَتَفْهِي الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فَصْلَ الْخِطَابِ ، وَاسْتَوْجِبْتَ ^(٤) عَلَى اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ . قلت لعبد الكريم : مَنْ هذا الذى صَبَرَ لَهُ عَمْرٌ هَذَا الصَّبْرُ ؟ قال : قد سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ أَبَا حَفْصٍ فَقَالَ : وَمَنْ كَانَ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْجُرْأَةُ إِلَّا حَفْصُ بْنُ سَالِمٍ .

قال عُمَرُ الشَّمَّرِيُّ : كان عمرو بن عُبيد لا يكاد يتكلم ، فإذا تكلم لم يكذ ٧٢

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٣ . وانظر كلام عمرو بن عبيد هذا فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٠) .

(٢) فيما عدل ، هـ : « تخير اللفظ » .

(٣) فى الأصول : « المتكلمين » ، صوابه من عيون الأخبار (٢ : ١٧١) .

(٤) وكذا فى عيون الأخبار : « واستوجب » . وفى ل : « واستحققت » .

يُطِيل . وكان يقول : لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه . وإذا طال الكلام عرّضت للمتكلم أسباب التكلف ، ولا خير في شيء يأتيك به التكلف .

وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتنبناه ودوّناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك .

وكان مويّس بن عمران ^(١) يقول : لم أر أنطق من أيوب بن جعفر ، ويحيى بن خالد .

وكان ثمامة يقول : لم أر أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد .

وكان سهل بن هارون يقول : لم أر أنطق من المأمون أمير المؤمنين .

وقال ثمامة : سمعت جعفر بن يحيى يقول لكُتّابه : « إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا » .

وسمعت أبا العتاهية يقول : « لو شئت أن يكون حديثي كله شعراً موزوناً لكان » .

وقال إسحاق بن حسان بن قوهي ^(٢) : لم يفسّر البلاغة تفسيرا ابن المقفع

أحد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوده كثيرة .

(١) مويّس بن عمران : معاصر للجاحظ ، كان من بخلاء الناس ، ومن أصحاب النظام . سئل عنه أبو شعيب القلال فرغم أنه لم ير قط أشج منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلّك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، وبهية نبيّة من لا يريد أن يمس . انظر البخلاء ٥٨ . وفي القاموس « ومويّس ، كأويس ، ابن عمران : متكلم » . وانظر الحيوان (٥ : ٤٦٨) .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الخريزي ، قال الخطيب في تاريخ بغداد ٣٣٦٩ : وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلاً بخريم بن عامر المري وآله ، فنسب إليه . وقيل : كان اتصاله بثمان بن خريم .. وأبوه خريم الموصوف بالناعم . ثم قال : وله مدائح في محمد بن منصور بن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما . وما سيرويه الجاحظ من كلام ابن المقفع ، أورده العسكري في الصناعتين ١٤ وفسره تفسيراً .

فمنها ما يكون في السُّكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سَجْعاً وخطباً ، ومنها ما يكون رسائل . فعمامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها ، والإشارة إلى المعنى ^(١) ، والإيجاز ، هو البلاغة . فأما الخطب بين السَّمَّاطِينَ ، وفي إصلاح ذات البين ، فالإكثار في غير حَظَل ، والإطالة في غير إملال . وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أنَّ خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمِعتَ صدره عَرَفْتَ قافيته كأنه يقول : فَرَّقَ بَيْنَ صدر خطبة النكاح وبين صَدْرِ خُطْبَةِ العيد ، وخطبة الصُّلح وخطبة التَّوَاهُبِ ^(٢) ، حتَّى يكون لكلِّ فَنٍّ من ذلك صدرٌ يدلُّ على عَجْزِهِ ؛ فَإِنَّهُ لا خَيْرَ في كلام لا يدلُّ على معنائه ، ولا يشير إلى مَعْرَاكَ ، وإلى العمود الذي إليه قصدت ، والغرض الذي إليه نَزَعْتَ . قال : فقل له : فَإِنْ مَلَّ السَّمَاعُ الإِطَالََةَ الَّتِي ذَكَرْتَ أَنَّهَا حَقُّ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ ؟ قال : إِذَا أُعْظِيَتْ كُلُّ مَقَامٍ حَقَّهُ ، وَقُمْتَ بِالَّذِي يَجِبُ ٧٣ من سياسة ذلك المقام ، وأَرْضِيَتْ من يعرف حقوقَ الكلام ، فلا تهتمُّ لما فَاتَكَ من رضا الحاسد والعدوِّ ؛ فَإِنَّهُ لا يرضيهما شيءٌ . وأما الجاهلُ فَلَسْتَ منه وليس منك . ورضاً بجميع الناس شيءٌ لا تناله . وقد كان يُقال : « رضا الناس شيءٌ لا يُنال » .

قال : والسُّنَّةُ في خطبة النكاح أن يطيل الخاطبُ ويقصُر المُجيبُ . أَلَا تَرَى أَنَّ قَيْسَ بْنَ خَارِجَةَ بْنَ سِنَانٍ ^(٣) ، لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخرَةً راحِلَتَيْ الحَامِلَيْنِ في شَأْنِ حَمَالَةِ داحس والغبراء ^(٤) ، وقال : مَالِي فِيهَا أُيُّهَا ٢٠

(١) في الصناعتين : « والإشارة إلى المعنى أبلغ » .

(٢) فيما عدل : « المواهب » .

(٣) ضرب الجاحظ في الحيوان (٦ : ١٦١) بخطبة سنان المثل في الطول .

(٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم . وانظر لحرب داحس والغبراء =

العشمتان ^(١) ؟ قالوا له : بل ما عندك ؟ قال : عندي قري كل نازل ، ورضا كل ساخط ، وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب ، أمر فيها بالتواصل وأنهى فيها عن التقاطع . قالوا : فخطب يوماً إلى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى ، فقل لأبي يعقوب ^(٢) : هلاً اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي عن التقاطع ؟ أو ليس الأمر بالصلة هو النهي عن القطيعة ؟ قال : أو ما علمت .
 أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف ^(٣) .

قال : وسئل ابن المقفع عن قول عمر رحمه الله : « ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح » ^(٤) . قال : ما أعرفه إلا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه ، ونظر الجداق من قرب في أجواف الجداق . ولأنه إذا كان جالساً معهم كانوا كأنهم نظراء وأكفاء ، فإذا علا الجنب صاروا سوقاً ورعية .

وقد ذهب ذاهبون إلى أن تأويل قول عمر يرجع إلى أن الخطيب لا يجد بداً من تركية الخاطب ، فلعله كره أن يمدحه بما ليس فيه ، فيكون قد قال زوراً وغر القوم من صاحبه . ولعمري إن هذا التأويل ليجوز إذا كان الخطيب موقوفاً على الخطابة . فأما عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، وأشباهه من الأئمة الراشدين ، فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك إلا فيمن يستحق المدح .

= الأغاني (٧ : ١٤٣) والعقد (٣ : ٣١٣) ، وكامل ابن الأثير (١ : ٣٤٣) ، وأمثال الميداني (١ : ٣٥٩ / ٢ : ٥١) .

(١) العشمة ، بالتحريك : الشيخ الهرم الذي تقارب خطوه وانحنى ظهره .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهي ، الذي سبقت ترجمته في ص ١١٥ .

(٣) فيما عدل : « والكشف » .

(٤) تصعده الأمر تصعداً : شق عليه ، كتصاعده به . وانظر ص ١٣٤ .

وروى أبو مِخْنَفٍ ^(١) ، عن الحارث الأعور ^(٢) ، قال : « والله لقد رأيتُ عليّاً وإنه ليخطبُ قاعداً كقائم ، ومحارباً كمُسلم » . يريد بقوله : قاعداً ، خطبة النكاح .

وقال الهيثمُ بن عديّ : لم تكن الخطباءُ تخطبُ قعوداً إلا في حُطْبَةِ النكاح . ٧٤

* * *

وكانوا يستحسنون أن يكون في الحُطْبِ يومَ الحُفْل ، وفي الكلام يومَ الجُمُع آى من القرآن ؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار ، والرقة ، وسَلَسَ الموقع ^(٣) .

قال الهيثم بن عديّ : قال عمران بن حِطّان : إنّ أوّل خطبةٍ خطبتها ، عند زياد - أو عند ابن زياد ^(٤) - فأعجب بها الناس ، وشهدها عُمى وأبى . ثم إننى مررتُ ببعض المجالس ، فسمعتُ رجلاً يقولُ لبعضهم : هذا الفتى أخطبُ العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن .

وأكثرُ الخطباء لا يتمثلون في خطبتهم الطوال بشيء من الشعر ولا يكرهونه في الرسائل ، إلا أن تكون إلى الخلفاء .

وسمعتُ مؤملاً بن خاقان ، وذكر في خطبته تميم بن مُرّ ، فقال : « إنّ

(١) هو أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي . شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصنع بن زهير ، وجابر الجعفي ، ومجالد . روى عنه المدائني ، وعبد الرحمن ابن مفرّاء . ومات قبل السبعين ومائة . انتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان وابن النديم ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) كان الحارث الأعور من رجال علي في حرب صفين ، وكان جهر الصوت . انظر وقعة صفين ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) فيما عدل : « وحسن الموقع » .

(٤) فيما عدل : « أو قال عند ابن زياد » .

تيمماً لها الشرفُ العودُ^(١) ، والعزُّ الأفعس ، والعدد الهیضَل^(٢) . وهي في الجاهلية القدام ، والذروة والسنام . وقد قال الشاعر :

- فقلتُ له وأنكرَ بعضُ شأني ألم تعرفِ رقابَ بنى تميم
وكان المؤملُ وأهله يخالفونُ جمهورَ بنى سعدٍ في المقالة ، فليشدَّ تحذُّبه
على سعدٍ وشفقته عليهم ، كان يناضل عند السلطان كلَّ من سعى
على أهلِ مقاتلهم ، وإن كان قوله خلافَ قولهم ؛ حذَّباً عليهم .
وكان صالح المُرِّي ، القاصُّ العابد ، البليغ ، كثيراً ما ينشد في قصصه
وفي مواعظه ، هذا البيت :

- فباتَ يُروى أصولُ الفسيلِ فعاشَ الفسيلُ وماتَ الرَّجُلُ^(٣)
وأنشد الحسنُ في مجلسه ، وفي قصصه وفي مواعظه :
ليس من ماتَ فاستراحَ بميتٍ إنما الميت ميت الأحياء^(٤)
وأنشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي ، الخطيب
القاصُّ السَّجَّاع ، إمَّا في قصصه ، وإمَّا في خطبته من خطبته ، رحمه الله :
أرضٌ تخيَّرها لطيبٍ مَقِيلِها كعبُ بن مامةَ وابنُ أمِّ دُوادٍ^(٥)
جَرَّتِ الرِّياحُ علَى محلِّ ديارِهِم فكأَنَّهُم كانوا على ميعادٍ
فأَرَى النِّعيمَ وكلَّ ما يُلهي به يوماً يصيرُ إلى بلى ونفادٍ^(٦)

(١) في هامش هـ : « ح : العد » . والشرف العود ، بفتح العين : القديم . قال الطرماح :

هل المجد إلا السودد العود والندى ورأب الثأى والصبر عند المواطن

(٢) العز الأفعس : الثابت المنيع . والعدد الهیضَل : الكثير .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٨) .

(٤) البيت لعدي بن الرعاء الغساني ، كما في الخزانة (٤ : ١٨٧) وحماسة ابن الشجري . ٥١

وانظر الحيوان (٦ : ٥٠٨) .

(٥) الأبيات للأسود بن يعفر من قصيدة في المفضليات (٢ : ١٦ - ٢٠) . والثاني والأخير

منها ليس في ل .

(٦) الرواية المعروفة كما في المفضليات : « فإذا النعيم » .

وقال أبو الحسن : خطب عبيد الله بن الحسن ^(١) على منبر البصرة في ٧٥ العيد وأنشد في خطبته :

أين الملوك التي عن حَظْها غَفَلْتُ حَتَّى سَقَاها بِكَأْسِ المَوْتِ ساقِها
تلك المدائنُ بالآفاقِ خاليةٌ أُمستِ خِلاءً وذاقَ المَوْتِ بائِها

٥ قال : وكان مالك بن دينار ^(٢) يقول في قَصَصه : « ما أَشدَّ فِطام الكبير » . وهو كما قال القائل :

وَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بعدما هَرِمْتَ ومن العَناءِ رياضةُ الهَرَمِ ^(٣)

ومثله أيضاً قول صالح بن عبد القدوس :

والشيخُ لا يتركُ أخلاقَه حَتَّى يُوارى في ثَرى رَمْسِه ^(٤)
إذا ارعوى عادَ إلى جَهله كذى الضَّئى عادَ إلى نُكْسِه ١٠

وقال كلثوم بن عمرو العتاني :

وكنْتَ امرأً لو شَفَتْ أن تَبْلُغَ المدى بَلَّغْتَ بأدنى نعمةٍ تستديمُها
ولكن فِطامُ النَّفسِ أثْقَلُ مَحْمَلاً من الصَّخرةِ الصَّماءِ حين تَرومُها

* * *

١٥ وكانوا يمدحون الجهير الصوت ، ويدُمون الضَّئيلَ الصوت ؛ ولذلك تشادقوا

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر العنبري البصري ، كان من قضاة البصرة وفقهاها العالمين بالحديث . توفى بالبصرة سنة ١٦٨ . وتهذيب التهذيب والسمعاني ٤٠٠ . وسيأتي في قول الجاحظ ص ٢٩٤ : « وولى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء : بلال بن أبي بردة ، وسوار ، وعبيد الله ، وأحمد بن أبي رياح » . فيما عدل ، هـ : « عبد الله بن الحسن » تحريف
(٢) هو أبو يحيى مالك بن دينار ، كان مولى لأمراة من بنى سامة بن لؤى ، وكان من كبار الزهاد الوعاظ ، وكان يكتب المصاحف . روى عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين كالحسن وابن سيرين . وتوفى نحو سنة ١٣٠ . انظر تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٩٧ — ٢٠٩) حيث روى ابن الجوزي كثيراً من أقواله .

(٣) انظر الحيوان (١ : ٤١ / ١٠٢٣) .

(٤) انظر الحيوان (٣ : ١٠٢) . ٢٥

في الكلام ، ومدحوا سعة الفم ، وذموا صغر الفم .

قال : وحديثي محمد بن يسير الشاعر قال : قيل لأعرابي :
ما الجمال ؟ قال : طول القامة وضحك الهامة ، ورحب الشدق ، وبعد الصوت .

وسأل جعفر بن سليمان أبا المخش عن ابنه المخش ، وكان جزع
عليه جزعاً شديداً ، فقال : صيف لي المخش . فقال : كان أشدق
خرطمانيتا ^(١) ، سائلاً لعابه ، كأنما ينظر من قَلَتَيْن ^(٢) ، وكأنَّ تَرْقُوتَهُ بُوَانٌ
أو خالِفةً ^(٣) ، وكأنَّ مِنْكِبِهِ كِرْكِرَةٌ جَمِلٌ ثَقَالٍ ^(٤) . فقأ الله عينيَّ إن كنتُ
رأيتُ قبله أو بعده مثله ^(٥) .

قال : وقلتُ لأعرابيٌّ : ما الجمال ؟ قال : « غُور العينين ، وإشراف

الحاجبين ، ورحب الشدقين » .

وقال دَعْفَل بن حنظلة النسابة ، والخطيب العلامة ، حين سَأَلَهُ معاوية
عن قبائل قريش ، فلما انتهى إلى بني مخزوم قال : « مِعْزَى مَطِيرَةٍ ^(٦) ، عَلَّتْهَا
قُشْعَرِيَّةٌ ، إلا بني المغيرة ، فإن فيهم تشادقُ الكلام ، ومصاهرة الكرام ^(٧) » .

وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الأشدق :

تشادقُ حتى مال بالقول شِدْقُهُ وكلُّ خطيبٍ لا أبالكِ أشدقُ
وأنشد أبو عبيدة :

(١) الخرطمانى ، بضم الخاء والطاء : الكبير الأنف .

(٢) القلت ، بالفتح : النقرة في الجبل تمسك الماء .

(٣) الترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر . والبوان بالضم والكسر : عمود في الحباء في مقدمه .

(٤) الخالفة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره .

(٥) الكركرة : صدر كل ذى خف . والنفال ، كسحاب : البطيء .

(٦) الخير في الكامل ١٣٦ ليسك وأمالى ثعلب ٦١٦ . وسيعيده الجاحظ في (٢ : ٢٧١) .

(٧) المعزى تؤنث وتذكر ، ففيها التنوين وعدمه . مطيرة : قد أصابها المطر .

(٨) الخير في الحيوان (٦ : ٤٦٠) .

وضلع الرؤوس عظام البطون رحاب الشداق غلاظ القصر^(١)
 قال : وتكلّم يوماً عند معاوية الخطباء فأحسنوا ، فقال : والله لأرminهم
 بالخطيب الأشدق ! قم يا يزيد فتكلّم .
 وهذا القول وغيره من الأخبار والأشعار ، حُجّة لمن زعم أنّ عمرو بن
 سعيد لم يُسمّ الأشدق للفقم ولا للفوه .

وقال يحيى بن نوفل ، في خالد بن عبد الله القسري^(٢) :
 بلّ السروايل من خوفٍ ومن وهلٍ واستطعم الماء لما جدّ في الهربِ
 وألحن الناس كلّ الناس قاطبةً وكان يُولّع بالتشديق في الخطبِ
 ويدلّك على تفضيلهم سعة الأشداق ، وهجائهم ضيق الأفواه ، قول الشاعر :
 لحى الله أفواه الدّبي من قبيلةٍ إذا ذكرت في الثّائبات أمورُها
 وقال آخر :

وأفواه الدّبي حاموا قليلاً وليس أخو الحماية كالضّجورِ
 وإنّما شبّه أفواههم بأفواه الدّبي ، لصغر أفواههم وضيقها .

وعلى ذلك المعنى هجا عبدة بن الطيب^(٣) حنّ بن هرّال وابنيه ، فقال :
 تدعو بُنيك عبّاداً وجديمةً فافأرة شجّها في الجحرِ محفّار^(٤)

(١) القصر ، بالتحريك : أصول الأعناق ، واحدها قصره . هـ : « طوال القصر » .
 (٢) كان خالد القسري قد خرج عليه المغيرة بن سعيد العجلي صاحب المغيرة ، ففزع
 لذلك . ويروى الجاحظ في الحيوان (٢ : ٢٦٧ / ٦ : ٢٩٠) أنه اضطرب وقال : « أطعموني ماء »
 لشدة ذهوله . وانظر ما سيأتى في (٢ : ٢١٦) .

(٣) عبدة ، بسكون الباء ، وهو عبدة بن الطيب - واسم الطيب يزيد - بن عمرو بن ولة بن
 أنس بن عبد الله بن عبد نهم بن جشم بن عبد شمس . شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع المشي
 ابن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان في جيش النعمان بن مقرن الذي حارب الفرس بالمداثن .

(٤) انظر هذا البيت في أبيات رواها في الحيوان (٥ : ٢٦٣ - ٢٦٤) : شجها ، أى شج
 الفأرة : كسر رأسها . والمحفار والمحفر والمحفرة : المسحاة ونحوها مما يحتفر به .

وقد كان العباس بن عبد المطلب [جهيراً ^(١)] جهير الصوت . وقد مُدح بذلك ؛ وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حُنين ، حين ذهب الناس عن رسول الله ﷺ ، فنادى العباسُ : يا أصحاب سورة البقرة ^(٢) ، هذا رسول الله . فتراجع القوم . وأنزل الله عز وجل النَّصْر ^(٣) وأتى بالفتح .

ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : كان قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، يمْكُو حَوْلَ البيت ، فيسمع ذلك من حِراء . قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ ، فالتصدية : التصفيق . والمُكاء : الصَّفير أو شبيه بالصَّفير . ولذلك قال عنترة :
وَحَلِيلُ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ

وقال العجيز السلولي ^(٥) في شدة الصوت :

وَمِنْهُمْ قَرَعِي كُلَّ بَابٍ كَأَتَمَّا بِهِ الْقَوْمُ يَرْجُونَ الْأَذِينَ نُسُورُ ^(٦)
فَجِئْتُ وَخَصَمِي يَصْضُونَ نُيُوبَهُمْ كَمَا قُصِبَتْ بَيْنَ الشَّفَارِ جُزُورُ ^(٧)
لَدَى كُلِّ مَوْثُوقٍ بِهِ عِنْدَ مِثْلِهَا لَهُ قَدَمٌ فِي التَّاطِقِينَ خَطِيرُ
جَهِيرٌ وَمَمْتَدُّ الْعِنَانِ مُنَاقِلٌ بَصِيرٌ بَعُورَاتِ الْكَلَامِ خَبِيرُ ^(٨)

١٥ (١) الجهير : ذو المنظر والهيئة الحسنة : وهذه التكملة مما عدل ل .
(٢) كذا . والمعروف « يا أصحاب السمرة » . والسمرة هي الشجرة التي تمت عندها بيعة الرضوان . انظر (غزوة حنين) في كتب التاريخ والسياسة .
(٣) فيما عدل ل ، ه : « النصرة » .
(٤) قيس بن مخرمة : أحد الصحابة . وكان من المؤلفة قلوبهم . ولد عام الفيل عام ولد الرسول الكريم . الإصابة ٧٢٢٩ .

٢٠ (٥) العجيز ، ويقال أيضاً « العجيز » بفتح العين : شاعر من شعراء الدولة الأموية مقل . وقد عدّه ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . انظر الخزانة (٢ : ٢٩٨) والأغاني (١١ : ١٤٦ - ١٥٤) .
(٦) الأذنين والأذن : الحاجب صاحب الإذن . وانظر الآيات في الحيوان (٤ : ٢٩١) ، وأمثال تلعب والأغاني (١١ : ١٤٦ - ١٥٤) .

(٧) الخصم يقال للواحد والجمع . صرف نابه : حرفه فسمع له صوتا . قصبت : قطعت .
٢٥ (٨) المناقلة : تبادل الحديث .

فَظَلَّ رِدَاءُ الْعَصْبِ مُلْقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرْسٍ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرٌ ^(١)
لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَاقَنَا لَرُخْنَ وَفِي أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورٌ ^(٢)
الصَّلَقُ : شدة الصوت . وفُطُورٌ : شقوق .

وقال مُهْلَهْلٌ :

٥ ولولا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلَ حَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقَرِّعُ بِالذُّكُورِ ^(٣)
والصَّرِيفُ : صوت احتكاك الأنياب ، والصليل: صوت الحديد هاهنا. وفي
شِدَّةِ الصَّوْتِ قال الأعشى ^(٤) في وصف الخطيب بذلك :
فيهم الخِصْبُ والسَّمَاحَةُ والنَّجْدُ مَدَّةُ جَمْعاً وَالْحَاطِبُ الصَّلَاقُ ^(٥)

وقال بشار بن برد في ذلك يهجو بعض الخطباء :
٧٨ ١٠ وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنْ قَمَتَ نَاطِقاً وَأَنْتَ ضَيْلُ الصَّوْتِ مُتَفَنِّحُ السَّخْرِ

ووقع بين فتى من النَّصَارَى وبين ابن فِهْرِيْزِ المِطْرَانِ كلامٌ ، فقال له الفتى :
ما ينبغي أن يكون في الأرض رجلٌ واحدٌ أَجْهَلُ منك ! وكان ابنُ فِهْرِيْزِ ^(٦) في نفسه
أَكْثَرَ النَّاسِ عِلْماً وأدباً ، وكان حريصاً على الجَلْتَلَقَةِ . فقال للفتى : وكيف

(١) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . والصل : الجلدة التي يكون فيها الولد . وفي البيت إقواء .

(٢) الأعراض : الجوانب والنواحي .

١٥

(٣) حجر ، بالفتح : قصبه الجمامة . والبيض بالكسر : السيوف ، جمع أبيض . وبالفتح جمع بيضة الحديد التي تقى الرأس . وانظر نقد الشعر لقدامة ٨٤ والموشح ٧٤ ومعجم المربزاني ٣٣١ والحيوان (٦ : ٤١٨) والعمدة (٢ : ٥٠) والأغانى (٤ : ١٤٦) . فيما عدا ، هـ : « أهل نجد » وقد أشير إلى هذه الرواية في هامش ل .
(٤) فيما عدا ل : « يقول الأعشى » .

(٥) الصلاق : الشديد الصوت . ويروى : « المصلاق » و « السلاق » و « المسلاق » . انظر

٢٠

اللسان (سلق ، صلق) وديوان الأعشى ١٤٤ .

(٦) ابن فِهْرِيْزِ ، أو ابن بهريز ، اسمه عبد يشوع ، كان مِطْرَانِ حران ثم صار مطران الموصل ، وله رسائل وكتب ذهب فيها إلى إبطال وحدة القنوم التي يقول بها يعقوبية والملكية ، وكانت له حكمة قريبة من حكمة الإسلام . وقد نقل من كتب المنطق والفلسفة شيئاً كثيراً . انظر ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٣٢٩ ليسلك والحيوان (١ : ٧٦) مع الاستدراكات الملحقه بالجزء السابع منه .

٢٥

حَلَلْتُ عِنْدَكَ هَذَا الْحَلَّ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّا لَا نَتَّخِذُ الْجَائِلِيَّ (١) إِلَّا مَدِيدَ الْقَامَةِ ، وَأَنْتَ قَصِيرُ الْقَامَةِ ؛ وَلَا نَتَّخِذُهُ إِلَّا جَهِيرَ الصَّوْتِ جَيِّدَ الْحَلْقِ ، وَأَنْتَ دَقِيقُ الصَّوْتِ رَدِيءُ الْحَلْقِ (٢) ؛ وَلَا نَتَّخِذُهُ إِلَّا وَهُوَ وَافِرُ اللَّحْيَةِ عَظِيمُهَا وَأَنْتَ خَفِيفُ اللَّحْيَةِ صَغِيرُهَا ؛ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّا لَا نَخْتَارُ لِلجَّثَلَةِ إِلَّا رَجُلًا زَاهِدًا فِي الرِّيَاسَةِ ، وَأَنْتَ أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْهَا كَلْبًا ، وَأَظْهَرُهُمْ لَهَا طَلْبًا . فَكَيْفَ لَا تَكُونُ أَجْهَلُ النَّاسِ وَخِصَالُكَ هَذِهِ كُلُّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْجَثَلَةِ ، وَأَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ فِي طَلِبِهَا بِأَلِّكَ ، وَأَسْهَرْتَ فِيهَا لَيْلَكَ .

وقال أبو الحَجَنَاء (٣) فِي شِدَّةِ الصَّوْتِ :

إِنِّي إِذَا مَازَيْتُ الْأَشْدَاقَ (٤) وَالتَّجَّ حَوْلِي التَّفْعُ وَاللَّقْلَاقُ (٥)

١٠ * ثَبَّتُ الْجَنَانِ مِرْجَمٌ وَدَاقُ *

المِرْجَمُ : الْحَاقِظُ بِالْمَرَاجِمَةِ (٦) بِالْحِجَارَةِ . وَالْوَدَاقُ : الَّذِي يُسِيلُ الْحِجَارَةَ كَالْوَدْقِ مِنَ الْمَطَرِ .

وجاء فِي الْحَدِيثِ : « مَنْ وَقَى شَرَّ لَقْلِقِهِ وَقَبْقَبِهِ وَذَبَذَبَهُ وَقَى الشَّرَّ » .
يعْنِي لِسَانَهُ وَبَطْنَهُ وَفَرْجَهُ .

١٥ وقال عمر بن الخطاب فِي بَوَاكِي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ [بن المغيرة (٧)] : « وَمَا عَلَيْهِنَّ »

(١) فِي هَامِشِ هـ : « الْجَائِلِيُّ عِنْدَهُمُ : الْقَسِيسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا يَقْطَعُ الْأَمْرَ دُونَهُ وَالْمَطْرَانُ دُونَ ذَلِكَ » .

(٢) فِي النِّسْخِ : « الْحَلْقُ » بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، تَصْحِيفٌ . وَفِي الْحَيَوَانِ (٣ : ٤٣٥) :

« وَفِي السِّنْدِ حُلُوقٌ جَيَادٌ » . وَفِي رِسَائِلِ الْحَاقِظِ ١١٨ : « وَمِنْ مَفَاخِرِ الزَّرْنَجِ حَسَنُ الْحَلْقِ وَجُودَةُ الصَّوْتِ » .

(٣) أَبُو الْحَجَنَاءُ ، هُوَ نَصِيبُ الْأَصْفَرِ ، مَوْلَى الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَتْ لَهُ بِنْتُ تَسْمَى « حَجَنَاءُ » .

٢٠ وَهُوَ الْقَائِلُ فِي الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شِعْرَاءَ

الْأَغَانِي (٢٠ : ٢٥ — ٣٤) .

(٤) زَيْبُ الْأَشْدَاقِ : ظَهَرَ عَلَيْهَا الزَّيْدُ . وَالرَّجَزُ فِي اللِّسَانِ (زَيْبٌ ، لَفَقٌ) .

(٥) اللَّقْلَاقُ وَاللَّقْلَقَةُ : الصَّوْتُ وَالْجَلْبَةُ .

٢٥ (٦) ل : « بِالْمُؤَاجَهَةِ » صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النِّسْخِ .

(٧) هَذَا مِمَّا عَدَلَ ل .

- أن يُرَقَن مِنْ دُمُوعِهِنَّ عَلَى أَى سُلَيْمَانَ مَا لَمْ يَكُنْ تُقَعُّ أَوْ لَقْلَقَةً ^(١) .
- وجاء في الأثر : « ليس منا مَنْ حَلَقَ أَوْ صَلَقَ ، أَوْ سَلَقَ ، أَوْ شَقَّ ^(٢) » .
- ومما مَدَحَ به العُمَانِيُّ هَارُونَ الرَّشِيدَ ، بالقصيد دون الرجز ، قوله :
- جَهِيرُ الْعُطَاسِ شَدِيدُ النَّيَاطِ جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّعَمِ
وَيَخْطُو عَلَى الْأَيْنِ خَطْوُ الظَّلِيمِ وَيَعْلُو الرِّجَالُ بِجِسْمِ عَمَمِ
- النَّيَاطُ : معاليق القلب . وَالْأَيْنُ : الإعياء . وَالظَّلِيمُ : ذكر النعام . ٧٩
- ويقال إنه لَعَمَمَ الجسم ، وإن جَسَمَهُ لَعَمَمٌ ، إذا كان تَامًا . ومنه قيل نبت عَمَم .
واعْتَمَّ النَّبْتُ ، إذا تَمَّ .
- وكان الرَّشِيدُ إذا طَافَ بالبيت جَعَلَ لِإِزَارِهِ ذَنْبَيْنِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، ثُمَّ
طَافَ بِأَوْسَعِ مِنْ خَطْوِ الظَّلِيمِ ، وَأَسْرَعَ مِنْ رَجْعِ يَدِ الذَّنْبِ . ١٠
- وقد أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ السُّنْدِيِّ بِمَحْصُولِ ذَرْعِ ذَلِكَ الْخَطْوِ ، إِلَّا أَنِي
أَحْسِبُهُ فَرَاخًا فِيمَا رَأَيْتُهُ يَذْهَبُ إِلَيْهِ .
- وقال إِبْرَاهِيمُ : وَنَظَرَ إِلَيْهِ أَعْرَافِي فِي تِلْكَ الْحَالِ [وَهَيْئَةُ ^(٣)] فَقَالَ :
- * خَطْوُ الظَّلِيمِ رِيعٌ مُنْسَى فَانْشَمَرَ *
- رِيعٌ : قُزْعٌ . مُنْسَى : حِينَ الْمَسَاءِ . انْشَمَرَ : جَدَّ فِي الْهَرَبِ . ١٥
- وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ السُّنْدِيِّ قَالَ : لَمَّا أَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ وَفْدَ الرُّومِ
وَهُوَ فِي بِلَادِهِمْ ^(٤) ، أَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ رِجَالًا فِي السَّمَاطِينَ لَهُمْ قَصَرٌ وَهَامٌ ، وَمَنَاكِبُ
وَأَجْسَامُ ، وَشَوَارِبُ وَشَعُورُ ، فَبَيْنَاهُمْ قِيَامٌ يَكْلُمُونَهُ وَمِنْهُمْ رَجُلٌ وَجْهُهُ فِي قَفَا
-
- (١) فسر « النقع » في اللسان (١٠ : ٢٤١) بأنه رفع الصوت ، أو أصوات الحدود إذا ضربت ؛
أو وضعهن النقع ، وهو الغبار ، على رءوسهن ؛ أو شق الجيوب . وفي حواشي هـ : « ليس في الحديث
أو سلق بالسين ، وإنما جاء به ليعلم أنهما لفتان بمعنى »
- (٢) الصلق : الصياح والولولة . والسلق مثله ، أو تخمش الوجوه عند المصيبة .
- (٣) هذه مما عدا ل .
- (٤) فيما عدا ل : « في البلاد » .

البطريق إذ عَطَسَ عَطَسَةً ضَعِيلةً ، فلحظه عبدُ الملك ، فلم يدر أى شئ أنكرَ منه ، فلما مضى الوفدُ قال له : ويلك ، هَلَا إذ كنتَ ضيقَ المنخر كَرَّ الحَيْشوم ، أتَبَعْتَهَا بصيحةٍ تخلع بها قلب العِلج ؟!

وفى تفضيل الجَهارة فى الخطب يقول شُبَّة بن عِقالٍ ^(١) بِعَقَبِ خطبته عند سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس :

أَلَا لَيْتَ أُمَّ الْجَهْمِ وَاللَّهِ سَامِعٌ تَرى ، حَيْثُ كَانَتْ بِالْعِرَاقِ ، مَقَامِى
عَشِيَّةَ بَدَّ النَّاسَ جَهْرَى وَمَنْطَقِى وَبَدَّ كَلَامَ النَّاطِقِينَ كَلَامِى

وقال طحلاء يمدح معاويةً بالجَهارة وبجودة الخطبة :

رَكُوبُ الْمَنَابِرِ وَثَابُهَا مَعْنٌ بِخُطْبَتِهِ مِجْهَرُ

تُرِيْعُ إِلَيْهِ هَوَادَى الْكَلَامِ إِذَا ضَلَّ حُطْبَتَهُ الْمِهْدَرُ

مَعْنٌ : تَعَنَّ لَهُ الْخُطْبَةُ فَيَخْطُبُهَا مَقْتَضِباً لَهَا . تُرِيْعُ : تَرْجِعُ إِلَيْهِ . هَوَادَى الْكَلَامِ : أَوَائِلُهُ . فَأَرَادَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ فى الْوَقْتُ الَّذِى يَذْهَبُ كَلَامُ الْمِهْدَرِ فِيهِ . وَالْمِهْدَرُ : الْمِكْثَارُ .

وزعموا أَنَّ أَبَا عَطِيَّةَ عُفَيْفًا النَّصْرِيَّ ، فى الْحَرْبِ الَّتِى كَانَتْ بَيْنَ ثَقِيفَ وَبَيْنَ بَنِي نَصْرٍ ، لَمَّا رَأَى الْخَلِيلَ بِعَقْوَتِهِ يَوْمَئِذٍ دَوَائِسَ ^(٢) نَادَى : يَا صَبَاحَاهُ !
أُتَيْتُمْ يَا بَنَى نَصْرٍ . فَأَلْقَتْ الْحَبَالَى أَوْلَادَهَا مِنْ شِدَّةِ صَوْتِهِ . قَالُوا : فَقَالَ رُبِيعَةُ
ابْنِ مَسْعُودٍ ^(٣) يَصِفُ تِلْكَ الْحَرْبَ وَصَوْتَ عُفَيْفٍ ^(٤) :

(١) هو شُبَّة بن عقال المجاشعى ، من مجاشع رَهْطُ الْفَرَزْدَقِ ، وَهُوَ زَوْجُ جَعْتَنِ أُخْتِ الْفَرَزْدَقِ ، كَمَا فى النَّقَائِضِ ٨٥٥ . وَرَوَى ابْنُ سَلَامٍ ١٥٩ أَنَّهُ بَعَثَ بِدِرَاهِمٍ وَحُمَلَانَ وَكِسُوةً وَخَمَرَ إِلَى الْأَحْطَلِ ، وَذَلِكَ لِيُفْضِلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى جَرِيرٍ وَيُسَبِّحَهُ .

(٢) الْعُقُوة : مَا بَيْنَ الدَّارِ وَالْحَمْلَةِ . دَوَائِسُ : جَمْعُ دَائِسٍ . فِيمَا عَدَا ل ، هـ : « وَأَيْس » .

(٣) فى نِهَآيَةِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ : « رُبِيعَةُ بْنُ سَفْيَانَ » .

(٤) بَضْمُ الْعَيْنِ وَفَتْحُ الْفَاءِ ، كَمَا ضَبَطَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ . وَضَبَطَ فى هـ بِفَتْحِ الْعَيْنِ .

- عُقَاماً ضُرُوساً بين عوفٍ ومالك شديداً لظَّاهَا تتركُ الطُّفلَ أَشْيَا
وكانت جُعِيلٌ يومَ عَمْرِو أَرَاكِي أَسْوَدَ الْعَصِي غَادِرَنَ لِحْماً مُتْرَبَا (١)
ويومَ بِمَكْرُوءَاءَ شَدَّتْ مُعْتَبٌ بِغَارَاتِهَا قَدْ كَانَ يَوْمًا عَصَبَصَبَا (٢)
فَأَسْقَطَ أَحْبَالَ النِّسَاءِ بِصَوْتِهِ عُفِيفٌ وَقَدْ نَادَى بِنَصْرِ فَطْرَبَا (٣)
٥. وكان أبو عروة ، الذى يقال له أبو عُرْوَةَ السَّبَاع (٤) ، يصيح بالسَّبْعِ
وقد احتمل الشَّاةُ ، فيخلِّيها ويذهبُ هاربا على وجهه (٥) . فضرب به الشَّاعِرُ
المَثَلَ - وهو النابغة الجعدى - فقال :
- وَأَزْجُرُ الْكَاشِحَ الْعُدُوَّ إِذَا اغْدُ تَابَكَ عِنْدَى زَجْرًا عَلَى أَضَمِّ (٦)
زَجْرُ أُمَى عُرْوَةَ السَّبَاعِ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَسِنَ بِالْعَنَمِ
١٠. وأنشد أبو عمرو الشَّيبَانِي لرجلٍ من الخوارج يصف صبيحة شبيب بن
يزيد بن نعيم (٧) . قال أبو عبيدة وأبو الحَسَن (٨) : كان شبيبٌ يصيحُ في جَنَبَاتِ

- (١) عمرو وأراكة : موضعان .
(٢) مكروءاء ، بفتح أوله : موضع . والعصيب : الشديد .
(٣) الأحبال : جمع حبل ، بالتحريك ، وهو حمل المرأة : هـ . « لدن نادى » .
(٤) كذا ولم أجد من ذكر هذا غيره . وفي التيمورية فقط : « السباح » .
١٥ (٥) فى اللسان : « وأبو عروة رجل زعموا كان يصيح بالسبع فيموت ، ويذجر الذئب فيموت
مكانه ، فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه وخرج من غشائه ! » .
(٦) الأضم : الغضب . وفى اللسان (١٩ : ٢٨٠) : « على وضم » تحريف .
(٧) شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي ، خرج بالموصل وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم
٢٠ واحداً بعد واحد . وفى إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيل - دجيل الأهواز لادجيل ببغداد -
فغرق فيه . وكانت تشترك معه زوجته غزالة وكذا أمه جهيزة فى مقاومة الحجاج . ولما دخل هو وزوجته
غزالة على الحجاج فى الكوفة تحصن الحجاج منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان - وكان
الحجاج قد لج فى طلبه - :
- أسد على وفى الحروب نعامه رداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر
- ٢٥ ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفى سنة ٧٧ . المعارف ١٨٠ والأغانى (١٦ : ١٤٩ / ٢١ : ٨) ووفيات الأعيان .
(٨) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى الأخبارى .

الجيش إذا أتاه ، فلا يلوى أحدٌ على أحد . وقال الشاعر فيه :
 إن صاح يوماً حسبت الصخر منحدرًا والريح عاصفةً والموج يلتطم
 قال أبو العاصي : أنشدني أبو محرز خلف بن حيان ، وهو خلف
 الأحمر (١) مولى الأشعرين ، في عيب التشادق :

- له حنجرٌ رَحْبٌ وقولٌ منقَحٌ وفصلٌ خطابٍ ليس فيه تشادقٌ (٢)
 إذا كان صوتُ المرءِ خلفَ لهاتِهِ وأنحى بأشداقٍ لهنَّ شقاشقُ
 وقبَّ يَحْكِي مُقَرَّمًا في هبابِهِ فليس بمسبوقٍ ولا هو سابقٌ (٣)

وقال الفرزدق :

* شقاشقُ بين أشداقٍ وهامٍ (٤) *

١٠

وأنشد خلفٌ :

وما في يديه غيرُ شديقٍ يُميله وشقيقه خرساءٌ ليس لها نَعْبُ
 متى رامَ قولاً خالفته سجيّه وضرس كقعب القين ثلّمه الشعبُ
 وأنشد أبو عمرو وابن الأعرنى :
 وجاءت قريشٌ قريشُ البطاح هي العصبُ الأولُ الداخلةُ

(١) هو أبو محرز خلف بن حيان ، المعروف بالأحمر البصري ، مولى أبي بردة بلال بن أبي موسى الأشعرى ، وهو معلم الأصمعي وأهل البصرة ، وأستاذ أبي نواس . توفي في حدود ١٨٠ . إنباه الرواة وإرشاد الأريب (١١ : ٦٦) .

(٢) الحنجر : جمع حنجرة ، وهي رأس الغلصمة .

(٣) المقرم : الفحل المكرم . والهباب ، بالكسر : النشاط .

(٤) عجز بيت له من أبيات في ديوانه ٨٤٨ يمدح بها مالك بن المنذر بن الجارود ، وهي :

تمتلك قروم أولاد المعل وأبناء المسامعة الكرام
 تخمط في ربيعة بين بكر وعبد القيس في الحسب اللهام
 إذا سميت القروم لهم علتهم شقاشق بين أشداق وهام

يَقُودُهُمُ الْفِيلُ وَالزَّنْدِيلُ وَذُو الضَّرْسِ وَالشَّفَةِ الْمَائِلَةُ (١)

ذو الضرس وذو الشفة ، هو خالد بن سلمة المخزومي الخطيب . الفيل والزنديل : أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان . يعنى دُخُولَهُمْ عَلَى ابن هبيرة . والزنديل : الأنثى من الفيلة ، فيما ذكر أبو اليقظان سُحيم بن حفص . وقال غيره : هو الذكر . فلم يَقِفُوا من ذلك على شئ .

وقال الشاعر في خالد بن سلمة المخزومي :

فَمَا كَانَ قَاتِلَهُمْ دَغْفَلٌ وَلَا الْحَيْقَطَانُ وَلَا ذُو الشَّفَةِ

قوله « دَغْفَل » يريد دَغْفَل بن يزيد بن حنظلة الخطيب النَّاسِب .
وَالْحَيْقَطَانُ : عبدُ أسود ، وكان خطيباً لَا يُجَارَى .

وَأُنْشِدُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا (٢) :

وَقَافِيَةٌ لَجَلَجَتْهَا فَرَدَدَتْهَا لِذِي الضَّرْسِ لَوْ أَرْسَلْتُهَا قَطَرْتُ دَمَا

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ العرب ، ولربما كان نزعُ ضيرسٍ أيسرَ على من أن أقول بيت شعر .

قال : وَأُنْشِدُنَا مَنِيع :

فَجِئْتُ وَوَهْبٌ كَالْخَلَاةِ يَضُمُّهَا إِلَى الشُّدْقِ أُنْيَابٌ لَهْنٌ صَرِيفٌ (٣)

فَقَعَقَعْتُ لَحْيِي خَالِدٍ وَاهْتَضَمَّتْهُ بِحُجَّةٍ خَصِمٍ بِالْخُصُومِ عَنِيفٍ

أبو يعقوب الثَّقَفِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ ، قَالَ : سئل [الحارث] بن أبي ربيعة (٤)

(١) البيتان لخلف بن خليفة الأقطع ، يذكر الأشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة . انظر

الحيوان (٧ : ٨١) .

(٢) هـ : « وَأُنْشِدُ أَصْحَابِنَا » .

(٣) الخلاة : واحدة الخلل ، وهو الرطب من النبات . والصريف : الصوت .

(٤) كلمة « الحارث » مما عدل . وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، وكان يلقب

بالقباع ، وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، كان رجلاً صالحاً ديناً من سروات قريش ، وكان حاول أن يصد أخاه عن قول الشعر فلم يفلح . انظر الأغاني (١ : ٤٧) .

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : كم كان له ماشئت من ضررٍ قاطع في العلم بكتاب الله ، والفقه في السنة ، والهجرة إلى الله ورسوله ، والبسطة في العشرة ، والنجدة في الحرب ، والبذل للماعون .

وقال الآخر :

ولم تُلفني فها ولم تُلف حُجَّتِي ملجَلَجَةً أبغى لها مَنْ يُقِيمُهَا (١)
ولا بَتْ أَرْجِيها قَضِيًّا وتَلْتَوِي أَرَاغُها طَوْرًا وطَوْرًا أَضِيْمُها (٢)
وَأُنْشِدُنِي أَبُو الرُّدَيْنِيِّ الْعُكْلِي :

فَتَى كَانَ يَعْلُو مَفْرَقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ إِذَا الْخُطْبَاءُ الصَّيْدَ عَضَّلَ قِيلُهَا (٣)

وقال الحُرَيْمِيُّ في تشادقِ عليّ بن الهيثم :

يَا عَلِيُّ بْنَ هَيْثِمٍ يَا سُمَاقًا قَدْ مَلَأْتَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا نِفَاقًا (٤)
خَلَّ لَحْيَيْكَ يَسْكُنَانِ وَلَا تَضُدَّ رَبَّ عَلِيٍّ تَغْلِبُ بَلْحَيْكَ طَاقًا (٥)
لَا تَشَادِقْ إِذَا تَكَلَّمْتَ وَاعْلَمْ أَنَّ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَشْدَاقًا

وكان عليّ بن الهيثم جواداً ، بليغ اللسان والقلم .

وقال لي أبو يعقوب الحُرَيْمِيُّ (٦) : ما رأيت كثلاثة رجالٍ يأكلون

الناس أكلاً حتّى إذا رأوا ثلاثة رجالٍ ذابوا كما يذوب الملح في الماء ، والرّصاص في النار : كان هشام بن محمد (٧) علامةً نَسَابَةً ، وراويةً للمثالب عِيَابَةً ، فإذا رأى

(١) الفه : العى الذى لا يبين . والملجلة : المضطربة المختلطة . وانظر اللسان (قرن) .

(٢) أَرْجِيها : أسوقها . والقَضِيْب : المقتضبة ليس لها حسن . أَضِيْمُها : أُنْقَصُها .

(٣) ' الصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كبراً . عضل ، هو من قولهم : عضلت الحامل ، إذا

صعب خروج ولدها . وكتب فوقها في هـ : « عضه » ، رواية أخرى .

(٤) سَمَاق : لقب عليّ بن الهيثم ، كما في حواشئ هـ . فيما عدل ، هـ : « علينا بقا » .

(٥) الطاق : ما عطف من الأبنية .

(٦) الخبر في الأغاني (٢١ : ١٥٧) منقولاً عن الجاحظ .

(٧) فيما عدل ، وكذا في الأغاني : « هشام بن الكلبي » .

الهيثم بن عدى ذاب كما يذوب الرصاص في النار . وكان علي بن الهيثم ^(١) مِفْقَعَانِيًّا ^(٢) صاحب تفقيع وتقعير ، ويستولى على كلام أهل المجلس ، لا يحفل بشاعر ولا بخطيب ، فإذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان علويه المغني ^(٣) واجد الناس في الرواية وفي الحكاية ، وفي صنعة الغناء وجودة الضرب ، وفي الإطراب وحسن الخلق ، فإذا رأى مخارقاً ^(٤) ذاب كما يذوب الرصاص عند النار .

* * *

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق وبُعد الصوت .
قال أبو عبيدة : كان عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، رديفاً للملوك ^(٥) ، ورحالاً إليهم ، وكان يقال له عروة الرّحال ، فكان يوم أقبل مع ابن الجوّن ، يريد بني عامر ، فلما انتهى إلى واردات مع الصّبح ^(٦) ، قال له عروة : إنك

(١) في الأصول : « الهيثم بن عدى » صوابه من الأغاني . ولأجل « علي بن الهيثم » ساق الجاحظ الخبر .
(٢) كذا وردت مضبوطة في ل . وضبطت في هـ بفتح الميم ، ولعلها من لغة أهل البصرة ، مأخوذة من التفقيع ، وهو التشديق . وزاد قبل هذه الكلمة في الأغاني : « حريقاً » .
(٣) هو يوسف بن عبد الله بن يوسف ، وكان جده من السعد الذين سباهم عثمان بن الوليد زمن عثمان بن عفان ، واشتهر بعلويه ، وكنيته أبو الحسن . كان مغنياً حاذقاً ، ومؤدياً محسناً ، وضارباً متقدماً ، وكان إبراهيم علمه وخرجه وعنى به جداً فبرع ، وغنى للأمين وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إسحاق الموصلي بمديدة يسيرة ، الأغاني (١٠ : ١١٥ - ١٢٥) .

(٤) هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار ، مولى الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهي من الغنيات المحسنات المتقدمات في الضرب ، ونشأ في المدينة ، وقيل بل كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزاراً مملوكاً ، وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاه طرفاً من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلي منها ، وأهداه إلى الفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . الأغاني (٢١ : ١٤٣) .

(٥) المعروف في هذا « الردف » بالكسر ، واحد الأرداف ، وهم الذين يخلفون الملوك في القيام بأمر المملكة ، بمنزلة الوزراء في الإسلام . وأما الرديف فهو الراكب خلف صاحبه . وعروة الرّحال قتله البراض بن قيس . الحيوان (١ : ١٦٦) .

(٦) واردات ، قال ياقوت : موضع عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها .

قد عَرَفَتْ طَوْلَ صَحْبَتِي لَكَ ، وَنَصِيحَتِي إِيَّاكَ ، فَأَتَذِّنُ لِي فَأَهْتِفَ بِقَوْمِي هَتَفَةً . قال : نعم ، وثلاثاً . فقام فنادى : يا صَبَاحَاهُ ! ثلاثَ مَرَّاتٍ . قال : فسمِعْنَا شِوْعَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَسْمَعَ أَهْلَ الشَّعْبِ ، فَتَلَبَّيُوا لِلْحَرْبِ ، وَبَعَثُوا الرِّبَايَا ^(١) ، يَنْظُرُونَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الْقَوْمُ .

قال : وتقول الرُّومُ : لولا ضَجَّةُ أَهْلِ رُومِيَّةٍ وَأَصْوَاتُهُمْ ، لَسَمِعَ النَّاسُ جَمِيعاً صَوْتَ وُجُوبِ الْقُرْصِ فِي الْمَغْرِبِ ^(٢) .

وَأُعْيِبُ عَنْهُمْ مِنْ دَقَّةِ الصَّوْتِ وَضِيقِ مَخْرَجِهِ وَضَعْفِ قُوَّتِهِ ، أَنْ يَعْتَرِيَ الْخَطِيبَ الْبُهْرُ وَالْإِرْتِعَاشُ ، وَالرُّعْدَةُ وَالْعَرَقُ .

قال أبو الحسن : قال سفيان بن عُيَيْنَةَ : تَكَلَّمَ صَعْصَعَةٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهَرَكَ الْقَوْلُ ! فَقَالَ صَعْصَعَةٌ : « إِنَّ الْجِيَادَ تَضَاحَةٌ بِالْمَاءِ » .
والفرس إذا كان سريع العرق ، وكان هَشّاً ، كان ذلك عُيْباً . وكذلك هو في الكثرة ، فإذا أَبْطَأَ ذلك وكان قليلاً قيل : قد كَبَأَ ؛ وهو فرسٌ كَابٌ . وذلك عُيْبٌ أَيْضاً .

وَأُنْشِدُنِي ابْنَ الْأَعْرَافِيِّ ، لِأَيِّ مِسْمَارِ الْعَكْلِيِّ ، فِي شَبِيهِ بِذَلِكَ قَوْلُهُ :
لِلَّهِ دُرٌّ عَامِرٌ إِذَا نَطَقَ فِي حَفْلِ إِمْلَاكٍ وَفِي تِلْكَ الْحَلَقِ ^(٣)
ليس كَقَوْمٍ يُعْرِفُونَ بِالسَّرْقِ ^(٤) مِنْ خُطْبِ النَّاسِ وَمِمَّا فِي الْوَرَقِ ١٥
يَلْفُقُونَ الْقَوْلَ تَلْفِيقَ الْحَلْقِ ^(٥) مِنْ كُلِّ تَضَاحٍ الذَّفَارِيُّ بِالْعَرَقِ
* إِذَا رَمَتْهُ الْخُطْبَاءُ بِالْحَدَقِ *

(١) الربايا : جمع ربيعة ، وهو العين والطليلة . وهذا ما في ل . وفي هـ : « وعبوا » . وفي سائر النسخ : « وعسبوا » . وهذه محرفة .

(٢) وجب قرص الشمس : وقع واختفى في مكان الغروب . وانظر اللسان (سفر ٣٦) .
(٣) الإملاك : التزويج وعقد النكاح . وحلقة القوم ، تقال بالفتح ، وبالتحريك ، وبالكسر ؛ وجمعها حلق ، وبالتحريك ، وبالكسر ففتح .

(٤) السرقة ، بالتحريك ، وبفتح فكسر ، هو السرقة . فيما عدل ، هـ : « بالشدق » تحريف .

(٥) ل : « الخرق » .

[والذَفَارَى هنا : يعنى بدن الخطيب . والذَفَرِيَانِ للبعير ، وهما اللّحمتان فى قفاه ^(١)] .

وإِثْمَا ذكر خطب الإِملاك لأنهم يذكرون أَنه يَعْرِضُ للخطيب فيها من ٨٤
الْحَصَرِ أَكْثَرُ ممَّا يَعْرِضُ لصاحب المنبر. ولذلك قال عمرُ بن الخطاب رحمه
الله : « ما يتصَعَّدُنِي كلامٌ كما تتصَعَّدُنِي خُطْبَةُ النِّكَاحِ » ^(٢) .

وقال العُمَانِيُّ :

لا ذِفْرٌ هَشٌّ ولا يَكَايِي ولا بلجلاج ولا هَيَّابِ

الهشُّ : الذى يَجُودُ بعرقه سريعاً ؛ وذلك عَيْبٌ . والذِفْرُ : الكثير العرق.
والكايى : الذى لا يكاد يَعرِقُ ، كالزَّئِدِ الكايى الذى لا يكاد يُورِي . فجعل له
العُمَانِيُّ حالاً بين حالين إِذا خَطَبَ ، وَخَبَّر أَنه رابطُ الجأشِ ، معاودٌ لتلك المقامات . ١٠

وقال الكميت بن زيد - وكان خطيباً - : « إِنَّ للخطبة صَعْدَاءَ ^(٣) ،
وهى على ذى اللب أَرْمَى » .

وقولهم : أَرْمَى وَأَرَبَى سِوَاءٌ ، يقال : فلان قد أَرْمَى على المائة وَأَرَبَى .

ولم أَرِ الكميَّتَ أَفْصَحَ عن هذا المعنى ولا تَخَلَّصَ إلى خاصَّته . وإِثْمَا
يجترى على الخطبة الغرَّ ^(٤) الجاهل الماضى ، الذى لا يَتَنَبَّهُ شَيْءٌ ، أو المطبوع
الحاذق ، الواصل بَعَزَاتِهِ واقتداره ، فالثَّقة تنفَى عن قلبه كلَّ خاطِرٍ يُورِثُ
اللَّجْلَجَةَ والنحنحة ، والانقطاع والبُهرَ والعَرَقَ .

وقال عُبيد الله بنُ زياد ، وكان خطيباً ، على لُكْنَةٍ كانت فيه : « نَعَمْ الشَّيْءُ

(١) هذه التكمة مما عدا ل .

(٢) تصعده الأمر وتساعد به : شق عليه . وانظر ما سبق فى ص ١١٧ .

(٣) الصعداء ، بالفتح : المشقة . وأما الصعداء بفتح فضم ، فالتنفس الممدود .

(٤) فيما عدا ل : « الغمر » .

الإمارة ، لولا قَعْقعة البُرْد (١) ، والتشترن للخطيب (٢) .

وقيل لعبد الملك بن مَرْوَانَ : عَجَلْ عليك الشيبُ يا أمير المؤمنين !
قال : « وكيف لا يَعَجَلْ عليَّ وأنا أَعْرِضُ عَقْلِي على النَّاسِ في كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً
أو مرتين » . يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور .

وقال بعض الكلبيين (٣) :

فَإِذَا خَطَبْتَ على الرِّجَالِ فلا تكن خَطِلَ الكلامَ تقوله مُختالاً (٤)
وَعَلِمَ بأنَّ من السُّكُوتِ إِبَانَةٌ ومن التَّكَلُّمِ ما يكونُ خَبَالاً (٥)

كلام بشر بن المعتمر

مَرَّ بِبِشْرِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ (٦) بِإِبْرَاهِيمَ (٧) بن جبلة بن مَحْرَمَةَ السَّكُونِيِّ
الخطيب ، وهو يَعْلَمُ فتياهم الخطابة ، فوقف بِشَرٌّ فظنَّ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَفَ ١٠
لِيسْتَفِيدَ أو لِيَكُونَ رَجُلًا من النَّظَّارَةِ ، فقال بِشَرٌّ : اضْرِبُوا عَمَّا قَالَ صَفْحًا واطْوُوا
عنه كَشْحًا . ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ صحيفةً من تحبيره وتنميقه ، وكان أوَّلَ ذلك الكلام :
تُحِذُ من نَفْسِكَ سَاعَةً نَشَاطِكَ وفَرَاغَ بالك وإِجَابَتِهَا إِيَّاكَ ، فَإِنَّ قَلِيلَ
تلك السَّاعَةِ أَكْرَمُ جَوْهَرًا ، وَأَشْرَفُ حَسَبًا ، وَأَحْسَنُ في الأَسْمَاعِ ، وَأَحْلَى في
الصدور ، وَأَسْلَمَ من فاحش الخطاءِ ، وَأَجْلَبَ لكلِّ عينٍ وَغُرَّةٍ ، مِنْ لَفِظٍ ١٥

(١) البرد : جمع بريد ، وأصل البريد : الدابة ، ثم جعل للرجل . وفي هامش ل : « خ : البريد » إشارة
إلى ما في نسخة أخرى . وفي هامش التيمورية ، ه : « وإنما قال هذا لأن الوالي لا يدرى بما يأتيه من خير
أو شر ، فهو يجزع لرؤيته ويخاف » .

(٢) التشترن : التأهب والتهيؤ والاستعداد . والخبر في نهاية (شرن) في اللسان .

(٣) ب والتيمورية : « الكلبيين » ح : « الكلبيين » . ٢٠

(٤) ل : « الرجال » بالخاء المهملة .

(٥) ل ، ه : « التكلف » وكتب إزاءها : « خ : التكلم » . وهي رواية سائر النسخ .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٤١ . وبعدها في ب والتيمورية : « حين مر » .

(٧) ح : « لإبراهيم » .

شريف ومعنى بديع . وأعلّم أنّ ذلك أجدى عليك ممّا يُعطيك يومك
الأطول ، بالكّد والمطاولة ^(١) والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة . ومهما أخطأك
لم يُخطئك أن يكون مقبولا قصداً ، وخفيفاً على اللسان سهلاً ؛ وكما خرج من
يُنوبه ونَجَم من مَعْدِنه . وإياك والتوَعَّر ، فإنّ التوَعَّر يُسَلِّمُكَ إلى التعقيد ،
والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويَشِينُ أَلْفَاظَكَ . ومن أَرَاغَ معنى كريماً
فليلتَمِسْ له لفظاً كريماً ؛ فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن
حقهما أن تصونهما عما يفسدُهما ويهَجُّهُمَا ، وعما تعودُ من أجله أن تكونَ
أسوأ حالاً منك قبل أن تلتَمِسَ إظهارَهُمَا ، وترتَهِنَ نفسَكَ بملاستِهِمَا وقضاءِ
حقهما . فكُنْ في ثلاثِ منازل ؛ فإنّ أولى الثلاث أن يكونَ لفظُك رشيقيّاً
عذباً ، وفحماً سهلاً ، ويكونَ معنَاك ظاهراً مكشوفاً ، وقریباً معروفاً ، إمّا عند
الخاصّة إن كنتَ للخاصّة قصّدت ، وإمّا عند العامّة إن كنتَ للعامّة أردت .
والمعنى ليس يشرفُ بأن يكونَ من معانى الخاصّة ، وكذلك ليس يتّضع بأن يكونَ
من معانى العامّة . وإتّما مدارُ الشرف على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة
الحال ، وما يجب لكلِّ مقامٍ من المقال . وكذلك اللفظ العاميّ والخاصيّ . فإنّ
أمكنك أن تبلغَ من بيان لسانك ، وبلاغةِ قلمك ، ولطفِ مدّخلك ، واقتدارك
على نفسك ، إلى أن تُفهِمَ العامّة معانى الخاصّة ، وتكسوها الألفاظ الواسطة ^(٢)
التي لا تُلطِّف عن الدّهماء ، ولا تُجفُو عن الأُكفَاء ، فأنت البليغ التام ^(٣) .

قال بشر : فلما قرئت على إبراهيم قال لى : أنا أحوجُ إلى هذا من
هؤلاء الفتيان .

(١) ل : « المكابرة » .

(٢) ل : « المبسطة » .

(٣) وقع في سائر النسخ اضطراب في صحيفة بشر . ففيما عدل ، ه قد وردت الصحيفة
متابعة لا يفصل بين فقرها شيء مما لى . ولا إخال ذلك إلا من عمل قارئ أو ناسخ .

- ٨٦ قال أبو عثمان : أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ؛ فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً . وإذا سمعتموني أذكر العوامَ فإنني لست أعني الفلاحين والحشوة ^(١) والصنّاع والباعة ، ولست أعني أيضاً الأكراد في الجبال ، وسكّان الجزائر في البحار ، ولست أعني من الأمم مثل البير ^(٢) والطيلسان ^(٣) ، ومثل موقان وجيلان ^(٤) . ومثل الزنج وأشبه الزنج . وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب ، وفارس ، والهند ، والروم . والباقيون همج وأشبه الهمج . وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا ، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا . على أن الخاصة تتفاضل في طبقات أيضاً ^(٥) .
- ثم رجع بنا القول إلى بقية كلام بشر بن المعتمر ، وإلى ما ذكر من الأقسام ^(٦)

قال بشر : فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح ^(٧)

-
- (١) الحشوة بالضم والكسر : رذال الناس وأسقاطهم
- (٢) ل : « البير » مع عدم نقط الحرف الثاني . وجاء في تاريخ الطبري (٥ : ٤٥) : « فأغار على أهل موقان والبير والطيلسان » . وضبطت في هـ بفتح أولها وكسره معا .
- (٣) الطيلسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر ، افتتحه الوليد بن عقبة في سنة ٣٤ . معجم البلدان .
- (٤) قال ابن الكلبي : موقان وجيلان ، وهما أهل طبرستان ، ابنا كاشج بن يافث بن نوح . قال ياقوت في موقان : « ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركان للرعى ، فأكثر أهلها منهم » . وقال في جيلان : « اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان .. وليس في جيلان مدينة كبيرة ، إنما هي قرى في مروج بين جبال » .
- (٥) الكلام من « قال بشر : فلما قرئت » إلى هنا ، موضعه فيما عدل ، هـ قبل : « وقال : وينبغي للمتكلم أن يعرف » . وبذلك يختلط كلام بشر بكلام الجاحظ . وما أثبت من النسختين هو الصحيح .
- (٦) هذه العبارة من ل ، هـ فقط .
- (٧) فيما عدل : « تسمح » .

لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك ، وتجد اللَّفظة لم تقع موقعها ولم تُصير إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ، ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تُكرِّهها على اغتصاب الأماكن ، والنزول في غير أوطانها ؛ فإنك إذا لم تتعاطَ قرضَ الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور ، لم يعبك بترك ذلك أحد .
 ٥ فإن أنت تكلفتها (١) ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا مُحْكماً لشأنك (٢) ، بصيراً بما عليك ومالك ، عابك من أنت أقل عيباً منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك .
 فإن ابتليت بأن تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمَح لك الطباع في أول وهلة (٣) ، وتعاصى عليك بعد إجمالة الفكرة ، فلا تعجل ولا تضجر ، ودعه يياض يومك وسواد ليلتك ، وعادوه عند نشاطك وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة ، إن كانت هناك طبيعة ، أو جرئت من الصناعة على عرق .
 فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول إهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛ فإنك لم تستهيه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب ، والشئ لا يحسن إلا إلى ما يشاكله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات ؛ لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تُسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والمحبة . فهذا هذا .

وقال : ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل

٢٠ (١) فيما عدل : « وإن أنت تكلفتها » .

(٢) ما عدا هـ : « لسانك » .

(٣) الطباع ، يكون مفرداً كالطبيعة ، ويكون جمع طبع أيضاً ، وهو في القول بإفراده يذكر ويؤنث . وفي اللسان : « والطباع كالطبيعة مؤنثة » . وقال أبو القاسم الزجاجي : الطباع واحد مذكر ، كالنحاس - بكسر النون فيها - قال الأزهري : ويجمع طبع الإنسان طباعاً .

- حالة من ذلك مقاماً ، حتّى يقسمَ أقدارَ الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدارَ المعاني على أقدار المقامات ، وأقدارَ المستمعين على أقدار تلك الحالات . فإن كان الخطيبُ متكلماً تجنّب ألفاظ المتكلمين ، كما أنّه إن عبّر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً ، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين ؛ إذ كانوا لتلك العبارات أفهم ، وإلى تلك الألفاظ أميل ، وإليها أحنّ وبها أشعّف ؛ ولأنّ كبار المتكلمين ورؤساء النظّارين كانوا فوق أكثر الخطباء ، وأبلغ من كثير من البلغاء . وهم تَخَيَّرُوا تلك الألفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقُّوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطَلَحُوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسمٌ ، فصاروا في ذلك سلفاً لكلّ خلف ، وقُدوةً لكلّ تابع . ولذلك قالوا: العَرَضُ والجوهر ، وأُنْثَى وليس ، وفرَّقوا بين البُطلان والتلاشي ، وذكروا الهُدْيَةَ والهَوْيَةَ ^(١) وأشباه ذلك . وكما وضع الخليل بنُ أحمدَ لِأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العربُ تتعارف تلك الأعارِضَ بتلك الألقاب ، وتلك الأوزان بتلك الأسماء ، كما ذكّر الطَّويل ، والبسيطُ والمديد ، والوافر ، والكامل ، وأشباه ذلك ، وكما ذكر الأوتادَ والأسباب ، والحَرَمَ والزَّحاف . وقد ذكرت العرب في أشعارها السُّنَادَ والإقواء والإكفاء ، ولم أسمع بالإيطاء . وقالوا في القصيد والرَّجَزَ والسَّجْعَ والخطْبَ ، وذكرُوا حروفَ الروي والقوافي ، وقالوا: هذا بيتٌ وهذا مصراع . وقد قال جندلُ الطهويُّ ^(٢) حين مدح شعره :
- * لم أقوِ فيهن ولم أساينِد *

وقال ذو الرِّمة :

- ٨٨ وشعري قد أرقْتُ له غريبَ أجنِّبه المُسائِدَ والمُحالا ^(٣) ٢٠

(١) نسبة إلى هذا ، وهو ، وما هو .

(٢) هو جندل بن المثنى الطهوي .

(٣) ديوان ذى الرمة ٤٤٠ . فيما عدل : « أجانبه » .

وقال أبو حزام العُكْلِيّ (١) :

بيوتاً نصبنا لتقويمها جُذول الرِّبْعَيْنِ في المَرَبَّاهِ
بيوتاً عَلَى الهَا لَهَا سَجْحَةٌ بغير السُّنَادِ ولا المَكْفَأِ

وكما سَمَّى النحويون ، فذكروا الحالَ والظُّروفَ وما أشبه ذلك ؛ لأنَّهم لو لم يَضَعُوا هذه العلاماتِ لم يستطيعوا تعريفَ القَرَوِيِّينَ وأبناءَ البلدَيْنِ عِلْمَ العروض والنَّحو . وكذلك أصحابُ الحسابِ قد اجتلبوا أسماءَ جعلوها علاماتٍ للتفاهُم . قالوا : وقبِيحٌ بالخطيبِ أن يقومَ بِخُطْبَةِ العيدِ أو يومِ السُّمَّاطينِ ، أو على منبرِ جماعة ، أو في سُدَّةِ دارِ الخلافةِ ، أو في يومِ جَمْعٍ وحفلٍ ، إمَّا في إصلاحِ بين العشائرِ ، واحتمالِ دماءِ القبائلِ ، واستلالِ تلكِ الضَّغائنِ والسَّخائمِ ، فيقولُ (٢) كما قال بعضُ مَنْ خطَبَ على منبرِ ضَخِيمِ الشَّانِ ، رفيعِ المكانِ : « ثم إنَّ الله عز وجل بعد أن أنشأَ الخَلْقَ وسَوَّاهم ومكَّنَ لهم ، لاشَاهم فتلاشَوْا (٣) » . ولولا أنَّ المتكلمَ افتقرَ إلى أن يَلِفِظَ بالتَّلاشي لكان ينبغي أن يُؤخَذَ فوق يده . وخطَبَ آخَرُ في وسطِ دارِ الخلافةِ ، فقال في خطبته : « وأُخرجَهُ اللهُ من بابِ اللَيْسِيَّةِ ، فأدخله في بابِ الأَيْسِيَّةِ (٤) » .

وقال مرَّةً أخرى في خُطْبَةٍ له : « هذا فَرْقٌ ما بين السَّارِّ والضَّارِّ ، والدَّفَّاعِ والتَّنْفَاعِ » .

وقال مرَّةً أخرى : فَدَلَّ سَاتِرَهُ على غَامِرِهِ ، ودَلَّ غَامِرَهُ على مَنْحَلِّهِ » .

(١) أبو حزام العُكْلِيّ ، اسمه غالب بن الحارث ، كان أعرابياً فصيحاً يفد على أئى عبید الله وزير المهدي . قال الخوارزمي : « وشعره عويص ؛ لأنه أكثر فيه من الغريب فلا يقف عليه إلا العلماء ، وكان يؤخذ عنه اللغة ، أدركه الكسائي واستشهد ببعض شعره . انظر شروح سقط الزند ١٤٦٥ - ١٤٦٧ .

(٢) بدلها في ل : « أن يكون » .

(٣) يراد بالمللاشة الإفاء ، كأنه جعلهم كلا شئ .

(٤) نسبة إلى ليس وأيس . وفي اللسان : « أيس وليس ، أى من حيث هو وليس هو » .

فكاد إبراهيم بن السندی^(١) يطير شيقاً^(٢)، ويتقد غيظاً^(٣). هذا وإبراهيم من المتكلمين ، والخطيب لم يكن من المتكلمين .

وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني . وقد تحسن أيضاً ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس وفي كل ما قالوه على وجه التظرف والتملح ، كقول أبي نواس :

وذا ت خد مورّد قوهية المتجرّد^(٤)
تأمل العين منها محاسناً ليس تنقد
فبعضها قد تناهى وبعضها يتولّد
والحسن في كل عضو منها معاد مرّدّد

٨٩

وكقوله^(٥) :

يا عاقد القلب منى هلاً تذكرت خلاً
تركت منى قليلاً من القليل أقللاً
يكاد لا يتجزأ أقل في اللفظ من لا

وقد يتملح الأعرأى بأن يُدخل في شعره شيئاً من كلام الفارسية ،

كقول العماني للرشيد ، في قصيدته التي مدحه فيها :

(١) هو إبراهيم بن السندی بن شاهك ، يروى الجاحظ عنه كثيراً . وأبوه السندی بن شاهك ، كان يلى الجسرين ببغداد للرشيد . انظر الجهشيارى ٢٢٦ - ٢٣٧ وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » الرسائل ٤٧ ساسى .

(٢) هذه عبارة عن المبالغة في الغضب . وفي حديث عائشة : « فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض » . هو مبالغة في الغضب والغيط ، كما في اللسان . ب ، ح : « شغفاً » ل : « شغفاً » صوابهما ما أثبت في التيمورية .

(٣) يتقد : ينشق . ل : « ويتقد غيظاً » بمعنى يشتعل .

(٤) الأبيات يقوفاً في نعت « جنان » جارية آل عبد الوهاب الثقفى . انظر ديوانه ٣٧١ وأخبار أبي

نواس لابن منظور ١٣ . قوهية ، أراد بيضاء ، والقوهى : ضرب من الثياب بيض ، منسوبة إلى قوهستان . وفي

الديوان : « فانة المتجرّد » .

(٥) أخبار أبي نواس ١٣ . وانظر فيه أشعاراً أخرى فيها دليل معرفته بألفاظ المتكلمين .

مَنْ يَلْقَهُ مِنْ بَطِلٍ مُسَرَّنِدٍ (١) فِي رَغْفَةٍ مُحْكَمَةٍ بِالسَّرْدِ (٢)

* تحول بين رأسه و « الكرذ (٣) » *

يعنى العنق . وفيها يقول أيضاً (٤) .

لما هوى بين غياض الأسد وصار في كف الهزير الورذ

* آلى يذوق الدهر آب سرد (٥) *

وكقول الآخر :

وذهنى وقع الأسيّة والقنا وكافركوبات لها عجر قفد (٦)

بأيدي رجال ما كلامي كلامهم يسوموننى مرداً وما أنا والمرد (٧)

ومثل هذا موجود في شعر [أبى] العذافر الكندى (٨) وغيره ، ويكون أيضاً

١٠ أن يكون الشعر مثل شعر بحر وشاذ (٩) ، وأسود بن أبى كريمة . وكما قال يزيد

(١) المسرندى : الذى يغلب ويعلو .

(٢) الرغفة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة . والسرد : ستر الزرد .

(٣) أصله في الفارسية « گردن » كما في المعرب ٢٧٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٠ . وأقدم من قول العماني هذا قول الفرزدق :

١٥ وكنا إذا القيسى نب عتوده
ضربناه دون الأثنين على الكرذ

(٤) فيما عدل : « ويقول فيه أيضا » .

(٥) آب سرد : ماء بارد . آب : ماء ، ويكسر آخر الموصوف المتقدم على صفته في الفارسية . وسرد : بارد .

(٦) المدله : الساهي القلب الذاهب العقل . فيما عدل ، ه : « وولهي » . والوله : الحزن ،

وذهاب العقل حزناً . وفي هامش ل : « كافر كوب هي المقرعة » . والعجر : جمع عجرة ، وهي العقدة

٢٠ في الخشبة ونحوها . والقفد : جمع أقفد ، وهو في أصله الغليظ العنق .

(٧) سامه الشيء : كلفه إياه وجشمه وأراده عليه . ومرد ، بالفتح : رجل ، بالفارسية . ومن

معانيه في الفارسية البطل ، والشجاع . استينجاس ١٢١١ . وفي هامش ل : المرد الرجل ، بالفارسية .

(٨) ذكره المرزبانى في معجمه في ذكر من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب

المغمورين . وفي الأصول : « العذافر الكندى » .

(٩) هذا ما في ه . وفي ل : « بحر وشار » وسائر النسخ : « الحر وشاذ » .

ابن ربيعة بن مُقَرِّغ (١) :

آبِ اسْتِ تَبِيدَ اسْتِ عُصَارَاتِ زَيْبِ اسْتِ

* سُمِّيَ رُوسَيْدِ اسْتِ (٢) *

وقال أسود بن ألى كَرِيمَةً :

لَرِمِ الْعُرَامِ ثَوِي بُكْرَةً فِي يَوْمِ سَبْتِ (٣)

فَتَايَلْتُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ زَنْكِي بِمَسْتِي (٤)

قَدْ حَسَا الدَّادِي صِرْفًا أَوْ عُقَارًا بَايَحْسَتِ (٥)

- (١) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري : شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وكان مولعا بهجاء بني زياد ، وتعدى ذلك إلى ألى سفيان فقدذه بالزنا ، وأمر يزيد بن معاوية بطلبه فظل يتنقل من بلد إلى بلد ويستجير حتى وقع في يد عبيد الله بن زياد فأمر به فسقى نبيذاً حلوا قد خلط معه الشبرم ، فأسهل بطنه وطيف به وهو في تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون « اين جيست » لما يسيل منه . أى هذا ماذا ؟ وهو يجيبهم بالأبيات التالية . انظر الأغاني (١٧ : ٥١ - ٧٣) والخزانة (٢ - ٢١٠ - ٢١٦) والاشتقاق ٣٠٩ - ٣١٠ والشعراء لابن قتيبة ، وتاريخ الطبري (٦ : ١٧٧) .
- (٢) آب : ماء . واست : فعل من أفعال الكينونة في الفارسية . أراد أن النبيذ ما هو إلا ماء ، هو عصارات الزبيب . سمية هى أم زياد بن أبيه ، أو ابن ألى سفيان . انظر الإصابة ٦١١ من قسم النساء . وروسيد ، أى مشهورة ، . رو ، هو الوجه بالفارسية ؛ ويقال له أيضاً : « روى » . وسبيد ، يفتح السين ، أى أبيض . في حواشي هـ : « روسيد : زانية » .
- (٣) الغرام : جمع-غريم ، وهو المطالب بالدين ، وهو جمع عزيز ، لأن فعلا لا يجمع على فَعَال . وأجاز ابن سيدة أن يكون جمع غارم على النسب ، أى ذو إغرام أو تغريم . انظر اللسان (١٥ : ٣٣٢) .
- (٤) ل . « عليه مثل زنكي » تحريف . والزنكي : الزنجي ، بالفارسية . مستى ، بالفارسية ، أى السكر وإدمان الشراب .

- (٥) الدادى : نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل في الفرق فتعقب رائحته ويجود إسكاره . هذا ما في اللسان . وفي القاموس : « الدادى شراب للفساق » . والعقار بالضم : الخمر . بايخست ، كتب إزاءها في هامش هـ ، حـ : « بايخست الشراب على الريق بالفارسية » . وكتب المحقق الفاضل الدكتور إبراهيم أمين في مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية (ديسمبر سنة ١٩٣٦) : « بايخست أو باى خست ، بمعنى موطوءة بالأقدام » .

ثم كُفْتُم دُور باد وبحكم أن خَرِ كُفِت (١)
 إنَّ جِلْدِي دَبَعْتَهُ أهلُ صَنْعَاءَ بَجَفِتِ (٢)
 وأبو عمرة عندى أن كُورُودَ نَمَسِتِ (٣)
 جالس أندر مكناد ايا عمد بيهشت (٤)

* * *

وكا لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ، وساقطاً سوقياً ، فكَذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً ؛ إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرايياً ؛ فإن الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوقي رِطانة السوقي . وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات . فمن الكلام الجَزَلُ والسَّخِيفُ ، والمليحُ والحسن ، والقيح والسَّمُجُ ، والخفيف والثقل ؛ وكلُّه عربى ، وبكىل قد تكلموا ، وبكىل قد تَمَادَحُوا وتعايوا . فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ، ولا بينهم في ذلك تفاوت ، فلم ذكروا العيى والبكى ، والحَصِرَ والمُفَحَمَ ، والخَطِلَ والمُسَهَبَ (٥) ، والمتشَدَّق ، والمتفهِق ، والمِهمارَ ، والثَّرثار (٦) ، والمكثارَ والمَهمَّارَ (٧) ، ولم ذكروا الهُجَرَ والهَذَرَ ، والهَذيانَ ، والتَّخْلِيطَ

(١) كُفْتُم ، أى قلت . دور باد أى معاذ الله ، وفي ل : « دوزباد » .. آن : اسم إشارة معناه ذلك . ونخر ، معناه الحمَار ، أو البليد ، أو الأحق . وكُفِت ، بمعنى قال .

(٢) معجم استينجاس ٣٦٥ : « جفت بلوط ، أى ثمرة البلوط » .

(٣) أبو عمرة : كنية الجوع . مَور ، أى أعمى أو أعور . بد أو بود بمعنى كان ، نَمَسِت ، أى ليس ثَملا ، فمعناه كان أعمى وليس ثَملا .

(٤) هذا البيت لم يرد في ل . في هـ : « حابس أذر مكناد آبا عمد » . وقال الدكتور إبراهيم أمين : « هذا البيت مضطرب ، وبه تحريف . الكلمات الفارسية التى به هى اندر بمعنى فى ، ومكناد بمعنى لا تجعل . بيهشت ، أى فى الجنة » .

(٥) الخطل : ذو الخطل ؛ وهو الكلام الفاسد الكثير . والمسهب ، بضم الميم وكسر الهاء وفتحها : الكثير الكلام .

(٦) رجل مهمار : كثير الكلام ، كما فى اللسان (هـ) . وفيما عدا هـ : « المهماز » تحريف . يقال رجل همار ومهمار ومهمر ، أى مكثار للكلام .

(٧) فيما عدا هـ : « الهماز » . وانظر التنبيه السابق .

وقالوا : رَجُلٌ تِلْقَاعَةٌ ^(١) ، وفلان يتَلَهَّع في خطبته ^(٢) . وقالوا : فلانٌ يُخْطِئُ في جوابه ، ويُحِيل في كلامه ، ويناقِضُ في حَبْرِهِ. ولولا أَنَّ هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دونَ بعض لَمَا سَمَّى ذلك البعضَ البعضَ الآخرَ بهذه الأسماء .

- وأنا أقول : إنَّه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتَع ولا آتَق ، ولا أُلْدُ في الأسماع ، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أَفْتَقُ لللسان ، ولا أجودُ تقويماً . ٩١
- للبيان ، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماء البلغاء . وقد أصابَ القومُ في عَامَّةِ ما وَصَفُوا ، إلَّا أَنِّي أزعِمُ أَنَّ سَخِيفَ الألفاظ مشاكلٌ لسَخِيفِ المعاني . وقد يُحتَاج إلى السَّخِيفِ في بعض المواضع ، ورُبَّما أمتَع بأكثر من إمتاع الجزلِ الفخم من الألفاظ ، والشريفِ الكريم من المعاني . كما أَنَّ النادرةَ الباردة جداً قد تكون أطيَّبَ من النادرة الحارَّة جداً . وإِنَّمَا الكَرْبُ الذي يَخْتِمُ على القلوب ^(٣) ، ويأخذُ بالأنفاس ، النادرةُ الفاترة التي لا هي حارَّة ولا باردة ، وكذلك الشَّعرُ الوَسَطُ ، والغِناءُ الوَسَطُ ؛ وإِنَّمَا الشَّانُ في الحارِّ جداً والباردِ جداً .
- وكان مُحَمَّد بن عَبَّاد بن كاسب يقول : وَاللَّهِ لَفُلانٌ أَثْقَلُ من مُغْنٍ وَسَطُ ، وأَبْغَضُ من ظَرِيف وَسَطُ .

- ومتى سمعتَ - حَفِظَكَ اللهُ - بنادِرَةً من كلام الأعراب ، فإيَّاكَ أَنْ تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ؛ فَإِنَّكَ إِن غَيَّرْتَهَا بأن تُلَحِّنَ في إعرابها وأخرجتها مخارجَ كلام المولَّدين والبلدِيِّين ، خرجتَ من تلك الحكايةِ وعليكَ

(١) التلقاعة والتلقاع ، بكسر التاء واللام وتشديد القاف : الكثير الكلام .

(٢) تلهيع في كلامه : أفرط فيه .

(٣) الختم على القلب : أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء ، كأنه قد طبع . فيما عدل ، هـ : ٢٠

فضلٌ كبير . وكذلك إذا سمعتَ بنادرةً من نوادر العوام ، ومُلحةً من مُلح الحُشوة والطَّعام ، فأياك وأن تستعملَ فيها الإعراب ، أو تتخيرَ لها لفظاً حسناً ، أو تجعلَ لها مِن فيك مخرجاً سرّياً ؛ فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها ، ويُخرجها من صورتها ، ومن الذي أُريدتَ له ، ويُذهب استطابَتهم إياها واستملاَحهم لها ^(١) .

ثمّ اعلمْ أنّ أَقْبَحَ اللَّحْنِ لَحْنُ أَصْحَابِ التَّقْعِيرِ والتَّقْعِيبِ ، والتَّشْدِيقِ والتَّحْطِيطِ والْجَهْوَةِ والتَّفْخِيمِ ^(٢) . وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ لَحْنُ الْأَعْرَابِ النَّازِلِينَ عَلَى طُرُقِ السَّابِلَةِ ، وَبُقُرْبِ مَجَامِعِ الْأَسْوَاقِ .

ولأهل المدينة ألسنٌ ذَلِيقَةٌ ، وألفاظٌ حَسَنَةٌ ، وعِبَارَةٌ جَيِّدَةٌ . واللَّحْنُ فِي عَوَامِّهِمْ فَاشٍ ، وَعَلَى مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي النَّحْوِ مِنْهُمْ غَالِبٌ .

وَاللَّحْنُ مِنَ الْجَوَارِي الظَّرَافِ ، وَمِنَ الْكَوَاعِبِ التَّوَاهِدِ ، وَمِنَ الشُّوَابِّ الْمِلَاحِ ، وَمِنَ ذَوَاتِ الْخُدُورِ الْغَرَائِرِ ، أَيْسَرُ . وَرَبَّمَا اسْتَمْلَحَ الرَّجُلُ ذَلِكَ مِنْهُنَّ مَا لَمْ تَكُنِ الْجَارِيَةُ صَاحِبَةً تَكْلُفٍ ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ اللَّحْنُ عَلَى سَجِيَّةِ سُكَّانِ الْبَلَدِ . وَكَمَا يَسْتَمْلِحُونَ اللَّثَغَاءَ إِذَا كَانَتْ حَدِيثَةَ السِّنِّ ، وَمَقْدُودَةً مَجْدُولَةً ، فَإِذَا أَسْنَتْ وَاكْتَهَلَتْ تَغَيَّرَ ذَلِكَ الْاسْتِمْلَاحُ .

وَرَبَّمَا كَانَ اسْمُ الْجَارِيَةِ غُلِيمٌ أَوْ صَبِيَّةٌ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِذَا صَارَتْ كَهَلَةً جَزَلَةً ، وَعَجُوزاً شَهْلَةً ، وَحَمَلَتْ اللَّحْمَ وَتَرَكَتْ عَلَيْهَا الشَّحْمَ ، وَصَارَ بَنُوهَا رَجَالاً وَبَنَاتُهَا نِسَاءً ، فَمَا أَقْبَحَ حِينْتِذُ أَنْ يُقَالَ لَهَا : يَا غُلِيمُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ وَيَا صَبِيَّةُ كَيْفَ أُمْسَيْتِ .

وَلَأَمْرٍ مَا كُنَّتِ الْعَرَبُ الْبَنَاتِ فَقَالُوا : فَعَلْتَ أُمُّ الْفَضْلِ ، وَقَالَتْ أُمُّ عَمْرُو

(١) انظر هذا الرأي أيضاً في الحيوان (١ : ٢٨٢) .

(٢) الجَهْوَةُ : مصدر جهور : رفع الصوت وأعلنه . ل : « والجهورية » .

وذهبت أم حكيم . نعم حتى دعاهم ذلك إلى التقدّم في تلك الكنى . وقد
فسّرنا ذلك كلّ في كتاب الأسماء والكنى ، والألقاب والأنبا .

وقد قال مالك بن أسماء ^(١) في استملاح اللّحن من بعض نسائه ^(٢):

أُمُعْطَى مِنِّي عَلَى بَصْرَى لَدَى حُبِّ أُمِ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا

وحديثُ أَلَذَّةٍ هُوَ مِمَّا يَنْعَثُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا ^(٣)

منطقٌ صائبٌ وتلحنُ أحياءُ نأَ وأُحْلَى الحديثُ ما كان لَحْنًا

وهم يمدحون الجِدْقَ والرَّقَّ ، والتخلُّصَ إلى حَبَّاتِ القلوبِ ، وإلى إصابةِ

عيون المعاني . ويقولون : أصابَ الهَدَفَ ، إذا أصابَ الحَقُّ في الجُمْلَةِ . ويقولون :

قَرَطَسَ فلانٌ ، وأصابَ القِرطاسَ ، إذا كان أجودَ إصابةً من الأوَّلِ . فإن قالوا :

رمى فأصابَ القِرَّةَ ، وأصابَ عَيْنَ القِرطاسِ ، فهو الذى ليس فوقه أحد .

ومن ذلك قولهم : فلان يُفْلُ الحَزَّ ، ويصيب المَفْصِلَ ، ويضع الهِئَاءَ

مواضع الثَّقَبِ ^(٤) .

وقال زُرَّارَةُ بن جَزْءٍ ^(٥) ، حين أتى عُمرَ بن الخطَّابِ رحمه الله فتكلّمَ

عِنْدَهُ ، ورَفَعَ حاجَتَهُ إِلَيْهِ :

أَتَيْتُ أَبَا حَفْصٍ وَلَا يَسْتَطِيعُهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَالسَّنَنِ طَرِيرُ ^(٦)

(١) مالك بن أسماء الفزارى : شاعر إسلامى غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج . وهو ممن

عرف بالجمال في العرب . الأغاني (١٦ : ٤٠ - ٤٦) .

(٢) كذا فهم الجاحظ في شعر مالك أنه أراد باللحن الخطأ في الكلام . وقد رجع عن هذا

الرأى بعد أن سار كتاب البيان والتبيين في الآفاق ، وفسر اللحن بأنه التعريض والتورية . انظر تاريخ

بغداد (١٢ : ٢١٤) ومعجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث .

(٣) في هامش ل : خ : تشبيه النفوس .

(٤) انظر ما سبق في ١٠٨ .

(٥) زُرَّارَةُ بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب الكلانى : صحابى جليل عاش إلى خلافة مروان

ابن الحكم . انظر الإصابة ٢٧٨٨ حيث نقل ابن حجر نص الجاحظ هذا .

(٦) الطرير ، هو في الأُسنة : المحدد ، وفي الناس : ذو الرواء والمنظر .

فوقَقِنِي الرَّحْمَنُ لَمَّا لَقِيْتُهُ وَلِلْبَابِ مِنْ دُونِ الْخَصُومِ صَرِيرُ
قُرُومٍ غَيَارَى عِنْدَ بَابٍ مُمْنَعٍ تُنَازِعُ مَلَكاً يَهْتَدِي وَيَجُورُ ^(١)
فَقُلْتُ لَهُ قَوْلًا أَصَابَ فَوَادَهُ وَبَعْضُ كَلَامِ النَّاطِقِينَ غُرُورُ

٩٣

وَفِي شَبِيهِ ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ حَيْثُ يَقُولُ :
رِجَالُ أَصْحَاءِ الْجُلُودِ مِنَ الْخَنَا وَالسَّنَةُ مَعْرُوفَةٌ أَيْنَ تَذْهَبُ ^(٢)

وَفِي إِصَابَةِ فَصِّ الشَّيْءِ وَعَيْنُهُ ، يَقُولُ ذُو الرُّمَّةِ فِي مَدِيحِ بِلَالِ بْنِ أَبِي
بُرْدَةَ الْأَشْعَرِيِّ :

تُنَاجِي عِنْدَ خَيْرِ فِتْنَى يَمَانٍ إِذَا التَّكْبَاءُ عَارَضَتْ الشَّمَالَا ^(٣)
وَخَيْرِهِمْ مَا تَرَى أَهْلَ بَيْتٍ وَأَكْرَمِهِمْ وَإِنْ كَرُمُوا فَعَالَا
وَأَبْعَدِهِمْ مَسَافَةً غَوْرٍ عَقِيلٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الشَّيْثَاتِ عَلَا ^(٤)
وَلَيْسَ بَيْنَ أَقْوَامٍ فَكُلٌّ أَعَدَّ لَهُ الشَّغَازِبُ وَالْمِحَالَا ^(٥)
وَكُلَّهُمْ أَلَدٌ لَهُ كِظَاطٌ أَعَدَّ لِكُلِّ حَالِ الْقَوْمِ حَالَا ^(٦)
فَصَلَّتْ بِحِكْمَةٍ فَأَصْبَتْ مِنْهَا فُصُوصَ الْحَقِّ فَانْفَصَلَ انْفِصَالَا

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الرَّائِي ، وَهُوَ شَرِيشِيرُ الْمَدَنِيِّ ^(٧) يَعْيبُ أَبَا حَنِيفَةَ ، فَقَالَ الشَّاعِرُ :

(١) الْغَيَارَى ، يَفْتَحُ الْغَيْنَ وَضَمُّهَا جَمْعُ غَيُورٍ . يَجُورُ ، فِي هَامِشِ ل : « خ : أَيْ هُوَ مِنَ الْبَشَرِ
يَجُوزُ أَنْ يَجُورَ عَلَى الْغُلَطِ » . فِيمَا عَدَا ل : « وَتَجُورُ » أَيْ الْقُرُومُ . وَهَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَرَوْهُ ابْنُ حَجَرٍ .
(٢) أَيْ قَدْ صَحَّتْ وَبُرِّتْ مِنَ الْخَنَا .

١٥

(٣) انْظُرْ دِيوَانَ ذِي الرُّمَّةِ ٤٤٢ - ٤٤٣ ثُمَّ ٤٤٥ وَالنَّكْبَاءُ : كُلُّ رِيحٍ تَهْبُ بَيْنَ رِيحَيْنِ .

(٤) عَالٌ : عَظِيمٌ وَتَفَاقَمَ . ل : « غَالَى » ، وَفِيمَا عَدَا ل : « غَالَا » صَوَابُهُمَا مِنَ الدِّيَوَانِ

(٥) الشَّغَازِبُ : جَمْعُ شَغْزِيَّةٍ وَشَغْزَى ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْحَيْلَةِ فِي الصَّرَاعِ . وَالْمِحَالُ ، بِالْكَسْرِ : الْحَيْلَةُ .

٢٠

(٦) الْأَلَدُ : الشَّدِيدُ الْعِدَاوَةِ . وَالْكِظَاطُ : تَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي الْعِدَاوَةِ .

(٧) كَذَا وَرَدَ اسْمُهُ مَضْبُوطاً فِي الْأَصْلِ . وَلَمْ أَعثرْ لَهُ عَلَى تَرْجُمَةٍ .

عِنْدِي مَسَائِلُ لَا شِرْشِيرُ يُحْسِنُهَا عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا أَصْحَابُ شِرْشِيرِ
وَلَا يُصِيبُ فَصُوصَ الْحَقِّ نَعْلَمُهُ إِلَّا حَنِيفَةً كَوْفِيَّةَ الدُّورِ (١)
وَمَا قَالُوا فِي الْإِيْجَازِ ، وَبِلُغِ الْمَعَانِي بِالْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ ، قَوْلٌ ثَابِتٌ
قُطْنَةُ (٢) :

٥ مَا زِلْتُ بَعْدَكَ فِي هَمٍّ يَجِيشُ بِهِ صَدْرِي وَفِي نَصَبٍ قَدْ كَادَ يُثْلِينِي (٣)
لَا أَكْثَرُ الْقَوْلِ فِيمَا يَهْضُبُونَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ ، قَلِيلٌ مِنْهُ يَكْفِينِي (٤)
إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلِي لَوْ شَهِدْتُهُمْ فِي غَمْرَةِ الْمَوْتِ لَمْ يَصْلَوْا بِهَا دُونِي
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيٍّ وَمَدَحَ كَلَامَ رَجُلٍ [فَقَالَ (٥)] : « هَذَا كَلَامٌ يُكْتَفَى
بِأُولَاهِ ، وَيُشْتَفَى بِأَخْرَاهِ » .

١٠ وَقَالَ أَبُو وَجْزَةَ السَّعْدِيُّ (٦) ، مِنْ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، يَصِفُ كَلَامَ رَجُلٍ :
يَكْفِي قَلِيلٌ كَلَامِهِ وَكَثِيرُهُ ثَبَتٌ إِذَا طَالَ التَّضَالُّ مُصِيبُ
وَمِنْ كَلَامِهِمُ الْمَوْجَزُ فِي أَشْعَارِهِمْ قَوْلُ الْعُكْلِيِّ ، فِي صِفَةِ قَوْسٍ :

(١) نَعْلَمُهُ ، جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ ، أَوْ نَعْلَمُهُ أَيْ أَحَدُ نَعْلَمُهُ ، حَذَفَ الْمُصَوِّفُ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

• يَرْمِي بِكَفْيٍ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ •

١٥ فِيمَا عَدَا لَ : « نَعْلَمُهُ » . حَنِيفَةً ، أَيْ جَمَاعَةً مَنْسُوبَةً إِلَى أُنَى حَنِيفَةٍ . وَفِي هَمِّ الْمَوَاصِعِ (٢ : ١٩٥) :
« وَقَاسَ الْكَمَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، الْحَنِيفِيُّ ، فِي النِّسْبَةِ إِلَى مَذْهَبِ أُنَى حَنِيفَةٍ ، فَقَرَّبَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْمَنْسُوبِ إِلَى قَبِيلَةِ بَنِي حَنِيفَةٍ حَيْثُ يُقَالُ فِيهِ حَنِفِي » .

(٢) هُوَ أَبُو الْعَلَاءِ ثَابِتُ بْنُ كَعْبٍ ، شَاعِرُ فَارِسِ شَجَاعٍ ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَكَانَ فِي صَحَابَةِ
يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَلَقِبَ « قُطْنَةُ » لِأَنَّهُ سَهْمًا أَصَابَهُ فِي عَيْنِهِ فِي بَعْضِ حُرُوبِ التَّرْكِ ، فَكَانَ يَجْعَلُ عَلَيْهَا قُطْنَةً .
انْظُرِ الْأَغَانِي (١٣ : ٤٧ — ٥٤) وَالْخَزَانَةَ (٤ : ١٨٥) وَالشُّعْرَاءَ ٦١٢ وَالطَّبْرِي (٨ : ١٨٥)

٢٠ (٣) الْأَيَّاتُ فِي الْأَغَانِي (١٣ : ٥١ — ٥٢) ، وَهِيَ فِي رِثَاءِ الْمُفْضَلِ بْنِ الْمُهَلَّبِ .

(٤) يَهْضُبُونَ فِي الْحَدِيثِ : يَخْضُونَ فِيهِ دَفْعَةً دَفْعَةً مَعَ ارْتِفَاعِ صَوْتٍ .

(٥) هَذِهِ مِمَّا عَدَا لَ .

(٦) أَبُو وَجْزَةَ هُوَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ بْنِ هَوَازِنَ ، أَظَارَ النَّبِيُّ ﷺ . وَكَانَ أَبُو وَجْزَةَ

مِنْ التَّابِعِينَ ، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ شَبَّ بِعَجُوزِ انْظُرِ الْأَغَانِي (١١ : ٧٥ — ٨١)
وَتَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ، وَالشُّعْرَاءُ لِابْنِ قَتِيْبَةٍ .

فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ مُؤَنَّفَةٌ صَابِرَةٌ جَزُوعٌ ^(١)

وقال الآخر ، ووصف سَهْمَ رَامٍ أَصَابَ حِمَاراً ، فقال :

* حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا ^(٢) *

« وقال الآخر [وهو ^(٣)] يَصِفُ ذُبَاباً :

أَطْلَسَ يَخْفَى شَخْصَهُ غُبَارُهُ ^(٤) فِي شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ وَنَارُهُ ^(٥)

هُوَ الْحَبِيثُ عَيْنُهُ فَرَاوُهُ ^(٦) بِهِمْ بَنَى مُحَارِبٍ مُزْدَارُهُ ^(٧)

ووصف الآخر ناقة فقال :

* خَرَقَاءُ إِلَّا أَنَّهَا صَنَاعٌ ^(٨) *

يَصِفُ سُرْعَةَ نَقْلِ يَدَيْهَا وَرَجْلَيْهَا ، أَنَّهَا تَشْبهُ الْمَرْأَةَ الْخَرَقَاءَ ، وَهِيَ الْخَرَقَاءُ فِي

أَمْرِهَا الطَّيَّاشَةُ ^(٩) . وقال الآخر ووصف سَهْمًا صَارِدًا ^(١٠) ، فقال :

أَلْقَى عَلَى مَفْطُوحِهَا مَفْطُوحًا ^(١١) غَادَرَ دَاءً وَنَجَا صَحِيحًا ١٠

(١) يقول : إنها تسهل على باربها مرة وتصعب أخرى . ويعنى يجزعها رنينها وصوتها عند الإنباض . انظر الحيوان (٣ : ٧٢) .

(٢) وكذا في الحيوان (٣ : ٧٥) : « من جوفه » ، أى نجا السهم من جوف الحمار ولم ينج الحمار من الهلاك . وفى ل : « من شخصه » .

(٣) هذه مما عدل . وانظر الرجز في الكامل ٢٠٨ وجمهرة العسكري ١٩ وديوان المعاني (٢ : ١٣٤) ومحاسن البيهقي (٢ : ١٣٤) والحيوان (٦ : ٤٣٨) .

(٤) الأطلس : مالونه الطلسة ، وهى غيرة إلى سواد . وأراد أنه يسرع العدو فيثير من الغبار ما يخفى شخصه .

(٥) الشفرة : السكين العريضة العظيمة . عنى أنه قد استغنى بأنيابه عن معالجة مطعمه بالشفرة ثم بالنار .

(٦) هذا البيت وتاليه ليس فى ل . والفرار ، مثلثة الفاء : أن يفر عن أسنان الدابة ليعلم سبه .

أى تعرف خبيثه فى عينه إذا أبصرته . يضرب مثلاً لمن يدل ظاهرو على باطنه . ٢٠

(٧) مزداره : موضع زيارته وسطوه .

(٨) الحيوان (٣ : ٧٢) والعمدة (١ : ١٦٨) .

(٩) هذا التفسير ساقط مما عدل .

(١٠) الصارد : النافذ المصيب ، وهو المخطئ أيضاً . والمراد الأول .

(١١) انظر العمدة (١ : ١٦٨) واللسان (فطح) . وفيه : « على فطحائها » . قال : ٢٥

« وعنى بالفتحاء الموضع المنبسط منها ، كالقريصة » .

[المفطوح الأول للقوس، وهو العريض، وهو هاهنا موضع مقبض القوس. والمفطوح الثاني: السهم العريض. يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهماً عريضاً^(١)].
وقال الآخر:

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ لَا تُفْلِحُ اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ^(٢)
وقالوا في المثل: « اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ » . وقال رؤية يصف حماراً^(٣):
حَشَرَجٌ فِي الْجُوفِ سَحِيلًا وَشَهَقٌ حَتَّى يُقَالَ نَاهَقٌ وَمَا نَهَقُ
الحشرة: صوت الصدر. والسَّحِيل: صوت الحمار إذا مدّه.
والشَّهَق: أن يقطع الصوت.

وقال بعض ولد العباس بن مرداس السلمى، في فرس أبى الأعور السلمى^(٤):
جَاءَ كَلْمُجِ الْبَرَقِ جَاشَ نَازِرُهُ^(٥) يَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ
٩٥ * فَمَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ *

قوله: جاش ناظره، أى جاش بمائه. وناظر البرق: سحابه. يسبح،
يعنى يمد ضبعيه، فإذا مدّها علا كفله. وقال الآخر:
* إِنْ سَرَّكَ الْأَهْوَنُ فَايْدَأْ بِالْأَشَدِّ *

وقال العجاج:
يَمَكِّنُ السَّيْفُ إِذَا السَّيْفُ أَنْاطَرَ^(٦) مِنْ هَامَةِ اللَّيْلِ إِذَا مَا اللَّيْلُ هَرَّ^(٧)
١٥

(١) هذه مما عدل .
(٢) أنشد الجاحظ البيت الأول في الحيوان (١ : ٢٨٥) والثاني في (٣ : ٧٢) .
(٣) ديوان رؤية ١٠٦ .
(٤) أبو الأعور السلمى مشهور بكنيته . واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس . وهو صحابى
قائد ، غزا قبرص سنة ٢٦ وكانت له مواقف بصفين مع معاوية . الإصابة ٥٨٤٦ .
(٥) كتب في ل « ماطره » فوق « ناظره » .
(٦) أناطر : انعطف وانثنى . وانظر ديوان العجاج ١٨ .
(٧) هر : زأر . فيما عدل ، ه : « إذا الليث هتر » تحريف .

كَجَمَلِ الْبَحْرِ إِذَا خَاضَ جِسْرُ غَوَارِبِ الْيَمِّ إِذَا الْيَمُّ هَدَرَ (١)
* حَتَّى يُقَالَ حَاسِرٌ وَمَا حَسِرَ (٢) *

قالوا : جمل البحر سمكة طولها ثلاثون ذراعاً . يقول : هذا الرجل يبعد كما
تبعد هذه السمكة بجساره ، لا يردّها شيء ، حتى يقال كاشف وما انكشف
البحر . يقال : البحر حاسرٌ وجازرٌ . يقول : حتى يحسب الناس من ضيخم
ما يبدو من هذا الجمل ، أنّ الماء قد نضب عنه ، وأنّ البحر حاسرٌ . وقال آخر :

يا دارُ قد غيّرَها بِلَاهَا كَأَنَّمَا بَقَلِمَ مَحَاهَا (٣)

أَخْرَبَهَا عُمرانُ مَن بَنَاهَا وَكَرَّرَ مُمَسَّاهَا عَلَى مَعْنَاهَا (٤)

وطففت سحابة تغشاها تبكى على عراصمها عيناها

قوله : أَخْرَبَهَا عُمرانُ مَن بَنَاهَا ، يقول : عمرها بالخراب . وأصل العُمران
مأخوذ من العُمر ، وهو البقاء ، فإذا بقي الرَّجُلُ في داره فقد عَمَرَهَا . فيقول : إنّ
مُدّة بقائه فيها أبلت منها ؛ لأنّ الأيام مؤثّرة في الأشياء بالتقصّ والبلى ، فلما بقي
الخرابُ فيها وقام مقام العُمران في غيرها ، سُمّي بالعُمران . وقال الشاعر (٥) :

يا عَجَلُ الرَّحْمَنِ بِالْعَذَابِ لِعِماراتِ الْبَيْتِ بِالْخَرَابِ

يعنى الفار . يقول : هذا عُمرانها ، كما يقول الرَّجُلُ : « ماترى من خيرك ٩٦ ١٥

(١) غوارب اليم : أعالي موجه .

(٢) فيما عدل : « جاسر وما جسر » . ورويا في هـ بالخاء والجيم معا .

(٣) هذا التفسير كتب في هامش التيمورية ، وأشير إلى أنه في نسخة . في صلب سائر النسخ
بدل هذا التفسير تفسير آخر ، وهو « اليم : معظم الماء . وغوارب اليم : معظمه . جسر : قطع ، ومنه
٢٠ قيل للجسر جسر لأن الناس يقطعون عليه . وقوله حتى يقال جاسر وما جسر ، أى قطع الأمر وهو بعد
فيه ، لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه » .

(٤) ل فقط : « مغداها » ، وهو الوجه الذى نرتضيه في رواية البيت ، لكن التفسير الذى سيرد
فيما بعد يؤيد ما أثبت من سائر النسخ .

(٥) هو أعرانى دخل البصرة فاشتري خبزاً فأكله الفأر . انظر ديوان المعاني (٢ : ١٠) لحيوان

وَرَفَدَكَ ، إِلَّا مَا يَبْلُغُنَا مِنْ حَظِّكَ عَلَيْنَا ^(١) ، وَقَتُّكَ فِي أَعْضَادِنَا .

وقال الله عز وجل : ﴿ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . والعذاب لا يكون نُزْلاً ، ولكن لما قام العذاب لهم في موضع التعميم لغيرهم ، سُمي باسمه .

وقال الآخر :

فَقُلْتُ أَطْعِمْنِي عُمَيْرٌ تَمْرًا فَكَانَ تَمْرِي كَهَرَّةً وَزَيْراً ^(٢) .

والتمر لا يكون كهرة ولا زيراً ، ولكنه على ذا . وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ، وليس في الجنة بكرة ولا عشي ، ولكن على مقدار البكر والعشيات . وعلى هذا قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزْنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ . والخزنة : الحفظة . وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها ، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سُميت به .

قوله : مُسَاهَا ، يعنى مساءها . ومغناها : موضعها الذى أقيم فيه . والمعانى : المنازل التى كان بها أهلؤها . وطَفِقَتْ ، يعنى ظَلَّتْ . تبكى على عراصها عيناها ، عيناها هاهنا للسحاب . وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة ، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه . ويقال لكل جوبة مُنْفَتِحَةٍ ليس فيها بناء : عَرَصَةٌ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل : أى نصف بيت شعر أحكم وأوجز ؟ فقال أحدهم : قول حميد بن ثور الهلالي :

(١) ما يبلغنا ، أى ما يصل إلينا . وفى اللسان : وحطب فلان بفلان : سعى به . ل :

خطتكت فينا . فيما عدل : « من خطبتك علينا » والصواب ما أثبت من ه .

(٢) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع . وانظر للخلاف فى رواية الرجز الحيوان (٤ :

٢٧٤ / ٥ : ٣٣) والمخصص (٢ : ١٣٤) .

* وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصَحَّ وَتَسْلَمَا ^(١) *

ولعلَّ حُميداً أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ عَنِ النَّمْرِ بْنِ تَوَلْبٍ ، فَإِنَّ النَّمْرَ قَالَ ^(٢) :

يُحِبُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ ^(٣)

وقال أبو العتاهية :

* أَسْرَعَ فِي نَقْصِ امْرِئٍ تَمَامُهُ ^(٤) *

ذهب إلى كلام الأول : « كُلُّ مَا أَقَامَ شَخْصٌ ، وَكُلُّ مَا أَزَادَ نَقْصٌ ،

ولو كان النَّاسُ يُمِيتُهُمُ الدَّاءُ ، إِذَا لَأَعَاشَهُمُ الدَّوَاءُ ^(٥) » .

وقال الثاني من الرُّوَاةِ الثلاثة : [بل ^(٦)] قَوْلُ أُمِّ خِرَاشٍ الْهُذَلِيَّ ^(٧) : ٩٧

* تُوكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمِضِي ^(٨) *

وقال الثالث من الرُّوَاةِ : بل قَوْلُ أُمِّ ذُوَيْبٍ الْهُذَلِيَّ :

* وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ ^(٩) *

(١) صدره كما في ديوان حميد ٧ والحيوان (٦ : ٥٠٣) :

• أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صَحَّةٍ •

(٢) بدل هذه العبارة فيما عدل ل : « قال النمر ، فقط .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٣) والأغاني (١٩ : ١٥٩) والمعرين ٦٣ .

(٤) ما عدا هـ : « نقض » ، بالضاد المعجمة ، وكذا ورد في الحيوان (٦ : ٥٠٢) لكن في

الحيوان (٣ : ٤٧٩) و« عيون الأخبار » (٢ : ٣٢٢) : « نقص » ، وهو الأمثل .

(٥) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٢) .

(٦) هذه مما عدل ل .

(٧) أبو خراش الهذلي : هو خويلد بن مرة ، مخضرم أدرك زمان عمر بن الخطاب وهاجر إليه ،

وغزا مع المسلمين ، ومات في زمان عمر . الإصابة ٢٤١ والأغاني (٢١ : ٣٨ - ٤٨) والخزانة (١ :

١١٢) والشعراء لابن قتيبة .

(٨) عجز بيت من مَرثِيَّةٍ له رواها أبو تمام في الحماسة (١ : ٣٢٦) يرثي بها أخاه عروة بن مرة

الشاعر الهذلي ، أحد إخوته الشعراء العشرة . وصدره :

• عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكَلَامَ وَإِنَّمَا •

والقصيدة بتمامها في نسخة الشنقيطي من ديوان الهذليين .

(٩) من مَرثِيَّةِ المشهورة ، في أول ديوانه والمفضليات (٢ : ٢٢١ - ٢٢٩) . وصدره :

• وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا •

فقال قائل : هذا من مفاخر هُذيل : أن يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا في جميع أشعار العرب إلا ثلاثة أنصاف ، اثنان منها لهذيل وحدها . فقليل لهذا القائل : إنما كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بأنفسها ، والنصف الذى لأبى ذؤيب لا يستغنى بنفسه ، ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولاً بالنصف الأول ؛ [لأنك إذا أنشدت رجلاً لم يسمع بالنصف الأول ^(١)] وسَمِعَ :

* وإذا تُرِّدُ إلى قليل تَقْنَعُ *

قال : من هذه التى تُرِّدُ إلى قليل فتقنع . وليس المضمَّن ^(٢) كالمطلق وليس هذا النصف مما رواه هذا العالم ، وإنما الرواية قوله :

* واللَّهْرَ ليس بمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزُعُ ^(٣) *

* * *

وممَّا مدحوا به الإيجاز والكلام الذى هو كالوحي والإشارة ، قول أبى
دؤاد بن حريز الإباضى ^(٤) :

يرْمُونُ بِالْحُطْبِ الطَّوَالِ وتَارَةً وَحَى الْمَلَاظِحَ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ

فَمَدَحَ كَمَا تَرَى الْإِطَالََةَ فِي مَوْضِعِهَا ، وَالْحَذْفَ فِي مَوْضِعِهِ .

ومما يدل على شَعْفِهِمْ وَكَلْفِهِمْ ، وَشِدَّةِ حُبِّهِمْ لِلْفَهْمِ وَالْإِفْهَامِ ، قول
الأسدَى فى صِفَةِ كَلَامِ رَجُلٍ نَعَتَ لَهُ مَوْضِعاً مِنْ تِلْكَ السَّبَابِيبِ الَّتِي لَا أُمَارَةَ
فِيهَا ، بِأَقْلِ اللَّفْظِ وَأَوْجَزِهِ ، فَوَصَفَ إِيجَازَ النَّاعَتِ ، وَسُرْعَةَ فَهْمِ الْمُنْعَوَتِ لَهُ ، فَقَالَ :

(١) هذه مما عدل .

(٢) ل : « المضمّر » .

(٣) هو عجز مطلع مرثيته . وصدره :

• أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ •

(٤) فى الأصول : « بن جرير الإباضى » . وانظر ما سبق فى ٤٢ ، ٤٤ .

بَضْرِيَّة نَعَيْتْ لَمْ تُعَدِّ غَيْرِ أَنْتَى عَقُولٌ لِأَوْصَافِ الرِّجَالِ ذَكُورُهَا (١)
 وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ لِابْنِ عَبَّاسٍ : أَنْتَى لَكَ هَذَا الْعِلْمُ ؟ قَالَ : « قَلْبٌ عَقُولٌ ،
 وَلِسَانٌ سُؤْلٌ (٢) » .
 وَقَالَ الرَّاجِزُ (٣) .

٩٨ وَمَهْمَهَيْنِ قَدَفَيْنِ مَرَّتَيْنِ (٤) جُبْتُهُمَا بِالنَّعْتِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ (٥)
 ظَهَرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ (٦) قَطَعْتَهُ بِالْأُمِّ لَا بِالسَّمْتَيْنِ (٧)

وَقَالُوا فِي التَّحْذِيرِ مِنْ مَيْسَمِ الشَّعْرِ ، وَمِنْ شِدَّةِ وَقَعِ اللِّسَانِ ، وَمِنْ بَقَاءِ أَثَرِهِ
 عَلَى الْمَدْدُوحِ وَالْمَهْجُوعِ ، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ :
 ١٠ وَلَوْ عَنْ نَكَا غَيْرِهِ جَاءَنِي وَجَزَحُ اللِّسَانِ كَجَرَحِ الْيَدِ (٨)
 وَقَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :
 بَحْسَامُ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانُكَ وَالْكَلِمُ الْأَصِيلُ كَأَرْغَبِ الْكَلِمِ (٩)

(١) ل فقط : « بغت » تحريف . على أنه قد كتب في هامشها « خ : نعت » .

(٢) انظر ما سبق من الكلام على الخلاف في نسبة هذا القول ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) هو خطام المجاشعي ، أو هيمان بن قحافة . انظر الخزائن (٣ : ٣٧٤ - ٣٧٦) ، وكتاب
 سيبويه (١ : ٢٤١ / ٢ : ٢٠٢) . ١٥

(٤) المهمة : القفر المخوف . والقذف ، بالتحريك : البعيد . فيما عدل : « فدفدين » . وقد
 نبه العيني على هذه الرواية . والمرت ، بالفتح : التي لا ماء فيها ولا نبات .

(٥) وصف نفسه بالحذق والمهارة . والعرب يفخرون بمعرفة الطرق .

(٦) يستشهد به النحويون على الجمع بين لغتي التشبية والجمع في المضاف إلى المثنى إذا كان
 بعض ما أضيف إليه . وهذا البيت وما بعده في ل فقط . ٢٠

(٧) الرواية المعروفة : « بالسمت لا بالسمتين » .

(٨) النشا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سىء . وبعده في الديوان ١٨٦ :

لقلت من القول ما لا يزا ل يؤثر عني يد المسند

(٩) حسام السيف : طرفه الذي يضرب به . والكلم ، بفتح فكسر : جمع كلمة . أرغب :
 أوسع . والكلم : المرح . ل « والكلم الرغبة » صوابه في سائر النسخ وديوان طرفه ٦١ . ٢٥

قال : وأنشدني محمد بن زياد ^(١) :

لَحَيْثُ شَمَاساً كَمَا تُلْحَى الْعِصْبَى سَبًّا لَوْ أَنَّ السَّبَّ يُدْمِي لِلْدَمِي
مِنْ نَفَرٍ كُلُّهُمْ نِكْسٌ دَنِي مَحَامِدِ الرُّذُلِ مِشَاتِيمِ السَّرَى ^(٢)
مَخَابِطُ الْعِمَكُم مَوَادِيعُ الْمَطَى ^(٣) مَتَارِكِ الرَّفِيقِ بِالْحَرْقِ النَّطَى ^(٤)

وأنشد محمد بن زياد :

تَمَنَّى أَبُو الْعَفَّاقِ عِنْدِي هَجْمَةً تُسَهِّلُ مَأْوَى لَيْلِهَا بِالْكَلا كِل ^(٥)
وَلَا عَقْلٌ عِنْدِي غَيْرُ طَعْنِ نَوَافِدٍ وَضَرْبِ كَأَشْدَاقِ الْفِصَالِ الْهَوَادِلِ
وَسِبَّ يَوْذُ الْمَرْءِ لَوْ مَاتَ قَبْلَهُ كَصَدْعِ الصِّفَا فَلَقَّتْهُ بِالْمَعَاوِلِ ^(٦)

الْهَجْمَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الثُّوقِ فِيهَا فَحْلٌ . وَالْكَلْكُلُ : الصَّدْرُ . وَالْفِصَالُ :

١٠ جمع فَصِيلٍ ، وهو ولد النَّاقَةِ إِذَا فَصِلَ عَنْهَا . وَالْهَوَادِلُ : الْعِظَامُ الْمَشَافِرُ . وَالْعَقْلُ
هَـا هُنَا الدَّيَّةُ . وَالْعَاقِلَةُ : أَهْلُ الْقَاتِلِ الْأَدْنَوْنَ وَالْأَبْعَدُونَ . وَالصِّفَا : جَمْعُ صِفَاةٍ وَهِيَ
الصَّخْرَةُ . وَقَالَ طَرْفَةُ :

(١) هو أبو عبد الله محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي ، الكوفي ، كان راوية لأشعار القبائل
ناسباً ، وأحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها ، أخذ عن المفضل والكسائي ، وأخذ عنه ثعلب وابن
السكيت . ولد ليلة وفاة أبي حنيفة سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٣١ . وفيات الأعيان وبغية الوعاة . انظر مثيل
البيت الأول في اللسان (قيض ٩٢) .

(٢) القياس في مفرد محامد ، محمد بالكسر ، وفي مفرد مشاتيم مشتام . ولم أجدهما في معجم .
(٣) العمك : بالكسر : العدل مادام فيه المتاع . والمخابط ، من الخطب وهو طلب المعروف . هـ :
« مخابط » : يخيطون عكومهم . مواديع المطى ، أى مطوهم مودوعة لا يجهدونها .

(٤) الحرق ، بالفتح : القفر ، والأرض الواسعة تتحرق فيها الرياح . والنطى البعيد وهذا البيت لم يرد في ل .
(٥) أبو العفّاق ، لعله أراد به الذئب ؛ لأنه يعفق ؛ أى يسرع في العدو . وفي الحيوان (٦ :
٤١٣) وحواشي هـ عن نسخة : « أبو اليقظان » ، وهى كنية للذئب أيضاً ؛ لأنه :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

ولم أجدهما في الكنتين فيما لدى من المراجع . وفي القاموس أن أبا اليقظان اسم للذئب .

(٦) في الحيوان : « كوقع المضاب صدعت بالمعاول » .

رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَلَجَّنَ مَوَالِجاً تَضَائِقُ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الْإِبْرُ (١)

وقال الأخطل :

حَتَّى أَقْرُوا وَهَمَ مِنِّي عَلَى مَضَضٍ وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ (٢)

وقال العُمَانِي :

إِذْ هُنَّ فِي الرَّيْطِ وَفِي الْمَوَادِعِ تُرْمَى إِلَيْهِنَّ كَبْدَرِ الزَّارِعِ (٣)
الرَّيْطُ : الثَّيَابُ ، وَاحِدُهَا رَيْطَةٌ ؛ وَالرَّيْطَةُ : كُلُّ مَلَاعَةٍ لَمْ تَكُنْ لِفَقَيْنِ . وَالْحَلَّةُ
لَا تَكُونُ إِلَّا ثَوْبِينَ . وَالْمَوَادِعُ : الثَّيَابُ الَّتِي تَصُونُ غَيْرَهَا ، وَاحِدُهَا مِيدَعَةٌ .

وَقَالُوا : « الْحَرْبُ أَوَّلُهَا شَكْوَى ، وَأَوْسَطُهَا نَجْوَى ، وَآخِرُهَا بَلْوَى » .

وَكُتِبَ نَصْرُ بَنِ سَيَّارٍ ، إِلَى ابْنِ هَبِيرَةَ (٤) أَيَّامَ تَحَرُّكِ أَمْرِ السَّوَادِ
بِخُرَّاسَانَ (٥) :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِضَ جَمْرٍ فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اضْطِرَامُ (٦)
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِينَ تُذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ (٧)
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ : لَيْتَ شِعْرِي أَأَيْقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمْ نِيَامُ (٨)

(١) القوافي : القصائد . يتلجن ، يدخلن ، أصله يوتلجن من الولوج . والبيت في ديوان طرفة ٤ .

(٢) في ديوان الأخطل ١٠٥ : « حتى استكانوا وهم مني على مضض » .

(٣) هـ : « رمى » .

(٤) كان نصر بن سيار عامل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية على خراسان ، وكان ابن
هبيزة - وهو يزيد بن عمر بن هبيزة - عامله على العراق . وفي تاريخ الطبري (٩ : ٩٢) أنه كتب
بالشعر إلى مروان بن محمد . وانظر كتاب البغال ٢٧١ والمقد (٤ : ٢١ ، ٤٧٧) .

(٥) السواد : شعار العباسيين ، وأول من أظهره السواد أبو مسلم الخراساني ، داعي الدولة
العباسية في خراسان .

(٦) الطبري : « بين الرماد » . ل : « لها ضرام » . وفي الطبري : « فأحجج بأن يكون له ضرام »
أحجج : أجدر . وانظر المقد (١ : ٩٤ و ٤ : ٢١٠ ، ٤٧٨) وعيون الأخبار (١ : ١٢٨) .

(٧) فيما عدا ل : « أولها كلام » . الطبري : « مبدؤها الكلام » .

(٨) ل : « أقول » .

فإن كانوا لِجَنِينِهِمْ نياماً فقلُّ قوموا فقد طال المنام ^(١)

وقال بعض المولدين :

إذا نلتَ العطيةَ بعدَ مَطلٍ فلا كانت ، وإن كانت جَزيلةً
فَسَقِيّاً للعطيةِ ثمَّ سَقِيّاً إذا سَهَلتْ ، وإن كانت قليلةً
وللشُّعراءِ ألسنةٌ حِدادٌ على العُوراتِ مُوفيةٌ دليلاً
وَمِنْ عَقْلِ الكَرِيمِ إذا اتَّقاَهُمْ وداراَهُمْ مُداراةٌ جَميلةٌ ^(٢)
إذا وضَعُوا مَكاوِيَهُمْ عليه ، وإن كَذَبُوا ، فليس لهنَّ حيلةٌ ^(٣)

وقالوا : « مذاكرة الرجال تلقح لألبابها » .

ومما قالوا في صفة اللسان قول الأسدى ^(٤) ، أنشدنيها ابنُ الأعرأى :

وأصبحتُ أعددتُ للنائبِ بِ عِرْضاً بريئاً وعَضْباً صقيلاً ^(٥)
ووقعَ لِسَانٌ كحَدِّ السِّنا نِ ورُحاً طویلَ القِناةِ عَسولاً ^(٦)

وقال الأعشى :

وأدفع عن أعراضكم وأعيركم لساناً كمقراض الحفاجي ملحبا ^(٧)
[الملحَب : القاطع ^(٨)] .

(١) فيما عدا ل : « حان القيام » . وهذا البيت لم يروه الطبري . وزاد الطبري في الخبر : ١٥
« فكتب إليه : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم التؤلؤل قبلك . فقال نصر : أما صاحبكم فقد
أعلمكم ألا نصر عنده » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) المكاوى : جمع مكواة . أراد لواءع الهجاء . أى ليس لتلك المكاوى من حيلة وإن كانت كذبا .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمي . والبراجم من أسد بن ربيعة . انظر المفضليات (٢) : ٢٠ .

(١٨٦) حيث القصيدة ، والاشتقاق ١٩٧ .

(٥) العضب : السيف القاطع .

(٦) العسول : المضطرب للينه .

(٧) وكذا في الديوان ٩٠ . لكن فيما عدا ل : « أدافع » . وروى في هـ : « كمقراض »

و « كمقراض » . وفي حواشيتها : « المقراض : حديدة يقطع بها الحديد والفضة » .

(٨) هذا الشرح ليس في ل .

الخفاجيّ : رَجُلٌ إِسْكَافٌ مَنْسُوبٌ إِلَى خَفَاجَةَ (١).

وقال ابنُ هَرْمَةَ :

قل للذي ظَلَّ ذَا لَوْنَيْنِ يَا كَلْنِي لقد خَلَوْتَ بِلَحْمٍ عَادِمِ الْبَشَمِ (٢)
إِيَّاكَ لَا أَلْزِمَنَّ لَحْيَيْكَ مِنْ لُجْمِي نِكَلًا يُنْكَلُ قَرَاصًا مِنَ اللَّجْمِ (٣)
إِنِّي أَمْرٌ لَأَصْوِّغُ الْحَلِيَّ تَعْمَلُهُ كَفَّائِي ، لَكِنْ لِسَانِي صَائِعُ الْكَلِمِ

وقال الآخر :

إِنِّي بَعَيْتَ الشَّعْرَ وَابْتِغَانِي حَتَّى وَجَدْتُ الشَّعْرَ فِي مَكَانِي

* فِي عَيْنِي مِفْتَاحُهَا لِسَانِي *

وَأُنْشِد :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ رِدَائِي خَلَقًا (٤) وَبِرَّنْكَانِي سَمِلًا قَدْ أُخْلَقًا (٥)

* قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِسَانِي مُطْلَقًا *

(١) هذا الشرح ساقط مما عدال . وفي شرح الديوان : « نسبة إلى خفاجة بن معاوية بن عقيل » .

(٢) ذكر أبو الفرج في الأغاني (٤ : ٦) من سبب هذا الشعر أن المسور بن عبد الملك

المخزومي كان يعيب شعر ابن هرمة ، وكان المسور هذا عالماً بالشعر والنسب ، فقال ابن هرمة فيه ما قال .

عادم البشم ، أى لا يشم من أكله ، وذلك لمعجزه عن مضغه . هـ : « عارم » . والعارم : الشديد لا يطاق . أى يشم من طعمه ولا يطيق مضغه .

(٣) النكل ، بالكسر : اللجام أو حديدته . فراصاً : قطاعاً ؛ الفرص : القطع .

(٤) فيما عدل : « إزارى » . والأبيات في اللسان (برنك) .

(٥) البرنكان ، كزعران : قال ابن منظور : كساء من صوف له علمان . وفي القاموس :

« ويقال للكساء الأسود البركان والبركاني - بتشديد الراء فيهما - والبرنكان كزعران والبرنكاني » . وفي

المعرب ٦٩ : « والبرنكان يقال كساء برنكاني ، وليس هو بعري ، والجمع برانك ، وقد تكلمت به

العرب » . لكن فيه ٥٦ : « ابن دريد : والبرنكان بالفارسية وهو الكساء » . على أن نص ابن دريد في

الجمهرة (٣ : ٣٠٨) : « والبرنكان أيضاً ، كساء برنكاني . ليس بعري » . فالنص الأخير من المعرب

بسم الله الرحمن الرحيم ^(١)

قال أبو عثمان : والعَتَائِي حِينَ زَعَمَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَفْهَمَكَ حَاجَتَهُ فَهُوَ بَلِيغٌ ^(٢) لَمْ يَغْنِ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَفْهَمَنَا مِنْ مَعَاشِرِ الْمُؤَلَّدِينَ وَالْبَلَدِيِّينَ قَصْدَهُ وَمَعْنَاهُ ، بِالْكَلامِ الْمَلْحُونِ ، وَالْمَعْدُولِ عَنْ جِهَتِهِ ، وَالْمَصْرُوفِ عَنْ حَقِّهِ ، أَنَّهُ مُحْكَمٌ لَهُ بِالْبَلَاغَةِ كَيْفَ كَانَ ، بَعْدَ أَنْ قَدْ فَهِمْنَا ^(٣) مَعْنَى كَلَامِ التَّبَطِّيِّ الَّذِي قِيلَ لَهُ : لِمَ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ الْأَتَانَ ؟ قَالَ : « أَرْكُبُهَا وَتَلَدُ لِي ^(٤) » . وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَعْنَاهُ كَانَ صَحِيحاً .

وقد فهمنا قول الشيخ الفارسي حين قال لأهل مجلسه : « ما من شر من دَيْنٍ » وَأَنَّهُ قَالَ حِينَ قِيلَ لَهُ : وَلَمْ ذَاكَ يَا أَبَا فَلَانٍ ؟ قَالَ : « مِنْ جَرَى يَتَعَلَّقُونَ ^(٥) » . وَمَا نَشْكُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ مَذْهَباً ، وَأَنَّهُ كَمَا قَالَ . ١٠

وقد فهمنا ^(٦) مَعْنَى قَوْلِ أُمِّي الْجَهِيرِ الْخُرَاسَانِيِّ النُّخَاسِ ، حِينَ قَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : أَتَبِيعُ الدَّوَابَّ الْمَعِيَّةَ مِنْ جُنْدِ السُّلْطَانِ ؟ قَالَ : « شَرِيكَانَا ^(٧) فِي هَوَازِهَا ، وَشَرِيكَانَا ^(٧) فِي مَدَايِنِهَا . وَكَأَتَجِيءُ نَكُونُ ^(٨) » . قَالَ الْحَجَّاجُ : مَا تَقُولُ ،

(١) هذه مما عدل ل .

(٢) انظر ما سبق في ص ١١٣ من ٩ - ١٠ . ١٥

(٣) جملة « ونحن قد فهمنا » ، ساقطة مما عدل ل .

(٤) انظر ما سبق في ص ٧٤ من ٥ - ٧ . ل فقط : « وتولد لي » .

(٥) من جراه ، أى من أجله . وفي اللسان (جرر) : « وربما قالوا من جراك غير مشدد ، ومن جرائك بالمد من المعتل » . وكتب إزاءها في التيمورية : « أى من أجل » أراد من جرى الدائنين الذين يتعلقون بمدينهم » .

(٦) هاتان من ل ، هـ فقط . ٢٠

(٧) جمع لفظ « شريك » على الطريقة الفارسية بزيادة الألف والنون ، كما يقولون في جمع مرد ، بمعنى رجل : مردان . فيما عدل ل : « شريكاتنا » .

(٨) فيما عدل ل : « تكون » ، بالتاء .

ويلك ! فقال بعضُ من قد كان اعتاد سماعَ الخطاءِ وكلامِ العلوج بالعربية حتى ١٠١ .
صار يفهمُ مثلَ ذلك : يقول : شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن ، يبعثون إلينا بهذه
الدواب ، فنحن نبيعُها على وجوهها .

وقلت لخدام لي : في أيِّ صناعةٍ أسلموا هذا الغلام ؟ قال : « في
أصحابِ سِنْدِ نِعال » يريد : في أصحابِ النعال السندية . وكذلك قولُ
الكاتبِ المغلاق للكاتب الذي دُوِّنه : « اكتب لي قُلْ خَطَّينِ ^(١) وريحني منه » .

فمن زعم أنَّ البلاغةَ أن يكون السامعُ يفهمُ معنى القائل ، جعل
الفصاحةَ واللكنةَ ، والخطأَ والصَّوابَ ، والإغلاقَ والإبانةَ ، والمحمونَ والمُعربَ ،
كله سواءً ، وكلُّه بياناً . وكيف يكون ذلك كله بياناً ، ولولا طولُ مخالطة
السامعِ للجمِّ وسماعِهِ للفاسدِ من الكلامِ ، لما عَرَفَهُ . ونحن لم نفهمُ عنه إلا
للتقص الذي فينا . وأهلُ هذه اللُّغةِ وأربابُ هذا البيانِ لا يستدلُّون على معاني
هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانةَ الرُّومِيِّ والصَّقْلِيِّ ، وإن كان هذا الاسم
إنَّما يستحقُّونه بأنَّا نفهمُ عنهم كثيراً من حوائجهم . فنحن قد نفهمُ
بِحِمْمَةِ الفَرَسِ كثيراً من حاجاته ، ونفهمُ بضغَاءِ السُّنُورِ كثيراً من إراداته ^(٢) .
وكذلك الكلبُ ، والحمارُ ، والصبيُّ الرضيعُ . ١٥

وإنَّما عنى العتاي إفهامك العربَ حاجتك على مجارى كلامِ العربِ
الفُصَّحاءِ . وأصحابُ هذه اللغة لا يفقهون قولَ القائل مِنَّا : « مُكْرَهُ أَخَاكَ لا بطل » .
و : « إذا عَزَّ أَخَاكَ فَهَنْ ^(٣) » . ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم : ذهبْتُ إلى أبو زيد ،
ورأيت أُنَى عمرو ^(٤) . ومتى وجد النحويُّونُ أعرابيا يفهمُ هذا وأشباهه بَهْرَجُوهُ ولم

(١) فيما عدل ، هـ : « خطين » .

(٢) ب ، هـ : « إرادته » . وانظر الحيوان (١ : ٣٣) .

(٣) جاء هذا المثل وسابقه على لغة من يعرب الأب والأخ إعراب المقصور مطلقا .

(٤) هذا على الحكاية . انظر مع الهوامع (٣ : ١٥٤) .

يسمعوا منه ^(١) ؛ لأنّ ذلك يدلّ على طول إقامته في الدّار التي تُفسد اللّغة وتنقصّ البيان . لأنّ تلك اللّغة إنّما انتقادت واستوت ، واطّردت وتكاملت ، بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة [وفي تلك الجزيرة ^(٢)] ، ولفقد الخطاء من جميع الأمم .

- ولقد كان بين زيد بن كَثُوة ^(٣) يومَ قدِم علينا البصرة ، وبينه يوم مات بَوْنٌ بعيد . على أنّه قد كان وضع منزله في آخر موضع الفصاحة وأوّل موضع العُجمة ، وكان لا ينفكّ من رواية ومذاكرين .

وزعم أصحابنا البصريّون عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال : لم أرَ قرويّين أفصحَ من الحسن والحجاج ، وكان - زعموا - لا يبرّئهما من اللّحن .

- ١٠٢ • وزعم أبو العاصي أنّه لم يرَ قروياً قط لا يلحن في حديثه ، وفيما يجري بينه وبين الناس ، إلّا ما تفقّده من أبي زيد النحويّ ، ومن أبي سعيد المُعلّم . وقد رَوَى أصحابنا أنّ رجلاً من البلديّين قال لأعرابيّ : « كيف أهْلِكُ » قالها بكسر اللام . قال الأعرابيّ : صلباً . لأنّه أجابه على فهمه ، ولم يعلم أنّه أراد المسألة عن أهله وعياله .

- ١٥ • وسمعت ابن بشير ^(٤) وقال له أبو الفضل العنبريّ ^(٥) : إني عثرت بالبارحة بكتاب ، وقد التقطته ، وهو عندي ، وقد ذكروا أنّ فيه شعراً ، فإن أردته

(١) ل : « ولم يسمعوا كلامه » .

(٢) هذه مما عدل ل .

(٣) فيما عدل : « يزيد بن كثوة » تحريف ، جاء على الصواب ، في مواضع متعددة من الحيوان . وفي اللسان (٢٠ : ٧٩) : « الجوهري : وكثوة ، بالفتح : اسم أم شاعر وهو زيد بن كثوة ، وهو القائل :
٢٠ ألا إن قومي لا تلت قدورهم ولكننا يوقدن بالعذرات »

(٤) هو علي بن بشير ، كما سيأتي في (٢ : ٢٢١) .

(٥) أبو الفضل العنبريّ ، يبدو أنّه أحد الأعراب الذين كانوا يردون إلى البصرة ويروى عنهم العلماء . ل : « أبو الفضل » .

وهبته لك . قال ابن بشير ^(١) : أريده إن كان مقيداً . قال : والله ما أدرى أمقيداً هو أم مغلول ^(٢) . ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته .

وحكى الكسائي أنه قال لغلام بالبادية : من خلّقت ؟ وجزم القاف ، فلم يدر ما قال ، ولم يجبه ، فردّ عليه السؤال فقال الغلام : لعلك تريد من خلّقت . وكان بعض الأعراب إذا سمع رجلاً يقول نعم في الجواب ، قال : « نَعَمْ وشاء ؟ » ؛ لأنّ لغته نَعِم ^(٣) . وقيل لعمر بن لجأ ^(٤) : قل « إنا من المجرمين منتقمين » . قال : ﴿ إنا من المجرمين منتقمون ﴾ .

وأنشد الكسائي كلاماً دار بينه وبين بعض فتيان البادية فقال :

عَجَبٌ مَا عَجَبٌ أعجبنى من غلامٍ حَكَمِيٍّ أَصْلاً ^(٥)
 قلت هل أحسست ركباً نَزَلُوا حَضَنًا ما دَوَّهَ قال هَلَا ^(٦)
 قلت بَيْنَ ما هَلَا هل نزلوا قال حَوِيًّا ثم وَلَّى عَجَلًا ^(٧)
 لستُ أدرى عندها ما قال لى أنعم ما قال لى أم قال لا
 تلك منه لغةٌ تعجبنى زادت القلب خبالاً خَبَلًا

١٥

(١) ل : « ابن يسير » .

(٢) فيما عدل ل : « أكان مقيداً أو مغلولاً » .

(٣) نعم ، بكسر العين : لغة في نعم . وبها قرئ .

(٤) هو عمر بن لجأ بن حدير ، شاعر راجز فصيح إسلامي ، وقعت المهاجاة بينه وبين جرير ، وكان جرير أسن منه ، وكان عارفاً بمثالب القبائل . انظر الأغاني (١٩ : ٢٢) والنقائض ٤٨٧ - ٤٩١ ،

٢٠ . ٩٠٧ والجمحي ١٥٠ - ١٥٣ والمرزباني ٤٧٨ والموشح ١٢٧ - ١٢٩ والشعراء .

(٥) حكى : نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة . أصلاً ، أى وقت الأصيل ، وهو جمع الأصيل بمعنى العشي . وتقرأ أيضاً : « أصلاً » ككرم . أصل : صار ذا أصل .

(٦) حضن ، بالتحريك : جبل بنجد .

(٧) في حواشي هـ : « هلا هنا بمعنى نعم ، كما أن أجل تكون بمعنى نعم ، فلم يفهم الكسائي معناها » .

٢٥ وفى هامش ل : « هلا معناه تحرك لتدركهم » . وحوب بالفتح : زجر للبعير ليحضى .

قال أبو الحسن : قال مولى زياد : أهدوا لنا هِمَارَ وَهْش . قال : أى شئ تقول وبلك ؟ قال : « أهدوا لنا أيراً » ، يريد : أهدوا لنا غيرا . قال زياد : وبلك ، الأول خير ^(١) .

وقال الشاعر يذكر جارية له لکناء :

١٠٣ أَكْثَرُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا بِالسَّحَرِ ^(٢) تَذَكِيرُهَا الْأُتْنَى وَتَأْنِيثُ الذِّكْرِ
* وَالسَّوَاءُ السَّوَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ *

فزياد قد فهم عن مولاه ، والشاعر قد فهم عن جاريته ^(٣) ولكنهما لم يفهما عنهما من جهة إفهامهما لهما ، ولكنهما لما طال مقامهما في الموضع الذى يكثر فيه سماعهما لهذا الضرب ، صارا يفهمان هذا الضرب من الكلام .

(١) سبق الخبر فى ص ٧٣ .

(٢) فيما عدا ل « فى السحر » . والرجز مضى فى ص ٧٣ .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « وصاحب الجارية قد فهم عن جاريته » .

ذكر ما قالوا في مدح اللسان

بالشعر الموزون واللفظ المشور ، وما جاء في الأثر وصح به الخبر

قال الشاعر :

أرى الناس في الأخلاق أهل تخلُّق وأخبارهم شتى فعزف ومُنكر^(١)
 قريباً تدانِيهم إذا ما رأيتهُم ومختلفاً ما بينهم حين تُخبر^٥
 فلا تحمدن الدهر ظاهرَ صفحة من المرء ما لم تُبل ما ليس يظهر^٥
 فما المرء إلا الأصغران : لسانه ومَعقوله ، والجسم خلقٌ مُصور^٥
 وما الزين في ثوب تراه وإنما يزِين الفتى مخبُورُهُ حين يُخبر^٥
 فإن طُرَّةً راقَتْك منه فربَّما أمرٌ مَذاقُ العود والعود أخضر^(٢)

وقال سويد بن أبي كاهل^(٣) في ذلك :

وَدَعَنْسَى بِرِقَاهَا إِنهَا تُنْزِلُ الْأَعْصَمَ مِنْ رَأْسِ الْيَفْعِ^(٤)
 تُسْمِعُ الْحَدَاثَ قَوْلًا حَسَنًا لَوْ أَرَادُوا مِثْلَهُ لَمْ يُسْتَطِعْ^(٥)

(١) التخلُّق : أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوى عليه . قال سالم بن وابصة :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلق

(٢) فيما عدل : « راقَتْك منهم » . أمر : صار مُراً .

(٣) سويد بن أبي كاهل اليشكري ، نسبة إلى يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية دهرًا ، وعمر في الإسلام عمراً طويلاً : عاش إلى ما بعد سنة ٦٠ من الهجرة . الإصابة ٣٧١٦ والأغانى (١١ : ١٦٥ - ١٦٧) . وقصيدته هذه العينية مفضلية . انظر المفضليات (١ : ١٨٨) . وكانت العرب تسميها التيممة لما اشتملت عليه من الأمثال ، كما في الإصابة .

(٤) جعل حديثها كالرقية في قوة أثرها . والأعصم : الوعل الذى في يديه بياض . واليفع واليفاع : المرتفع من الأرض .

(٥) في المفضليات : « لو أرادوا غيوه لم يستمع » .

ولساناً صَيَّرُفِيَا صارماً كَذُّبَابِ السَّيْفِ مَا مَسَّ قَطَعُ^(١)

وقال جرير :

وليس لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلِلسَّيْفِ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا^(٢)

وقال آخر :

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَذْمُلُهُ فَيِّرَا وَيَقِي الدَّهْرَ مَا جَرَحَ اللُّسَانُ^(٣) ١٠٤

وقال آخر :

أَبَا ضُبَيْعَةَ لَا تُعْجَلْ بِسَيِّئَةٍ إِلَى ابْنِ عَمِكَ وَادْكُرْهُ بِإِحْسَانٍ
إِمَّا تَرَانِي وَأَتَوَانِي مُقَارِبَةً لَيْسَتْ بِخَرٍّ وَلَا مِنْ خَرٍّ كَثَانٍ^(٤)
فَإِنْ فِي الْمَجْدِ هِمَاتِي وَفِي لَعْنِي عُلوِّيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَانٍ

وفيما مدحوا به الأعراي إذا كان أديباً ، أنشدني ابنُ أبي كريمة ، أو ابنُ كريمة ، واسمه أسود^(٥) :

أَلَا زَعَمْتَ عَفْرَاءُ بِالشَّامِ أَنَّنِي غَلَامٌ جَوَارٍ لَا غَلَامٌ خُرُوبٍ
وَإِنِّي لِأَهْدَى بِالْأَوَانِسِ كَالدَّمَى وَإِنِّي بِأَطْرَافِ الْقَنَا لِلْعُوبِ^(٦)

(١) لا رابطة بين هذا البيت وسابقه ، فإن الأولين في التشبيب ، وفي الفخر ، وبينهما في

القصيدة أكثر من ثمانين بيتاً . وقبل هذا البيت : ١٥

ورأى منى مقاما صادقا ثابت الموطن كتمام الوجع

ذباب السيف : حده . وفي المفضليات وسائر النسخ : « كحسام السيف » ، وهو حده .

(٢) أى سيفي مع قوته ، هو أشوى وقعة من لسانى ، أى لسانى أشد منه فتكا . وأشوى من الشوى ، وهو إخطاء المقتل . فيما عدل : « ولا السيف » صوابه ما أثبت من ل والديوان ٦٠٦ .

(٣) البيت في اللسان (دمل) . وفي هـ : « وجرح » موضع « ويبقى » . ٢٠

(٤) المقارب ، بكسر الراء : الرخيصة ؛ أو الوسط بين الجيد والردى .

(٥) انظر ما سبق في ص ١٤٣ .

(٦) هذى به : ذكره في هذائه ، وهو الهذيان . فيما عدل ، هـ : « لأهدى » .

وإني على ما كان من عُنْجُهَيْتِي ولُوثَةُ أَعْرَابَيْتِي لأَدِيبُ (١)
وقال ابن هَرَمَةَ (٢) .

لله دَرْكٌ مِنْ فَتًى فَجَعَتْ بِهِ يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
هَشِيٌّ إِذَا نَزَلَ الْوَفُودُ بِبَابِهِ سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدِّبُ الْخُدَّامِ
فَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ
وقال كَعْبُ بْنُ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ (٣) :

حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ جَمِيلُ الْمُحِبِّ شَبٌّ وَهُوَ أَدِيبُ
إِذَا مَا تَرَاءَاهُ الرِّجَالُ تَحَفُّظُوا فَلَمْ تُنْطِقِ الْعَوْرَاءُ وَهُوَ قَرِيبُ (٤)
وقال الْحَارِثِيُّ :

وَتَعْلَمُ أُنَى مَا جَدَّ وَتُرْوَعُهَا بَقِيَّةُ أَعْرَابِيَّةٍ فِي مُهَاجِرٍ
وقال الآخر :

وإنَّ امْرَأً فِي النَّاسِ يُعْطَى ظُلَامَةً وَيَمْنَعُ نِصْفَ الْحَقِّ مِنْهُ لِرَاضِعٍ (٥)
أَلَمُوتٌ يَخْشَى أَتْكَلَ اللَّهُ أُمَّهُ أَمَ الْعَيْشَ يَرْجُو نَفْعَهُ وَهُوَ ضَائِعُ
وَيَطْعَمُ مَا لَمْ يَنْدِفِعْ فِي مَرِيئِهِ وَيَمْسَحُ أَعْلَى بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعُ
وإنَّ الْعُقُولَ فَاعْلَمَنَّ أَسِنَّةً حِدَادُ التَّوَاجِي أُرْهَفَتْهَا الْمَوَاقِعُ (٦)
ويقولون : « كَأَنَّ لِسَانَهُ لِسَانُ ثَوْرٍ » .

(١) اللوثة ، بالفتح والضم : الحمقة . والأديب : ذو الأدب ، وهو الظرف .

(٢) الأبيات التالية نسبت في الحماسة (١ : ٣٣٤) إلى محمد بن يسير الخارجي .

(٣) كعب بن سعد الغنوي شاعر إسلامي ، الظاهر أنه تابعي . انظر المرزباني ٣٤١ والخزانة

٢٠ (٣ : ٦٢١) وسمط اللآلي ٧٧١ والبيجان ٢٦٠ .

(٤) البيتان من قصيدة في الأصمعيات ٩٤ طبع المعارف . والعوراء : الكلمة القبيحة .

(٥) ل : « وإن امراً يعطى عليه » . والنصف ، بالكسر : الإنصاف . وأنشد للفرزدق :

ولكن نصفاً لو سببت وسبني بنو عبد شمس من مناف وهاشم

والراضع : اللقيم ؛ رضع : لؤم ، وزنا ومعنى .

(٦) المواقع : جمع ميقعة : وهي المسن الطويل .

وحدثنى مَنْ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يَمْدَحُ رَجُلًا بَرَقَةَ اللِّسَانِ فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ لِسَانَهُ أَرْقَ مِنْ وَرَقَةٍ ، وَأَلْيَنَ مِنْ سَرَقَةٍ ^(١) » .

وقال النبي ﷺ لحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ : مَا بَقِيَ مِنْ لِسَانِكَ ؟ فَأَخْرَجَ لِسَانَهُ حَتَّى ضَرَبَ بِطَرْفِهِ أَرْبَعَةَ . ثُمَّ قَالَ : « وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي بِهِ مَقُولٌ مِنْ مَعْدٍ ، وَاللَّهِ أَنْ لَوْ وَضَعْتُهُ عَلَى حَجَرٍ ^(٢) لَفَلَقَهُ ، أَوْ عَلَى شَعْرِ لَحَلَقَهُ » .

قال : وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَصِفُ لِسَانَ رَجُلٍ ، فَقَالَ : « كَانَ يَشُولُ بِلِسَانِهِ شَوْلَانَ الْبُرُوقِ ، وَيَتَخَلَّلُ بِهِ تَخَلَّلَ الْحَيَّةِ » . وَأُظِنَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ أَبَا الْوَجِيهِ الْعُكْلِيُّ .

[يشول : يرفع . البروق : الناقة إذا طلبت الفحل فإنها حينئذ ترفع ذنبها .

- وَأَمَّا سُمِّيَ شَوْلًا شَوْلًا لِأَنَّ التُّوقَ شَالَتْ بِأُذُنَيْهَا فِيهِ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : ١٠
قَدْ يَتَّفِقُ أَنْ يَكُونَ شَوْلٌ فِي وَقْتٍ لَا تَشُولُ النَّاqَةُ بِذَنْبِهَا فِيهِ ، فَلَمْ يَبْقَ هَذَا الْاسْمُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ يَنْتَقِلُ مَالُهُ لَزِمَ عَنْهُ ؟ قِيلَ لَهُ : إِنَّمَا جُعِلَ هَذَا الْاسْمُ لَهُ سَمَةً حَيْثُ اتَّفَقَ ١٠٨
أَنَّ شَالَتْ التُّوقُ بِأُذُنَيْهَا فِيهِ ، فَبَقِيَ عَلَيْهِ كَالسُّمَّةِ ، وَكَذَلِكَ رَمَضَانٌ إِنَّمَا سُمِّيَ لَرَمَضِ الْمَاءِ فِيهِ وَهُوَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ ، فَبَقِيَ عَلَيْهِ فِي الْبَرْدِ . وَكَذَلِكَ رَيْعٌ ، إِنَّمَا سُمِّيَ لِرَعِيهِمِ الرَّيْعِ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَتَّفِقُ هَذَا الْاسْمُ فِي وَقْتِ الْبَرْدِ وَالْحَرِّ ^(٣)] . ١٥

قال : وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : أَتَيْنَاهُ فَأَخْرَجَ لِسَانَهُ كَأَنَّهُ مِخْرَاقٌ لَاعِبٌ ^(٤) .

(١) السرق ، بالتحريك : شقائق من جيد الحرير أو أبيضه ؛ معرب من الفارسية « سره » . انظر

اللسان والمعرب ١٨٢ ، ومعجم استينجاس ٦٨٠ .

(٢) فيما عدا ل : « على صخر » . ٢٠

(٣) هذه العبارة جميعها ليست في ل .

(٤) المخرق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به .

قال وقال العباس بن عبد المطلب للنبي ﷺ : يا رسول الله ، فيم الجمال ؟ قال : في اللسان .

قال : وكان مجاشع بن دادم ^(١) خطيباً سليطاً ، وكان نهشل ^(٢) بكياً منزوراً ^(٣) ، فلما خرجا من عند بعض الملوك عدله مجاشع في تركه الكلام ، فقال له نهشل : إني والله لا أحسن تكذابك ولا تأثامك ، تشول بلسانك شولان البروق ، وتخلل تخلل الباقرة .

وقالوا : أعلى جميع الخلق مرتبة الملائكة ، ثم الإنس ، ثم الجن . وإنما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل ، وبالاستطاعة على التصرف ، وبالمنطق .
قال : وقال خالد بن صفوان : ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة ، أو بهيمة مهملة . ١٠

قال : وقال رجل لخالد بن صفوان : مالى إذا رأيتم تذاكرون الأخبار وتندارسون الآثار ، وتتناشدون الأشعار ، وقع على النوم ؟ قال : لأتلك حمار في مسلخ إنسان ^(٤)

وقال صاحب المنطق : حد الإنسان الحي الناطق المبين ^(٥) .

وقال الأعور الشنئى ^(٦) :

١٥

(١) هو مجاشع بن دادم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر . المعارف ٣٥ وكان غالب بن صعصعة والد الفرزدق سيد بنى مجاشع . الاشتقاق ١٤٧ .

(٢) نهشل : أخو مجاشع . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٩٣ .

(٣) المنزور : القليل الكلام ، لا يتكلم حتى ينزر ، أى يلح عليه .

(٤) المسلخ : الجلد .

٢٠

(٥) انظر ما سبق في ص ٧٧ ص ٥ .

(٦) الأعور الشنئى ، هو بشر بن منقذ ، أحد بنى شن بن أفضى بن عبد القيس بن أفضى بن دغيم بن جديلة بن أسد . قال صاحب المؤلف ٣٨ : « شاعر خبيث ، وكان مع على رضى الله عنه يوم الجمل » . والبيتان التاليان ليسا له ، بل هما لرهبير في معلقته .

١٠٦ وكائنُ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زيادته أو نقصه في التَّكَلُّمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبقَ إلَّا صورةُ اللحمِ والدمِ

* * *

ولما دخل ضَمْرَةُ بن ضَمْرَةَ ^(١) ، على النُّعْمان بن المنذر ، زَرَى عليه ،
للذى رأى مِنْ دَمَامَتِهِ وَقَصْرِهِ وَقَلَّتِهِ . فقال النُّعْمان ^(٢) : « تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيَّ
لا أَنْ تَرَاهُ ^(٣) » . فقال : أَيْتَ اللَّعْنِ ! إِنَّ الرِّجَالَ لَا تُكَالُ بِالْقَفْزَانِ ^(٤) ،
ولا تُوزَنُ بِالْمِيزَانِ ، وليست بِمُسَوِّكٍ يُسْتَقَى بِهَا ، وإِنَّمَا المراءُ بِأَصْغَرِيهِ : بقلبه
ولسانه ، إن صَالَ صالَ بِجَنَانٍ ، وإن قال قالَ بِبَيَانٍ » .
وَالْجَانِيَّةُ تَجْعَلُ هَذَا لِلصَّقْعَبِ النَهْدِيِّ ^(٥) . فَإِنَّ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ
أَقْرُوا بَأَنَّ نَهْدًا مِنْ مَعِيدٍ .

١٠

وكان يقال : « عَقْلُ الرَّجُلِ مَدْفُونٌ تَحْتَ لِسَانِهِ » .

(١) قال ابن دريد في الاشتقاق ١٤٩ في ذكر رجال مجاشع : « ومن رجالهم ضمرة بن ضمرة ،
وكان من رجال بني تميم في الجاهلية لسانا وبيانا ، وكان اسمه شق بن ضمرة فسماه بعض ملوك الحيرة
ضمرة » . وفي أمثال الميداني (١ : ١١٨) أن اسمه كان « شقة » ، وهو الصواب إذ ورد فيه من الشعر :

١٥ صرمت إخاء شقة يوم غول وإخوته فلا حلت حلال

وانظر الفاخر ٦٥ وأمالى الزجاجي ٢٠٠ واللسان (معد ٤١٤) .

(٢) في أمثال الميداني أن صاحب الخير ، هو المنذر بن ماء السماء ، لا النعمان .
(٣) المعيدى تصغير رجل منسوب إلى معد . وكان الكسائي يرى التشديد في الدال . انظر
اللسان (معد) . ويروى : « لأن تسمع بالمعيدى خير » و : « أن تسمع » .

(٤) القفران : جمع قفيز ، وهو مكيال قدره ثمانية مكاييك عند أهل العراق

٢٠

(٥) من بنى نهد . قال ابن دريد في الاشتقاق ٣٢٠ : « ومن رجالهم الصقعب ، الوافد إلى
النعمان . واسم الصقعب خيثم بن عمرو ، وكان سيد بني نهد قد أخذ مرياعهم دهرًا ، وله حديث في
دخوله إلى النعمان . وقال قوم : بل اسمه البراء بن عمرو » .

وباب آخر في ذكر اللسان

أبو الحسن : قال : قال الحسن : « لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكّر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكّت . وقلّب الجاهل من وراء لسانه ، فإن همّ بالكلام تكلم به له أو عليه » .

قال أبو عبيدة : قال أبو الوجيه : حدّثني الفرزدق قال : كنّا في ضيافة معاوية بن أبي سفيان ، ومعنا كعب بن جُعيل التّغلبى ، فقال له يزيد : إنّ [ابن حسان - يزيد ^(١)] عبد الرحمن بن حسان - قد فضّحنّا ! فاهجّ الأنصار . قال : أرادى أنت إلى الإشراف بعد الإيمان ^(٢) ، لا أهجوّ قوماً نصرّوا رسول الله ﷺ ، ولكنّي أدلّك على غلامٍ مِنّا نصرانيّ كأنّ لسانه لسانُ ثور . يعنى الأخطل . ١٠

وقال سعد بن أبي وقاص ، لعمر ابنه ^(٣) حين نطق مع القوم فبذّهم ، وقد كانوا كلّموه في الرضا عنه . قال : هذا الذي أغضبني عليه ، أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون قومٌ يأكلون الدنيا بالسّنتهم ، كما تُلحس الأرض البقرة بلسانها » .

قال : وقال معاوية لعمر بن العاصي : « يا عمر ، إنّ أهل العراق قد أكرهوا عليّاً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشّام راضون بك ، وقد ضمّ إليك رجل طویل اللسان ، قصير الرأى ، فأجد الحزّ ، وطبّق المَفْصِل ، ولا تُلْقَه ١٠٧ برأيك كلّهُ » .

(١) هذه مما عدل .

(٢) فيما عدل : « الإسلام » .

(٣) عمر بن سعد بن أبي وقاص ، تابعي ثقة ، وهو الذي قتل الحسين ، ولد في عصر النبي

ﷺ وقتل سنة ٦٧ . انظر تهذيب التهذيب .

- والعجب من قول ابن الزبير للأعراب : « سلاحكم رث » ، وحديثكم غث . وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان من أحسن الناس حديثاً ، وأن أبا نضرة ^(١) وعبيد الله بن أبي بكر ^(٢) إنما كانا يحكيانه . فلا أدري إلا أن يكون حُسن حديثه هو الذى ألقى الحسدَ بينه وبين كلِّ حَسَنِ الحديث .
- وقد ذكروا أن خالد بن صفوانَ تكلمَ فى بعض الأمر ، فأجابه رجلٌ من أهل المدينة بكلامٍ لم يظنَّ خالدُ أن ذلك الكلامَ كان عنده ، فلما طال بهما المجلسُ كأنَّ خالداً ^(٣) عَرَضَ له ببعضِ الأمر ، فقال المدنى : « يا أبا صفوان ، مالي من ذنبٍ إلا اتَّفاق الصناعتين » . ذكر ذلك الأصمعى .
- قال فضالُّ الأزرق : قال رجلٌ من بنى منقرٍ : تكلمَّ خالد بن صفوان فى صلح بكلامٍ لم يسمع الناس قبله مثله ، فإذا أعرأى فى بَيْتٍ ^(٤) ، ما فى رجله حذاء ، فأجابه بكلامٍ وِدِدْتُ والله أنى كنت مُتُّ وأنَّ ذلك لم يكن ، فلما رأى خالدُ ما نَزَلَ بى قال : يا أخا منقر ، كيف تُجارِهم وإِنما نحكيهم ، وكيف تُسابقهم وإِنما تُجرى على ماسبقٍ إلينا من أعرأهم ؛ فليُفرخ روعك فإنه من مُقاعِسٍ ، ومُقاعِسٌ لك . فقلت : يا أبا صفوان ، والله ما ألوِّمك على الأولى ، ولا أدُعُ حَمْدَكَ على الأخرى .

١٥

(١) أبو نضرة ، هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدى . تابعى روى عن أبى موسى الأشعرى وأبى هريرة وابن عباس وغيرهم ، وروى عنه قتادة وسعيد بن أبى غزوة ، وكان من فصحاء الناس . توفى سنة ١٠٩ . تهذيب التهذيب . وقطعة بضم ففتح كما فى التقريب .

(٢) أبو بكر ، اسمه نفع بن الحارث بن كلدة ، أسلم ومات فى خلافة عمر ، وكان تدلى إلى النبى ﷺ من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبى بكر . الإصابة ٨٨٩٤ . وقد توفى عن أربعين ولداً من بين ذكر وأنثى ، أعقب فيهم سبعة : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد العزيز ، ومسلم ، ورواد ، وعتبة . فكان عبيد الله من أجل الناس وأشجعهم . ولله الحجاج سجستان سنة ٨٧ فغزا بلاد العدو فهلك هناك فى جماعة المعارف ١٢٥ - ١٢٦ . ب : « بن أبى بكر » تحريف .

(٣) كذا وردت العبارة مضبوطة فى ل ، هـ : وفى سائر النسخ : « كان خالد عرض » .

٢٥

(٤) البست ، بالفتح : كساء غليظ مربع .

قال أبو اليقظان : قال عمر بن عبد العزيز : « ما كلمني رجل من بني أسيد إلا تمنيت أن يمده له في حُجَّتِهِ حتَّى يكثُر كلامه فأسمعه » .

وقال يونس بن حبيب^(١) : ليس في بني أسيد إلا خطيبٌ ، أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس في هذيل إلا شاعرٌ أو رام ، أو شديد العُدو .
الترجمان بن هُرَيم بن عدى بن أبي طحمة^(٢) قال : دُعِيَ رَقَبَةُ بْنُ مَصْقَلَةَ ، أو كَرَب بن رَقَبَة^(٣) إلى مجلسٍ ليتكلم فيه ، فرأى مكانَ أعرابيٍّ في شَمْلَةٍ^(٤) ، فأنكر موضعه ، فسأل الذي عن يمينه عنه فخبّره أنّه الذي أعدّوه لجوابه ، فنهض مسرعاً لا يَلْوِي على شيءٍ ؛ كراهةً أن يُجمعَ بين الدِّياجتين فيتضع عند الجميع .

وقال خَلَّاد بن يَزِيد : لم يكن أحدٌ بعد أبي نَضْرَةَ أَحْسَنَ حديثاً من سَلَم بن قُتَيْبَة^(٥) . قال : وكان يزيد بن عمر بن هُبيرة يقول : احذروا الحديث كما يحذّفه سَلَم بن قُتَيْبَة .

١٠٨

- (١) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي ، إمام نخاعة البصرة في عصره . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيبويه وروى عنه في كتابه . وعنه أخذ الكسائي والفراء وأبو عبيدة وأبو زيد . ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٨٢ . معجم الأدباء وابن خلكان .
- (٢) الترجمان بن هريم ، قال ابن قتيبة في المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز ، وعلى بني حنظلة في فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبي طحمة كان شجاعاً كيساً ، وكان مع المهلب في قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب ، وكبر هريم فحول اسمه في أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو ، فقبل له : إنك لا تحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإنني أحمو الصحف ! وفي القاموس : « وأبو طحمة عدى بن حارثة من الشراء » .
- (٣) ل : « كوز بن رقية » . وفي المعارف ١٧٧ من يسمى « كرب بن مصقلة بن رقية » ، وأنه كان خطيباً ، وله خطبة يقال لها العجوز .
- (٤) الشملة ، بالفتح : كساء دون القטיפعة يشتمل به .
- (٥) سلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين الباهلي ، كان أبوه والي خراسان أيام الحجاج . وأما سلم فولّيا أيام هشام بن عبد الملك ، وولاه النصور البصرة ، روى عنه الأصمعي ، وخلاد بن يزيد الأرقط ، وأبو عاصم النبيل وغيرهم . مات سنة ١٥٩ وصلى عليه المهدي . تهذيب التهذيب وجمهرة ابن حزم ٢٤٦ . ماعدا ل ، هـ : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

ويزعمون أنَّهم لم يَرَوْا محدَّثاً قطُّ صاحبَ آثارٍ كان أجودَ حَدَثاً وأحسنَ
اختصاراً للحديث من سفيانَ بن عُيينة ^(١) . سألوهُ مرَّةً عن قول طاوُسٍ ^(٢)
في ذكاة الجراد ، فقال : ابْنُهُ عنه ^(٣) : « ذكَّاه صَيِّدُهُ ^(٤) » .

★ ★ ★

-
- ٥ (١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي ، وكان محدثاً كثير الرواية ثقة .
توفي سنة ١٩٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ١٣٠) .
- (٢) هو طاوُس بن كيسان اليماني الجندی ، وقيل اسمه ذكوان ، وطاوُس لقب له ، مولى من أبناء
الفرس . روى عن العبادلة الأربعة ، وأبي هريرة وعائشة ، وروى عنه ابنه عبد الملك وعمرو بن دينار وغيرهم .
وكان من عباد أهل اليمن وسادات التابعين توفي سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٦٠) .
- (٣) يريد « حدثني ابن طاوُس عن طاوُس » وابنه الذي يعنيه هو عبد الله بن طاوُس ، روى عن
أبيه وعطاء ووهب بن منبه وغيرهم ، وروى عنه ابنه : طاوُس ومحمد ، وعمرو بن دينار ، والسفيانان .
توفي سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب .
- (٤) فيما عدل : « أخاه » . والمراد بالذكاة : الذبح ، ومثلها الذكاة والتذكية . فيما عدل ، ه :
« ذكاة » و « زكاته » بالزاي ، تحريف . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٢١٠) .

وباب آخر

وكانوا يمدحون شِدَّةَ العَارِضَةِ ، وقوَّةَ المُنَّةِ ، وظهورَ الحُجَّةِ ، وثباتَ
الجَنَانِ ، وكثرةَ الرِّيقِ ، والعلوَّ على الحَصْنِ ؛ وَيَهْجُونَ بخلاف ذلك . قال الشاعر :
طَبَاقَاءَ لَمْ يَشْهَدْ خُصُومًا وَلَمْ يَعْشَ حَمِيدًا وَلَمْ يَشْهَدْ حِلَالًا وَلَا عِطْرًا^(١)
وقال أبو زَيْنِدٍ الطَّائِي : ٥

وخطيب إذا تَمَعَّرَتِ الأَوْجُهُ يوماً في مَاقِطٍ مَشْهُودِ^(٢)
طَبَاقَاءَ ، يقال للبعير إذا لم يُحْسِنِ الضَّرْبَ : جَمَلٌ عَيَايَاءَ ، وجمل طَبَاقَاءَ
وهو هاهنا للرَّجُلِ الذِي لَا يَتَّجِهَ لِلْحُجَّةِ . الحِلَالُ : الجماعات ؛ ويقال حيٌّ
حِلَالٌ إذا كانوا متجاوِرينَ مقيمين^(٣) . والعِطْرُ هُنَا : العُرْسُ^(٤) . المَاقِطُ : الموضع
الضيقُ ، والمَاقِطُ : الموضع الذِي يُقْتَلُ فِيهِ . وقال نافعُ بن خَلِيفَةَ العَنَوِيُّ : ١٠
وَحَصْنٌ لَدَى بَابِ الأَمِيرِ كَأَنَّهُمْ قُرُومٌ فَشْنَا فِيهَا الزَّوَائِرُ وَالْهَذَرُ
ذَلَفْتُ لَهُمْ دُونَ المُنَى بِلَمَّةٍ مِنَ الدَّرِّ فِي أَعْقَابِ جَوْهَرِهَا شَذَرُ^(٥)
إذا القومُ قالوا أَذِنَ مِنْهَا وَجَدْتُهَا مُطَبَّقَةً يَهْمَاءَ لَيْسَ لَهَا خَصَرُ
القُرُومُ : الجِمَالُ المصاعب . الزَّوَائِرُ : الذين يَزْتَرُونَ^(٦) . وَالْهَذَرُ : صوته
عند هَيْجِهِ ، ويقال له الْهَدِيرُ . ذَلَفْتُ ، أَيْ نَهَضْتُ نَهْوضاً رُؤِيداً . وَالدَّلَيفُ : ١٥

(١) أنشده في اللسان (طبق ٨٣) . وقد سبق نظيره في ١١٠ س ٢ .

(٢) البيت من قصيدة طويلة في جمهرة أشعار العرب ١٣٨ - ١٤١ . تمعرت بالعين المهملة .

تغيرت وعلتها صفرة .

(٣) حلال : جمع حلة ؛ بالكسر ، وهم القوم النزول وفيهم كثرة .

(٤) فيما عدل ، هـ : « الحرس » تحريف .

(٥) عنى باللمة : القصيدة أو الخطبة .

(٦) فيما عدل ، هـ : « يزرون » وكلاهما صواب ، يقال زار يزأرون .

المشيُّ الرُّويْدُ (١) . قوله أذِنَ منها ، أى قَلَّلَهَا واختَصَرَهَا . وجدَّثُهَا مُطَبَّقَةٌ ، أى قد طَبَّقْتَهُمْ بِالْحُجَّةِ . والِيَهْمَاءُ : الأرض التى لا يُهْتَدَى فيها لطريق . وبهَاءُ ١٠٩ هَاهُنَا ، يعنى التى لا يُهْتَدَى إليها ويضِلُّ الخصومُ عِنْدَهَا ؛ [والأِيَهُمُ من الرجال : الحائِثُ الذى لا يَهْتَدَى لشيءٍ . وأَرْضُ يَهْمَاءُ ، إذا لم يَكُنْ فيها علامة (٢)] .

وقال الأَسْلَعُ بن قِصَافِ الطُّهَوِيِّ (٣) :

فِدَاءٌ لِقَوْمِي كُلِّ مَعْشَرٍ جَارِمٍ طَرِيدٌ وَمَخْذُولٌ بِمَا جَرَّ مُسْلِمٌ (٤)
هُمْ أَفْحَمُوا الْحَصْمَ الَّذِي يَسْتَقِيدُنِي وَهُمْ فَصَمُوا حِجْلِي وَهُمْ حَقَنُوا دَمِي (٥)
بَأْيِدٍ يُفَرِّجْنَ الْمَضِيقَ وَالْأُسْنِ سِلَاطٍ وَجَمْعٌ ذِي زُهَاءٍ عَرْمَرَمٍ
إِذَا شِئْتَ لَمْ تَعْدَمْ لَدَى الْبَابِ مِنْهُمْ جَمِيلٌ الْمُحْيَا وَاضِحاً غَيْرَ ثَوَامٍ

الزُّهَاءُ : الكَثْرَةُ ، هَاهُنَا . وَالْعَرْمَرَمُ من الْعَرَامَةِ ، وهى الشَّرَاسَةُ والشَّدَّةُ (٦) . ١٠
التَّوَامَانُ : الْأَخَوَانِ الْمَوْلُودَانِ فِي بَطْنٍ .

وقال التَّمِيمِيُّ فِي ذَلِكَ :

أَمَا رَأَيْتَ الْأَلْسَنَ السَّلَاطَا إِنِ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضُّغَاطَا (٧)
* وَالْجَاهُ وَالْإِقْدَامُ وَالنَّشَاطَا *

١٥ (١) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « دلفت : دنوت » .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) في الأصل : « الأَسْلَعُ بن قِطَاف » . صوابه من المؤلف ٤٤ ونوادِر أُنَى زَيْد ١٩٩ . وقِصَافٌ ، ككِتَابٍ ، من أَصْحَابِهِمْ .

(٤) جر ، أى جَنَى جَنَايَةً . وَالْمُسْلِمُ : الَّذِي أَسْلَمَهُ قَوْمُهُ .

(٥) يَسْتَقِيدُهُ : يَطْلُبُ الْقُوْدَ مِنْهُ . فَصَمُوا : كَسَرُوا . فِيمَا عدا ل : « قَصَمُوا » بِالْقَافِ .

٢٠ وَحِجْلًا الْقَيْدُ : حَلْقَتَاهُ .

(٦) فِي اللِّسَانِ : « وَجِيشٌ عَرْمَرَمٌ : كَثِيرٌ ، وَقِيلَ هُوَ الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْعَرْمَرَمُ : الشَّدِيدُ » .

(٧) النَّدَى : الْكَرَمُ . الضُّغَاطُ ، بِالْكَسْرِ : الزَّحَامُ ، وَهُوَ مِنَ الْقَلْبِ ، أَرَادَ : إِنْ الزَّحَامَ حَيْثُ

تَرَى الْكَرَمَ . وَابْنُ رِوَاهِ الْجَاهِظُ فِي الْبَحْلَاءِ ٢٠٣ وَالْحَيَوَانَ (٥ : ٤٤٥) .

ذهب في البيت الأخير إلى قول الشاعر (١):

يسقط الطير حيث ينتثر الحدبُ وتُعشى منازل الكرماء
وإلى قول الآخر :

يرفضُ عن بيت الفقير ضيوفه وترى الغنى يَهْدِي لك الزُّوراء
وأنشدوا في المعنى الأول :

وخطيب قوم قدّموه أمامهم ثقةً به متخمطٌ تَبَاح
جاوبتُ خطبته فظللُ كانه لما خطبتُ مملحٌ بملاح (٢)

المتخمط : المتكبر مع غضب والتَّيَّاح : المتيح الذي يعرض في كل شيء
ويدخل فيما لا يعنيه وقوله مملحٌ بملاح ، أى متقبض كأنه مملح من الملح وأنشد أيضاً :

أرقتُ لَصْوَاء بَرَقَ في نَشَاصٍ تَلَأُ في مُمْلَأة غِصَاصٍ (٣) ١١.

النشاص : السحاب الأبيض المرتفع بعضه فوق بعض ، وليس بمنسبط
تَلَأُ ، التلألؤ : البرق (٤) في سُرْعَةٍ . مملأة بالماء . غِصَاص : قد غُصَّت بالماء
لواقح دُلج بالماء سُحُم تمجُّ العيث من حَلَلِ الحَصَاص

اللواقح : التي قد لقحت من الرِّيح . والدُّلج : الدانية الظاهرة المثقلة بالماء .

سُحُم : سود . والحَصَاص ، هاهنا : حَلَلِ السحاب (٥) . ١٥

(١) هو بشار بن برد . والبيت في الحيوان (٥ : ٤٤٥) ، وهو من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم . وقبل البيت ، كما في الأغاني (٣ : ٤٣) :

إنما لذة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب للقاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو في ولكن يلد طعم العطاء

(٢) الملاح ، بالكسر : جمع ملح .

(٣) البيت مع تاليه في اللسان (نثين) .

(٤) ل : « الظهور للبرق » .

(٥) ورد هذا التفسير في ل بعد نهاية هذه الآيات .

سَلِ الْخُطَبَاءَ هَلْ سَبَّحُوا كَسْبَحِي بِحُورِ الْقَوْلِ أَوْ غَاصُوا مَغَاصِي
لساني بالتثنية وبالقوافي وبالأسجاع أمهر في الغواص^(١)
[التثنية : الكلام المنشور . القوافي : خواتم أبيات الشعر . الأسجاع :
الكلام المزدوج على غير وزن ^(٢)] .

٥ مِنْ الْحُوتِ الَّذِي فِي لُجٍّ بِحْرِ مُجِيدِ الْعَوْصِ فِي لُجَجِ الْمَغَاصِ
لعمرك إئننى لأعِفُّ نفسي وأستر بالتكرم من خصاصي^(٣)

وأنشد لرجل من بني ناشب بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة :
لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ يُضِيءُ لَنَا إِذَا الْقَمَرَانِ غَارَا^(٤)
وَمَنْ يَفْخَرُ بِغَيْرِ ابْنِي زِرَارٍ فَلَيْسَ بِأَوَّلِ الْخُطَبَاءِ جَارَا^(٥)
وأنشد للأقرع ^(٦) :

إِنِّي أَمْرٌ لَا أَقِيلُ الْخِصَمَ عَثْرَتُهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ إِذَا مَا تَخَصَّمُهُ ظِلْعَا
يُنِيرُ وَجْهِي إِذَا جَدَّ الْخِصَامُ بَنَا وَوَجْهُ تَخَصَّمِي تَرَاهُ الدَّهْرُ مُلْتَمَعَا^(٧)
وأنشد :

تراه بنصري في الحفيظة واثقاً وَإِنْ صَدَّ عَنِّي الْعَيْنُ مِنْهُ وَحَاجِبُهُ^(٨)
وإن حَطَرْتُ أَيْدِيَ الْكُفَّاءِ وَجَدْتَنِي نَصُوراً إِذَا مَا اسْتَيْسَسَ الرِّيقَ عَاصِبُهُ
١٥

(١) لم أجد هذا المصدر ، وفيه شذوذ تصريفي . وقد ذكر في القاموس : « الغياص » .

(٢) هذا التفسير مما عدا ل .

(٣) الخصاص هنا بمعنى الفقر وسوء الحالة والحاجة .

(٤) القمران : الشمس والقمر ، على التغليب .

٢٠ (٥) ابنا نزار : ربيعة ومضر . فيما عدا ل : « أئى نزار » . جار : ظلم

(٦) الأقرع القشيري ، وهو الأشيم بن معاذ بن سنان ، وقيل هو معاذ بن كليب بن حزن . كان

يناقض جعفر بن علة الحارثي اللص ، وكان في أيام هشام بن عبد الملك . المرزبانى ٣٨ .

(٧) اتبع لونه ، بالبناء للمفعول : ذهب وتغير . وفي هامش ل : « خ : منتقعا » يقال انتقع لونه بالبناء

للمفعول : تغير .

٢٥ (٨) البيتان لأشعر بن بشامة الحنظلي . انظر نوادر أئى زيد ٢٠ واللسان (عصب ٩٨) .

عاصبه : يابسه ، يعتصم به ^(١) حَتَّى يُتِمَّ كَلَامَهُ . الكمأة : جمع كَمْي ؛
والكمي الرجل المتكمي بالسلاح ، يعنى المتكفر به المستر . ويقال كَمْي الرجل ١١١
شهادته يكميها ، إذا كتمها وسترها . وقال ابنُ أحمَر وذَكَر الرِّقِّ والاعتصام به :
هذا الثَّناء وأَجِدُرُ أَنْ أَصَاحِبَهُ وَقَدْ يُدَوِّمُ رِقِّ الطَّامِعِ الْأَمَلِ ^(٢)

وقال الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّام ، وهو يُرْقِصُ عُرَّةَ ابْنِهِ :
أَبْيَضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ مَبَارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصَّدِّيقِ
* أَلَذُّهُ كَمَا أَلَذُّ رِيقِي *

وقالت امرأة من بنى أسد ^(٣) :

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ بعمر بن مسعود وبالسيد الصَّمَدِ ^(٤)
فَمَنْ كَانَ يَغِيَا بِالْجَوَابِ فَإِنَّهُ أَبُو مَعْقِلٍ لَا حَجَرَ عَنْهُ وَلَا صَدْدُ
أَنَارُوا بِصَحْرَاءِ الثَّوِيَّةِ قَبْرَهُ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَنَآئَى بِهِ الْبَلَدُ
[تَنَآئَى : تَبَعَدَ ^(٥)] . وَالثَّوِيَّةُ : مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ ^(٦) . وَمَنْ قَالَ
الثَّوِيَّةُ فَهِيَ تَصْغِيرُ الثَّوِيَّةِ .

وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ فِي فَضَالَةِ بْنِ كَلْدَةَ :

أَبَا دُلَيْجَةَ مَنْ يُوصَى بِأَرْمَلَةٍ أَمْ مَنْ لَأَشَعْتُ ذِي طِمْرَيْنِ طِمْلَالِ ^(٧)
أَمْ مَنْ يَكُونُ خَطِيبَ الْقَوْمِ إِنْ حَفَلُوا لَدَى الْمُلُوكِ أُولَى كَيْدٍ وَأَقْوَالِ ^(٨)

(١) ل : « طالبه ليعتصب به » تحريف .

(٢) انظر الحيوان (١ : ٣٢١ / ٣ : ٤٧) .

(٣) هي هند بنت معبد بن نضلة ، تزوّج عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة . معجم البكري ٩٩٦ .

(٤) رواه في المخصص (١٧ : ١٥٢) : « بخيرى بنى أسد » . وفي (١٢ : ٣٠١) ذكر أن هذه

الرواية الأخيرة هي رواية أبي عمرو . وهي رواية اللسان (صمد) . وانظر شروح سقط الزند ١٧١٦ .

(٥) هذه مما عدل ل .

(٦) فيما عدل ل : « موضع يقال له صحراء الثوية » .

(٧) ديوان أوس بن حجر ٢٣ . وفي ل : « من توصى » . وفيما عدل ل : « ذى هدمين » .

(٨) هذا البيت لم يرو في الديوان .

و « هدمين ^(١) » ، وهما ثوبان خَلَقَان ^(٢) . يقال ثوبٌ أَهْدَامٌ ، إذا كان خَلَقًا .
وَالطَّمَلَالُ : الفقير . وقال أيضاً فيه ^(٣) :

أَلْهَفَى عَلَى حُسْنِ آلَائِهِ عَلَى الْجَائِرِ الْحَيِّ وَالْحَارِبِ ^(٤)

وَرَقَبْتِهِ حَتَمَاتِ الْمَلِكِ بَيْنَ السُّرَادِقِ وَالْحَاجِبِ ^(٥)

وَيَكْفِي الْمَقَالَةَ أَهْلَ الدِّحَا لِغَيْرِ مَعِيٍّ وَلَا عَائِبٍ ^(٦) .

رَقَبْتُهُ ، أى انتظاره إِذَنْ الْمَلِكُ . وَجَعَلَهُ بَيْنَ السُّرَادِقِ وَالْحَاجِبِ لِيَدُلَّ
عَلَى مَكَانَتِهِ مِنَ الْمَلِكِ ^(٧) . وَأَنْشَدَ أَيْضاً :

وَحَصَمَ غَضَابٍ يُنْغِضُونَ رِعَوسَهُمْ أَوْلَى قَدَمٍ فِي الشَّعْبِ صُهِبَ سِبَالُهَا ^(٨)

ضَرَبْتُ لَهُمْ إِبْطَ الشَّمَالِ فَأَصْبَحَتْ يَرُدُّ غَوَاةً آخِرِينَ نَكَاةً ١١٢

إِبْطُ الشَّمَالِ ، يعنى الفؤاد ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ ^(٩) . وَقَالَ ١٠
شُتَيْمُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ^(١٠) :

وَقُلْتُ لِسَيِّدِنَا يَا حَلِيءَ سَمِ لِمَ لَمْ تَأْسُ أَسْوَافِيكَا ^(١١)

(١) أى ويروى : « ذى هدمين » .

(٢) فيما عدا ل : « هدمين : ثوبين خَلَقَيْنِ » .

(٣) فيما عدا ل : « وقال أيضاً في فضالة بن كعدة » . ١٥

(٤) وهذه الأبيات الثلاثة لم ترو في ديوان أوس . الحارِب : المحارب ، أو الذى يحرب للغير ماله ، يسلبه .

(٥) الحَتَمَات ، لم أجدها إلا هنا ، فإن صحت كانت جمع حَتْمَةٍ ، مرة من الحَتْمِ بمعنى القضاء

وإيجابه . ثم وجدت في حواشى هـ : « حَتَمَاتِ الْمَلِكِ : أَقْضَيْتَهُمُ التَّى لَا تَرُدُّ . وَالْحَاتِمُ : الْقَاضِي » .

(٦) الدِّحَال : المِراوغة والمخادعة . فيما عدا ل : « أهل الرِّحَال » .

(٧) هـ : « من الملك » . ٢٠

(٨) يقال نَغَضَ رَأْسَهُ يَنْغِضُهُ ، وَأَنْغَضَهُ يَنْغِضُهُ : حَرَكَهُ . وَالصُّهْبُ السِّبَالُ ، كناية عن الأعداء .

وَصُهْبَةُ السِّبَالِ مِنْ خَوَاصِ الرُّومِ . وَالصُّهْبَةُ : الشَّقْرَةُ وَالْحَمْرَةُ .

(٩) فيما عدا ل : « لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ » .

(١٠) هو شُتَيْمُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، أَحَدُ بَنِي غُرَابِ بْنِ فِرَازَةَ ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، وَهُوَ بِهَيْئَةِ التَّصْغِيرِ ، كَمَا

فِي الْخَزَانَةِ (٤ : ١٦٤) .

(١١) الأبيات في الحيوان (٣ : ٨٢ / ٥ : ٥١٧) ومعجم المرزبانى ٣٩٢ . والأول منها في

الأضداد لابن الأثير ٢٢٥ والأخير في المخصص (٢ : ٨٩) والميداني (١ : ٥٧) والإنصاف ١٨٧ ، ٢٥

والخزانة (٢ : ٣٥٨) واللسان (١١ : ٣٨٢) .

أَعْنَتْ عِدِيًّا عَلَى شَأُوهَا تُعَادِي فَرِيقًا وَتُبْقَى فَرِيقًا
 زَحَرَتْ بِهَا لَيْلَةٌ كُلُّهَا فَجِئْتُ بِهَا مُؤِيدًا خَنْفَقِيهَا
 تَأْسُو : تُدَاوِي ، أَسْوَأُ وَأَسَى ، مُصْدِرَان . وَالْأَسَى : الطَّيِّب . وَمُؤِيد :
 دَاهِيَةٌ . خَنْفَقِي : دَاهِيَةٌ أَيْضًا . الشَّأُو : الْعَلْوَةُ لِرُكُضِ الْفَرَسِ .

وَأُنْشِدَ لِأَدَمَ مَوْلَى بَلْعَنَبِرَ ، يَقُولُهَا لِابْنِهِ (١) :

يَا بَأَى أَنْتَ وَيَافُوقَ الْبَيْتِ (٢) يَا بَأَى خُصْيِكَ مِنْ خُصْيِي وَزُبِّ (٣)
 أَنْتَ الْحَبِيبُ وَكَذَا قَوْلُ الْحَبِّ (٤) جَنَّبَكَ اللَّهُ مَعَارِضَ الْوَصَبِ
 حَتَّى تُفِيدَ وَتُدَاوِيَ ذَا الْجَرَبِ (٥) وَذَا الْجُنُونِ مِنْ سُعَالٍ وَكَلْبٍ
 وَالْحُدْبِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ ذُو الْحَدْبِ وَتَحْمِلَ الشَّاعِرَ فِي الْيَوْمِ الْعَصَبِ
 عَلَى مَبَاهِيرَ كَثِيرَاتِ التَّعَبِ (٦) وَإِنْ أَرَادَ جِدْلٌ صَغْبٌ أَرَبَ
 خُصُومَةً تَنْقُبُ أَوْسَاطَ الرُّكْبِ (٧) أَضْلَعْتَهُ مِنْ رَبِّ إِلَى رَبِّ
 حَتَّى تَرَى الْأَبْصَارَ أَمْثَالَ الشُّهُبِ يُرْمَى بِهَا أَشْوَسُ مُلْحَاحٍ كَلْبِ
 * مَجْرَبُ الشَّدَاتِ مِيمُونٌ مَذَبٌ (٨) *

الْوَصَبُ : الْمَرَضُ . وَالْعَصَبُ : الشَّدِيدُ . يَقَالُ يَوْمٌ عَصِيبٌ وَعَصِيبٌ وَعَصِيبٌ ،
 إِذَا كَانَ شَدِيدًا . مَبَاهِيرَ : مَتَاعِيبٌ قَدْ عَلَاهُمُ الْبُهِرُ . أَرَبَ ، يَقَالُ رَجُلٌ أَرَبٌ

(١) الرجز التالي أنشده ابن منظور في اللسان (١٨ : ١٠ - ١١) وذكر روايته عن الجاحظ في البيان والتبيين .

(٢) أى فوق قولك : « بَأَى أَنْتَ » . ويروى : البيب « بالنسهيل .

(٣) فيما عدل ، هـ : « خصييك » . وفى اللسان : « خصياك » .

(٤) فى اللسان : « فعل الحب » .

(٥) فى حواشى هـ : « تفيد مالا » عن نسخة .

(٦) كذا جاءت الرواية ، وتفسيرها فيما بعد يقيدها . لكن فى اللسان : « على نهاير » والنهاير : الأمور الشداد الصعبة ، واحداً منها نهيرة .

(٧) فيما عدل ، هـ : « خصومة تنقب » . والبيت لم يرو فى اللسان .

(٨) فى اللسان : « مجرب الشكات » .

١١٣ وأرب ، وله إرب ، إذا كان عاقلاً أديباً حازماً . أظلمتُهُ ^(١) يقال ظَلَعَ الرَّجُلُ ، إذا خَمَعَ في مَشْيِهِ . الرَّتَبَةُ : واحدة الرُّتَبِ والرَّتَبَات ، وهي الدَّرَج . أى تُخْرِجُهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ . والأشُّوس : الذى ينظر بمؤخِرِ عينه . مِلْحَاح : مُلِحٌ ، من الإلحاح على الشَّيْء . كَلَبٌ ، أى الذى قد كَلَبَ . مَذَبٌ : أى يَذُبُّ عَنْ حَرَمِهِ وَعَنْ نَفْسِهِ .

وقالت ابنة وَثِيمَةَ ، ترثى أباهَا وَثِيمَةَ بن عثمان :

الوَاهِبُ الْمَالُ التَّلَا دَ نَدَى وَيَكْفِينَا الْعَظِيمَةَ ^(٢)
ويكون مِدْرَهْنَا إِذَا نَزَلَتْ مَجْلَحَةً عَظِيمَةَ
وَاحْمَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ ء وَلَمْ تَقَعْ فِي الْأَرْضِ دِيمَهُ
وَتَعَذَّرَ الْآكَالُ ح حَتَّى كَانَ أَحْمَدَهَا الْهَشِيمَةَ
لَا ثَلَّةٌ ثَرَعَى وَلَا إِبِلٌ وَلَا بَقَرٌ مُسِيمَةَ
أَلْفَيْتَهُ مَأْوَى الْأَرَا مِلْ وَالْمَدْفَعَةِ الْيَتِيمَةَ
وَالدَّافِعَ الْخَصْمَ الْأَل لَدَّ إِذَا تُفَوِّضَ فِي الْخُصُومَةَ
بِلِسَانِ لُقْمَانَ بْنِ عَا دَ وَفَصَلَ خُطْبَتَهُ الْحَكِيمَةَ
أَلْجَمْتَهُمْ بَعْدَ التَّدَا فُعِ وَالتَّجَاذُبِ فِي الْحُكُومَةَ

١٥ التَّلَادُ ^(٣) : القديم من المال . والطارف : المستفاد . والمِدْرَةُ : لسان القوم المتكلم عنهم . مَجْلَحَةٌ ، أى داهية مصممة . احمرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ ، أى اشتدَّ البرد وقلَّ المطر وكثر القَحْطُ . وَدِيمَةٌ : واحدة الدَّيَمِ ، وهى الأمطار الدائمة مع سكون.تعذر : تَمَنَعَ . الْآكَالُ : جمع أَكُلَ ، وهو ما يؤكل . وَالْهَشِيمَةُ : ما تَهَشَّم

(١) كذا جاءت بالطاء المعجمة فى التفسير والشعر قبله . ورواية اللسان : « أظلمته » .

(٢) فيما عدل : « لنا ويكفينا » .

(٣) وقع التفسير التالى فيما عدل ، ه متخللاً للآيات .

من الشَّجَر ، أى وقع وتكسَّر ^(١) . الثَّلَّة : الضَّأْن الكثيرة ، ولا يقال للمِعْزَى ثَلَّة ، ولكن حَيْلَةً ^(٢) ، فإذا اجتمعت الضَّأْن والمِعْزَى قيل لهما: ثَلَّة . مُسِيْمَةٌ ، أى صارت فى السَّوْم ودخلت فيه ، والسَّوْم : الرعى . وسامَت تسوم ، أى رعت تَرْعى . ومنه قول الله: ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ^(٣) .

وكانت العربُ تُعْظِمُ شأنَ لقمانَ بنِ عادٍ الأكبرِ والأصغرِ لُقيْمِ بنِ ١١٤
لقمان ^(٤) فى الثَّباهة والقَدْر ، وفى العلم والحُكْم ، وفى اللِّسان والجِلْم .
وهذان غيرُ لقمانَ الحكيمِ المذكورِ فى القرآن ^(٥) على ما يقوله المفسِّرون .
ولارتفاع قَدْرِهِ وعِظَم شأنِهِ ، قال النَّمْرُ بنُ تَوَلَب :

لُقيْمُ بنُ لُقْمَانَ من أُختِهِ فكان ابنُ أُختٍ له وابْنُما ^(٥)
لياليَ حَمَقٍ فاستَحَصَنْتُ عليه فَعَرَّ بها مُظْلِمًا ^(٦)
فَعَرَّ بها رَجُلٌ مُحْكِمٌ فجاءت به رَجُلًا مُحْكِمًا ^(٧)

وذلك أَنَّ أُختَ لقمانِ قالت لامرأةٍ لقمان : إِنِّى امرأَةٌ مُحْكِمَةٌ ، ولقمانُ
رَجُلٌ مُحْكِمٌ مُنْجِبٌ ، وأنا فى ليلةٍ طَهْرَى ، فَهَبْى لى ليلتك . ففعلتْ فباتت

(١) فيما عدا ل : « ما يهشم من الشجر ، أى يكسر » .

(٢) الحيلة ، بفتح الحاء وسكون الياء المثناة التحتية .

(٣) بدل هذه العبارة الطويلة فيما عدا ل : « الثلَّة : ما بين الست إلى العشر من الغنم .

مسيمة : راعية » .

(٤) فى الأصول : « ولقيم بن لقمان » وقد محيت الواو فى ب فقط . ولقمان بن عاد ، هذا هو

المعمر صاحب حديث السور . انظر أخبار عبيد بن شربة ٣٥٦ - ٣٦٧ . ٢٠ . والنتيجان ٧٥ - ٧٨

والمعمرين ٣ - ٤ - وغمار القلوب ٣٧٦ - ٣٧٧ والميداني (١ : ٣٩٣ - ٣٩٤) .

(٥) لقمان الحكيم المذكور فى القرآن ، قيل كان عبداً حبشياً لرجل من بنى إسرائيل فأعتقه

وأعطاه مالا ، وكان فى زمن داود . وقيل كان حراً وكان اسمه لقمان بن باعورا ، وقيل هو ابن أخت أيوب

أو ابن خاله . انظر المعارف ٢٥ وتفسير أبى حيان (٨ : ١٨٦) .

(٦) وكذا فى الحيوان . وفى الأمثال : « ليالى حَمَقٍ فما استحققت » .

(٧) الحيوان وحواشي هـ : « فأحبلها رجل محكم » ، وفى الأمثال : « فأحبلها رجل نابه » .

في بيت امرأة لقمان ، فوقع عليها فأحبها بلقيس ، فلذلك قال التمر بن تولب ما قال .
والمرأة إذا ولدت الحَمْقى فهي مُحِمَقَةٌ ، ولا يعلم ذلك حتى يرى ولَدَ
زَوْجِها من غيرها أكياساً .

وقالت امرأة ذات بنات :

وما أبالي أن أكون مُحِمَقَةً إذا رأيتُ حُصْنِيَّةً مُعَلَّقَةً (١)

وقال آخر :

أَزْرَى بِسَعْيِكَ أَنْ كُنْتُ امْرَأً حَمِقاً مِنْ نَسْلِ ضَاوِيَةِ الْأَعْرَاقِ مِحْمَاقٍ

ضاوية الأعراق ، أى ضعيفة الأعراق نخيفتها . يقال رجل ضاو ، وفيه

ضاوية ، إذا كان نخيفاً قليلاً الجسم . وجاء في الحديث : « اغتربوا لا تُضْئُوا » .

أى لا يتزوّج الرجل القرابة القريبة ، فيجىء ولده ضاويًا . والفعل منه ضَوَى ١٠
يَضْوَى ضَوًى . والأعراق : الأصول . والمحمّاق : التى عادت أن تلد الحَمْقى .

ولبعضهم البنات قالت إحدى القوابل :

أيا سَحَابُ طَرَّقَ بِخَيْرٍ (٢) وَطَرَّقَى بِخُصْنِيَّةٍ وَأَيِّرَ

* ولا تُرِينَا طَرَفَ الْبُظَيْرِ *

وقال الآخر (٣) في إنجاب الأمهات ، وهو يخاطب بنى إخوته :

عَفَارِيئاً عَلَيَّ وَأُخَذَ مَالِي وَعَجَزاً عَنْ أَنَاسٍ آخِرِينَا (٤)

١١٥

(١) الرجز في المخصص (١٦ : ١٢٩) .

(٢) طرقت المرأة : نشب ولدها ولم يسهل خروجه ، يقال طرقت ثم خلصت . والرجز وقصته في

الحيوان (٥ : ٥٨١) . وانظر شرح المزموق للحماسة ١٨٥١ .

(٣) هو رافع بن هرم . شاعر قديم أدرك الإسلام وأسلم . انظر الخزائن (١ : ٢٧٧) .

والأبيات الأربعة الأولى منسوبة في اللسان (كيس) إليه . وأما البيت الأخير فقد نسب في نوادر أئى ٢٠

زيد ١١١ ، ١٩١ واللسان (أخا) إلى عقيل بن علفة .

(٤) فيما عدل : « وحلما عن أناس » . وفى اللسان : « وجبنا عن رجال » .

- فَهَلَّا غَيْرَ عَمَّكُمْ ظَلَمْتُمْ إِذَا مَا كُنْتُمْ مَتَظَلِّمِينَ
 فَلَوْ كُنْتُمْ لَكَيْسَةٍ أَكَّاسَتْ وَكَيْسَ الْأُمِّ أَكَيْسُ لِلْبَيْنَا (١)
 وَلَكِنْ أُمُّكُمْ حَمَقَتْ فَجِئْتُمْ غَثَاثًا مَا تَرَى فِيكُمْ سَمِينًا (٢)
 وَكَانَ لَنَا فَرَارَةٌ عَمَّ سَوِيٍّ وَكُنْتُ لَهُ كَشْرُ بَنِي الْأُخَيْنَا (٣)
 ٥ وَلِبُعْضِ الْبَنَاتِ هَجَرَ أَبُو حَمْرَةَ الضَّبْيُ خَيْمَةَ امْرَأَتِهِ ، وَكَانَ يَقِيلُ وَيَبِيتُ عِنْدَ
 جِيرَانٍ لَهُ ، حِينَ وَلَدَتْ امْرَأَتَهُ بِنْتًا ، فَمَرَّ يَوْمًا بِخَبَائِهَا وَإِذَا هِيَ تَرْقُصُهَا وَتَقُولُ :
 مَا لِأَيِّ حَمْرَةٍ لَا يَأْتِينَا يَظُلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا
 عَضْبَانٌ إِلَّا نَلْدُ الْبَيْنِينَ تَاللَّهِ مَا ذَلِكَ فِي أَيْدِينَا
 وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا وَنَحْنُ كَالْأَرْضِ لِلزَّرَاعِينَا
 * نُبْتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فِينَا (٤) *
- ١٠ قال : فَعَدَا الشَّيْخُ حَتَّى وَلَجَ الْبَيْتَ فَقَبَّلَ رَأْسَ امْرَأَتِهِ وَابْتَنَاهَا .
 وَهَذَا الْبَابُ يَقَعُ فِي كِتَابِ الْإِنْسَانِ (٥) ، وَفِي فَصْلِ مَا بَيْنَ الذَّكَرِ
 وَالْأُنْثَى ، تَأْمًا ، وَلَيْسَ هَذَا الْبَابُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْبَيَانِ وَالتَّيْنِينَ (٦) ، وَلَكِنْ
 قَدْ يَجْرِي السَّبَبُ فَيُجْرَى مَعَهُ بِقَدْرِ مَا يَكُونُ تَنْشِيطًا لِقَارِئِ الْكِتَابِ ، لِأَنَّ
 ١٥ خُرُوجَهُ مِنَ الْبَابِ إِذَا طَالَ لِبَعْضِ الْعِلْمِ (٧) كَانَ ذَلِكَ (٨) أَرْوَاحَ عَلَى قَلْبِهِ ،
 وَأَزِيدَ فِي نَشَاطِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) فِي الْخَزَانَةِ : « كَيْسُ لِلْبَيْنَا » . وَفِي اللِّسَانِ : « يَعْرِفُ فِي الْبَيْنَا » .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ سَاقِطٌ مِمَّا عَدَا ل . وَقَدْ رَوَى فِي الْخَزَانَةِ عَنِ الْبَغْدَادِيِّ .

(٣) يَسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَى أَنْ « أَخَا » يَجْمَعُ عَلَى « أُخَيْنَ » جَمْعُ مَذْكَرٍ سَالِمًا . وَرَوَايَةُ اللِّسَانِ :

وَكَانَ بَنُو فَرَارَةَ شَرِّ قَوْمٍ وَكُنْتُ لَهُمْ كَشْرُ بَنِي الْأُخَيْنَا

(٤) الْبَيْتُ الرَّابِعُ وَالسَّابِعُ لَيْسَ فِي ل ، هـ .

(٥) فِيمَا عَدَا ل : « فِي كِتَابِ الْإِنْسَانِ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانِ » .

(٦) ل ، هـ : « التَّيْنِ » مَعَ ضَبْطِهِ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ الْمَضْمُومَةِ .

(٧) فِي ل : « لِبَعْضِ الْكَلَامِ الْعِلْمِ » .

(٨) كَانَ ذَلِكَ ، سَاقِطٌ مِنْ ل .

وقد قال الأول ^(١) في تعظيم شأن لُقَيْم بن لقمان :

قومي اصْبَحِينِي فَمَا صَيَّعَ الْفَتَى حَجْرًا لَكِنْ رَهِيْنَةً أَحْجَارٍ وَأَرْمَاسٍ
قومي اصْبَحِينِي فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ أَفْنَى لُقَيْمًا وَأَفْنَى آلِ هِرْمَاسٍ ^(٢)
الْيَوْمَ خَمْرٌ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبْرٌ وَالْدَّهْرُ مِنْ بَيْنِ إِنْعَامٍ وَإِنْآسٍ
١١٦ فَاشْرَبْ عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مَرْتَفِعًا لَا يَصْحَبُ الْهَمُّ قَرَعَ السَّنِّ بِالْكَاسِ ٥

وقال أبو الطَّمَحَان ^(٣) القينى في ذكر لُقمان :

إِنَّ الزَّمَانَ وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ فِيهِ تَقَطُّعُ أُلَافٍ وَأُقْرَانٍ
أُمَسَّتْ بَنُو الْقَيْنِ أَفْرَاقًا مَوْزَعَةً كَأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا حَيِّ لُقْمَانٍ ^(٤)
وقد ذكرت العرب هذه الأمم البائدة، والقرون السالفة . ول بعضهم بقايا قليلة،
وهم أشلاء في العرب متفرقون مغمورون ، مثل جُرْهُم ، وجاسم ، ووبار وعِمْلَاق ،
وأميم ، وطسّم وجديس ، ولُقمان والهَرماس ، وبنى الناصور ، وقيل بن عتير ^(٥) ،
وذى جَدَن . وقد يقال في بنى الناصور إن أصلهم من الرُّوم ، فأما ثُمود فقد
خبر الله عز وجلّ عنهم فقال : ﴿ وَثُمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ فَهَلْ

(١) في حواشي هـ عن الخشني : « ذكر الحاقمي أنه لبشار . »

(٢) الهرماس ، بالكسر : نهر نصيبين ، مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ ، مسدودة
١٥ بالحجارة والرصاص ، بنتها الروم لئلا تغرق هذه المدينة . وبعد هذا البيت فيما عدل هذا التفسير :
« اصْبَحِينِي ، الصبوح : شرب الغداة . والغبوق : شرب العشي . الرمس : القبر ؛ ويقال رمست الميت
وأرسته ، إذا دفنته . »

(٣) أبو الطمّحان ، بفتح الطاء والميم : هو حنظلة بن الشترى ، أحد المعمرين ، كان في الجاهلية نديما
للزبير بن عبد المطلب ، وأدرك الإسلام وأسلم . الإصابة ٢٠٠٧ والخزانة (٣ : ٤٢٦) والمعمرين ٥٧ والمؤتلف ١٤٩ .
٢٠ (٤) بنو القين بن جسر ، قبيل أوى الطمّحان . والأفراق : جمع فرق ، بالكسر ، وهو القسم من
الأقسام . وفي الكتاب : (فكان كل فرق كالطرد العظيم) .

(٥) فيما عدل ، هـ : « وعتر » .

(٦) فيما عدل ، هـ : « ثُمود » بدون تنوين في هذا الموضع والموضعين بعده ، وهي قراءة عاصم
وحجرة ويعقوب . وقرأ باقي القراء : « وَثُمُودًا » بالتنوين ، كما أثبت من ل ، هـ . انظر إتحاف فضلاء البشر ٤٠٤
٢٥ وتفسير أى حيان (٨ : ١٦٩) . فمن صرفه ذهب به إلى الحى ، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القليلة . اللسان .

تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿١٠﴾ . فَأَنَا أَعْجَبُ مِنْ مُسْلِمٍ يَصَدِّقُ بِالْقُرْآنِ ، يَزْعُمُ أَنَّ قِبَائِلَ الْعَرَبِ مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ .

وكان أبو عبيدة يتأول قوله : ﴿ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴾ ، أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الْأَكْثَرِ ، وَعَلَى الْجُمْهُورِ الْأَكْبَرِ . وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَخْرَجَهُ مِنْ أَى عبيدة سوء الرأى فى القوم ، وليس له أن يجيىء إلى خبر عامٍ مرسلٍ غير مقيد ، وخبر مطلق غير مستثنى منه ، فيجعلُه خاصاً كالمستثنى منه . وأى شىء بقى لطاعن أو متأول بعد قوله : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ . فكيف يقول ذلك إذا كنا نحن قد نرى منهم فى كل حى باقية ، معاذ الله من ذلك .

وَرَوَوْا أَنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ عَلَى الْمَنِيرِ يَوْمًا : تَزْعُمُونَ أَنَا مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴾ . ١٠

فأما الأممُ البائدة من العجم ، مثل كنعان ويونان وأشباه ذلك ، فكثير ، ولكن العجم ليس لها عناية بحفظ [شأن ^(١)] الأموات ولا الأحياء . وقال المسيب بن علس ^(٢) ، فى ذكر لقمان :

وإليك أَعْمَلْتُ المِطْيَةَ مِنْ سَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ بِالْفَقْرِ ^(٣)

أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمْ نَزَلُوا وَتَوَاجَهُوا كَالْأَسَدِ وَالْتَمَرِ ١٥
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتُ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

(١) هذه مما عدل .

(٢) المسيب ، بفتح الياء المشددة . وعلس ، بالتحريك . والمسيب لقب لقب به بيت قاله :

فإن سركم ألا تزوب لقاحكم غزراً فقولوا للمسيب يا الحق

واسمه زهير بن علس . وهو خال أعشى قيس ، وكان الأعشى راويته ، وكان يطرى شعره ويأخذ منه ، وهو جاهل لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (١ : ٥٤٥ - ٥٤٦) والاشتقاق ١٩٢ والموشح ٥١ .

(٣) الأبيات تنسب إلى الأعشى ، وإلى المسيب بن علس . ديوان الأعشى ٣٥١ . والثالث

والخامس ينسبان إلى زهير . ديوانه ٨٩ ، ٩٥ . وانظر تعليقات الميمنى على الخزانة (٣ : ٢١٦)

السلفية . وفى حواشى هـ : « كذا وقع فى النسخ . وفى الجمهرة : القفر : اسم موضع . وأنشد هذا :

« سفلى العراق وأنت بالقفر » .

ولأنت أجودُ بالعطاء من الـ رِيَّانِ لما جَادَ بالقَطْرِ (١)
ولأنت أشجعُ من أسامةَ إذْ نَقَعَ الصُّرَاخُ وَلَجَّ في الدُّغْرِ (٢)
ولأنت أبينُ حينَ تنطقُ من لَقْمَانِ لما عُيَّ بالأمرِ

وقال لبيدُ بن ربيعةَ الجعفرى :

- وأخلفَ قسًا ليتنى ولو أننى وأعيا على لُقْمَانَ حُكْمَ التدبِيرِ (٣) ٥
فإن تسألينا كيف نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ من هذا الأَنَامِ المسحَرِ (٤)
السَّحَرُ : الرُّة (٥) . والمسحَرُ : المعللُ بالطعام والشراب . [والمسحَرُ :
المخدوع (٦)] ، كما قال امرؤ القيس :
أرانا مُوضِعِينَ لأمرٍ غَيْبٍ ونُسحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرَابِ (٧)
[أى نُعلَّلُ . فكأننا نخدع ونسحر بالطعام والشراب (٨)] . ١٠

وقال الفرزدق :

(١) الريان ، عني به السحاب الممتع . حد فقط : « الرباب » .

(٢) نقع الصراخ : ارتفع . قال لبيد :

فمتى ينقع صراخ صادق مجلبوها ذات جرس وزجل

(٣) البيتان في ديوان لبيد طبع ١٨٨٠ . قس ، هو ابن ساعدة الإبادى . أى أخلف قسا ما عناه ١٥
بقوله ليتنى ، ولو أننى . لم يظهر بما غنى . وأما لقمان فلم تغن عنه حكمته وتدبره شيئا . ويروى :
« وأخلفن قسا » يعود الضمير على « بنات الدهر » في بيت سابق . وهو :

وأفنى بنات الدهر أربابَ ناعط بمستمع دون السماء ومنظر

(٤) عصافير ، أى صغار ضعاف مثلها . انظر الحيوان (٥ : ٢٢٩ / ٧ : ٦٣) . وقد نسب

هذا البيت في آمال المرتضى (٣ : ٣٧) إلى أمية بن أبى الصلت . ٢٠

(٥) في الحيوان عند إنشاد البيت : « وقال قوم : المسحر يعنى كل ذى سحر ، يذهب إلى الرُّة » .

(٦) هذه مما عدل .

(٧) البيت في ديوان امرئ القيس ١٣٢ واللسان (٦ : ١٢) . الإيضاع : ضرب من السير

السريع . وفي الديوان : « لحتم غيب » .

(٨) هذه مما عدل . وقد فسر السحر في البيت بأنه الغذاء ، كما في اللسان وشرح الديوان . ٢٥

لَكُنْ حَوْمَتِي هَابَتْ مَعْدَّ حِيَاضِهَا لَقَدْ كَانَ لَقْمَانُ بْنُ عَادٍ يَهَابُهَا (١)
وقال الآخر (٢) :

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيءَ بِزَادٍ
بَخِيزٍ أَوْ بِلَحِيمٍ أَوْ بِتَمْرِ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ (٣)
تَرَاهُ يَطُوفُ الْآفَاقَ حَرَصاً لِأَكْلِ رَأْسِ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ (٤)
وقال أُنْفُونُ التَّغْلَبِيِّ :

لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمٍ رَبِيتُ فِيهِمْ وَلَقْمَانٍ وَذِي جَدَنٍ (٥)
وقال الآخر (٦) :

مَا لَذَّةُ الْعِيشِ وَالْفَتَى لِلدَّهْرِ وَالدَّهْرُ ذُو فَنُونٍ
أَهْلَكَ طُسْماً وَقَبْلَ طُسْمٍ أَهْلَكَ عَاداً وَذَا جُدُونٍ
وَأَهْلَ جَاسٍ وَمَأْرِبٍ بَعْدَ حَيٍّ لَقْمَانَ وَالتَّقُونِ (٧)

- (١) وكذا جاءت الرواية في الديوان ٦٩ . وفيما عدا ل : « صانت معد » .
(٢) وهو يزيد بن الصعق الكلبي كما في معجم المرزباني ٤٩٤ وكنيات الجرجاني ٧٣ والاقطصاب ٣٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسي ، كما في حواشي الكامل ٩٨ ليسك . وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا في العقد (٢ : ٤٦٢ تأليف) وأخبار الطراف ٢٤ .
(٣) الشيء الملفف في البجاد ، هو وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك . والبجاد ، بالكسر : الكساء . انظر اللسان والمقاييس (يجد) والحيوان (٣ : ٦٧) .
(٤) في ثمار القلوب للثعالبي ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد في الاقطاب ٤٩ .
وزاد : « كما يقال لمن يزهي بما فعل ، ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان » .
(٥) سبق البيت في أبيات ص ٩ .
(٦) هو سليمان بن ربيعة بن دباب بن عامر بن ثعلبة ، كما في اللسان (تقن) . وفي الحماسة (٢ : ١٢) ومعجم ما استعجم (١ : ٣٥٨) أنه « سلمى بن ربيعة » . يختلف في اسمه يقال « سلمان » و « سلمى » بفتح السين والميم ، و « سلمى » بضم السين وسكون اللام ، كالمنسوب .
(٧) جاس ، وردت بالسين المهملة في ل ، هـ واليمنية . وهو موضع ذكره ياقوت ، لكن في معجم ما استعجم : « جاش » ، قال : « باليمن تلقاء مأرب » . وأنشد البيت =

واليسر للعسر ، والتغنى للفقير ، والحي للمنون ^(١)

* * *

- قال : وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة ، والتَّحْيِيرَ والبلاغة ، والتخلُّصَ والرِّشَاقَةَ ، فإنَّهم كانوا يكرهون السَّلاطَةَ والهَذَرَ ، والتَّكْلُفَ ، والإسهابَ والإكثارَ ؛ لما في ذلك من التَّزْيِيدِ والمباهاة ، واتباع الهوى ، والمنافسة في الغلو ^(٢) .
- وكانوا يكرهون الفضولَ في البلاغة ، لأنَّ ذلك يدعُو إلى السَّلاطَةِ ، والسَّلاطَةُ تدعو إلى البذاء ^(٣) . وكلُّ مِرَاءٍ في الأرض فإنَّما هو من نِتاج الفضول .
- ومَن حَصَّلَ كلامه وميَّزَه ، وحاسب نفسه ، وخاف الإثمَ والذمَّ ، أشفقَ من الضراوة وسوء العادة ، وخاف ثَمَرَ العُجْبِ وهُجْنَةَ النفج ^(٤) ، وما في حبِّ السُّمعة من الفِتنة ، وما في الرِّياء من مجانبَةِ الإخلاص .
- ولقد دعا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ^(٥) بالطعام ، بكلامٍ تَرَكَ فِيهِ المحاسنة ^(٦) ، فقال شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ ^(٧) : إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ فِيهِ المحاسنة ^(٨) ، فاسترجعَ ثم قال : « ما تَكَلَّمْتُ

- = وأهل جاش وأهل مأرب وحى لقمان والتقون وكذا أنشده أبو تمام « جاش » بدون همز . وروى في اللسان (جاش) قول السليك :
- أمتعني رب المنون ولم أزع عصافير واد بين جاش ومأرب
- وفي سائر النسخ : « جاسم » . وأما التقون ، بضم التاء ، فهم بنو تقن بن عاد ، بكسر التاء ، منهم عمرو بن تقن ، وكعب بن تقن . وفيه يضرب المثل : « أرمى من ابن تقن » . هـ : « ومأرب وحى لقمان » .
- (١) التغنى : الغنى ، كالتغاني والاعتناء . الحماسة واللسان : « والغنى كالعدم » .
- (٢) فيما عدا ل : « في العلو والقدر » .
- (٣) ل : « البلاء » .
- (٤) النفج : أن يفخر بما ليس عنده . فيما عدا ل ، هـ : « القبح » تحريف .
- (٥) أبو الوليد عبادَةُ بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي ، شهد بئرا ، وكان أحد النقباء بالعقبة ، كان قويا في دين الله ، قائما بالأمر بالمعروف . توفي بالرملة سنة ٣٤ . الإصابة ٤٤٨٨ وتهذيب التهذيب .
- (٦) فيما عدا ل : « ظن أن ترك فيه المحاسبة » وفيه إقحام وتحريف .
- (٧) في الأصول : « أوس بن شداد » تحريف ، وفي حواشي هـ للخشني : « صوابه شداد بن أوس » .
- وهو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي ، ابن أخي حسان . وفيه يقول عبادَةُ بن الصامت : « شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم » . الإصابة ٢٨٤٢ . وقد روى الجاحظ خطبة له في الجزء الثالث من البيان .
- (٨) فيما عدا ل : « المحاسبة » تحريف .

- بكلمة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا مزمومة مخطوطة .
- قال : وروى (١) حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة (٢) ، عن إبراهيم (٣)
- قال : « إنما يهلك الناس في فضول الكلام ، وفضول المال » .
- وقال (٤) : « دع المعاذير ، فإن أكثرها مفاجر » . وإنما صارت المعاذير كذلك لأنها داعية إلى التخلص بكل شيء .
- وقال سلام بن أبي مطيع (٥) : قال لي أيوب (٦) : « آياك وحفظ الحديث » . خوفاً عليه من العجب .
- وقال إبراهيم النخعي : « دع الاعتذار ؛ فإنه يخالط الكذب (٧) » .
- قالوا : ونظر شاب وهو في دار ابن سيرين إلى قرش (٨) في داره ، فقال : ما بال تلك الآجرة أرفع من الآجرة الأخرى ؟ فقال ابن سيرين : « يا ابن أخي إن فضول النظر تدعو إلى فضول القول » .

- (١) فيما عدل : « ورووا عن » .
- (٢) أبو حمزة هذا ، هو ميمون الأعور القصاب الكوفي ، روى عن سعيد بن المسيب والشعبي وإبراهيم النخعي ، وعنه منصور بن المعتمر والثوري . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٨) في ترجمة إبراهيم النخعي . ١٥
- (٣) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي الفقيه ، روى عن مسروق وعلقمة وشرح ، وروى عنه الأعمش ومنصور وحماد بن سليمان ، ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ٩٦ . التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٧) . وفي عيون الأخبار (١ : ٢٣٠) : « وحمل الناس عن إبراهيم النخعي وهو ابن ثمان عشرة سنة » ونحوه في المعارف ٢٠٤ .
- (٤) ل : « وقالوا » . ٢٠
- (٥) فيما عدل : « سلام بن مطيع » .
- (٦) هو أبو بكر أيوب بن أبي تيمية كيسان السخيتاني البصري ، روى عن نافع وعطاء وعكرمة والأعرج وغيرهم ، وروى عنه الأعمش وقتادة وخلق كثير ، وكان حجة أهل البصرة ، وله أقوال كريمة في صفة الصفوة (٣ : ٢١٢ - ٢١٧) . وانظر تهذيب التهذيب .
- (٧) في عيون الأخبار (٣ : ١٠١) : « اعتذر رجل إلى إبراهيم فقال له : قد عذرتك غير معتذر من المعاذير يشوبها الكذب » . ٢٥
- (٨) المراد بالقرش هنا أن قد بلطت الأرض وفرشت . وفي اللسان : « فرش فلان داره ، إذا بلطها . قال أبو منصور : كذلك إذا بسط فيها الآجر والصفيح فقد فرشها . وتفرش الدار : تبليطها » .

- وزعم إبراهيم بن السندی قال: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ عِيسَى بْنَ عَلِيٍّ ^(١) يَقُولُ :
- « فَضُولُ النَّظَرِ مِنْ فَضُولِ الْخَوَاطِرِ ، وَفُضُولُ النَّظَرِ تَدْعُو إِلَى فَضُولِ الْقَوْلِ ، وَفُضُولُ الْقَوْلِ تَدْعُو إِلَى فَضُولِ الْعَمَلِ ؛ وَمَنْ تَعَوَّدَ فَضُولَ الْكَلَامِ ثُمَّ تَدَارَكَ اسْتِصْلَاحَ لِسَانِهِ ، خَرَجَ إِلَى اسْتِكْرَاهِ الْقَوْلِ ، وَإِنْ أَبْطَأَ أَخْرَجَهُ إِبْطَاؤُهُ إِلَى أَقْبَحَ مِنَ الْفُضُولِ » .
- قال أبو عمرو بنُ العلاءِ : أَنْكَحَ ضِرَارُ بْنُ عَمْرِو الضَّبِّيِّ ابْنَتَهُ مَعْبَدَ بْنَ زُرَّارَةَ ، فَلَمَّا أَخْرَجَهَا إِلَيْهِ قَالَ لَهَا : « يَا بُنَيَّةُ أَمْسِكِي عَلَيْكَ الْفَضْلَيْنِ » .
- قالت : وما الفضلانِ ؟ قال : فَضْلُ الْعُلَمَةِ ، وَفَضْلُ الْكَلَامِ .
- وضرارُ بنُ عمرو ، هو الذي قال : « مَنْ سَرَّهَ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ » ^(٢) .
- وهو الذي لما قال له المنذرُ : « كَيْفَ تَخْلُصُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا » ، وما الذي نَجَّاك ؟ قال : « تَأْخِيرُ الْأَجْلِ ، وَإِكْرَاهِي نَفْسِي عَلَى الْمُقِّ الطَّوَالِ » .
- المقَّاء : المرأة الطويلة . والمقُّ : جماعة النساء الطوال . والمقُّ أيضاً : الخيل الطَّوَالِ .
- وكان إخوته قد استَشَالُوهُ حَتَّى رَكِبَ فَرَسَهُ وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ بَعْكَازٍ ، فَقَالَ :
- « أَلَا إِنَّ خَيْرَ حَائِلٍ أُمٌّ ^(٣) فَرَوَّجُوا الْأُمَّهَاتِ » . وَذَلِكَ أَنَّهُ صُرِّعَ بَيْنَ الْقَنَاءِ ، فَأَشْبَلَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ لِأُمِّهِ حَتَّى أَنْقَذُوهُ ^(٤) .

١٥

(١) هو عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم السفاح والمنصور ، وكان ابن المقفع يكتب له ، وقد أمره بعمل نسخة الأمان لأخيه عبد الله الخارج على المنصور ، وهو الذي أرسل ابن المقفع إلى سفيان بن معاوية فغدر هذا به ، وقطعه عضواً عضواً وألقاه في التنور . وكان المنصور يجلس عيسى ويعظمه في مجلسه . انظر الجهشيارى ١٠٣ - ١٠٧ . ومات في خلافة المهدي . المعارف ١٦٣ .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٦) . وفي عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) : « رأى ضرار بن عمرو الضبي له ثلاثة عشر ذكراً قد بلغوا ، فقال ... » .

(٣) الحائل : التي لم تحمل .

(٤) أشبل عليه : عطف عليه وأعانه . ح : « فأنشل » تحريف . وبعد هذه الكلمة في ل : « أى

عطف » . ب : « إخوته وأمه » : ل : « فأنقذوه » .

باب في الصمت

قال : وكان أعرابيٌّ يجالس الشعبي^(١) فيطيل الصمت ، فسئل عن طول صمته فقال : « أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم » .

وقالوا : « لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب » .

وقالوا : مقتل الرجل بين لحيته وفكّيه » .

وأخذ أبو بكر الصديق ، رحمه الله ، بطرف لسانه وقال : « هذا الذي أوردني الموارد » .

وقالوا : ليس شيء أحق بطول سجن من لسان .

وقالوا : اللسان سبع عقور .

وقال النبي عليه السلام : « وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم » . ١٠

وقال ابن الأعرابي ، عن بعض أشياخه : تكلم رجلٌ عند النبي عليه السلام فخطل في كلامه ، فقال النبي ﷺ : « ما أعطى العبدُ شراً من طلاقة اللسان » .

وقال العائشي^(٢) ، وخالد بن خدّاش^(٣) : حدثنا مهديُّ بن ميمون^(٤) ، عن

(١) الشعبي ، هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري ، ونسبته إلى « شعب » بالفتح : بطن بن همدان . كان من كبار الحفاظ ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفي سنة ١٠٣ تذكرة الحفاظ (١ : ٧٤ - ٨٢) وتهذيب التهذيب (٥ : ٦٥) وصفة الصفوة (٣ : ٤٠) .
(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المعروف بابن عائشة . والعائشي ، تقدمت ترجمته في ص ١٠٢ .

(٣) هو خالد بن خدّاش بن عجلان الأزدي المهلبى البصرى ، كان ثقة صدوقاً . توفي سنة ٢٢٤ . تاريخ بغداد ٤٤٠٥ وتهذيب التهذيب . ٢٠

(٤) هو مهدي بن ميمون الأزدي المعول أبو يحيى البصرى ، أحد الرواة الثقات . توفي سنة ١٧١ . تهذيب التهذيب .

غيلان بن جرير ^(١) ، عن مطرّف بن عبد الله بن الشَّحِير ، عن أبيه قال :
 قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدٍ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ
 ١٢٠ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلًا ^(٢) ، وَأَنْتَ الْجَفْنَةُ الْعَرَاءُ ^(٣) . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيُّهَا
 النَّاسُ ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَفْزِزْكُمْ الشَّيْطَانُ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

قال : وقال خالد بن عبد الله القسريّ ، لعمر بن عبد العزيز : من كانت
 الخلافة زانته فقد زينتها ، ومن [كانت ^(٤)] شرفته فقد شرفتها . فانت كما
 قال الشاعر :

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا أَنْ تَمْسِيَهُ أَيْنَ مَثْلِكَ أَيْنَا
 وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجُوهِ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

فقال عمر : إِنَّ صَاحِبَكُمْ أُعْطِيَ مَقُولًا ، وَلَمْ يُعْطَ مَعْقُولًا . ١٠

وقال الشاعر :

لَسَانُكَ مَعْسُولٌ وَنَفْسُكَ مَشْحَةٌ وَدُونَ الثُّرَيَّا مِنْ صَدِيقِكَ مَالِكَا ^(٥)

وأخبرنا ^(٦) بإسنادٍ له ، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لَابْنِ عُمَرَ : ادْعُ اللَّهَ لَنَا بِدَعَوَاتِهِ . فَقَالَ :

(١) هو غيلان بن جرير المعول البصري ، نسبة إلى « مَعُولَة » بطن من الأزد . روى عن أنس ومطرف

والشعبي ، وروى عنه مهدي بن ميمون وشعبة . توفي سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب وأنساب السمعاني ٥٣٨ . ١٥

(٢) الطول ، بالفتح : الفضل .

(٣) في اللسان (جفن) : « كانت العرب تدعو السيد المطعم جَفْنَةً ؛ لِأَنَّهُ يَضَعُهَا وَيَطْعَمُ

الناس فيها ، فسمي باسمها . والعراء : البيضاء ، أي إنها مملوءة بالشحم والدهن » .

(٤) التكملة من عيون الأخبار (١ : ٩٣) حيث الخبر .

(٥) الشحة ، بفتح الشين : الشحيحة . والبيت في الحيوان (٥ : ٤٣٠) . وأنشده في اللسان ٢٠

(شحج) مع قرين بعده ، وهو :

وَأَنْتَ أَمْرٌ خَلَطَ إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ يَمِينُكَ شَيْئًا أَمْسَكَتَهُ شِمَالُكَ

(٦) يعني ابن الأعرابي ، كما في حواشي هـ .

« اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا » . فقالوا : لو زدنا يا أبا عبد الرحمن . قال :
نعوذ بالله من الإسهاب .

وقال أبو الأسود الدؤلي ، في ذكر الإسهاب ، يقولها في الحارث بن
عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة ^(١) ، والحارث هو القُبَاع ، وكان خطيباً من
وُجُوهِ قُرَيْش ورجالهم . وإثماً سمى القُبَاعُ لأنه أُتِيَ بِمِكَتَل ^(٢) لأهل المدينة ،
فقال: إن هذا المِكَتَلُ لَقُبَاعُ ! فسُمِّيَ به . والقُبَاعُ : الواسع الرأس القصير .
وقال الفرزدق فيه لجبر ^(٣) :

وَقَبْلَكَ مَا أَعْيَيْتُ كَاسِرَ عَيْنِهِ زِيَاداً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى حَبَائِلُهُ
فَأَقْسَمْتُ لَا آتِيهِ تِسْعِينَ حِجَّةً وَلَوْ كُسِرَتْ عُنُقُ الْقُبَاعِ وَكَاهَلُهُ ^(٤)

وقال أبو الأسود :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُزَيْتَ خَيْراً أَرِحْنَا مِنْ قُبَاعِ بَنِي الْمُغِيرَةِ
بَلَوْنَاهُ وَلُغْمَنَاهُ فَأَغْيَا عَلَيْنَا مَا يُمِرُّ لَنَا مَرِيرَةً ^(٥)
عَلَى أَنَّ الْفَتَى نِكْحَ أَكُولٍ وَمِسْهَابٍ مَذَاهِبُهُ كَثِيرَةٌ

وقال الشاعر ^(٦) :

- ١٥ (١) ويقال فيه أيضاً الحارث بن عياش بن أبي ربيعة ، وأبو ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم .
وكان الحارث أحد ولادة البصرة ، استعمله عليها ابن الزبير ، روى عن عمر وعائشة وحفصة وأم سلمة ، وروى عنه
سعيد بن جبير والشعمي والزهرى . تهذيب التهذيب ، والإصابة ٢٠٣٩ . وانظر ما سبق في حواشي ١٣٠ .
(٢) المِكَتَلُ : زنبيل كبير يسع خمسة عشر صاعاً .
(٣) هذا الإنشاد هو فيما عدل ، هـ متأخر عن قول أبي الأسود التالى .
(٤) فى الديوان ٧٣٩ : « سبعين حجة » .
٢٠ (٥) المروة : الحبل الطويل الدقيق ، وإمرار الحبل : إحكام قتله . عنى أنه لا يمضى أمراً .
(٦) هو الفضل بن عبد الرحمن القرشى ، يقوله لابنه القاسم بن الفضل . الخزائن (١ : ٤٦٥) .

إِيَّاكَ إِيَّاكَ المراءَ فإنه إلى الشر دعاءً وللصَّرم جالب^(١)
وقال أبو العتاهية :

والصمت أجمل بالفتى من منطق في غير حينه^(٢)
كلُّ امرئ في نفسه أعلى وأشرف من قرينه

وكان سهل بن هارون يقول : « سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة ، كما أنَّ التوقى على الدَّواء أشدُّ من الدَّواء » .

وكانوا يأمرُون بالتَّبين والتَّثبت ، وبالتحرز من زَلَلِ الكلام ، ومن زَلَلِ الرَّأى ، ومن الرَّأى الدَّبرى . والرأى الدَّبرى هو الذى يَعْرِضُ من الصَّواب بعد مُضَى الرَّأى الأوَّل وفوتِ استدراكه .

وكانوا يأمرُون بالتحلُّم والتعلُّم ، وبالتقدُّم فى ذلك أشدَّ التقدُّم . ١٠

وقال الأحنف : قال عمر بن الخطاب : « تفقَّهوا قبل أن تسودوا » .

وكان يقول رحمه الله : « السَّودد مع السَّواد^(٣) » .

وأنشدوا لكثير عزة :

وفى الجَلَم والإسلام للمرءَ وازعٌ وفى ترك طاعات الفؤاد المتيمِّم
بصائرُ رُشدٍ للفتى مستبينةٌ وأخلاقٌ صِدْقٍ علَّمها بالتعلُّم ١٥

الوازع : الناهى ؛ والوزعة : جمع وازع ، وهم الناهون والكافون .

وقال الأَفْوه الأودى :

أضحَّتْ قُرْبَنُهُ قَدْ تَغَيَّرَ بِشْرُهَا وَتَجَهَّمتْ بِتَحِيَّةِ الْقَوْمِ الْعِدا

(١) يستشهد به النحويون على حذف الواو قبل « المراء » . انظر الخزانة وسيبويه (١ : ١٤١) .

ويروى : « فإياك » و « للشر جالب » . المراء : المجادلة . الصرم : القطيعة . ٢٠

(٢) ل : « زين للفتى » . والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٣) فى حواشئ هـ : « يريد مع الشباب إذا كان الشعر أسود ، لأنه يمكنه فى ذلك الوقت أن

يدرك ما يسود به فى طلب علم أو فروسة ، فإذا جاز حد الشباب لم يمكنه » .

أَلَوْثُ بِإِصْبَعِهَا وَقَالَتْ إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِمَّا لَا تَرَى مَا قَدْ تَرَى (١)
وَأُنْشَدَ :

إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَها عَنْ غَيِّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ (٢)
فَهَنَّاكَ تُعَذِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ

قالوا : وكان الأحنف بن قيس أشدَّ الناس سلطانا على نفسه .

وقالوا : وكان الحسن أترك النَّاسِ لما نُهِى عنه . وقال الآخر :

لا تعذراني في الإساءة إنه شِرَارُ الرِّجَالِ مَنْ يُسِيءُ فَيُعَذِّرُ (٣)

وقال الكميت بن زيد الأسدي :

وَلَمْ يُقَلِّ بَعْدَ زَلَّةٍ لَهُمْ عُدُّوا الْمَعَاذِيرَ إِنَّمَا حَسِبُوا (٤)

وَأُنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ ، لِلأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدٍ (٥) :

قَامَتْ تَخَاصُرُنِي بِقُنَّتِيهَا خَوْدٌ تَأْطُرُ غَادَةً يَكُرُّ
كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مُبْلِغٍ لَذَّةٌ عُذْرُ

تخاصرني : آخذ بيدها وتأخذ بيدي . والقنَّة : الموضع الغليظ من الأرض
في صلابة . والخود : الحسنة الخلق . تأطر : تتشى . والغادة : الناعمة اللينة .

وقال جرير في فَوْتِ الرَّأْيِ :

وَلَا يَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبُرًا (٦)

(١) البيتان لم يرويا في ديوانه المخطوط .

(٢) البيتان من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي في شرح شواهد المغني ١٩٤ . ومنها :

يَأْتِيَا الرَّجُلَ الْمُعْلَمَ غَيُّو هَلَا لَغِيكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

ويروى بعضها للمتوكل اللبي . انظر حماسة البحري ١٧٣ .

(٣) البيت في الحيوان (٣ : ١١١ ، ٤٨٢ ، ٧ / ٢٦٠) .

(٤) أى عقولهم الصحيحة لا تدعهم يخطئون ويزلون ، لأنهم يفتنون للأمر قبل وقوعه ، ويصدق

في ذلك ظنهم . انظر الهاشميات ٦٣ والحيوان (٣ : ٤٨٢) .

(٥) فيما عدل : « وَأُنْشَدَ الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ » تحريف .

(٦) في الديوان ٢٤٦ :

قال : ومدح التَّابِغَةُ ناساً بخلاف هذه الصفة ، فقال :
 ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشرَّ ضربةً لازِبَ
 لازِب ولازم ، واحد ، واللازِب في مكان آخر : اليابس . قال الله عزَّ
 وجلَّ : ﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ . واللَّزِبَات : السُّنُونُ الجَدْبَةُ .
 وأنشد :

هفا هفوةً كانت من المرء بدعةً وما مثله من مثلهَا بسليم
 فإنَّ يَكُ أخطا في أخيكُم فربُّما أصاب التي فيها صلاحُ تميم
 قال : وقال قائلٌ عند يزيد بن عمر بن هُبيرة ^(١) : والله ما أتى ^(٢) الحارثُ
 ابن شريح يوم خير قط . قال : فقال الترجمان بن هُرَيم : « إلاً يَكُنْ أتى يوم خيرٍ
 فقد أتى يوم شرٍّ » . ذهب الترجمان بن هُرَيم إلى مثل معنى قول الشاعر :
 وما خلقتُ بنو زِمَانٍ إلَّا أخيراً بَعْدَ خَلْقِ النَّاسِ طُرّاً ^(٣)
 وما فَعَلْتُ بنو زِمَانٍ خيراً ولا فَعَلْتُ بنو زِمَانٍ شراً

* * *

ومن هذا الجنس من الأحاديث ، وهو يدخل في باب المُلَح ، قال الأصمعي :
 « وصَلْتُ بِالْعِلْم ، وَنِلْتُ بِالْمُلَح ^(٤) » .

- = لقد كنت يا ابن القين ذا خيرة بكم وعوف أبو قيس بكم كان أخيراً
 فلا تتفون الشر حتى يصيبكم ولا تعرفون الأمر إلا تدبراً
- (١) يزيد بن عمر بن هبيرة : قائد من قواد الأمويين ، ولي قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية العراقين في أيام مروان بن محمد ، ثم لما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه ، فأعياه أمره ، ثم بعث إليه السفاح من قتله يقتصر واسط سنة ٣٢هـ ابن خلكان . وكان جواداً نبيلاً جميل المرأة عظيم الخطر . المعارف ١٧٩ .
- (٢) فيما عدل ، هـ : « أتاني » تحريف . والخبر في الحيوان (٢ : ٨٧) .
- (٣) زمان ، بكسر أوله وتشديد الميم ، اسم لعدة قبائل من العرب : زمان بن مالك بن صعب بن بكر وائل ، وزمان بن مالك بن جديلة ، وزمان بن تيم الله ، والأول أعرفهن . انظر المعارف ٤٧ - ٤٨ .
- ومختلف القبائل ومؤلفها ٣٦ - ٣٧ .
- (٤) في حواشي هـ : « يريد وصلت به إلى المراتب عند الملوك » .

وقال رجلٌ مرَّةً (١) : « أبى الذى قاد الجيوش ، وفَتَحَ الفتوح ، وَخَرَجَ على ١٣٣
الملوك ، واغتصب المنابر » . فقال له رجلٌ من القوم . لا جرم ، لقد أُسِرَ وقُتِلَ
وصُلِبَ ! قال : فقال له المفتخرُ بأبيه : دغنى من أُسِرَ أبى وقتله وصلبه ، أبوك
أنتَ حَدَّثَ نفسه بشيءٍ من هذا قط ؟

* * *

قد سمعنا رواية القوم واحتجاجهم ، وأنا أوصيك ألا تدع التماس
البيان والتبيين (٢) إن ظننت أن لك فيهما طبيعة ، وأنهما يناسبانك بعض
المناسبة ، ويشاكلانك في بعض المشاكلة ؛ ولا تُهمل طبيعتك فيستولى
الإهمال على قوَّة القرينة ، ويستبدُّ بها سوء العادة . وإن كنتَ ذا بيان
وأحسست من نفسك بالتفوذ في الخطابة والبلاغة ، وقوَّة المنة يوم الحفل ،
فلا تُقصِّر في التماس أعلاها سورة (٣) ، وأرفعها في البيان منزلة . ولا يقطعَنَّك
تَهْيِيبُ الجُهلاء ، وتخويفُ الجُنَّاء ؛ ولا تصرفَنَّك الرواياتُ المعدولة عن
وجوهها ، المتأولة على أقبح مخرجها .

وكيف تُطيعهم بهذه الروايات المعدولة ، والأخبار المدخولة ، وبهذا الرأى
الذى ابتدَعوه من قِبَل أنفُسهم ، وقد سمعتَ الله تبارك وتعالى ، ذَكَرَ داودَ
النَّبىَّ صلوات الله عليه ، فقال : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٤)
إلى قوله : ﴿ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ ﴾ . فجمع له بالحكمة البراعة في العقل ، والرَّجَاحَةَ
في الحِلْم ، والاتِّسَاعَ في العلم ، والصَّوَابَ في الحُكْم ، وجمع له بفصل

(١) الخبر في عيون الأخبار (١ : ٢٣٣) .

(٢) ل ، هـ : « والتبيين » .

(٣) السورة ، بالضم : المنزلة الرفيعة ، جمعها سور ، بالضم .

(٤) تمام ثلاثة الآيات وما بعدها : (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب . إنا
سخرنا الجبال معه يمشين بالغشى والإشراق . والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب) . الآيات ١٧ - ٢٠ من سورة ص .

الخطابِ تفصيلَ المَجْمَلِ ، وتلخيصَ المَلْتَبِسِ ، والبَصَرُ بالخِزِّ في موضعِ الخِزِّ ،
والحَسَمُ في موضعِ الحَسَمِ .

وذكر رسولُ الله ﷺ شُعيباً النَّبِيَّ عليه السلام ، فقال : « كان شُعيبٌ
خطيبَ الأنبياءِ » . وذلك عندَ بعضٍ ما حكاه الله في كتابه ، وجَلَّاهُ لأسماعِ عبادِهِ .

- فكيف تَهَابَ منزلةَ الخطباءِ وداوُدَ عليه السلام سَلَفُكَ ، وشُعيبٌ
إمامُكَ ، مع ما تلوناهُ عليك في صدرِ هذا الكتابِ من القرآنِ الحكيمِ ، والآيِ
الكريمِ . وهذه خطبُ رسولِ الله ﷺ مدونةٌ محفوظةٌ ، ومَحَلَّةٌ ^(١) مشهورةٌ ،
وهذه خطبُ أنى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ ، رضى الله عنهم .

- وقد كان لرسولِ الله شعراءُ ينافحون عنه وعن أصحابِهِ بأمرِهِ ، وكان ثابتُ بنُ
قيسِ بنِ الشَّماسِ الأنصارى ^(٢) خطيبَ رسولِ الله ﷺ ، لا يدفعُ ذلك أحدٌ .
فأما ما ذكرتم من الإسهابِ والتكلفِ ، والخطَلُ والتزَيُّدُ ، فإنما يخرجُ
إلى الإسهابِ المتكلفِ ، وإلى الخطَلِ المتزَيِّدِ .

- فأما أربابُ الكلامِ ، ورؤساءُ أهلِ البيانِ ، والمطبوعون المعادون ،
وأصحابُ التحصيلِ والمحاسبةِ ، والتوقى والشفقةِ ، والذين يتكلمون في صلاحِ
ذاتِ البينِ ، وفي إطفاءِ نائرةٍ ، أو في حَمالةٍ ^(٣) ، أو على منبرِ جَماعةٍ ، أو في عقدِ
إملاكٍ بين مسلمٍ ومسلمةٍ - فكيف يكون هؤلاء يدعوا إلى السَّلاطه والمِراءِ ،

(١) ل ، ب : « مجلدة » بالجيم ، وأثبت ما في هـ ، جـ ، والتميمية .

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الأنصارى الخزرجى ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة ،
وقد نفذ أبو بكرٍ وصية له بعد موته أوصى بها رجلاً رآه في نومه . الإصابة ٩٠٠ . وتهذيب التهذيب ،
وصفة الصفوة (١ : ٢٥٧) .

(٣) النائرة ، بالنون : العداوة والشحناء والفتنة . ل : « نائرة » تحريف . والحَمالة كسحابة :

الدية يحملها قوم عن قوم .

وإلى الهَذَر والبَدَاء ، وإلى التَّفَجِّج والرِّياء . ولو كان هذا كما يقولون لكان على بنُ
أبي طالب ، وعبدُ الله بنُ عباسٍ أَكْثَرُ النَّاسِ فيما ذُكِرْتُمْ . فَلِمَ خُطِبَ صَعَصَعَةٌ
ابنُ صُوحانٍ عندَ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ ، وقد كان ينبغي للحَسَنِ البَصْرِيِّ أن
يكونَ أَحَقَّ التابعين بما ذُكِرْتُمْ ؟

٥ قال الأصمعي : قيل لسعيد بن المسيَّب (١) : هاهنا قومٌ تُسَّاكُ يَعْبِيون
إنشادَ الشعر . قال : « تُسَكُّوا تُسَكًّا أعجميًا » .

وقد زَعَمْتُمْ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « شُعْبَتَانِ مِنْ شُعَبِ التَّفَاق : البَدَاءُ
والبَيَان . وشُعْبَتَانِ مِنْ شُعَبِ الإِيْمَان : الحَيَاءُ ، والعِيَّ » . ونحن نعوذُ بالله أن يكونَ
القرآنُ يَحْتُ على البَيَانِ ورسولُ الله ﷺ يُحْتُ على العِيَّ ، ونعوذُ بالله أن
يُجْمَعَ رسولُ الله ﷺ بينَ البَدَاءِ والبَيَانِ . وإِنَّمَا وَقَعَ التَّنْهِي على كُلِّ شَيْءٍ جَاوَزَ
١٠ المقدارَ ، ووقع اسمُ العِيَّ على كُلِّ شَيْءٍ قَصَرَ عن المقدارِ . فالعِيُّ مذمومٌ
والخَطْلُ مذمومٌ ، ودينُ الله تبارك وتعالى بينَ المقصَّرِ والغالي .

وهاهنا رواياتٌ كثيرةٌ مدخولةٌ ، [وأحاديثٌ معلولة (٢)] . رَوَوْا أَنَّ رجلاً
مدَحَ الحَيَاءَ عندَ الأُحْنَفِ ، [وَأَنَّ الأُحْنَفَ] قال ثُمَّ (٣) : يعوذُ ذلكَ ضَعْفًا .
والخيرُ لا يكونُ سبباً للشرِّ . ولكننا نقول : إِنَّ الحَيَاءَ اسمٌ لمقدارٍ من المقاديرِ [ما زاد
١٥ على ذلكَ المقدارِ فَسَمُّهُ ما أَحْبَبْتَ . وكذلك الجودُ اسمٌ لمقدارٍ من المقاديرِ (٤)] ،
فالسَّرَفُ اسمٌ لما فَضَّلَ عن ذلكَ المقدارِ . وللحِزْمِ مقدارٌ ، فالجُبْنُ اسمٌ لما فَضَّلَ
عن ذلكَ المقدارِ . وللاقتِصادِ مقدارٌ ، فالْبُخْلُ اسمٌ لما خَرَجَ (٥) عن ذلكَ المقدارِ . ١٢٥

(١) سعيد بن المسيَّب بن حزن القرشي الخزومي ، وكان من أفقه التابعين ، وكان يسمى راوية عمر ،

٢٠ وكان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته ، كما كان من أعبَر الناس للرؤيا . ولد لستين مضتاً من خلافة عمر ، وتوفي

سنة ٩٤ . تهذيب التهذيب ، وضعه الصفوة (٢ : ٣٤) ، والمعارف ١٩٣ . والمسيَّب ، بكسر الياء وفتحها ،

كما في القاموس .

(٢) هذه مما عدا ل . (٣) فيما عدا ل : « ثم » .

(٤) هذه مما عدا ل . (٥) ل فقط : « لما فضل » .

وللشجاعة مقدار ، فالتهور والحَدَب اسمٌ لما جاوزَ ذلك المقدار .

وهذه أحاديثٌ ليست لعامتها أسانيدٌ متصلة ، فإنَّ وجَدَتْها متصلةً لم تجدها محمودة ، وأكثرها جاءت مطلقةً ليس لها حاملٌ محمودٌ ولا مذموم . فإذا كانت الكلمة حسنةً استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحُسْن . فإنَّ أردت أن تتكلف هذه الصناعة ، وتُنسَب إلى هذا الأدب ، فقرضت قصيدةً ،
 أو حَبِرت خطبةً ، أو أَلَقْتَ رسالةً ، فَإِيَّاكَ أَنْ تدعوكَ ثِقَتُكَ بنفسك ،
 أو يدعوكَ عُجْبُكَ بشرة عقلك إلى أن تنتحلّه وتدعيه ؛ ولكن اعرضه على العلماء في غرض رسائل أو أشعارٍ أو خطب ؛ فإنَّ رأيت الأسماع تُصغى له ، والعيون تُحدِّج إليه ، ورأيت مَنْ يطلبه ويستحسنه ، فانتحلّه . فإنَّ كان ذلك في ابتداء أمرك ، وفي أوَّل تكلفك فلم تر له طالباً ولا مستحسناً ، فلعلّه أن يكون ما دام رِيضاً قضيباً ^(١) ، أن يحلَّ عندهم محلَّ المتروك . فإذا عاودت أمثال ذلك مراراً ، فوجدت الأسماع عنه منصرفه ، والقلوب لاهية ، فخذ في غير هذه الصناعة ، واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه ، أو زهدهم فيه .

وقال الشاعر ^(٢) :

١٥ إِنَّ الحديثَ تَغُرُّ القومَ خَلُوتُهُ حَتَّى يَلَجَّ بهم عِيٌّ وَلَكثَارُ ^(٣)

وفي المثل المضروب : « كُلُّ مُجْرٍ في الخلاءِ مُسَرٌّ » ^(٤) ، ولم يقولوا

مسرور . وكلُّ صواب .

(١) الرِيض : الذي ابتدئ في رياضته . والقَضِيب : الذي لم يمهر في الرياضة . وأصل هذين الوصفين

للحيوان الذي يراض ، كالناقة والفرس . وبعد هذه الكلمة في ب ، ح : « تعنيسا » وفي التيمورية : « تغيسا » !

(٢) هو ابن هزمة كما في الحيوان (٢ : ٢٠٧) ورسائل الجاحظ ١٧١ ساسي . وانظر الحيوان

(١ : ٨٨) ، وأدب الكتاب للصولي ١٥٧ وأمثال الميداني (٢ : ٧٣) .

(٣) ب والتيمورية : « حتى يلح » بالخاء .

(٤) في الحيوان (١ : ٨٨ / ٤ : ٢٠٧) والميداني (٢ : ٧٣) والقالبي (٢ : ٨٩) :

« يسر » . وأصله أن الرجل يجرى فرسه في المكان الخالي لا مسابق له فيه ، فهو مسرور =

فلا تثق في كلامك برأى نفسك ؛ فإنني ربما رأيت الرجل متماسكاً
وفوق التماسك ، حتى إذا صار إلى رأيه في شعره ، وفي كلامه ، وفي ابنه ،
رأيتَه مُتَهافتاً وفوق المتهافت .

وكان زهير بن أبي سلمى ، وهو أحد الثلاثة المتقدمين ، يسمى كبار
قصائده : « الحَوَلِيَّات » .

وقال نوح بن جرير : قال الحطيئة : « خير الشعر الحولى المنقح » .
قال : وقال البيث الشاعر ^(١) ، وكان أخطب الناس : « إني والله
ما أرسل الكلام قضياً خشياً ^(٢) ، وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا
بالبائت المحكك » . وكنت أظن أن قولهم « محكك » كلمة مولدة ، حتى
سمعت قول الصعب بن علي الكِنَانِي :

١٢٦

أبلغ فزارة أن الذئب آكلها وجائع سغب شر من الذئب
أزل أطلس ذو نفس محككة قد كان طار زماناً في العاسيب ^(٣)

وتكلم يزيد بن أبان الرقاشي ^(٤) ، ثم تكلم الحسن ، وأعرابيان حاضران

= بما يرى من فرسه . يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلطة بمحمدتها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس
١٥ من الفضائل . و « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرجه ، وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه
القائل ، كما أنشد للآخر في عكسه :

وبلد يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المثبت
أراد « المثبت » . فتوهم « ثبته » . انظر اللسان (سرر) .

(١) البيث لقب له . واسمه خدش بن بشر ، من بني مجاشع ، وأمه أصهبانية يقال لها « مردة » .
٢٠ وسمى البيث بقوله :

تبعت منى ما تبعت بعد ما اسر تتمر فؤادى واستمر عزمى
وكان أخطب تميم ، وكان يهاجى جريراً . الشعراء لابن قتيبة والمؤتلف ٥٦ .

(٢) الخشب : الذى لم يحكم ولم يجود ، من السيف الخشب الذى لم يصقل .

(٣) الأزل : السريع ، والخفيف الوركين . والأطلس : ما لونه الطلسة ، وهى غيرة إلى سواد .
٢٥ واليعسوب : أمير النحل . يقول : هو فى سرعتة مثله .

(٤) هو أبو عمرو : يزيد بن أبان الرقاشى البصرى القاص الزاهد الواعظ البكاء ، روى =

فقال أحدهما لصاحبه : كيف رأيت الرجلين ؟ فقال : أما الأول فقاصٌ مُجيدٌ ، وأما الآخر فعربىٌ مُحَكَّكٌ .

قال : ونظر أعراىً إلى الحسن ، فقال له رجل : كيف تراه ؟ قال : أرى خَيْشُومَ حَرٍّ .

قالوا : وأرادوا عبد الله بن وهب الراسبي^(١) على الكلام يومَ عَقَدَتْ له الخوارجُ الرِّياسة فقال : « وما أنا والرأى الفطير^(٢) » ، والكلامُ القضيب ! ولَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الْبَيْعة له قال : « دَعُوا الرَّأى يَغْبُ ؛ فَإِنْ غُبُوهُ يَكْشِفُ لَكُمْ عَنْ مَخْضِيهِ » .

وقيل لابن التَّوَّامِ الرَّقَاشِيَّ^(٣) : تَكَلَّمْ . فقال : « ما أَشْتَهَى الْخُبْزَ إِلَّا بِائِتًا » .

قال : وقال عُبيد الله بن سالم^(٤) لِرُؤْيَا : مُتْ يَا أَبَا الْجَحَافِ إِذَا شِئْتَ . قال : وكيف ذاك ؟ قال رأيتُ اليومَ عُقْبَةَ بن رُؤْيَا يَنْشُدُ شِعْراً له أَعْجَبَنِي . قال : فقال رُؤْيَا : نعم [إِنَّهُ لَيَقُولُ^(٥)] وَلَكِنْ لَيْسَ لَشِعْرِهِ قِرَانٌ . وقال الشاعر :

مِهَادِبَةٌ مَنَاجِيَةٌ قِرَانٌ مَنَادِبَةٌ كَأَنَّهُمْ الْأَسْوَدُ

١٥ = عن أبيه وأنس بن مالك والحسن البصري ، وروى عنه ابن أخيه الفضل بن عيسى بن أبان وقادة والأعمش . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢١٠ : ٢٥٠) وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩) .

(١) عبد الله بن وهب الراسبي : نسبة إلى راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان قد خرج على علي في أربعة آلاف . بايعه الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ وقتل يوم النهروان سنة ٣٨ . انظر الطبري (٦ : ٤٢) والتنبيه والإشراف ٢٥٦ وجمهرة ابن حزم ٣٨٦ .

(٢) الفطير : كل ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه . ل : « القصير » تحريف .

(٣) ابن التَّوَّامِ الرَّقَاشِيَّ أحد البخلاء ، وقد أثبت له الجاحظ في البخلاء رسالة طويلة . انظر ١٤١ - ١٦٣ . وروى ابن قتيبة له أخباراً في عيون الأخبار (١ : ٢٩٩ ، ٣١٣ / ٣ : ١٧٠) .

(٤) سبقت كنيته في ص ٦٨ : « أبو نوفل » . فيما عدل ، هـ : « عبد الله بن سالم » .

(٥) هذه مما عدل ل . وقد سبق الخير في ص ٦٨ .

يريد بقوله « قرآن » التشابُه والموافقة .

وقال عُمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ! قال : وبم ذاك (١) ؟
قال : لأنني أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه .

قال : وذكر بعضهم شعر التابغة الجعدى ، فقال : « مُطَرَفٌ بآلاف ،
وخِمَارٌ بواف (٢) » . وكان الأصمعيُّ يفضله من أجل ذلك . وكان يقول :
« الخطيئة عبدٌ لشعره » . عابَ شعره حين وجده كله متخيراً منتحِباً مستويّاً ،
لمكان الصنعة والتكلف ، والقيام عليه .

وقالوا : لو أنّ شِعْرَ صالح بن عبد القدوس (٣) ، وسابق البربري (٤)
كان مفترقاً في أشعار كثيرة ، لصارت تلك الأشعارُ أرفعَ ممّا هي عليه
بطبقاتٍ ولصار شعرهما نواذِرَ سائرةٍ في الآفاق . ولكنّ القصيدة إذا كانت
كلّها أمثالاً لم تُسِرْ ، ولم تُجرِ مجرى النّوادر . ومتى لم يخرج السّامعُ من شيء
إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع .

قال : وقال بعضُ الشعراء لرجُل (٥) : أنا أقول في كلِّ ساعةٍ قصيدةً ، ١٢٧

(١) ل : « ولم ذلك » .

(٢) المطرف بضم الميم وكسرهما : واحد المطارف ، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام . والوافي :
الدرهم الذي يزن مثقالاً .

(٣) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس ، كان شاعراً حكيماً من المتكلمين ،
ومن الوعاظ بالبصرة ، اتهم عند المهدي بالزندقة فقتله ببغداد ، ضربه بيده بالسيف فجعله نصفين . وكان أضرب
آخر عمره . نكت الهميان ١٧١ وفوات الوفيات (١ : ٢٤٥) وتاريخ بغداد ٤٨٤٤ ولسان الميزان .

(٤) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله البربري : له أشعار حسنة في الزهد ، وهو من موالى بنى
أمية ، سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز . والبربري نسبة إلى بلاد في المغرب ، قيل إنما هو لقب
له . خزانة الأدب (٤ : ١٦٤) ل : « اليزيدي » ، وفيما عدل ل : « البربري » صوابهما ما أثبت .

(٥) ل : « لبعض » .

وَأَنْتَ تَقْرِضُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ . [فلم ذلك ^(١)] ؟ قال : لِأَنِّي لَا أَقْبِلُ مِنْ شَيْطَانِي مِثْلَ الَّذِي تَقْبَلُ مِنْ شَيْطَانِكَ .

قال : وَأَنْشُدْ عُقْبَةَ بْنِ رُوَيْةٍ [أَبَاهُ رُوَيْةٌ ^(١)] بَنَ الْعَجَّاجَ شِعْراً وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَاهُ ؟ قَالَ : يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ لَيَعْرِضُ لَهُ مِثْلُ هَذَا بَيْنَآ وَشِمَالاً فَمَا يَلْتَفَتُ إِلَيْهِ .

وقد رَوَوْا مِثْلَ ذَلِكَ فِي زَهِيرٍ وَابْنِهِ كَعْب .

قال : وَقِيلَ لِعَقِيلِ بْنِ عُقْلَةَ : لِمَ لَا تُطِيلُ الْهَجَاءَ ؟ قَالَ : « يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ ^(٢) » .

وقيل لأبي المهوش ^(٣) : لِمَ لَا تُطِيلُ الْهَجَاءَ ؟ قَالَ : لَمْ أَجِدْ الْمَثَلَ النَّادِرَ إِلَّا بَيْتاً وَاحِداً ، وَلَمْ أَجِدِ الشَّعْرَ السَّائِرَ إِلَّا بَيْتاً وَاحِداً .

قال : وَقَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِنُصَيْبِ الشَّاعِرِ : وَبَحَلَكَ يَا أَبَا الْحَجْنَاءِ ، أَمَا تُحَسِّنُ الْهَجَاءَ ؟ قَالَ : أَمَا تَرَانِي أُحْسِنُ مَكَانَ عَافَاكَ اللَّهُ : لَا عَافَاكَ اللَّهُ !

ولاموا الكميث بن زيد على الإطالة ، فقال : « أَنَا عَلَى الْقِصَارِ أَقْدَر » .
وقيل للعجاج : مَا لَكَ لَا تُحَسِّنُ الْهَجَاءَ ؟ قَالَ : هَلْ فِي الْأَرْضِ صَانِعٌ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْإِفْسَادِ أَقْدَر .

١٥

وقال رُوَيْةٌ : « الْهَذْمُ أَسْرَعُ مِنَ الْبِنَاءِ » .

وهذه الحجج التي ذكروها عن نُصَيْبٍ وَالْعَجَّاجِ وَرُوَيْةٍ ، إِنَّمَا ذَكَرُوهَا عَلَى وَجْهِ الْإِحْتِجَاجِ لَهُمْ . وَهَذَا مِنْهُمْ جَهْلٌ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ

(١) هذه مما عدل .

(٢) انظر الحيوان (٣ : ٩٩) وأمثال الميداني (١ : ١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧)

(٣) أبو المهوش الأسدي : هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن رثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا

النبي ولم يروه . انظر الإصابة ٢٠١٥ والشعراء ٢٢ والخزانة (٣ : ٨٦ ، ١٤٢) والبخلاء للمحافظ : لَأَبَى الْهُوسِ ، صوابه بالشين .

صادقة . وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام ؛
وتكون له طبيعة في التجارة ^(١) وليست له طبيعة في الفلاحة ؛ وتكون له طبيعة
في الحذاء أو في التعبير ^(٢) ، أو في القراءة بالألحان ، وليست له طبيعة في
الغناء وإن كانت هذه الأنواع كلها ترجع إلى تأليف اللحن . وتكون له
طبيعة في النأى وليس له طبيعة في السُرْناء ^(٣) ؛ وتكون له طبيعة في قصبة
الرأعي ولا تكون له طبيعة في القصبتين المضمومتين ؛ ويكون له طبع في
صناعة اللحن ولا يكون له طبع في غيرهما ؛ ويكون له طبع في تأليف الرسائل
والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع في قرض بيت شعري . ومثل هذا كثير جداً .
وكان عبد الحميد الأكبر ^(٤) ، وابن المقفع ، مع بلاغة أقلامهما
والاستهما ، لا يستطيعان من الشعر إلا ما لا يُذكر مثله . ١٠

وقيل لابن المقفع في ذلك ، فقال : « الذي أرضاه لا يجيئني ، والذي
يجيئني لا أرضاه ^(٥) » .

وهذا الفرزدق وكان مستهتراً بالنساء ^(٦) ، وكان زير غوان ، وهو في ذلك ١٢٨

(١) في نسخة : « التجارة » بالنون ، كما في حواشي هـ .

(٢) قال الأزهري : « وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغييراً ، كأنهم إذا تناشدوها
بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا ، فسموا مغيرة » . ل : « التغيير » ، وفيما عدل : « التعبير » ، صوابهما
ما أثبت . ١٥

(٣) السرناء ، بضم السين : كلمة فارسية ، معناها البوق الذي ينفخ فيه ويزمر . استينجاس ٦٧٨ .

(٤) هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، الذي قيل فيه : « فتحت الرسائل بعبد الحميد ،
وختمت بابن العميد » ، وهو من أهل الشام ، وكان في أول أمره معلّم صبية ينتقل في البلدان ، وكان
كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وقتل معه في مدينة بوضير المصرية سنة ١٣٢ . وفيات
الأعيان ، وسرح العين (١ : ٢٥٦) . ٢٠

(٥) فيما عدل ، هـ : « يجيئني » في الموضعين .

(٦) ما عدا هـ : « مشتهراً » ، وكلاهما متجه .

ليس له بيتٌ واحدٌ في التَّسْيِبِ مذكور . مَعَ حسده لجريِر . وجريِرٌ عَفِيفٌ
لم يَعْشَقْ امرأةً قطَّ ، وهو مع ذلك أغزَلُ النَّاسِ شِعْراً .

وفي الشُّعراء مَنْ لا يستطيع مجاوزة القصيد إلى الرَّجَز ، ومنهم من
لا يستطيع مجاوزة الرَّجَز إلى القصيد ، ومنهم من يجمعهما كجريِر وعَمَر بن لجأ ، وأبى
النَّجْم ، وحُميد الأرقط ، والعُماني . وليس الفرزدق في طَوَالِهِ بأشعرَ منه في قصاره .
وفي الشعراء مَنْ يخطب وفيهم من لا يستطيع الخطابة ، وكذلك حال
الخطباء في قريض الشعر . والشَّاعرُ نفسه قد تختلف حالاته .

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ النَّاسِ ورُبَّما مرَّتْ عَلَيَّ ساعةٌ
ونزَعُ ضرسٍ أهْوَنُ عَلَيَّ من أن أقول بيتاً واحداً .

وقال العجاج : لقد قلتُ أرجوزتي التي أولها :

بكيَتْ والمُحْتَرَنُ البَكِيُّ وإِنَّمَا يَأْتِي الصَّبَا الصَّبِيُّ

أَطَرَبَا وَأَنْتَ قَسْرِيٌّ ^(١) والدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَارِيٌّ ^(٢)

وأنا بالرَّمْلِ ، في ليلةٍ واحدة ^(٣) ، فانتألتُ عَلَيَّ قوافيها انتيالاً ، وإني لأريد اليومَ
دَوْنَهَا في الأيامِ الكثيرة ، فما أقدر عليه .

وقال لي أبو يعقوبَ الخُرَمِيُّ : خرجتُ من منزلي أريد الشَّمَّاسِيَّةَ ^(٤) ،
فابتدأت القول في مرثيةٍ لأبي التَّخْتَاخ ، فرَجَعْتُ والله وما أمكنني بيتٌ واحد .

وقال الشاعر :

وقد يقرض الشعرَ البكيُّ لسأته وتُعَيِّ القوافي المرءَ وهو خَطِيبُ

(١) القنسرى : الكبير المسن . وقيل : لم يسمع هذا إلا في بيت العجاج . وفي حواشي هـ عن

ابن دريد : « تفسر الإنسان : شاخ وتقض . وأنشده . وأنشد أيضا :
« وتفسرته أمور فاقسان لها » .

(٢) دوازي : يدور بالناس أحوالا . انظر ديوان العجاج ٦٦ .

(٣) هـ : « وأنا بالرمل » فقط .

(٤) الشماسية : موضع في أعلى بغداد مجاور لدار الروم .

باب

من القول في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز ^(١) ،

من ملتقطات كلام الناس ^(٢)

قال بعض الناس : « من التوقى ترك الإفراط في التوقى » .

وقال بعضهم : « إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون ^(٣) » .

وقال الشاعر :

قَدَرُ الله وَارِدٌ حِينَ يُقْضَى وَرُودُهُ

فَأَرَدُ مَا يَكُونُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا تَرِيدُهُ ^(٤)

وقيل لأعرابي في شكائته : كيف تَجِدُكَ ؟ قال : « أَجِدُنِي أَجَدُ مَا لَا

أَشْتَهِي وَأَشْتَهِي مَا لَا أَجِدُ ، وَأَنَا فِي زَمَانٍ مِنْ جَادٍ لَمْ يَجِدْ ، وَمَنْ وَجَدَ لَمْ يَجِدْ ^(٥) » .

وقيل لابن المقفع: ألا تقول الشعر ؟ قال : الذي يجيئني لا أرضاه ، ١٢٩

والذي أرضاه لا يجيئني ^(٦) .

وقال بعض النُّسَّاك : « أَنَا لِمَا لَا أَرْجُو أَرْجُو مِنْهُ لِمَا أَرْجُو » .

وقال بعضهم : « أَعْجَبُ مِنَ الْعَجَبِ ، تَرَكَ التَّعَجُّبُ مِنَ الْعَجَبِ » .

(١) فيما عدل : « في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز » تحريف .

(٢) ما عدل ، هـ : « كلام النساك » تحريف .

(٣) هذه الكلمة لأبيوب بن أبي تيممة السخيتاني الذي سبقت ترجمته في ص ١٩٢ . انظر صفة

الصفوة (٣ : ٢١٤) والحيوان (٦ : ٨) .

(٤) هذان البيتان لم يرويا في ل .

(٥) الخبر في الحيوان (٣ : ١٣٢ / ٥٠٣) . وقد نسب في عيون الأخبار (٣ : ٤٩)

إلى أبي الدقيش . وما بعد كلمة « ما لا أجِدُ » هو مما عدل .

(٦) هذا الخبر من ل ، هـ فقط . ورواية هـ : « الذي أرضاه » . وقد سبق قريبا في ص ٢٠٨ .

قال عمر بن عبد العزيز لعبد بنى مخزوم : « إني أخاف الله فيما تقلدت » .

قال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف .

وقال الأحنف لمعاوية : أخافك إن صدقتك ، وأخاف الله إن كذبتك .

وقال رجل من التُّسَاك لصاحب له وهو يَكِيدُ بِنَفْسِهِ ^(١) : أما ذنوبى

فإني أرجو لها مغفرة الله ، ولكنى أخاف على بناتى الضيعة . فقال له صاحبه :
فالذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك ^(٢) .

وقال رجل من التُّسَاك لصاحب له : ما لى أراك حزينا ؟ قال : كان

عندى يَتِيمٌ أَرَبِيهِ لأَوْجَرَ فيه ، فمات وانقطع عنا أجره ، إذ بطل قيامنا بمؤنته .

فقال له صاحبه : فاجتلب يتيما آخر يقوم لك مقام الأول . قال : أخاف

ألا أصيب يتيما فى سوء خلقه ! قال له صاحبه : أما أنا فلو كنت فى
موضعك منه لما ذكرت سوء خلقه .

وقال آخر ، وسمعه أبو هريرة النحوى وهو يقول : ما يمنعنى من تعلم

القرآن إلا أنى أخاف أن أضيّعه . قال : أما أنت فقد عجلت له التضييع ،

ولعلك إذا تعلمته لم تضيّعه .

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيّد قومك ؟ قال : أنا . قال : ١٥

لو كنت كذلك لم تقله ^(٣) !

(١) يكيد بنفسه : يجود بها عند النزاع فى حال الموت .

(٢) ب : « تحفظ بناتك » ، ح : « يحفظ » . وأثبت ما فى ل ، هـ و التيمورية .

(٣) فيما عدل : « لم تقل » .

باب آخر

وقالوا في حُسن البيان ، وفي التخلص من الخَصْم بالحقِّ والباطل ، وفي
تخليص الحقِّ من الباطل ، وفي الإقرار بالحقِّ ، وفي ترك الفخر بالباطل .
قال أعرابيٌّ وذكر حِمَّاس بن ثامِل فقال (١) :

برئتُ إلى الرحمن من كلِّ صاحبٍ أصاحِبُه إلَّا حِمَّاسَ بنِ ثامِلِ
وظنَّني به بين السَّمَّاطين أنَّه سَتِينُجُو بِحَقِّ أو سِينُجُو بِباطِلِ
وقال العَجِير السُّلُولُ (٢) :

وإنَّ ابنَ زَيْدٍ لابنُ عَمِّي وإِنَّه لَبَلَّالٌ أَيْدَى جِلَّةِ الشُّوْلِ بالْدَمِ (٣)
طَلُوعُ الثَّنَايا بالمطَايا وإِنَّه غَدَاةُ المُرَادِي لِلْخَطِيبِ المَقْدَمِ (٤)
يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيَرْضِيكَ ظَالِمًا وَيَكْفِيكَ مَا حُمِّلْتَه حِينَ تَغْرَمُ ١٠

الشُّوْل : جمع شائلة ، وهى التافة التى قد جفَّ لبنُها . وإذا شالت بذنبها
بعد اللقاح فهى شائلٌ ، وجمعها شُوْل . المُرَادِي : المُصَادِم والمُقَارِع ؛ يقال
رَدَيْتُ الحَجَرَ بِصَخْرَةٍ [أو بِمَعْوَلٍ (٥)] ، إذا ضَرَبْتَهُ [بها (٥)] لِنَكْسِرِهِ .
والمِرْدَاة : الصخرة التى يكسُرُ بها الحجارة . وقال ابن رُبَيْع الهَذَلِ (٦) :

(١) هذه الكلمة ساقطة مما عدل . وحماس بن ثامل ، أحد شعراء الحماسة ، أنشد له أبو تمام :

ومستنجع في لج ليل دعوته بمشوبة في رأس صمد مقابل
وقلت له : أقبل فإنك راشد وإن على النار الندى وابن ثامل

(٢) سبقت ترجمته في ١٢٣ .

(٣) بيل أيديها بالدم ، أى ينحرها أو يعرقها . والجلَّة : المسان من الإبل ، جمع جليل كصبي وصبية .

(٤) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة في الجبل .

(٥) هذه مما عدل . والتفسير في هـ متخلل لهذه الآيات الثلاثة .

(٦) هو عبد مناف بن ربيع الهذلى الجربى . وربع ، بكسر الراء . والجربى نسبة إلى =

أَعَيْنَ أَلَا فَابِكِي رُقِيَّةَ إِنَّهُ وَصُولٌ لَأَرْحَامٍ وَمِعْطَاءُ سَائِلٍ ^(١)
 فَأَقْسِمَ لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَحَمَيْتُهُ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ
 وقال بعضُ اليهود ، وهو الرِّبْعُ بنُ أُنَى الْحَقِيقِ ^(٢) من بنى التَّضْيِيرِ ^(٣) :
 سَائِلٌ بَنَا خَابَرَ أَكْأَنَّا وَالْعِلْمُ قَدْ يُلْقَى لَدَى السَّائِلِ ^(٤)
 إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّمْعُ لِلْقَائِلِ
 وَاعْتَلَجَ النَّاسُ بِالْبَابِهِمْ نَقْضِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلِ ^(٥)
 لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلْطِ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ ^(٦)
 نَكْرَهُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا فَتَخْمَلَ الذَّهْرَ مَعَ الْخَائِلِ
 وقال آخر وذكر جِمَاساً أَيْضاً :

- ١٠ = جريب كقريش ، وهو بطن من هذيل . وعبد مناف شاعر جاهلي . انظر الخزاعة (٣ : ١٧٤)
 وأما قصيدته التي منها البيتان فهي في بقية أشعار الهذليين ٧ ونسخة الشنقيطي من الهذليين ٥٢ . وهو
 يرى بالقصيدة « دبية السلمي » . ودبية بضم الدال وفتح الباء وتشديد الياء .
 (١) ل : « أعين » . وفي ديوان الهذليين : « فعيني ألا فابكي دبية » .
 (٢) ذكر أبو الفرج في الأغاني (٢١ : ٦١) أنه كان أحد الرؤساء في يوم بعث وكان يوم
 بعث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .
 (٣) وكذا ذكر ابن سلام في طبقاته ١١٠ . وزعم أبو الفرج أنه من بني قريظة . وجاء فيما عدا
 ل زيادة : « وبعثه رسول الله ﷺ إلى خير فقتلوه » . وفي هذه العبارة خطأ وتحريف ، فإن الذي في
 كتب السير أن الذي قتل بخير هو سلام بن أبي الحقيق ، وذلك أن الأوس بعد قتلهم لكعب بن
 الأشرف ، استأذنوا الرسول في قتل سلام بن أبي الحقيق ، فأذن لهم فخرجوا ، وأمروهم عبد الله بن
 عتيك ، إلى خير فقتلوا سلاماً . وفي ذلك يقول حسان :
 ٢٠ لله در عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
 انظر السيرة ٧١٣ - ٧١٦ جوتنجن ، وديوان حسان ٢٧٢ - ٢٧٣ .
 (٤) الخابر : الذي يخبر ويختبر . والأكباء : جمع كمي ، وهو الشجاع الجري . قال :
 تركت ابنتيك للمغيرة ، والقنا شوارع والأكباء تشرق بالدم
 وفي الأصول : « أكفأنا » صوابه من ابن سلام ١١٠ حيث أنشد الأبيات . و « يلقي » بالقاف ، كما في ل
 وابن سلام . وفي سائر النسخ « يلقي » ، سيان .
 (٥) فيما عدا ل : « واصطرع » . وفي الطبقات : « نرضى بحكم العادل الفاصل » .
 (٦) لط به وألظ : لزمه .

أَتَانِي جِمَاسٌ بَابِنِ مَاءٍ يَسُوقُهُ لِيَبْنِيهِ خَيْرًا وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ (١)
لِيُعْطِيَ عِبْسًا مَالَنَا ، وَصَدُورُنَا مِنْ الْعَيْظِ تَغْلِي مِثْلَ غَلِي الْمَرَاجِلِ
وَقَافِيَةٍ قِيلَتْ لَكُمْ لَمْ أَجِدْهَا جَوَابًا إِذَا لَمْ تُضَرِّبُوا بِالْمَنَاصِلِ
فَأَنْطَقَ فِي حَقِّ بَحْقٍ وَلَمْ يَكُنْ لِيَرْحَضَ عَنْكُمْ قَالَةَ الْحَقُّ بَاطِلٌ (٢) ١٣١

٥ ليرحض ، أى ليغسل . والراحض : الغاسل . والمرحاض : الموضع
الذى يُغسل فيه . وقال عمرو بن معد يكرب :
فلو أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَتْ (٣)
الجرار (٤) : عُوْدٌ يُعْرَضُ فِي فَمِ الْفَصِيلِ ، أَوْ يُشَقُّ بِهِ لِسَانُهُ ، لئَلَّا يَرْضَع .
فيقول : قَوْمِي لَمْ يَطْعُنُوا بِالرِّمَاحِ فَانْتَنَى عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ قَرُّوا فَأَسْكَتْ (٥)
كالمُجَرِّ الذي في فمه الجرار (٦) . ١٠

وقال أبو عبيدة : صاح رُؤْيَةٌ فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ تَمِيمٍ
وَالْأَزْدِ : يَامَعِشْرَ بَنِي تَمِيمٍ ، أَطْلُقُوا مِنْ لِسَانِي (٧)

قال : وَأَبْصَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ قَدْ طَعَنَ فَارِسًا طَعْنَةً ، فَصَاحَ : « لَا عِيًّا

(١) ابن ماء ، هذا ما أثبت في هامش ل ، ولهذا العلم اشتقاق في اللغة من قولهم : رجل ماهي القلب ،
أى جبان كأن قلبه في ماء . وفي هو صلب ل : « بابين ماهي » . وفيما عدل : « بابين ماهي » .
(٢) فيما عدل : « قالة الحزى » .
(٣) البيت من قصيدة له في الأصمعيات ١٧ - ١٨ . وأبيات منها في الحماسة (١ : ٤٣) .
وانظر اللسان .

(٤) لم أجد هذا اللفظ في المعاجم المتداولة . والمعروف « الخلال » انظر المعاجم في مادة (خلل)
والمخصص (٧ : ٣٢) . كما أن المعروف في المصدر « الجر » و « الإجرار » .
(٥) أسكت الرجل إسكاتا : انقطع كلامه فلم يتكلم . هـ : « فأمسكت » .
(٦) ما عدل ، هـ : « جرار » .

(٧) نظير قول عبد يغوث بن وقاص الحارثي في المفضليات (١ : ١٥٥) :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا من لساني

ولا شللاً^(١) ! » . والعرب تقول : « عيَّ أبأسُ من شللٍ^(٢) » . كأنَّ العيَّ فوق كلِّ زمانةٍ .

وقالت الجُهَنِيَّةُ^(٣) :

- ألا هَلَكَ الحُلُو الحَلَالُ الحُلَاحِلُ وَمَنْ عِنْدَهُ حِلْمٌ وَعِلْمٌ وَنَائِلُ^(٤)
 وذو حُطْبٍ يوماً إِذَا القومُ أَفْجَمُوا تُصِيبُ مَرَادَى قَوْلِهِ مَا يَحَاوِلُ
 بَصِيرٌ بِغَوَارِبِ الكَلَامِ إِذَا التَّقَى شَرِيحَانِ بَيْنَ القومِ : حَقٌّ وَبَاطِلُ
 أَتَيْتُ لَمَّا يَأْتِي الكَرِيمُ بِسِيفِهِ وَإِنْ أَسْلَمْتُهُ جَنْدُهُ وَالْقَبَائِلُ^(٥)
 وَلَيْسَ بِمِعْطَاءِ الظَّلَامَةِ عَنْ يَدِ وَلَا دُونَ أَعْلَى سَوْرَةِ المَجْدِ قَابِلُ^(٦)
 الحُلَاحِلُ : السَّيِّدُ . شَرِيحَانِ : جَنَسَانِ مُخْتَلِفَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^(٧) .
 ١٠ وأنشد أبو عبيدة في الخطيب يَطُولُ كلامه ، ويكونُ ذَكُوراً لأوَّلِ
 حُطْبِهِ وللذى بَنَى عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَإِنْ شَعَبٌ شَاغِبٌ فَقَطَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ ،
 أَوْ حَدَّثَ عِنْدَ ذَلِكَ حَدَثٌ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تَدْبِيرٍ آخَرَ ، وَصَلَ الثَّانِي مِنْ
 كَلَامِهِ بِالْأَوَّلِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ أَحَدٌ كَلَامِيهِ أَجْوَدَ مِنَ الْآخَرِ ، فَأَنشَدَ :
 وَإِنْ أَحَدَثُوا شُعْباً يُقَطِّعُ نَظْمَهَا فَإِنَّكَ وَصَّالٌ لَمَّا قَطَعَ الشَّعْبُ
 وَلَوْ كُنْتَ نَسَاجاً سَدَدْتَ خَصَاصَهَا بِقَوْلِ كَطْعَمِ الشَّهْدِ مَا زَجَّهُ الْعَذْبُ^(٨)
 ١٥

(١) في اللسان : « ويقال لمن أجاد الرمي أو الطعن : لا شللاً ولا عي » .

(٢) ل : « أيس من شلل » .

(٣) ب فقط : « الجهنمية » .

(٤) الحلال : الذي لا رية فيه . والحلال : السيد الشجاع الركين في مجلسه .

(٥) هـ عن نسخة : « والقنابل » ، وهي الطوائف من الناس .

(٦) عن يد : عن فخر وذل واستسلام . وفي هامش ل : « نازل » رواية في قابل .

(٧) فيما عدل : « شريحان : جنسان . يقال : الناس شرجان وشريحان ، أى فرقان . ومنه حديث النبي ﷺ ، أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين ، أى بعضهم صائماً وبعضهم مفطراً .

(٨) الحصص بالفتح : خلل الشيء . ل : « نساء » تحريف . وفيما عدل ، هـ : « سلوت »

تحريف أيضاً ؛ إنما يقال سدى الثوب يسديه ، يأتى . فيما عدل : « بالبارد العذب » وفيه الإقواء . وفى
 حواشى هـ : « وفى رواية البارد العذب . خ : شيب به العذب » .

وقال نُصَيْبٌ :

١٣٢

وما ابتدأتُ ابتدَالَ التَّوْبِ وَدَّكُمْ وَعَائِدٌ خَلَقًا مَا كَانَ يُتَذَلُّ
وَعِلْمُكَ الشَّيْءَ تَهْوَى أَنْ تَبَيَّنَهُ أَشْفَى لِقَلْبِكَ مِنْ أَخْبَارٍ مَنْ تَسَلُّ (١)
وقال آخَرُ :

٥. لَعْنُكَ مَا وَدَّ اللِّسَانُ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَصْلُ الْمَوْدَةِ فِي الصَّدْرِ
وقال آخَرُ (٢) :

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُؤَلَدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَأَنْ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا التَّفَتُّ عَلَيْهِ الْحَافِلُ (٣)
وقال آخَرُ :

١٠. فَتَى مِثْلَ صَفْوِ الْمَاءِ لَيْسَ بِيَاخِلٍ عَلَيْكَ وَلَا مُهْدٍ مَلَامًا لِبَاخِلٍ
وَلَا قَائِلَ عَوْرَاءَ تُوذِي جَلِيسَهُ وَلَا رَافِعَ رَأْسًا بَعُورَاءَ قَائِلٍ (٤)
وَلَا مُسْلِمٍ مَوْلَى لِأَمْرِ يُصْبِيهِ وَلَا خَالِطٍ حَقًّا مُصِيبًا بِيَاطِلٍ
وَلَا رَافِعٍ أَحَدُوَّةَ السَّوِّ مُعْجَبًا بَهَا بَيْنَ أَيْدِي الْمَجْلِسِ الْمُتَقَابِلِ
يُرَى أَهْلُهُ فِي نَعْمَةٍ وَهُوَ شَاخِبٌ طَوَى الْبَطْنِ مَخْمَاصُ الضُّحَى وَالْأَصَائِلِ (٥)
وقالت أخت يزيد بن الطُّثْرِيَّة (٦) :

١٥

(١) يقال : سألت أسأل ، وسلت أسل ، كما في اللسان . ل : « يسل » .

(٢) هو رجل من قيس ، كما في لباب الآداب لأسامة بن منقذ ٢٢٨ .

(٣) بعده :

ولا ترض من عيش بدون ولا يكن نصيبك إرث قدمته الأوتائل

(٤) العوراء : الكلمة الفبيحة . فيما عدا ل : « تؤذي رفيقه » .

(٥) طوى البطن ، على وزن فعل ، أى ضامره . والمخماص : الجائع .

٢٠

(٦) هو يزيد بن سلمة بن سمر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر . والطرية أمه ، وهى من الطئر ، بالفتح ، حى من اليمن ، قال ابن خلكان : « الطرية بفتح الطاء المهملة وسكون التاء المثناة » وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . وكان يزيد جميلاً وسيماً شريفاً متلاًفاً. توفي سنة ١٢٦ . انظر تحقيق ذلك في حواشى الحيوان (٦ : ١٣٧) . واسم أخت يزيد زنب ، كما في اللسان

٢٥ (١٣ : ٤٣) وحماة أى تمام (١ : ٤١٧) والبحترى ٤٣٣ .

أَرَى الْأَثْلَ مِنْ بَطْنِ الْعَقِيقِ مُجَاوِرِي قَرِيباً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ
فَتَى قَدْ قَدْ السَّيْفُ لَا مِتْضَائِلُ وَلَا رَهْلٌ لَبَّائِهِ وَبَادِلُهُ (١)
فَتَى لَا يُرَى خَرَقُ الْقَمِيصِ بِخَصْرِهِ وَلَكِنَّمَا تُوهِى الْقَمِيصَ كَوَاهِلُهُ (٢)
إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذَوْرًا عَلَى الْحَى حَتَّى تُسْتَقْلَ مَرَايِلُهُ (٣)
مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هَنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهُ (٤)
يَسْرُكَ مَظْلُومًا وَيَرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الذِّى حَمَلَتْهُ فَهوَ حَامِلُهُ
أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالِ وَشَمَّرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شَتَّ أَهْلَاكَ بَاطِلُهُ (٥)

يصير هذا الشعر وما أشبهه ممّا وقع فى هذا الباب ، إلى الشعر الذى فى أول الفصل .

★ ★ ★

(١) اللبة واللبب : المنحر . والبأدلة : اللحم بين الإبط والشدوة . وفى حماسة أبى تمام : « وأياجله » .

(٢) لا يخرق قميصه بخصره لضمره ، ويخرق قميصه بكاهله لكثرة حمله نجاد السيف .

(٣) العنور : السيء الخلق . تستقل : تحمل وترفع . يقول : إنه يسوء خلقه على أهله عند نزول

الضيف ؛ حتى يطعمهن إلى إمكان قراره . وعند البحترى : « حتى تستقر » .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة . والدرع الدريس : الخلق . أضاف الصفة إلى الموصوف . ١٥

(٥) انظر ما سأتى فى ٤ : ٧٥ .

باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل في باب الخطب

قال الشاعر :

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَعْيُونَ خُطْبَتِي وما منهم في موقفٍ بخطيبٍ
وقال آخر (١) :

٥ إِنَّ الْكَلَامَ مِنَ الْفَوَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا (٢)
لَا يُعْجِبُكَ مِنْ خُطِيبٍ قَوْلُهُ حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْبَيَانِ أَصِيلًا (٣)
وَأُنْشِدْ آخِرَ :

أَبْرَ فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا حِمَاقَةً وَتُوكَا وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرًا مَخَارِجُهُ (٤)
وقد يكون رديءُ العقل جيّدَ اللسان .

وقال أبو العباس الأعمى (٥) :

إِذَا وَصَفَ الْإِسْلَامَ أَحْسَنَ وَصَفُهُ فِيهِ ، وَيَأْنِي قَلْبُهُ وَبِهَاجِرُهُ (٦)
وَإِنْ قَامَ قَالَ الْحَقُّ مَا دَامَ قَائِمًا تَقَىُّ اللِّسَانِ كَافِرٌ بَعْدَ سَائِرِهِ (٧)
وقال قيس بن عاصم المِنْقَرِيُّ (٨) يَذْكُرُ مَا فِي بَنِي مَنَقَرٍ مِنَ الْخُطَابَةِ :

(١) هو الأخطل كما نص ابن هشام في شرح شنور الذهب ٢٧ .

(٢) الرواية المعروفة : « لَفِي الْفَوَادِ » . والبيتان ليسا في الديوان . ١٥

(٣) عند ابن هشام : « خُطِيبُ خُطْبَةٍ » . وفيما عدل : « مَعَ اللِّسَانِ » .

(٤) أَبْرَ : غلب . والنوك ، بالضم والفتح : الحق .

(٥) أبو العباس الأعمى ، هو السائب بن فروخ ، مولى جذيمة بن علي بن الدليل بن بكر بن عبد مناة ، وكان من شعراء بني أمية المحدثين المتقدمين في مدحهم والتشجيع لهم ، روى الحديث عن صدر من الصحابة ، وروى عنه عطاء وعمرو بن دينار . توفي بعد ١٢٦ . الأغاني (١٥ : ٥٧ - ٦١) ونكت الحميان ١٥٣ - ١٥٥ وتهذيب التهذيب . ٢٠

(٦) جاء بعد هذا البيت فيما عدل : « يَقُولُ أَنَّهُ بَيْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ وَيَأْبَاهُ وَبِهَجْرِهِ يَقُولُ بِحَقِّ عَلَى مَنِيهِ بِلِسَانِهِ وَسَائِرُهُ كَافِرٌ » .

(٧) هامش ل : « خ : وَإِنْ قَالَ قَالَ الْحَقُّ مَا دَامَ قَائِلًا » .

(٨) هو أبو علي قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاسم = ٢٥

- إِنِّي امرؤٌ لا يعترى خُلُقِي دَنَسٌ يُقْنَدُهُ وَلَا أَقْنُ (١)
 مِنْ مَنَقَرٍ فِي بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ وَالْأَصْلُ يَنْبْتُ حَوْلَهُ الْعُصْنُ (٢)
 خُطْبَاءُ حِينَ يَقُومُ قَائِلُهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مَصَاقِعُ لُسْنُ (٣)
 لَا يَقْطُنُونَ لَعِيبَ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحَفْظِ جَوَارِهِمْ قُطْنُ (٤)

ومن هذا الباب وليس منه في الجملة ، قول الآخر :

- أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعورٍ ولم تتكلم
 فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المسلم (٥)
 وقال نصيبٌ ، مولى عبد العزيز بن مروان (٦) :

يقول فيحسب القول ابن ليلي ويفعل فوق أحسن ما يقول (٧)

١٠ = واسم مقاعس الحارث - بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر فارس شجاع ، وكان سيداً في الجاهلية والإسلام ، صحب النبي في حياته وعاش بعده زماناً ، وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية ، بل يزعمون أنه أول من وأد . وفيه يقول الأحنف : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم . الإصابة ٧١٨٨ والأغاني (١٢ : ١٤٣ - ١٥١) . وروى ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٢٨٦) أنه أنشد الشعر التالي ، حينما علم بأن أخيه قد قتل ابنه .

(١) فنده : لاهم وضعف رأيه . والأفن : ضعف الرأي والعقل . وفي أمالي القالي (١ : ٢٣٩) :

« لا يعترى حسبي » .

(٢) في الحماسة (٢ : ٢٦٣) و« عيون الأخبار » : « والغصن ينبت حوله » . وفي الأمالي : « والفرع » .

(٣) في الأمالي و« عيون الأخبار » : « حين يقول » .

(٤) هـ : « لحسن جواره » . وفي الحماسة والأمالي و« عيون الأخبار » : « لحفظ جواره » ، و« فطن : جمع

٢٠ فطن » .

(٥) سبق البيتان في ص ٧٨ . وروى هناك كما ورد في هـ : « بالحبيب المقيم » .

(٦) نصيب هذا هو نصيب الأكبر ، وقد سبقت ترجمة الأصغر في ١٢٥ . وهذا هو نصيب بن

رباع ، وكان ابن نوبين ، اشتراه عبد العزيز بن مروان ، وكان شاعراً فحلاً فصيحاً ، وله شعر كثير في الاحتجاج للسواد . انظر الأغاني (١٢٥ - ١٤٥) . وكنيته أبو محجن ، وجاء في (١ : ١٣٥) أنه

كان يكنى أبا الحجناء ، وهي كنية مشتركة بينه وبين نصيب الأصغر . انظر ما سبق في ص ٢٠٧ . ٢٥

(٧) البيت من أبيات في الأغاني (١ : ١٣٥) . وبعده :

فنى لا يرزأ الخلان إلا مودتهم ويرزؤه الخليل
 فبشر أهل مصر فقد أتاهم مع النيل الذي في مصر نيل

وقال آخر :

أَلَا رَبُّ حَصِمٍ ذِي فُنُونٍ عَلَوْتَهُ وَإِنْ كَانَ أَلَوَى يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ (١)

فهذا هو معنى قول العتّابي : « البلاغة إظهار ما غمض من الحق ،
وتصوير الباطل في صورة الحق » (٢) . وقال الشاعر (٣) ، وهو كما قال :

عَجِبْتُ لِإِدْلَالِ الْعَيْيِ بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْقَوْلِ أَعْلَمًا (٤)
وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعَيْيِ وَإِنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

وموضع « الصحيفة » من هذا البيت ، موضع ذكر « العنوان » في
شعره (٥) الذي رثى عثمان بن عفّان ، رحمه الله ، به حيث يقول :

ضَحَحُوا بِأَشْمَطِ عُتُونِ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلُ تَسْيِيحًا وَقُرْآنًا (٥)
وَأُنْشَدَ أَيْضًا :

تَرَى الْفَتَيَانَ كَالْتَحُلِّ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ (٦)
وَكُلٌّ فِي الْهَوَى لَيْثٌ وَفِيمَا نَابَهُ فَسْلٌ
وَلَيْسَ الشَّائُنُ فِي الْوَصْلِ وَلَكِنْ أَنْ يُرَى الْفَصْلُ (٧)

(١) الألوى : الشديد الخصومة الجدل السليط .

(٢) انظر ما سبق في ص ١١٣ س ١١ - ١٢ .

(٣) هو الخطفي جد جرير ، واسمه عوف ، انظر اللسان (خطف) حيث أنشد البيتين ، وكذا
عيون الأخبار (٢ : ٢٧٥) . والبيتان بدون نسبة في تاريخ بغداد (١٤ : ٢٤٨) .

(٤) في اللسان وتاريخ بغداد : « لإرزاء العي » . وفي عيون الأخبار : « قد كان بالحق » .

(٥) أي في شعر الشاعر ، ولم يقصد به معينا . والبيت التالي لحسان بن ثابت في ديوانه ٤١٠

واللسان (عن ١٦٨) . وسيأتي في (٣ : ٢٦٢) .

(٦) الشعر لابنة الحس ، كما في اللسان (١٨ : ١٧٩ - ١٨٠) . وقبله

قالت قالة أختي وحجواها لها عقل

وقد ضمنت ابنة الحس هذا المثل في شعرها ، وأما المثل « ترى الفتيان » إلخ : فقائله هو عثمة

بنت مطرود البجليّة . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٢٣) .

(٧) فيما عدل : « الفضل » بالضاد المعجمة .

وقال كِسْرَى أنوشِروان ، لَبُزْزَجِمَهْر (١) . أئى الأشياء خير للمرء العى (٢) ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فإن لم يكن له عقل ؟ قال : فإخوان يسترون عليه . قال : فإن لم يكن له إخوان ؟ قال : فمال يتحبب به إلى الناس . قال : فإن لم يكن له مال ؟ قال : فعى صامت . قال : فإن لم يكن له (٣) ؟ قال : فموت مُرِج .

وقال موسى بن يحيى بن خالد : قال أبو على (٤) : « رسائل المرء في كتبه أدل على مقدار عقله ، وأصدق شاهد على غيبه لك (٥) ، ومعناه فيك ، ١٣٥ من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة » .

★ ★ ★

-
- ١٠ (١) سبقت ترجمته في ص ٧ ، حيث ورد الخبر التالى ببعض خلاف .
 (٢) هذا ما في ب ، وهو يطابق ما سبق . وفيما عداها : « العى » .
 (٣) فيما عدل : « ذلك » بدل « له » .
 (٤) هذه إحدى كتيبتى العتاي ، وكنيته المشهورة أبو عمرو . وجاء في عيون الأخبار (١ : ٣٩٠) « قال يحيى بن خالد للعتاي في لباسه ، وكان لا يبالى ما لبس - يا أبا على ، أخزى الله أمراً رضى أن يرفعه هيئته من جماله وماله » والعتاي هو كلثوم بن عمرو بن أيوب ، وجده السابع هو عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . والعتاي شاعر مترسل بليغ مطبوع ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعا إلى البرامكة فوصفوه للرشد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . انظر الأغاني (١٢ : ٢ : ٩) وتاريخ بغداد ١٩٦١ ومعجم الأدباء (١٧ : ٢٦) .
 ٢٠ (٥) فيما عدل : « وأصدق شاهد على غيبه لك » .

وباب منه آخر

ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب ، وكالحل المعاطف ، والدنياج والوشى ، وأشباه ذلك .

وأنشدني أبو الجماهر جندب بن مدرك الهلالي :

لا يُشْتَرَى الحمدُ أُمْنِيَّةٌ ولا يُشْتَرَى الحمدُ بالمَقْصِرِ ^(١)
ولكنما يُشْتَرَى غالباً فمن يُعْطِ قيمته يُشْتَرِ
ومن يعِطْفُه على مِزْرِ فَنِعَمَ الرِّدَاءِ على المِزْرِ
وأنشدني لابن ميادة ^(٢) :

نَعَمْ إِنِّي مُهْدٍ ثَنَاءً وَمُدْحَةٌ كَبُرَّ الْيَمَانِيُّ يُرْبِعُ الْبَيْعَ تاجره
وأنشد :

فَإِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ أَبْقَيْتُ بَعْدِي قَوَافِي تُعْجِبُ الْمُتَمَثِّلِينَ ^(٣)
لَذِيذَاتِ الْمَقَاطِعِ مُحْكَمَاتٍ لَوْ أَنَّ الشَّعْرَ يُلْبَسَ لَارْتَدَيْنَا
وقال أبو قردودة ، يرثي ابن عمار ^(٤) قَتِيلَ الثُّعْمَانَ وَنَدِيمَهُ ^(٥) ،
ووصف كلامه ، و [قد ^(٦)] كان نهاه عن منادمته :

١٥ (١) المقصر ، بفتح الصاد وكسرهما : الشيء الدون اليسير اللسان (٦ : ٤٠٩ ، ٤١٥) .
(٢) ابن ميادة ، هو الرماح بن أبرد . وميادة أمه ، وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين ، وكان من مدح المنصور ، ومات في صدر خلافته . الأغاني (٢ : ٨٥ - ١١٦) .
(٣) البيتان لابن ميادة ، كما في حماسة ابن الشجري ٢٣٧ - ٢٣٨ . وانظر ديوان المعاني (١ : ٨) ودلائل الإعجاز ٣٦٨ .

٢٠ (٤) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعرا خطيبا ، فبلغ الثعمان حديثه فحمله على منادمته . وكان الثعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريضة قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله الثعمان رثاه بالشعر التالي . انظر الحيوان (٤ : ٢٤٣ / ٥ : ٣٣٢) . ومعجم المرزباني ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .
(٥) هذه الكلمة في ل فقط .
(٦) هذه مما عدا ل .

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَارٍ وَقُلْتُ لَهُ لَا تَأْمَنْنَ أَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرَةَ
 إِنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ تَطْرُقُ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَهُ
 يَا جَفْنَةَ كِإِزَاءِ الْحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا وَمِنْطَقًا مِثْلَ وَشْيِ الْيَمْنَةِ الْجَبَرَةِ (١)
 وقال الشاعر (٢) في مديح أحمد بن أبي دؤاد :

وعويص من الأمور بهيم غامض الشخص مظلم مستور (٣)
 قد تسهلت ما توغر منه بلسان يزينه التحبير (٤)
 مثل وشي البرود هلهله اللسح وعند الحجاج دُر نثير
 حسن الصمت والمقاطع إما نطق القوم والحديث يدور (٥)
 ثم من بعد لحظة ثورت اليسر وعرض مهذب مفسور ١٣٦

ومما يضمن إلى هذا المعنى وليس منه ، قول جميل بن معمر :
 نمت في الروابي من معدٍ وأفلجت على الحفرات العر وهي وليد
 أناة على نيرين أضحى لذاتها يلين بلاء الريط وهي جديد (٦)
 نمت : شبت . الروابي من معدٍ : البيوت الشريفة . وأصل الرابية والرباوة :
 ما ارتفع من الأرض . أفلجت : أظهرت (٧) . والحفرات : الحيات . الأناة :
 المرأة التي فيها فتور عند القيام . وقوله على نيرين ، وصفها بالقوة ، كالتوب الذي ١٥

(١) إزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٢) هو الجاحظ ، كما ورد في ترجمة ياقوت له في معجم الأدباء (١٦ : ٨٠ - ٨١) .

(٣) في البيت إقواء . لكن روى في هـ برفع « عويص » وما بعده .

(٤) في معجم الأدباء : « قد تسنمت » . وهي رواية لإحدى النسخ كما في حواشي هـ . وفي

حواشيها أيضا : « يقال تسنم الرجل الحائط ، إذا علاه من عرض » . ٢٠

(٥) فيما عدل : « أنصت القوم » . وفي معجم الأدباء : « نصت » ، وهي صحيحة يقال :

نصت وأنصت ، والأخيرة أعلى .

(٦) في المخصص (٣ : ١٥٦) :

ضناك على نيرين أضحى لذاتها بلين بلى الريطات وهي جديد

(٧) فيما عدل : « أفلجت : ظهرت وقهرت » . وتقرأ بالبناء للفاعل . ٢٥

يَنسَج على نِيرَيْن ، وهو الثَّوب الذى له سَدَيَان ، كالذَّبْيَاج وما أشبهه . أضْحَى
لدائِها ، اللَّذَّة : القرينة فى المولد والمنشأ . فيقول : إِنَّ أَقْرَانِها قد بَلَيْنَ ، وهى
جديدٌ لحُسْنِ غِذائِها ودوامِ نِعْمَتِها .

وَمِنْ هذا الشكل وليس منه بعينه قولُ الشاعر :

٥ على كُلِّ ذى نِيرَيْن زِيدَ مَحَالُّهُ مَحَالًّا وَفى أَضْلَاعِهِ زِيدَ أَضْلُعًا
المَحَال : محال الظَّهْر ، وهى فِقَارُهُ ، واحِذْها مَحَالَةً .

وقال أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ الأعور : أوَّلَ شعْرِ قَلَّتْهُ هَذَانِ البَيْتَانِ :

بِقَلْبِي سَقَامٌ لَسْتُ أَحْسِنُ وَصَفَهُ على أَنَّهُ مَا كَانَ فَهُوَ شَدِيدُ
تَمَرُّ بِهِ الأَيَّامُ تَسَحَّبُ ذَيْلُهَا قَتَبَلَى بِهِ الأَيَّامُ وَهُوَ جَدِيدُ
وقال الآخر (١) :

أَنِى القَلْبُ إِلَّا أُمُّ عَمْرٍو وَحَبَّهَا عَجُوزًا وَمَنْ يُحِبُّ عَجُوزًا يُفَنِّدُ
كَبِيرُ الدِّمَانِ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَرُفَعَتْهُ مَا شَفَتْ فى العَيْنِ وَالْيَدِ
وقال ابن هَرْمَةَ :

١٥ إِنَّ الأَدِيمَ الذى أَصْبَحَتْ تَعْرُكُهُ جَهْلًا لَدُو نَعْلٍ بَادٍ وَذُو حَلَمٍ (٢)
وَلَنْ يَظُتَّ بِأَيْدَى الخَالِقِينَ وَلَا أَيْدَى الخَوَالِقِ إِلَّا جَيْدُ الأَدَمِ (٣)

١٣٧ وفى غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذو الرُّمَّة :

وفى قصر حَجَرٍ مِنْ ذُوَابَةِ عامِرٍ إِمَامٌ هَدَى مُسْتَبْصِرُ الحَكَمِ عَادِلُهُ (٤)

(١) فيما عدل ، هـ : « وقال آخر ، هو أبو الأسود الدَّيْلَمِيُّ » . والبَيْتَانِ فى الحماسة (٢) :

(١٢٨) منسوبان إلى أنى الأسود . وفى حواشى هـ : « هو أبو الأسود الدَّيْلَمِيُّ » .

(٢) النعل : فساد الأديم . والخلم ، بالتحريك : فساده ووقوع الدود فيه . ٢٠

(٣) يظط : يصوت . والخالق : الذى يخلق الأديم ، يقدره ويقبسه قبل أن يقطعه . والأدم

بالتحريك : اسم جمع للأديم ، وهو الجلد المدبوغ . ويقرأ أيضا « الأدم » بضمين جمع أديم .

(٤) البَيْتَانِ فى ديوان ذى الرمة ٤٧٤ : وفى شرح الديوان : « الحجر سوق الجِمامَةِ وقصبتها » .

ب : « فعر حجر » : « قصر فقر » محرفتان . وفى هـ : « مستنصر الحكم » .

كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ مَاءً مُذْهَبٍ إِذَا سَمَلُ السَّرْبَالِ طَارَتْ رَعَابِلُهُ
الرَّعَابِلُ : الْقِطْعُ . وَشَوَاءٌ مُرْغَبٌ : مَقْطَعٌ . وَرَغَبْتُ الشَّيْءَ أَيْ قَطَعْتُهُ .
وَيُقَالُ ثَوْبٌ سَمَلٌ وَأَسْمَالٌ . وَيُقَالُ سَمَلُ الثَّوْبِ وَأَسْمَلُ ، إِذَا خَلِقَ ^(١) .
وهو الذى يقول :

حوراءُ فى دَعَجٍ صفراءُ فى نَعَجٍ كأنها فضَّةٌ قد مَسَّها ذهبُ
الحور : شِدَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ . وَالْدَّعَجُ : شِدَّةُ سَوَادِ الْحَدَقَةِ . وَالنَّعَجُ :
اللَّيْنُ . قَالُوا : لِأَنَّ الْمَرْأَةَ الرَّقِيقَةَ اللَّوْنُ يَكُونُ بَيَاضُهَا بِالْغَدَاةِ يَضْرِبُ إِلَى الْحُمْرَةِ ،
وَبِالْعَشِيِّ يَضْرِبُ إِلَى الصَّفْرِ . وَلِذَلِكَ قَالَ الْأَعَشِيُّ :
بَيَاضٌ ضَحَوْنَهَا وَصَفْ — رَاءَ الْعَشِيِّ كَالْعَرَارَةِ ^(٢)
وقال آخر :

قد علمتُ بَيَاضَ صَفْرَاءِ الْأَصْلِ ^(٣) لِأُغْنِيَنَّ الْيَوْمَ مَا أُغْنَى رَجُلٌ
وقال بشار بن بُرْد :
وَخِذْى مَلَابِسَ زِينَةٍ وَمُصَبَّغَاتٍ فَهَى أَفْخَرُ
وَإِذَا دَخَلْتُ تَقْتَعِى بِالْحُمْرِ إِنَّ الْحُسْنَ أَحْمَرُ ^(٤)
وهذان أعميان ^(٥) قد اهتديا من حقائق هذا الأمر إلى مالا يبلغه تمييز
البصير ^(٦) . وَلِبَشَارٍ خَاصَّةٌ فِي هَذَا الْبَابِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ فِي كِتَابِ
الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَفِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانِ ، أَلْيَقُ وَأَرْكَى ^(٧)
لِذِكْرَانِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

(١) هـ : « أخلق » .

(٢) ديوان الأعشى ١١١ واللسان (عرر) .

(٣) الأصل : جمع أصيل ، وهو آخر النهار

(٤) فى حواشى هـ : « أبو على : يقال فى مثل للعرب : الحسن أحمر ، أى من أراد الحسن صبر

على أشياء يكرهها » . وفى اللسان : « يلقى منه المشقة والشدة كما يلقى من القتال » .

(٥) فى حواشى هـ : « خشنى : كان الأعشى قد عمى ، فلذلك قال : أعميان » .

(٦) ل : « البصر » .

(٧) أركى : أصلح . فيما عدا ل ، هـ : « أذكى » تحريف .

ومما ذكروا فيه الوزنَ قوله :

زِنَى الْقَوْمِ حَتَّى تَعْرِفَ عِنْدَ وَزَنِهِمْ إِذَا رَفَعَ الْمِيزَانُ كَيْفَ أَمِيلُ ^(١)

وقال ابن الزبير الأسدي ، واسمه عبدُ الله ^(٢) :

أَعَاذِلْ غُضْبِي بَعْضَ لَوْمِكَ إِنَّنِي أَرَى الْمَوْتَ لَا يَرْضَى بِدَيْنٍ وَلَا رَهْنٍ ١٣٨
وَإِنِّي أَرَى دَهْرًا تَغَيَّرَ صَبْرُهُ وَدُنْيَا أَرَاهَا لَا تَقُومُ عَلَى وَزْنٍ .

(١) ل : « حتى تعرفى عند وزنه » . وكلمة « واسمه عبد الله » ساقطة من هـ .

(٢) الزبير ، هذا ، بفتح الزاى . وهو عبد الله بن الزبير بن الأسيَم بن الأعشى بن بجرة ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمه ، وهو شاعر كوفى المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصبين لهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيرا ، فمن عليه ووصله ، فمدحه وأكثر من مدحه وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل وعمى بعد ذلك ، ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان .
١٠ . وكان أحد الهجائين يخاف الناس شره . الأغاني (١٣ : ٣١ - ٤٧) والخزانة (١ : ٣٤٥) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٠) . ولم يذكره الصفيدي فى نكت الهميان .

وباب آخر

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويفضّلون إصابة المقادير ،
ويذمّون الخروج من التعديل ^(١).

- قال جعفر بن سليمان : ليس طيبُ الطعام بكثرة الإنفاق وجودة
التّوابع ، وإنّما الشّأن في إصابة القدر . وقال طارق بن أثال الطائي ^(٢) :
- ما إن يزأل ببغداد يزاحمنا على البراذين أشباه البراذين
أعطاهم الله أموالاً ومنزلةً من الملوك بلا عيل ولا دين
ما شئت من بغلة سَفواءَ ناجيةً ومن أثاثٍ وقول غير موزون ^(٣)
- وأنشدني بعض الشعراء ^(٤) .
- رأث رجلاً أودى السّفارُ بجسمه فلم يبق إلا منطبقٌ وجناجِنُ ^(٥)
- [الجناجن : عظام الصّدر ^(٦)] .
- إذا حُسِرَتْ عنه العمامة راعها جميلُ الحفوفِ أغفلته الدّواهنُ ^(٧)
فإن أكُ معرُوقُ العظامِ فإتني إذا ما ورّئت القومَ بالقومِ وازِنُ ^(٨)
- وقال مالك بن أسماء في بعض نسائه ، وكانت تصيب الكلام كثيراً ،
وربما لحنت :

١٥

(١) فيما عدا ل : « التبويل » محرف . وكلمة : « من التعديل » ليست في هـ .

(٢) فيما عدا ل : « وقال الشاعر وهو طارق بن أثال الطائي » .

(٣) سفواء : خفيفة سريعة . فيما عدا ل : « سفواء : ناجية سريعة » .

(٤) الشعر التّالي لكثير عزة ، كما في الأغاني (١٤ : ٥٧) .

(٥) السفارة : مصدر سافر ، كالمسافرة .

(٦) هذه مما عدا ل . والمفرد جنجن ، بكسر الجيمين وفتحهما .

(٧) الحفوف : الشامت ويمد العهد بالدهن . فيما عدا ل : « الحفوف » تحريف .

(٨) معرُوق الدّوام : قاتل اللحم .

٢٠

أَمْعَطَى مَنَى عَلَى بَصَرِي لِلْحُبِّ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا (١)
 وَحَدِيثُ آلِذِهِ هُوَ مِمَّا يَنْعَثُ التَّاعَتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
 مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا نَأً وَخَيْرٌ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحَنًا
 وَقَالَ طَرْفَةُ فِي الْمَقْدَارِ وَإِصَابَتِهِ :

١٣٩

٥. فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبُ الرَّيْعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي (٢)
 طَلَبَ الْغَيْثَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، لِأَنَّ الْفَاضِلَ ضَارٌّ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي
 دَعَائِهِ (٣) : « اللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقِيًّا نَافِعًا » . لِأَنَّ الْمَطَرَ رَيْمًا جَاءَ فِي غَيْرِ إِبَّانِ
 الزَّرَاعَاتِ ، وَرَبْمَا جَاءَ وَالتَّمَرُ فِي الْجُرْنِ ، وَالطَّعَامُ فِي الْبِيَادِرِ ، وَرَبْمَا كَانَ فِي
 الْكَثْرَةِ مَجَاوِزًا لِمَقْدَارِ الْحَاجَةِ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا (٤) » .
 ١٠. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ لَصَاحِبِهِ : أَنَا أَشْعُرُ مِنْكَ . قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنِّي
 أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَأَنْتَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ .
 وَعَابَ رُؤْيَةَ شَعْرِ ابْنِهِ فَقَالَ : « لَيْسَ لَشَعْرِهِ قِرَانٌ (٥) » . وَجَعَلَ الْبَيْتَ أَخَا
 الْبَيْتِ إِذَا أَشْبَهَهُ وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يُوضَعَ إِلَى جَنْبِهِ . وَعَلَى ذَلِكَ التَّأْوِيلِ قَالَ الْأَعَشَى :
 أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصَرَ فَإِنْ قَصِيدَةٌ مَتَى تَأْتِكُمْ تَلْحَقُ بِهَا أَخَوَاتُهَا
 ١٥. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ .
 وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرَبَ :
 وَكُلُّ أَخٍ مَفَارُقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ (٦)

(١) سَبَقَتِ الْآيَاتُ وَالْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي ص ١٤٧ . وَانْظُرْ كَذَلِكَ أَمَالِي ثَعْلَب ٥٩٩ وَالْقَالِي (١ : ٥) .
 وَالْمُرْتَضَى (١٠ : ١) .

٢٠. (٢) دِيْوَانُ طَرْفَةِ ٦٢ وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ (١ : ١٢٢) مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا قِتَادَةَ بْنِ مُسْلِمَةَ الْخَنْفَى .
 (٣) الْكَلَامُ مِنْ هُنَا إِلَى نَهَايَةِ قَوْلِهِ : « ﷺ » مِنْ ب ، هـ فَقَطْ .
 (٤) الْكَلِمَةُ الْأُولَى مِنَ الْحَدِيثِ سَاقِطَةٌ مِنْ ل ، هـ .
 (٥) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٦٨ .

(٦) انْظُرِ الْخَزَانَةَ (٢ : ٥٢) وَالْكَامِلَ ٧٦٠ وَسَيَبُوه (١ : ٣٧١) . وَالْبَيْتُ يَنْسَبُ أَيْضًا إِلَى
 ٢٥ حَضْرَمِيِّ بْنِ عَامِرٍ . الْمُؤْتَلَفُ ٨٥ .

وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقل لفظاً . قال الهذلي (١) :
 أعامرُ لا آلوك إلا مهنداً وجلد أوى عجل وثيق القبائل (٢)
 ويعنى بأوى عجل الثور .

وقالوا فيما هو أبعد من هذا . قال ابن عسلة الشيباني ، واسمه عبد المسيح (٣) :
 وسَمَاعٌ مُدَجِّنَةٌ تَعْلُنَا حَتَّى تَنَامَ تَنَؤُمَ الْعُجْمِ (٤)
 فصحوت والتَّمَرُّ يُحْسِبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَةَ النَّجْمِ (٥)
 النجم واحدٌ وجمع (٦) . والنَّجْم : الثريا في كلام العرب . مدجنة ، أى
 سحابة دائمة .

وقال أبو النَّجْم فيما هو أبعد من هذا ، ووصف العَيْرَ والمَعْيُورَاءَ ، وهو
 الموضع الذى يكون فيه الأعيار (٧) :
 ١٠

-
- (١) أبو خراش الهذلي . انظر نسخة الشنقيطى من الهذليين ٧١ .
 (٢) في ديوان الهذليين : « أواقد » . وفي المخصص (١٣ : ١٧٤) :
 أَوَاقِدُ لَا آلُوكَ إِلَّا مَهْنَدًا وَجِلْدُ أَوَى الْعَجَلِ الشَّدِيدِ الْقَبَائِلِ
 قال : « يعنى ترسا عمل من جلد ثور مسن شديد قبائل الرأس » .
 (٣) هو عبد المسيح بن حكيم بن عفير . وعسلة أمه نسب إليها ، وهى عسلة بنت عامر بن
 ١٥ شراكة الغساني . انظر المؤتلف ١٥٧ - ١٥٨ والمرزبانى ٣٨٥ وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء .
 وقد نشرته محققاً بمجلة المقتطف مايو سنة ١٩٤٥ ونوادير المخطوطات ١ : ٨١ - ٩٦) وقصيدة البيتين
 في المفضليات (٢ : ٧٩) .
 (٤) المدجنة : القينة تغنى في يوم الدجن ، بفتح الدال ، وهو تكاثف الغيم . تعلنا : تلهينا بصوتها .
 قال الأصمعي : « كانت الأعاجم إذا نامت لم يجترأ عليها أن تنبه . ولكن يعرف حولها ويضرب حتى تنبه » .
 ٢٠ والآمدى يرويه : « تناؤم العجم » . قال « تناؤم من النسيم ، أى تتكلم بما لا يفهم » .
 (٥) التمرى ، هو كعب ، أحد بنى التمر بن قاسط . أى يحسب القينة فى عظيم قدرها عما
 للسماك ، وخالة للثريا . وفي جميع النسخ : « فصحوت » . وكذا فى الحيوان (١ : ٢١٢ ، ٢٨٦) .
 وصواب روايته : « لصحوت » . لأن البيت جواب لبيت سابق ، وهو :
 ٢٥ يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم
 (٦) هذا الكلام مما عدل . وقد ورد أيضاً فى الحيوان (١ : ٢٨٦) .
 (٧) ل : « الذى يكون فيه » . على أن المعروف أن « المعيراء » جمع من جموع العير .

* وَظَلَّ يُوفِي الْأَكَمَّ ابْنَ خَالِهَا *

فهذا مما يدلُّ على توسُّعهم في الكلام ، وَحَمَلٍ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ،
وَاشْتِقَاقٍ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ (١)

وقال النبي ﷺ : « نِعِمَّتِ الْعَمَّةُ لَكُمْ النَّخْلَةُ » ، حِينَ كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
النَّاسِ تَشَابُهُ وَتَشَاكُلُ وَنَسَبٌ مِنْ وَجْهِهِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِ الزَّرْعِ
وَالنَّخْلِ .

وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءِ :
شَهِدْتُ بِأَنَّ التَّمَرَ بِالزَّيْدِ طَيِّبٌ وَأَنَّ الْحُبَارَى خَالَةَ الْكَرْوَانِ (٢)
لَأَنَّ الْحُبَارَى ، وَإِنْ كَانَتْ أَعْظَمَ بَدَنًا مِنَ الْكَرْوَانِ ، فَإِنَّ اللَّوْنَ وَعَمُودَ الصُّورَةِ
وَاحِدٌ ، فَلِذَلِكَ جَعَلَهَا خَالَتَهُ ، وَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ قَرَابَةٌ تَسْتَحَقُّ بِهَا هَذَا الْقَوْلَ .

(١) هذه الجملة مما عدا ل .

(٢) فِي الْحَيَوَانَ (٦ : ٣٧٢) وَمَحَاضِرَاتُ الرَّاعِبِ (٢ : ٢٩٩) : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ الزَّيْدَ » .

باب آخر من الشعر مما قالوا في الخطب
واللّسن والامتداح به والمدح عليه

قال كعب الأشقرى^(١) :

إِلَّا أَكُنْ فِي الْأَرْضِ أَخْطَبُ قَائِمًا فَإِنِّي عَلَى ظَهْرِ الْكُمَيْتِ خَطِيبُ

وقال ثابت قُطَنَة :

فَإِلَّا أَكُنْ فِيهِمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بَسْمَرُ الْقَنَا وَالسَّيْفِ جَدُّ خَطِيبِ^(٢)

وقالت ليل الأَحِيلِيَّة :

حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا^(٣)

وقال آخر :

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَعْيُونُ خُطْبَتِي وَمَا مِنْهُمْ فِي مَاقِطٍ بِخَطِيبِ^(٤)

وهؤلاء يفخرون بخُطْبَتِهِمُ الَّتِي عَلَيْهَا يَعْتَمِدُونَ ، بِالسُّيُوفِ وَالرُّمَاحِ^(٥) ،

وإن كانوا خطباء . وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ^(٦) :

أَبْلَغُ نُعَيْمًا وَأَوْفَى إِنْ لَقَيْتَهُمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعِهِمَا صَمٌّ

فَلَا يَزَالُ شَهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ يَهْدِي الْمَقَانِبَ مَا لَمْ تَهْلِكِ الصَّمَمُ^(٧)

(١) هو كعب بن معدان الأشقرى ، شاعر فارس خطيب ، من أصحاب المهلب ، مذكور في ١٥ حروب الأزارقة . الأغاني (١٣ : ٥٤ - ٦١) ومعجم المرزبانى ٣٤٦ .

(٢) فيما عدل : « أَكُنْ فِيكُمْ » و « جد لعوب » .

(٣) من مقطوعة لها رواها أبو تمام في الحماسة (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧) . وقبله :

ومخرق عنه القميص نخاله وسط البيوت من الحياء سقيما

(٤) ل : « في موقف » . وكتب في هامشها « خ : ماقط » . وانظر ص ٢١٨ . ٢٠

(٥) ل : « بأن خطبهم التي عليها يعتمدون السيوف والرماح » تحريف .

(٦) الأبيات التالية يرى بها أخاه عبد يغوث بن الصمة . الأغاني (٩ : ٨) .

(٧) في الأغاني : « فلا يزال شهابا » . وبين هذا وسابقه في الأغاني :

فما أختى بأختى سوء فينقصه إذا تقارب باين الصادر القسم

والصمم : جمع صمة ، بكسر الصاد وتشديد الميم : وهو الشجاع : في الأغاني : « الأُم » . ٢٥

- عاري الأشجاع معصوبٌ بلمته أمرُ الزُعامة في عرينه شمّم
 المقاب : جمع مقنّب ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة . والأشجاع :
 عروقٌ ظاهر الكفّ ، وهي مغرّز الأصابع . واللّمة : الشعرة التي ألّمت بالمنكب . ١٤١
 وزعيم القوم : رأسهم وسيدهم الذي يتكلّم عنهم . والزُعامة : مصدر الزعيم الذي
 يسود قومه . وقوله « معصوبٌ بلمته » أى يُعصّب برأسه كلُّ أمر . عرينه : أنفه .
 وقال أبو العباس الأعمى ^(١) ، مولى بنى بكر بن عبد مناة في بنى عبد شمس :
 ليت شعري أفاح رائحة المسك وما إن أخال بالخيّف إنسى ^(٢)
 حين غابت بنو أميّة عنه والبهاليل من بنى عبد شمس
 خطباءً على المنابر فُرسا نّ عليها وقالّة غير خُرس
 لا يُعابون صامتين وإنّ قا لُوا أصابوا ولم يقولوا بلبّس
 بحلول إذا الحلوم استخفّت ووجوه مثل الدنانير مُلس ^(٣)
 وقال العجاج :
 وحاصن من حاصنات مُلس من الأذى ومن قراف الوقس ^(٤)
 المحصنة : ذوات الزوج . والحاصن : العفيف . والوقس : العيب ^(٥) .
 وقال امرؤ القيس :
 ويأربّ يوم قد أروح مرّجلاً حبیباً إلى البيض الكواعب أملسا ^(٦)

(١) سبقت ترجمته في ص ٢١٨ . والأبيات التالية في مروج الذهب (٣ : ٢٩٥) والأغانى (١٥ : ٥٧) ونكت الهميان للصفدى ١٥٤ . وقد ذكر فيها قصة الشعر .

(٢) الخيف : موضع في الحجار . وفي حواشى ه : « أراد أنسيا فخفف بقاء النسب ضرورة في الشعر » .

(٣) في الأغاني : « إذا الحلوم تقضت » . قال : « ويرى مكان تقضت : اضمحلت » .

(٤) وكذا جاءت نسبتهما في اللسان (وقس) . وجاء في (حصن) بدون نسبة . وليس في ديوان العجاج ولا ملحقاته .

(٥) فيما عدل : « العفيفة » . والحاصن يقال للمذكر والمؤنث . ٢٥

(٦) فيما عدل : « الجرب » .

(٧) ديوان امرئ القيس ١٤١ .

وقال أبو العباس الأعشى :

ولم أرَ حَيًّا مِثْلَ حَيٍّ تَحْمَلُوا إلى الشام مَظْلُومِينَ مِنْذُ بُرِيْتُ
أَعَزَّ وَأَمْضَى حِينَ تُسْتَجَرُّ الْقَنَا وأَعْلَمَ بِالْمَسْكِينِ حَيْثُ يَبِيتُ
وَأَرْفَقَ بِالْدُنْيَا بِأَوْلَى سِيَاسَةٍ إِذَا كَادَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ يَفُوتُ
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ بِصِيرٍ بِعَوْرَاتِ الْكَلَامِ زَمِيْتُ ٥
وقال آخر :

لَا يُغَسَّلُ الْعِرْضُ مِنْ تَدْنِسِهِ وَالتُّوبُ إِنْ مَسَّ مَدَنَسًا غُسِيلًا
وَزَلَّةُ الرَّجُلِ تُسْتَقَالُ وَلَا يَكَادُ رَأْيُ يُقِيلُكَ الزَّلَّلَا
وقال آخر في الزَّلَّل :

أَلْهَفَى إِذْ عَصَيْتُ أَبَا يَزِيدٍ وَلَهْفَى إِذْ أَطَعْتَ أَبَا الْعَلَاءِ ١٠
وَكَانَتْ هَفْوَةٌ مِنْ غَيْرِ رِيحٍ وَكَانَتْ زَلَّةٌ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ
وقال آخر (١) :

فإِنَّكَ لَمْ يَنْذِرْكَ أَمْرًا تَخَافُهُ إِذَا كُنْتَ فِيهِ جَاهِلًا مِثْلَ خَابِرٍ
وقال ابن وابصة [اسمه سالم (٢)] ، في مقامٍ قَامَ فِيهِ مَعَ نَاسٍ مِنَ الْخُطْبَاءِ :
يَأْيِهَا الْمُتَحَلَّى غَيْرَ شِمِيَّتِهِ وَمَنْ سَجِيَّتِهِ الْإِكْثَارُ وَالْمَلَقُ ١٥
اعْمِدْ إِلَى الْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ رَاكِبُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
صَدَّتْ هُنَيْدَةٌ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا عَنِّي بِمَطْرُوفَةٍ إِنْسَانُهَا غَرِقُ
وَرَاعَهَا الشَّيْبُ فِي رَأْسِي فَقُلْتُ لَهَا كَذَلِكَ يَصْفَرُّ بَعْدَ الْخُضْرَةِ الْوَرَقُ

(١) في حواشى هـ : « هو جران العود » .

(٢) هذه مما عدل . ونسبة الشعر إلى سالم بن وابصة هي كذلك في الحماسة (١ : ٢٩٥) ٢٠
ونوادر أنى زيد ١٩١ والمؤتلف ١٩٧ . ونسب في الحيوان (٣ : ١٢٧) والعقد (٢ : ٢٤) وزهر
الآداب (١ : ٧٧) والشعراء ١٢٨ إلى العرجى ، وفي حماسة البحرى ٣٥٨ إلى ذى الإصبع ، وورد
بدون نسبة في أمالي ثعلب ٣٠٠ . وسالم بن وابصة ، شاعر فارس من شعراء عبد الملك بن مروان .
انظر المؤلف وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٤٣ .

بَلْ مَوْقِفٌ مِثْلُ حَدِّ السِّيفِ قَمْتُ بِهِ أَحْيَى الذَّمَّارِ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ ^(١)
فَمَا زِلْتُ وَلَا أَلْفَيْتُ ذَا حَطَلٍ إِذَا الرُّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا رَلُّوا
قال : وَأَنْشَدَنِي لِأَعْرَابِيٍّ مِنْ بَاهِلَةَ :

سَأُعْمِلُ نَصْرَ الْعَيْسِ حَتَّى يَكْفُنِي غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ ^(٢)
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى الْحُرِّ بِالْإِقْلَالِ وَشَمُّ هَوَانٍ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُنْفَعُ حَسَنُ حَدِيثِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا : عَدِيمٌ بَيَانٍ ^(٣)
كَأَنَّ الْغِنَى عَنْ أَهْلِهِ ، بُورِكَ الْغِنَى ، بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانٍ ^(٤)

وفي مثلها في بعض الوجوه قال عروة بن الورد ^(٥) :

ذَرِنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَأُنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهْمُ الْفَقِيرِ
وَأَهْوَاهُمْ وَأَحْقَرُهُمْ لَدَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخَيْرٌ ^(٦)
وَيُقْصَى فِي النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ ^(٧)
وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ ^(٨)
قَلِيلٌ ذُبَّهَ وَالذَّنْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ ^(٩)

(١) بل ، هنا ، بمعنى رب ، تعمل عملها ، كما في قوله :

• بل يجوز تهاء كظهر الحجفت •

١٥

(٢) الأبيات في عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء . ونصها : تحريكها حتى تستخرج أقصى ما عندها من الجري . والحدثان : الحوادث .

(٣) هـ : • حكم كلامه • . وأشير في حاشيتها إلى رواية : • مقاله • .

(٤) أى ناطق بلسان أهله . فيما عدل : • في أهله • . وما أثبت من ل أجود ، وهو المطابق لما في

٢٠ عيون الأخبار .

(٥) الأبيات مما لم يرو في ديوان عروة . وقد رويت له في عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٦) الخير ، بالكسر : الشرف والأصل . فيما عدل : • نسب وخير • .

(٧) الندى : مجلس القوم ، كالنادى والمنتدى . التيمورية : • ويغضى في الندى • .

(٨) فيما عدل : • ويلقى ذو الغنى • .

(٩) كذا في ل ، هـ والتيمورية . وفي ب ، جـ : • ولكن للغنى • . وأنشده المرتضى في أماليه (١ : ٣٨)

٢٥

• ولكن الغنى • ، وقال : • أراد غنى رب غفور • .

وقال ابن عباس رحمه الله : « الهوى إله معبود » . وتلا قول الله عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ^(١) :

- تلك عرساتي تنطقان على عميد لي اليوم قول زور وهتر ^(٢)
 سالتاني الطلاق أن رأنا ما لي قليلاً قد جئتماني بنكر ^(٣) .
 فلعلني أن يكثر المال عندي ويعري من المعارم ظهري
 وثرى أعبد لنا وأواق ومناصيف من خوادم عشر ^(٤)
 ونجر الأذيال في نعمة زو ل تقولان: ضع عصاك لدهر ^(٥)
 وئى كأن من يكن له نشب يُحسب ومن يفتقر يعيش عيش ضر ^(٦)
 ويُجَنَّب سِرَّ التجي ولك من أخوا المال مُحضَر كل سِر ^(٧)
 المناصيف : الحَدم واجدهم مُنصَف وناصيف ، وقد نَصَف القوم يَنْصِفُهُمْ نِصَافَةً ،

(١) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أحد العشرة المبشرين ، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا قديماً . وفي بيته أسلم عمر بن الخطاب ، لأنه كان زوج أخته فاطمة . توفي سنة ٥٠ . الإصابة ٣٢٥٤ وتهذيب التهذيب . وأبوه زيد بن عمرو أحد الصحابة الذين آمنوا بالرسول قبل أن يبعث . الإصابة ٢٩١٧ والخزانة (٣ : ٩٩) . والأبيات التالية تروى حيناً لسعيد ، وحيناً لوالده . وتروى كذلك لنبية بن الحجاج ، كما في الخزانة وشرح أبيات الكتاب للشنتمري (٢ : ١٧٠) . ونسبت لزيد في عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٢) اهتر ، بالكسر : الكذب والخطأ في الكلام .

(٣) استشهد به سيويه على إبدال الألف في « سالتاني » من الهزرة . وفي سيويه (١ : ٢٩٠) / ٢ : ٣٩٠ : « أن رأأتني قل مالي » . وأشار إلى هذه الرواية في حواشي هـ .
 (٤) أواق ، فسر البغدادي بأنه جمع أوقية من الذهب أو الفضة . وقال : ويروى بدله : وجياد .
 (٥) ب فقط : « دغ عصاك » تحريف . ضع عصاك ، كناية عن الإقامة : لأن المقيم يضعها عن يده ، والمسافر يحملها . لدهر ، أى إلى انقضاء دهر . وفي هامش ل : « خ : مثل قول الشاعر . فألفت عصاه واستقر بها النوى » .

(٦) النشب ، بالتحريك : المال الأصيل من الناطق والصامت . وانظر مجالس تعلق ٣٨٩ . ٢٥

إذا خدَمَهم . نعمة زُولٌ : حسنة . [والزُول : الخفيف الظريف ، وجمعه أزوال ^(١)] .

وقال عبيد بن الأبرص في نحو هذا وليس كمثله :

- ١٤٤ تلك عرسي غصبي تريد زِيَالِي ألبين تريد أم للَدَالِ ^(٢)
 إن يكن طَبُكُ الفراق فلا أَحْ خُلْ أن نعطفي صُدُورَ الجِمالِ ^(٣)
 أو يكن طَبُكُ الدَّلَالِ فلو في سالف الدَّهرِ والليالي الخوالِ
 كنت بيضاء كالمهاة وإذا آ تيك نشوانٌ مُرخياً أذِيَالِي
 فاتركي مطَّ حَاجِبِيكِ وعيشي مَعنا بالرَّجاء والتَّأمالِ
 زعمت أننى كبرتُ وأُنَى قلِّ مالى وضنَّ عني الموالِ
 وصحا باطلِي وأصبحتُ شيخاً لا يُوأتِي أمثالها أمثالِ
 إن ترينى تغيرَ الرأسُ مِنى وعلا الشَّيبُ مفرقٍ وقَدَالِ
 فيما أدخلُ الخِباءَ على مهْضومةِ الكشحِ طُفلةٍ كالغَزَالِ
 فتعاطيتُ جيدها ثم مالتُ ميلانَ الكتيبِ بين الرِّمالِ
 ثم قالت : فِدَى لنفسيك نفسى وفداءً لِمالِ أهليك مالى
 الكشح : الحَصْر . وقوله : « مهضومة » ، أراد لطيفة . والطُفلة :
 الرِّخصة النَّاعمة ^(٤) .

* * *

١٥

قال : وخرج عثمانُ بن عفانَ - رحمه الله - من داره يوماً ، وقد جاء عامر
 ابن عبد قيس ^(٥) ، فقعده في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً دميماً أشعَى نَطًّا ،
 في عباءة ، فأنكره وأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابى ، أين ربُّك ؟ فقال :
 بالمرصاد ! [والشَّعَى : تراكب الأسنان واختلافها . نَطٌّ : صغير اللحية ^(٦)] .

(١) هذه مما عدل .

(٢) الأبيات من قصيدة له في مختارات ابن الشجرى ١٠٢ . والزِيَال : المفارقة .

(٣) هذا البيت في ل ، هـ و التيمورية فقط . (٤) هذا التفسير من هـ .

(٥) سبقت ترجمته في ص ٨٣ . (٦) هذا مما عدل .

- ويقال إن عثمان بن عفان لم يُفجِّمه أحدٌ قط غير عامر بن عبد قيس .
- ونظر معاوية إلى التَّخَار بن أَوْسِ العُذْرَى ^(١) ، الخطيب الناسب ، في عبادة في ناحية من مجلسه ، فأنكره وأنكر مكانه زرايةً منه عليه ، فقال : من هذا ؟ فقال التَّخَار : يا أمير المؤمنين ، إنَّ العبادة لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ فيها !
- قال : ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى هَرَم بن قُطَيْبَة ^(٢) ، ١٤٥ ملتفاً في بَيْتٍ في ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقَلَّتْه ، وعَرَفَ تقديمَ العرب له في الحُكْم والعِلْم ، فأحَبَّ أن يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا إليك اليومَ أيُّهما كنت تنفر ؟ يعنى علقمة بن عُلائة ، وعامر بن الطُّفَيْل . فقال : يا أمير المؤمنين : لو قلتُ فيهما كلمةً لأعدُّها جَذَعَةً . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لهذا العقل تحاكت العربُ إليك . ١٠
- ونظر عمر إلى الأحنف وعنده الوُفْدُ ^(٣) والأحنف ملتفٌ في بَيْتٍ له ^(٤) ، فترك جميع القوم واستنطقه ، فلما تبعَّق منه ما تبعَّق ، وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهب ، لم يزلَّ عنده في غلياء ، ثم صار إلى أن عقد له الرِّياسة ثابتاً له ذلك ^(٥) ، إلى أن فارَّق الدنيا .
- ونظر الثُّعْمَانُ بن المنذر إلى ضُمْرَة بن ضُمْرَة ^(٦) ، فلما رأى دمامته ١٥ وقَلَّتْه قال : « تَسْمَعُ بالمُعَيْدَى لا أن تراه » ، هكذا تقوله العرب . فقال ضُمْرَة : « أبيت اللعن ، إنَّ الرجال لا تُكَال بالقُفْزَان ، ولا تُوزَن في الميزان ^(٧) ، وإنما المرءُ بأصغَرَيْه : قلبه ولسانه » .

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٥ . (٢) سبقت ترجمته في ص ١٠٩ .

(٣) هم وفد العراق ، أهل البصرة والكوفة . وخبر هذا الوفد في العقد (١ : ١٩١) . ٢٠

(٤) البت : كساء غليظ مربع .

(٥) ل : « ثابتة له » فقط .

(٦) سبقت ترجمته في ص ١٧١ ، حيث مضى الخبر .

(٧) في حواشى ه : « وقع في بعض النسخ : لا تكال بالقفزان ، ولا توزن بالميزان ، ولا تعرف

وكان ضَمْرَةُ خَطِيْباً ، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيِّداً .
 وكان الرَّمَقُ بن زيد ^(١) مدح أبا جُبَيْلَةَ الْغَسَّانِي ^(٢) ، وكان الرَّمَقُ دَمِيماً
 قصيراً ، فلما أنشدته وحاوَره ، قال : « عَسَلٌ طَيِّبٌ فِي ظَرْفِ سَوِيٍّ » .
 قال : وَكَلَّمَ عِلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثِمِ السَّدُوسِيَّ ^(٣) عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وكان عِلْبَاءُ
 أَعْوَرَ دَمِيماً ، فلَمَّا رَأَى بَرَاعَتَهُ وَسَمِعَ بَيَانَهُ ، أَقْبَلَ عَمَرَ يَصْعَدُ فِيهِ بَصَرَهُ وَيَحْذَرُهُ ،
 فلما خرج قال عمر : « لِكُلِّ أَنْاسٍ فِي جُمْلَتِهِمْ خَيْرٌ » ^(٤) .

* * *

وقال أبو عثمان : وَأَنْشَدْتُ سَهْلَ بْنَ هَارُونَ ، قَوْلَ سَلَمَةَ بْنِ الْخُرْشُبِ ^(٥)
 وشعره الذي أرسل به إلى سُبَيْعِ التَّغْلَبِيِّ ^(٦) في شأن الرُّهْنِ التي وضعت على
 يديه في قتال عَبْسٍ وَذُبْيَانَ ، فَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ . وَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ رِسَالَةَ عَمَرَ

-
- (١) في الاشتقاق ٢٧٠ : « ومنهم الرَّمَقُ بن زيد بن غنم الشاعر ، جاهلي . والرَّمَقُ معروف ، وهو
 باق النفس » . وذكر في حواشيه عن العسكري أنه « الدمق » واسمه عبيد بن سالم بن مالك . وفي الأغاني
 (١٩ : ٩٦) أن الرَّمَقُ لقب له ، واسمه عبيد بن سالم بن مالك .
- (٢) أبو جبيلة الغساني ، أحد ملوك الغساسنة بالشام . وفي ملوكهم جبلة بن الأيهم الغساني
 آخر ملوك الغساسنة . وكان الرَّمَقُ قد مدح أبا جبيلة بشعر قال فيه :
 وَأَبُو جَبِيلَةَ خَيْرٌ مِنْ يَمْشِي وَأَوْفَاهُمْ يَمِينَا
 وَأَبُوهُ بَرٌّ وَأَعْلَمُ لِمَنْ يَعْلَمُ الْأُولَيْنَا
- وهذا الشعر هو الذي يشير إليه الجاحظ . انظر الأغاني (١٩ : ٩٦) . ب والتيمورية : « أبا جبيلة الغساني » .
- (٣) فيما عدال ، ه : « وتكلم علباء » . وفي ب فقط بعد كلمة « السدوسي » : « عند » وما في
 أمثال الميداني (٢ : ١١٥) يطابق ما أثبت من ل ، ح . وهو علباء بن الهيثم بن جرير ، وأبوه من
 الرؤساء الذين حاربوا كسرى في وقعة ذي قار . وأدرك علباء الجاهلية والإسلام ، وشهد الجمل واستشهد
 بها . الإصابة ٦٤٤٣ . وسيأتي الخبر في (٣ : ٢٩٩ - ٣٠٠) .
- (٤) الجميل : تصغير الجمل . والخير ، بضم الخاء وكسرهما : العلم والمعرفة . فيما عدال : « خيرة » ،
 وهي بضم الخاء وكسرهما كالخير . وفي أمثال الميداني : « لكل أناس في بيعهم خير » . وضبط في ه « خير »
 بالتحريك . وأنشد التبريزي في شرح الحماسة ١ : ٢٧٤ بيتا في شعر يتحتم معه هذا الضبط ، وهو قوله :
 فَأَلَيْتَ لَا أَشْرَى بَعِيرًا بَغِيرٍ لِكُلِّ أَنْاسٍ فِي بَعِيرِهِمْ خَيْرٍ
- (٥) سلمة بن الخرشب ، أحد شعراء المفضليات ، واسمه سلمة بن عمرو بن نصر ، والخرشب
 لقب أبيه ، وأصل معناه الطويل السمين .
- (٦) ب فقط : « التعلبي » مع أثر تصحيح .

ابن الخطاب إلى أنى موسى الأشعري في سياسة القضاء وتدير الحكم^(١).
والقصيدة قوله :

أبلغ سبيعا وأنت سيدنا قذما وأوفى رجالنا ذمما
أن بغضاً وأن إخوتها ذبيان قد ضرّموا الذى اضطرمما
نبيت أن حكموك بينهم فلا يقولن بئس ما حكما
إن كنت ذا خيرة بشأنهم تعرف ذا حقهم ومن ظلما
وتنزل الأمر في منازلهم حكما وعلما وتحضر الفهما^(٢)
ولا تبالى من المحق ولا المب طيل لا إلة ولا ذمما
فاحكم وأنت الحكيم بينهم لن يعدموا الحكم ثابتا صتما
الصتم : الصحيح القوى ؛ يقال رجل صتم ، إذا كان شديداً^(٣).
١٠

واصدع أديم السواء بينهم على رضا من رضى ومن رغما
إن كان مالا ففض عدته مالا بمال وإن دما فدما^(٤)
حتى ترى ظاهر الحكومة مثل الصبح جلى نهاره الظلما
هذا وإن لم تطبق حكومتهم فانيد إليهم أمورهم سلما

وقال العائشي^(٥) : كان عمر بن الخطاب - رحمه الله - أعلم الناس
بالشعر ، ولكنه كان إذا ابتلى بالحكم بين النجاشي والعجلاني^(٦) ، وبين

(١) ستأق في (٢ : ٤٩ - ٥٠) . وهى فى أوائل كامل الميز ٩ ليسك .

(٢) ل : « وتخصر » بالصاد المهملة ، واستعاد الأبيات فى (٣ : ٣١٤) .

(٣) هذه مما عدل .

(٤) فيما عدا هـ ، ب « ففض عدته » والوجه ما أثبت منها .

(٥) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المترجم فى ص ١٠٢ .

(٦) النجاشي هو قيس بن عمرو ، من بنى الحارث بن كعب ، روى أنه شرب الخمر فى رمضان فجلبده

على مائة سوط ، فلما رآه زاد على الثمانين صاح به : ما هذه العلاوة يا أبا الحسن ؟ =

الخطيئة والزُّبْرَقَان ، كره أن يتعرَّضَ للشُّعْرَاء ، واستشهد للفريقين رجالاً ، مثل
حَسَّان بن ثابت وغيره ، ممن تهون عليه سيئاتهم ، فإذا سمع كلامهم حَكَمَ بما
يعلم ، وكان الذى ظَهَرَ من حُكْم ذلك الشاعر مُقْنِعاً للفريقين ، ويكون هو
قد تَخَلَّص بِعَرَضِهِ سَليماً . فَلَمَّا رآه مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ يَسْأَلُ هَذَا وَهَذَا ، ظَنَّ أَنَّ
ذلك لجهله بما يعرف غيره .

وقال : ولقد أنشدوه شعراً لزهير - وكان لشعره مقدماً - فلما انتهبوا إلى قوله :
وإنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يمينٌ أو نِفَارٌ أو جِلَاءٌ ^(١)

قال عمر كالتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها :
وإنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يمينٌ أو نِفَارٌ أو جِلَاءٌ

١٤٧

يردُّ البيت من التعجب .

١٠

وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب ^(٢) الطويلة التى على اللام ^(٣) ،
فلما بلغ المنشد إلى قوله :

والمرء ساع لشيء ليس يدركه والعيش شح وإشفاق وتأميلٌ

قال عمر متعجباً :

١٥ = فقال : لجرأتك على الله في رمضان ! فهرب إلى معاوية وهجا علياً . الإصابة ٧٣٠١ ، ٨٨٥٤ والخزانة

(٢ : ١٠٧) . وفي الإصابة أنه إنما سمي النجاشي لأن لونه كان يشبه لون الحبشة . وحكى ابن الكلبي أن

جماعة من بنى الحارث بن كعب وفدوا على رسول الله ﷺ فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم من الهند » . وأما

العجلاني ؛ فهو تميم بن أفي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان . أدرك الإسلام فأسلم ،

٢٠ وكان ييكى أهل الجاهلية ، وعمر مائة وعشرين سنة . الإصابة ٨٥٨ والخزانة (١ : ١١٣) . وانظر الحكومة

بينهما في المرجعين المتقدمين والعمدة (١ : ٢٧) وأمالى ثعلب ١٨٠ - ١٨١ وزهر الآداب (١ : ١٩) .

(١) النفار : أن يتنافروا إلى حاكم يحكم بينهم . والجلاء ، بالكسر كما ضبط في أصول الديوان ٧٥ ، وكا

نه عليه الصفاني . انظر حواشي اللسان (جلا ١٦٣) .

(٢) سبقت ترجمته في ص ١٢٢ .

(٣) هي إحدى المفضليات . انظر (١ : ١٣٣ - ١٣٤) . ٢٥

* والعيش شح وإشفاق وتأميل *

يعجبهم من حسن ما قسم وما فصل^(١).

وأنشدوه قصيدة ألى قيس بن الأسلت التى على العين ، وهو ساكت ،
فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الكيس والقوة خير من الـ إشفاق والفهة والهاج^(٢) .
أعاد عمر البيت وقال :

الكيس والقوة خير من الـ إشفاق والفهة والهاج
[وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه^(٣)] .

- قال محمد بن سلام ، عن بعض أشياخه قال . كان عمر بن الخطاب
رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمرٌ إلا أنشد فيه بيت شعر .
وقال أبو عمرو بن العلاء : كان الشاعر فى الجاهلية يُقدّم على الخطيب ،
لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يُقَيّد عليهم مآثرهم ويفخّم شأنهم ، ويهول على
عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم
شاعرٌ غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر
مكسبةً ورحلوا إلى السوق ، وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيبُ عندهم
فوق الشاعر . ولذلك قال الأول : « الشعر أدنى مروءة السرى ، وأسرى مروءة الدنى » .
قال : ولقد وضع قول الشعر من قدر التّابعة الذبيانيّ ، ولو كان فى
الدهر الأول مازادَه ذلك إلا رفعة .

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٦) .

(٢) البيت من قصيدة مفضلية (٢ : ٨٤ - ٨٦) . الفهة : العى والسقطة والجهلة . والهاج : شدة

الحرص . ويروى :

الحزم والقوة خير من الـ إدهان والفكة والهاج

(٣) هذه مما عدل .

وروى مجالد ^(١) عن الشَّعْبِيِّ قال : ما رأيت رجلاً مثلي ^(٢) ، وما أشاء أن ألقى رجلاً أعلم مني إلا لقيته .

وقال الحسن البصري : يكون الرجل عابداً ولا يكون عاقلاً ، ويكون عابداً عاقلاً ولا يكون عالماً . وكان مسلم بن يسار ^(٣) عاقلاً عالماً عابداً .

قال : وكان يقال : « فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرّف ، وحفظ قتادة » .

قال : وذكر البصرة ، فقليل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزني ^(٤) .

قال : والذين بثوا العلم في الدنيا أربعة : قتادة ^(٥) ، والزُّهري ^(٦) ، ١٤٨ والأعمش ^(٧) ، والكلبي ^(٨) .

١٠ (١) هو مجالد بن سعيد الهمداني ، أبو عمرو الكوفي النسابة ، يروي عن الشعبي ومسروق ، ويروي عنه الهيثم بن عدي . توفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٩ - ٤٠) والمعارف ٢٣٤ . وفي حواشي هـ عن نسخة : « جناب بن موسى عن مجالد »

(٢) هـ « ما رأيت مثلي » .

(٣) مسلم بن يسار البصري الأموي المكي ، روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، وروى عنه ابنه عبد الله وثابت البناني وابن سيرين . وكان مفتي أهل البصرة قبل الحسن . توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (١ : ١٦١) .

(٤) سبق الخبر في ص ١٠١ .

(٥) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، أحد المحدثين العباد الزهاد الثقات . ولد سنة ٦١ وتوفي سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٨٢) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١١٥) وابن خلكان ، ونكت الهميان .

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، نسبة إلى زهرة بن كلاب : حافظ مدني . ولد سنة ٥٠ سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٧٧) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٠٢) وابن خلكان . (٧) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش ، كان قارئاً حافظاً عالماً بالفرائض ، ولد يوم قتل الحسين ، يوم عاشوراء سنة ٦١ . وتوفي سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٥) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٤٥) وابن خلكان .

(٨) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزى الكلبي الكوفي النسابة المفسر ، قالوا : ليس لأحد أطول من تفسيره . وتوفي بالكوفة سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب ، وابن خلكان ، وابن النديم ١٣٩ .

- وجمع سليمان بن عبد الملك بين قَتَادَةَ والزُّهْرَى ، فغلب قَتَادَةُ الزُّهْرَى ،
 فقيل لسليمانَ في ذلك ، فقال : إِنَّهُ فَقِيهٌ مَلِيحٌ . فقال الْقَحْذَمِيُّ ^(١) : لا ،
 ولكنه تعصَّبَ للقرشيَّةِ ، ولا نقطاعه كان ^(٢) إليهم ، ولروايته فضائلهم .
 وكان الأصمعي يقول : « وَصَلْتُ بِالْعِلْمِ ، وَنَلْتُ بِالْمُلْحِ ^(٣) » .
- وكان سهل بن هارون يقول : « اللسان البليغ والشعر الجيّد لا يكادان
 يجتمعان في واحد ؛ وأعسرُ من ذلك أن تجتمع بلاغةُ الشعر ، وبلاغةُ القلم » .
 والمسجديّون ^(٤) يقولون : من تمنى رجلاً حَسَنَ العقل ، حَسَنَ البيان ،
 حَسَنَ العلم ، تمنى شيئاً عسيراً .



(١) هو أبو عبد الرحمن الوليد بن هشام بن قحزم القحزمي ، ثقة من أهل البصرة ، يروى عن
 جرير بن عثمان ، وعنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجهمي ، توفي سنة ٢٢٢ . السمعاني ٤٤٣ ولسان
 الميزان (٦ : ٢٢٧) .

(٢) كلمة « كان » من هـ .

(٣) سبق هذا القول في ص ١٩٩ . وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٧) .

(٤) في حواشي هـ : « المسجديون هم الذين يلتزمون مسجد البصرة والكوفة . وانظر الحيوان
 (٣ : ٦٣) وما سيأتى في ٤ : ٢٣ .

باب

وكانوا يعيرون التُّوكَ والعِيَّ والحُمَقَ، وأخلاق النساء والصبيان . قال الشاعر :

إذا ما كنت متخذاً خليلاً فلا تتقن بكل أخى إخاء
وإن خُيرت بينهم فالصِّقُ بأهل العقل منهم والحياء
فإنَّ العقلَ ليس له إذا ما تفاضلت الفضائل من كفاء
وإنَّ التُّوكَ للأحساب داءً وأهونُ دأئه داءُ العيَاء
ومن تَرَكَ العواقبَ مهملاً فأيسر سعيه سعى العنَاء
فلا تتقن بالتوكى لشيء وإن كانوا بنى ماء السماء^(١)
فليسوا قابلي أدب فدغهم وكن من ذاك منقطع الرجاء

وقال آخر في التضييع والتُّوك :

ومن تَرَكَ العواقبَ مهملاً فأيسر سعيه أبداً تَبَابُ^(٢)
فعمش في جد أنوك ساعدته مقادير يخالفها الصَّوَابُ^(٣)
ذهاب المال في حمْدٍ وأجرٍ ذهابٌ لا يقال له ذهابُ

١٤٩

وقال آخر في مثل ذلك :

أرى زمناً نوكاه أسعد أهله ولكنما يشقى به كل عاقل^(٤)

١٥

(١) هـ : « ولو » . وفي حواشيا عن نسخة : « فلا تتقن من التوكى بشيء » . وبنو ماء السماء ، هم ملوك الشام ، أبوهم ماء السماء بن حازنة الأزدى . قال :

أنا ابن مزيقيا عمرو ، وجدى أبوه عامر ماء السماء

يقال أيضاً للملك العراق بنو ماء السماء . وهو لقب أم المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن

ربيعة بن نصر اللخمي . قال زهير :

٢٠

ولازمت الملوك من آل نصر ويعدهم بنى ماء السماء

(٢) هذا البيت من ل فقط . والتباب : الخسران والهلاك .

(٣) في عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) « خالفته » مقادير يساعدها .

(٤) عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) . وسيأتي في ٤ : ٢٠ .

مَشَى فَوْقَهُ رَجُلَاهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ فَكَبَّ الْأَعَالَى بَارْتِفَاعِ الْأَسَافِلِ

وقال الآخر :

فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى وَلَمْ أَرْ عِزًّا لِمَرْيَ كَعَشِيرَةٍ

وَلَمْ أَرْ مِنْ عُدْمِ أَصَرٍّ عَلَى امْرِئٍ إِذَا عَاشَ وَسَطَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ

وقال آخر :

تَحَامَقْتُ مَعَ الْحَمَقَى إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ وَلَا قِيَهُمُ بِالنُّوكِ فَعَلَ أَخَى الْجَهْلِ

وَيَخْلُطُ إِذَا لَا قِيَتْ يَوْمًا مُحَلَّطًا يَخْلُطُ فِي قَوْلٍ صَحِيحٍ فِي هَزَلٍ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَسْعُدُ بِالْعَقْلِ

وقال آخر (٥) :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غَرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَا قِيَتْ أَمْرًا لَا أَشَاكِلُهُ

فَحَامِقْتُهُ حَتَّى يَقَالَ سَجِيَّةً وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ

وقال بشر بن المعتير :

وَإِذَا الْغَبَى رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِيًا أَعْيَا الطَّبِيبَ وَحِيلَةَ الْمُحْتَالِ

وَأَنْشَدَنِي آخَرُ :

وَلِلذَّهْرِ أَيَّامٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ كَلَيْسَتَهُ يَوْمًا أَحَدٌ وَأُخْلَقَا

وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ وَإِنْ كُنْتُ فِي الْحَمَقَى فَكُنْ أَنْتَ أَحَقُّهَا

(١) الأبيات في عيون الأخبار (٣ : ١٩) وأمالى ثعلب ٤٨٨ .

(٢) ما أثبت من ل يطابق رواية ثعلب . وفيما عدال : « عن الأهل » . وأشير في حاشية هـ إلى رواية « الأصل » .

(٣) فيما عدل : « ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل » .

(٤) هذا البيت في ل فقط .

(٥) البيتان في عيون الأخبار (٣ : ٢٤) . وسيأتيان في (٢ : ٢٣٥ ، ٤ : ٢١) .

(٦) البيتان لعقيل بن علفة ، كما في الحماسة (٢ : ١٧) . ورواهما ثعلب في مجالسه مع ثالث

منسولين إلى ماجد الأسدي . ص ٥٠٢ .

(٧) في الحماسة والأمالى وفيما عدل : « إذا كنت فيهم » .

وأنشدني آخر :

ولا تقرى يا بنت عمى بوهة
وإن كان أعطى رأس ستين بكره
ألا فاحذرى لا ثوردك هجمة
وأنشدني آخر (٤) :

كسا الله حنى تغلب ابنة وائل
إذا ارتحلوا عن دار ضيم تعاذلوا
وأنشدني آخر :

وإن عناء أن تفهم جاهلاً
وقال جرير :

ولا يعرفون الشر حتى يصيبهم
وقال الأعرج المعنى الطائى (٨) :

(١) البوهة : الرجل الضعيف الطائش . والدنفاس : الأحمق . والمفند : الضعيف الرأى والجسم .
(٢) عنى بالرأس الرعوس .

(٣) الهجمة من الإبل : قريب من المائة . يقول : لا تغترى بهذا الصداق . الجبس ، بالكسر : الجبان القدم .
والقععد ، بضم العين والدال وفتحهما ، وضم القاف وفتح الدال : الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم .
(٤) فى حواشى هـ للخنسنى : « هو عميرة بن جعيل أخو كعب بن جعيل ، فيما ذكر ابن قتيبة » . وانظر الشعراء ٦٣٢ .

(٥) حيا تغلب ، الأرجح أنه أراد بهما أحياء تغلب كلها ، فعبر بالثنى عن الجمع . ويجوز أن يكون أراد بهما أوساً وغنماً ابني تغلب بن وائل . وفى نهاية الأرب (٢ : ٢٣٣) : « فالعقب فى ثلاثة أفضاخ لصلبه : عمران وهم قليل ، وأوس وغنم وفيه العدد والبيت » .

(٦) البيت لصالح بن عبد القدوس ، كما سيأتى فى (٤ : ٢٢) .

(٧) سبق البيت والكلام عليه فى ١٩٨ .

(٨) هو عدى بن عمرو بن سويد بن زيان بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن الطائى .

شاعر جاهلى إسلامى . وهو القائل :

ترك الشعر واستبدلت منه إذا داعى صلاة الصبح قاما .

كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والتداسا .

انظر الإصابة ٣٧١٣ و٦٤٠٩ ومعجم المرزبانى ٣٥١ وفى حماسة البحرى ٤٧ أن قائل الشعر الأعرج بن مالك المرى .

- لقد علمَ الأقوام أن قد فررتُم ولم تبدعوهُم بالمَظالم أَوَّلا (١)
فكونوا كداعِي كَرَّةٍ بعد فَرَّةٍ أَلَا رُبَّ من قد فَرَّ تُمَّت أَقبَلا
فإن أنتم لم تفعلوا فتبدَّلوا بكلِّ سِنانٍ مَعَشَرَ الغوثِ مِغزَلا (٢)
وأعطوهم حُكَمَ الصَّبِيِّ بأهله وإئني لأرجو أن يقولوا بأنَّ لا (٣)
ويقال : « أَظَلُّمٌ من صَبِيٍّ » (٤) و « أَكْذَبُ من صَبِيٍّ » و « أَخْرَقُ
من صَبِيٍّ » . وأنشد :
ولا تحكما حُكَمَ الصَّبِيِّ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ على ظَهَرِ الطَّرِيقِ مجاهله (٥)
قال : وسُئِلَ دَغْفَلُ بن حنظلة ، عن بنى عامر فقال : « أعناقِ ظِبَاءِ ،
وأعجازِ نساء » . قيل : فما تقول في أهل اليمن ؟ قال : « سَيِّدٌ وَأَتَوْكَ » (٦) .

★ ★ ★

١٠

- (١) في جميع النسخ : « أن قد قدرتم » ، صوابه من حماسة البحترى .
(٢) الغوث ، هم بنو الغوث بن أدد ، إخوة طيء بن أدد . فيما عدا ل : « معشر العرب »
صوابه في ل وحماسة البحترى .
(٣) كتب بعد هذا البياض في ب ، ج : « أصله بياض » .
(٤) انظر الحيوان (٣ : ٤٧١) .
(٥) في حواشي : « أى انه يظهر ما يجب أن يخفى ، ولا يبالي بذلك » .
(٦) الأنوك : الأحمق ، وجمعه التوكى .

١٥

باب

في ذكر المعلمين (١)

ومن أمثال العامة : « أَحَقُّ من معلِّم كُتَّاب » . وقد ذكرهم صِقْلَابُ فقال :

وكيف يُرَجَّى الرَّأْيُ والعَقْلُ عند مَنْ يُرُوح على أنثى ويغدو على طِفْلٍ (٢)

وفي قول بعض الحكماء : « لا تستشيروا معلِّما ولا راعى غنم ولا كثيرًا ١٥١
الْقُعود مع النساء » . وقالوا : « لا تدعْ أُمَّ صَبِيَّك تضرُّه ؛ فَإِنَّه أَعْقَلُ منها وإن
كانت أَسَنُّ منه » . وقد سمعنا في المثل : « أَحَقُّ من راعى ضأن ثمانين (٣) » .
فأما استحماق رُعاة الغنم في الجملة فكيف يكون ذلك صواباً وقد رعى الغنم
عِدَّة من جَلَّة الأنبياء صلى الله عليهم . ولعمري إنَّ الفَدَّادين من أهل الوبر ورُعاة
الإبل ليتنبَّلون (٤) على رعاة الغنم ، ويقول أحدهم لصاحبه : « إن كنت كاذباً
فحلبت قاعدا » . وقال الآخر :

ترى حالبَ المِعْزَى إذا صرَّ قاعدا وحالبُهنَّ القائمُ المتطاوِلُ (٥)

(١) كتبت بحثاً عنوانه « الجاحظ والمعلمون » في عدد أغسطس سنة ١٩٤٦ من مجلة الكتاب .

(٢) ورد البيت بدون نسبة في عيون الأخبار (٢ : ٥٤) .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨٨) . وروى الميداني في (١ : ٢٠٥) روايتين أخريين عن الجاحظ في
هذا المثل : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » و « أشغل من مرضع بهم ثمانين » . وروى عن الجاحظ في
اللسان (ثمن) : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » . ولم أجد هاتين الروايتين فيما بين يدي من كتبه . وروى
في اللسان عن ابن خالويه : « أَحَقُّ من طالب ضأن ثمانين » . وذكر أصل المثل . وهذه الرواية الأخيرة رويت
في الميداني عن أبي عبيد ، وذكر لها أصلاً غير أصل ابن خالويه .

(٤) ب ، ج : « ليتلون » ، التيمورية « ليتلون » صوابها ما أثبت من ل ، هـ .

(٥) الصر : أن يشد الضرع بالصرار لئلا يرضعها ولدها . وفي النسخ : « إذا سر » وليس له وجه .

وقال امرأة من غامد ، في هزيمة ربيعة بن مكدّم ^(١) ، لَجَمْع غامدٍ وخَدَه :
 ألا هل أتاها على نأِها بما فَضَحَتْ قَوْمَهَا غامدُ
 تمنيتُم مائتَى فارسٍ فَرَدَكُمُ فارسٌ واحدٌ ^(٢)
 فليت لنا بارتباط الخيو ل ضائناً لها حالبٌ قاعدُ

* * *

وقد سمعنا قول بعضهم : الحُمق في الحَاكة والمعلّمين والغزّالين . قال :
 والحَاكة أَقلُّ وأسقط من أن يقال لها حَمَقَى . وكذلك الغزّالون ؛ لأنّ الأحمق
 هو الذى يتكلّم بالصواب الجيّد ثم يجيىء بخطأٍ فاحش ، والحائك ليس عنده
 صوابٌ جيّد فى فعّالٍ ولا مقال ، إلا أن يُجعل جَوْدَةُ الحياكة من هذا الباب ،
 وليس هو من هذا فى شىء .

* * *

(١) ربيعة بن مكدّم بن عامر ، أحد فرسان مضر المعدودين ، وشجعانهم المشهورين . انظر
 أخباره فى الأغاني (١٤ : ١٢٥ - ١٣٤) .

(٢) انظر الرسالة المصرية لأبى الصلت الأندلسى فى نوادر المخطوطات (١ : ٣٦) وإخبار
 العلماء للقفطى ١٤٣ .

وباب منه آخر (١)

ويقال : فلان أحمق . فإذا قالوا مائق ، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه ، وكذلك إذا قالوا أنوك . وكذلك إذا قالوا رقيع . ويقولون : فلان سليم الصدر ؛ ثم يقولون عبي ، ثم يقولون أبله . وكذلك إذا قالوا معتوه ومسلسوس وأشباه ذلك . ١٥٢

قال أبو عبيدة : يقال للفارس شجاع ، فإذا تقدّم [في (٢)] ذلك قيل بطل ، فإذا تقدّم شيئاً قيل بهمة ، فإذا صار إلى الغاية قيل أليس . وقال العجاج :
* أليس عن حوائيه سخي (٣) *

وهذا المأخذ يجري في الطبقات كلّها : من جود وبخل ، وصلاح وفساد ، ونقصان ورجحان . ومازلت أسمع هذا القول في المعلمين .
١٠ والمعلّمون عندي على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة . فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل علي بن حمزة الكسائي ، ومحمد بن المستنير الذي يقال له قُطْرُب (٤) ، وأشباه هؤلاء يقال لهم حَمَقِي . ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم . فإن ذهبوا إلى معلّمي

(١) هـ : « وهذا باب آخر » .

(٢) ليست في جميع النسخ .

(٣) ديوان العجاج ٧١ واللسان (ليس) . والحوياء : النفس .

(٤) سمى قطرباً لأنه كان يكر إلى سيويه للأخذ عنه ، فإذا خرج سيويه سحرأ رآه على بابه ، فقال له يوماً : ما أنت إلا قطرب ليل . والقطرب : دوية تدب ولا تقتر . وأخذ عن النظام مذهب الاعتزال ، ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأه في الجامع فخاف من العامة وإنكارهم عليه ؛ لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعتزال ، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته في الجامع . وأخذ عنه ابن السكيت . وهو أول من ألف في المثلثات . توفي ببغداد سنة ٢٠٦ . معجم الأدباء ، وبغية الوعاة ، ووفيات الأعيان ، وتاريخ بغداد ١٣٨٦ .

- كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية وسفلة ، فما هم في ذلك إلا كغيرهم .
وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء ، مثل الكميت
ابن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ، وقيس بن سعد ^(١) ، وعطاء بن أوى رباح ^(٢) ،
ومثل عبد الكريم أوى أمية ^(٣) ، وحسين المعلم ^(٤) ، وأوى سعيد المعلم .
ومن المعلمين : الضحّاك بن مزاحم ^(٥) . وأما معبد الجهني ^(٦) وعامر الشعبي ^(٧) ،
فكان يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان . وكان معبد يعلم سعيداً ^(٨) . ومنهم

-
- (١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري ، كان من النبي ﷺ وسلم بمنزلة
صاحب الشرطة من الأمير ، وكان من دهاة العرب ، حارب في صفين مع علي ، ثم هرب من معاوية ،
وتوفى في ولاية عبد الملك بن مروان . الإصابة ٧١٧١ وتهذيب التهذيب .
- (٢) هو عطاء بن أوى رباح - واسمه أسلم - القرشي المكي . أدرك مائتين من الصحابة . وكان معلم
كتاب فقيها ثقة . ولد سنة ٣٧ وتوفى سنة ١١٤ . تهذيب التهذيب ونكت الهميان ١٩٩ وابن خلكان .
- (٣) هو عبد الكريم بن أوى المخارق - واسمه قيس ويقال طارق - أبو أمية المعلم البصري ، روى
عن أنس وطاوس ونافع ، وعنه : عطاء ومجاهد وأبو حنيفة . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب . وفي
الأصول : « عبد الكريم بن أوى أمية » تحريف . انظر أيضاً المعارف ٢٣٨ .
- (٤) هو الحسين بن ذكوان المعلم العوذى البصري . ترجم له ابن حجر في تهذيب التهذيب وأرجح
وفاته سنة ١٤٥ . وانظر المعارف ٢٣٨ ، والسمعانى ٥٤٠ ب .
- (٥) هو أبو القاسم الضحّاك بن مزاحم الهلالى الخراسانى ، روى عن ابن عمر وابن عباس وأوى هريوة
وغيرهم ، وكان معلم كتاب ، ذكر ابن قتيبة أنه كان لا يأخذ أجراً ، واشتهر بالتفسير . وهو ممن ولد وهو ابن
ثلاثة عشر شهرا . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٨ ، ٢٠١ ، ٢٥٧ والعقد ٦ : ٢٣٤ .
- (٦) هو معبد بن خالد - أو ابن عبد الله بن حكيم ، أو ابن عبد الله بن عوف - الجهني
القدرى . كان يجالس الحسن البصرى ، وهو أول من تكلم بالبصرة في القدر فسلك أهل البصرة مسلكه . قتله
الحجاج ابن يوسف صبرا . وذلك في سنة ٨٠ . تهذيب التهذيب . (١٠ - ٢٢٥) والسمعانى ١٤٥
والمعارف ١٩٥ - ٢٣٨ ، ٢٦٨ .
- (٧) سبقت ترجمته في ص ١٩٤ .
- (٨) سعيد بن عبد الملك بن مروان ، كان يلقب بسعيد الخير ، وإليه ينسب نهر سعيد ، وهو
دون الرقة من ديار مضر ، وكان موضعه غيبة ذات سباع أقطعه إياها الوليد أخوه ، فحفر النهر وعمر ما هناك ،
المعارف ١٥٧ ، ومعجم البلدان .

أبو سعيد المؤدب^(١) ، وهو غير أبي سعيد المعلم ، وكان يحدث عن هشام بن عروة^(٢) وغيرهم . ومنهم: عبد الصمد بن عبد الأعلى^(٣) ، وكان معلم ولد عتبة بن أبي سفيان . وكان إسماعيل بن علي^(٤) ألزم بعض بني عبد الله بن المقفع ليعلمه . وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما . ومنهم: محمد بن السكن^(٥) .

وما كان عندنا بالبصرة رجلا نأري لصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا ، من أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين ، وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا وقد قال الناس في أبي البيداء^(٦) ، وفي أبي عبد الله الكاتب^(٧) ، وفي الحجّاج ابن يوسف وأبيه ما قالوا . وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أن الحجّاج وأباه كانا معلمين بالطائف^(٨)

* * *

١٠

(١) اسمه محمد بن مسلم بن أبي الوضاح ، أبو سعيد المؤدب الجزري نزيل بغداد . ضمه المنصور إلى المهدي ، ثم ضم بعده إليه سفيان بن حسين ، وكان كذلك معلم موسى الهادي الخليفة قبل أن يستخلف . ومات في خلافته . تاريخ بغداد ١٣٤٦ وتهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٩ .

(٢) هو أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، ولد هو والأعمش سنة مقتل الحسين ٦١ وتوفي سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب .

١٥

(٣) عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ، كان يتهم بالزندقة ، وكان يؤدب أيضا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويقال إنه هو الذي أفسده ، ذكر ذلك الطبري في تاريخه . لسان الميزان (٤ : ٢١) والطبري (٨ : ٢٨٨) .

(٤) هو إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهو عم السفاح والمنصور . ولي لأبي جعفر فارس والبصرة . المعارف ١٦٣ .

٢٠

(٥) محمد بن السكن مؤذن مسجد بني شقرة ، من ضعاف المحدثين . لسان الميزان (٥ : ١٨١ - ١٨٢) . هذا ، وإن هذه التكملة التي بدأت في ص ٢٥١ لم ترد في ل ، وهي ثابتة في سائر النسخ .

(٦) أبو البيداء الرياحي ، سبقت ترجمته في ص ٦٦ .

(٧) ذكره ابن قتيبة في أسماء المعلمين ، في المعارف ٢٣٨ ، بلقب « كاتب الرسائل » .

(٨) روى هذا الشعر في المعارف ٢٣٨ - ٢٣٩ والشعراء (١ : ٣١٤) طبع الحلبي ، والكامل

٢٥ . ٢٩٠ . قال مالك بن الرب :

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبداً من عبيد إيباد

=

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول .

قالوا : أحقُّ الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكمُ جاهل .

قال : وكتب الحجاج إلى المهلب يُعجله في حرب الأزارقة
ويستمعه ^(١) ، فكتب إليه المهلب : « إن البلاء كلُّ البلاء أن يكون الرَّأى لمن
يملكه دون من يُنصره » .

= زمان هو العبد المقر بذله يراوح غلمان القرى ويغادى
وقال آخر فيه :

أيتسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالفمر الأزهر

١٠

(١) التسميع : أن يندد به ويشهره ويفضحه ويسمعه القبيح .

وباب آخر

وقال بعض الرِّبَانِيِّينَ ^(١) من الأدباء ، وأهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشاؤم والتعمق ، ويُغض الإغراق في القول ، والتكلف والاجتلاب ^(٢) ، ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه ، وما يعتري المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول ، ١٥٣ وما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع ، والذي يورث الاقتدار من التهكم والتسلط ، والذي يمكن الحاذق والمطبوع من التموه للمعاني ، والحلاية وحسن المنطق ، فقال في بعض مواعظه : « أَنْذِرْكُمْ حُسْنَ الْأَلْفَاظِ ، وَحِلَاوَةِ مَخَارِجِ الْكَلَامِ ؛ فَإِنَّ الْمَعْنَى إِذَا اكْتَسَى لَفْظًا حَسَنًا وَأَعَارَهُ الْبَلِغُ مَخْرَجًا سَهْلًا ، وَمِنْحَهُ الْمُتَكَلِّمَ دَلًّا مُتَعَشِّقًا ، صَارَ فِي قَلْبِكَ أَخْلَى ، وَلِصَدْرِكَ أَمْلَأُ . وَالْمَعْنَى إِذَا كُسِيتِ الْأَلْفَاظَ الْكَرِيمَةَ ، وَأَلْبِسَتْ ^(٣) الْأَوْصَافَ الرَّفِيعَةَ ، تَحَوَّلَتْ فِي الْعْيُونِ عَنْ مَقَادِيرِ صُورِهَا ، وَأَزْبَتْ عَلَى حَقَائِقِ أَقْدَارِهَا ، بِقَدْرِ مَا زُيِّنَتْ ، وَحَسَبِ مَا زُخْرِفَتْ . فَقَدْ صَارَتِ الْأَلْفَاظُ فِي مَعَانِي الْمَعَارِضِ ^(٤) وَصَارَتِ الْمَعْنَى فِي مَعْنَى الْجَوَارِي وَالْقَلْبِ ضَعِيفٌ ، وَسُلْطَانُ الْهَوَى قَوِيٌّ ، وَمَدْخَلُ خُدْعِ الشَّيْطَانِ خَفِيٌّ » .

فأذكر هذا الباب ولا تنسه ، ولا تفرط فيه ؛ فَإِنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يَقُلْ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ - بعد أن احتبسه حَوْلًا مُجْرَمًا ^(٥) ؛ لَيْسَتْ كَثْرَتُهُ مِنْهُ ، وَلِيَبَالِغَ فِي تَصْفُحِ حَالِهِ وَالتَّنْقِيرِ عَنْ شَأْنِهِ - : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ خَوْفَنَا كُلَّ مَنَافِقٍ عَلِيمٍ ، وَقَدْ خِفْتُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » إِلَّا لَمَّا كَانَ

(١) الرِّبَانِيُّ : العالم الراسخ في العلم ، أو العالم العامل المعلم . ل : هـ : « الديانين » . والديان : الحاكم والقاضي . حـ : والتمورية : « الرِّبَانِيُّ » تحريف . والصواب ما أثبت من ب .

(٢) الاجتلاب : أن يجتلب معاني سواء لفقره في معانيه . ل : « الاختلاب » .

(٣) ل : « وأكسبت » .

(٤) المعارض : جمع معرض ، وهو كمنبر ، ثوب تجلي فيه الجارية .

(٥) حول مجرم : تام كامل .

رَاعَهُ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِهِ ، وَمَالَ إِلَيْهِ لَمَّا رَأَى مِنْ رِفْقِهِ وَقَلَّةِ تَكْلُفِهِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِرَجُلٍ أَحْسَنَ فِي طَلَبِ حَاجَةٍ وَتَأْتَى لَهَا بِكَلَامٍ وَجِيزٍ ، وَمَنْطِقٍ حَسَنٍ : « هَذَا وَاللَّهِ السِّحْرُ الْحَلَالُ » . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا خِلَابَةَ ^(١) » .

- فَالْقَصْدُ فِي ذَلِكَ أَنْ تَجْتَنِبَ السُّوقَى وَالْوَحْشَى ، وَلَا تَجْعَلَ هَمَّكَ فِي تَهْذِيبِ الْأَلْفَاظِ ، وَشُغْلَكَ فِي التَّخَلُّصِ إِلَى غَرَائِبِ الْمَعَانِي . وَفِي الْاِقْتِصَادِ بِلَاغٍ ، وَفِي التَّوَسُّطِ مَجَانِبَةٌ لِلْوَعُورَةِ ، وَخُرُوجٌ مِنْ سَبِيلٍ مَنْ لَا يَحَاسِبُ نَفْسَهُ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولًا وَلَا صَعْبًا

وَقَالَ الْآخَرُ :

- لَا تَذْهَبَنَّ فِي الْأُمُورِ فَرَطًا ^(٢) لَا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطًا ^{١٠}

وَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطًا

- وَلِيَكُنْ كَلَامُكَ مَا بَيْنَ الْمُقْصَرِّ وَالْغَالِي ؛ فَإِنَّكَ تَسْلَمُ مِنَ الْمِحْنَةِ ^(٣) عِنْدَ الْعُلَمَاءِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ .

- وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ لِلْحَسَنِ : عَلَّمَنِي دِينًا وَسُوطًا ، لَا ذَاهِبًا شَطُوطًا ، وَلَا هَابِطًا هَبُوطًا . فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : لَعَنَ قَلْتُ ذَاكَ إِنْ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا . ^{١٥}
- وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « خَالِطُوا النَّاسَ وَزِيلُوهُمْ » .

(١) الخِلاَبَةُ ، بِالْكَسْرِ : الْمَخَادَعَةُ ، وَقِيلَ الْحَدِيعَةُ بِاللِّسَانِ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ كَانَ يَخْدَعُ

فِي بَيْعِهِ : « إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ لَا خِلَابَةَ » .

(٢) الْفَرَطُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْمُتَقَدِّمُ ، رَجُلٌ فَرَطَ ، وَقَوْمٌ فَرَطُوا .

(٣) فِيمَا عَدَا لَ : « الْمِحْنَةُ » .

وقال على بن أبى طالب رحمه الله : « كن فى الناس وَسَطًا وَاَمْشِ جَانِبًا » .
 وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته : « وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَمَا قَلٌّ
 وَكَفَى خَيْرٌ مِّمَّا كَثُرَ وَأَهْلَى . نَفْسٌ تُنَجِّيْهَا ، خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُنْخَصِيهَا » .
 وكانوا يقولون : اكره الغلو كما تكره التقصير .

° وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « قولوا بقولكم ولا يَسْتَحْزِنَنَّ
 عليكم الشيطان » . وكان يقول : « وهل يكُبُّ الناسَ على مَنَاحِرِهِمْ فى نارِ
 جهنَّمَ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » .

* * *

باب

من الخطب القصار من خطب السلف ، ومواعظ من مواعظ
التسك ، وتأديب من تأديب العلماء

قال رجل لأبي هريرة النحوي : أريد أن أتعلّم العلم وأخاف أن أضيعه .
فقال : « كَفَى بِتَرْكِ الْعِلْمِ إِضَاعَةً » .

وسمع الأحنف رجلاً يقول : « التَّعَلُّمُ فِي الصُّغُرِ كَالْتَّقَشِ فِي الْحَجَرِ » ،
فقال الأحنف : « الْكَبِيرُ أَكْبَرُ عَقْلاً ، وَلَكِنَّهُ أَشْغَلَ قَلْباً » .

وقال أبو الدرداء : مَالِي أُرَى عِلْمَاءَكُمْ يَذْهَبُونَ وَجْهًا لَكُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ .

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ ،

۱۵۵ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالَمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جَهْلًا فَسُئِلُوا
فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » .

قالوا : ولذلك قال عبد الله بن عباس رحمه الله ، حين دُلِّي زيد بن
ثابت في القبر ، رحمه الله : « مِنْ سَرَّهُ أَنْ يَرَى كَيْفَ ذَهَابَ الْعِلْمُ فَلْيَنْظُرْ ،
فَهَكَذَا ذَهَابَهُ (١) » .

وقال بعض الشعراء في بعض العلماء : ۱۵

أُبْعِدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدَرُ (٢)
لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَذَرُ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثَقَةٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوٍ وَدَّهِ كَذَرُ
فَهَكَذَا يَفْسُدُ الزَّمَانُ وَيَفْتَنِي الْـ عِلْمُ مِنْهُ وَيَذْرُسُ الْأَثَرُ (٣)

(١) ل : « ذهابه » .

(٢) الأبيات اختارها أبو تمام في الحماسة (١ : ٤٣٧) ونسبها لرجل من بني أسد . ونسبت في

وفيات الأعيان (١ : ١٦٥) إلى أبي يحيى محمد بن كنانة . وانظر ابن النديم ١٣٥ .

(٣) في الحماسة : « فهكذا يذهب الزمان » .

قال : وقال قتادة : لو كان أحدٌ مكثفياً من العلم لا كَتَفَى نبيُّ الله موسى عليه السلام ، إذ قال للعبد الصالح : ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ .

أبو العباس التميمي قال : قال طاوس : « الكلمة الصالحة صدقة » .
وقال ثمامة بن عبد الله بن أنس^(١) ، عن أبيه ، [عن جده^(٢)] ،
عن رسول الله ﷺ أنه قال : « فضلُ لسانِكَ تُعَبِّرُ به عن أخيك الذي لا لِسَانَ له صدقة^(٣) » .

وقال الخليل : « تكثُر من العلم لتعرف ، وتقل منه لتحفظ » .
وقال الفضيل^(٤) : « نعت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها
الرجل حتى يلقيها إلى أخيه » .

وكان يقال : يكتب الرجل أحسن ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب .
وكان يقال : اجعل ما في كتبك بيت مال ، وما في قلبك للثقة .
وقال أعرابي : حَرَفٌ في قلبك خير من عشرة في طومارك^(٥) .
وقال عمر بن عبد العزيز : « ما قرِنَ شيءٌ إلى شيءٍ أفضل من جِلمٍ إلى
علم ، ومن عَفُو إلى قُدرة » .

(١) ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي ، روى عن جده أنس وأبي هريرة . تهذيب التهذيب . وفي الأصل : « عبد الله بن ثمامة بن أنس » تحريف .
وجاء الحديث بسنده في (٢ : ٣٩) . ولفظه هناك « ثمامة بن أنس » ، نسبة إلى جده .
(٢) التكملة مما سيأتي في (٢ : ٣٩) .

(٣) كلمة « الذي لا لسان له » ليست في ل . وستأتي في (٢ : ٣٩) .
(٤) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ، الزاهد الخراساني ، ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير ، ثم انتقل إلى مكة ، ومات بها سنة ١٨٧ ، وكان في أول أمره شاطرا ، ثم صار إلى الزهد والعبادة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٣٤) .

(٥) الطومار : الصحيفة ، قال ابن سيده : « أراه عربيا محضا ؛ لأن سيبويه قد اعتد به في الأبنية » .
ل : « تامورك » محرف .

وكان ميمون بن سيّاه ^(١) ، إذا جلس إلى قوم قال : إنا قوم مُنْقَطِعٌ بنا ، فحدثونا أحاديث نتجمل بها .

قال : وفخر سُلَيْم مولى زيادٍ ، بزيادٍ عند معاوية ، فقال معاوية : اسكت ، ١٥٦ فوالله ما أدرك صاحبك شيئاً بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني .

و ضرب الحجاج أعناق أسرى ، فلما قدّموا إليه رجلاً لثُضِرَبَ عنقه قال : ٥
والله لئن كنّا أسأنا في الذنب فما أحسنّت في العفو ! فقال الحجاج : أفٍ لهذه الجيف ، أما كان فيها أحدٌ يحسن مثل هذا الكلام ! وأمسك عن القتل .
وقال بشير الرّجال ^(٢) : « إني لأجد في قلبي حراً لا يُذهبه إلا برد العدل أو حرّ السّنان » .

قال : وقدّموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك بن مروان لثُضِرَبَ عنقه ، ١٠
ودخل على عبد الملك ابنٌ له صغيرٌ قد ضربته المعلم ، وهو يبكي ، فهمم عبد الملك بالمعلم ، فقال له الخارجي : دَعُوهُ يبكي فإنه أفتح لجِرمه ^(٣) ، وأصح لبصره ، وأذهب لصوته . قال له عبد الملك : أما يشعلك ما أنت فيه عن هذا ؟ قال الخارجي : ما ينبغي لمسلم أن يشغله عن [قول ^(٤)] الحق شيء ! فأمر بتخليه سبيله .
قال : وقال زيادٌ على المنبر : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها ١٥
ذنبٌ عنزٍ مَصُورٍ ^(٥) ، لو بلغت إمامه سفكٌ بها دمه ^(٦) » .

(١) سيّاه ، بكسر السين وفتح الياء المخففة ، كما في التقريب . وميمون بصرى ، كنيته أبو بحر ، روى عن أنس والحسن ، وكان يقال إنه سيد القراء . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٥٤) .

(٢) فيما عدل : « الرجال » بالحاء المهملة .

(٣) الجرم ، بالكسر : الخلق . والخبر في البخلاء ٦ معزو إلى بعض الحكماء

(٤) هذه مما عدل .

(٥) المصور : التي انقطع لبنها ؛ والمصر ، بالفتح : قلة اللبن .

(٦) وكذا جاء الخبر في اللسان (٧ : ٣٣) . ل : « سفك دمه » . وهذا الخبر في هـ ورد بعد

بيت الشعر الثاني .

قال : وقال إبراهيم بن أدهم ^(١) : « أعرينا كلامنا فما نلحن ^(٢) ،
ولحنّا في أعمالنا فما نُعرب حرفاً » . وأنشد :

نرُقّع دُنْيَانَا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرُقّع ^(٣)

قال : وعزّل عمرُ زياداً عن كتابَةِ أُمّ موسى الأشعري ، في بعض
قَدَمَاتِهِ ، فقال له زياد : أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدةٍ منهما ،
ولكنّي أكره أن أُحمِلَ على العامة ^(٤) فَضْلَ عقلِكَ .

قال : وبلغ الحجاجُ موثُ أسماءَ بنِ خارِجة فقال : هل سمِعْتُم بالذي
عاشَ ما شاء ومات حين شاء !

قال : وكان يقال « كَدُرُ الجماعة خيرٌ من صَفْوِ الفرقة » .

قال أبو الحسن : مرَّ عمر بن ذرّ ^(٥) ، بعد الله بن عيَّاش
المنتوف ^(٦) ، وقد كان سَفِهَ عليه فَأَعْرَضَ عنه ، فتعلّق بثوبه ثم قال له :
« يَا هَنَاهُ ، إِنَّا لَمْ نَجِدْ لَكَ أَنَّ عَصِيَّتَ اللَّهِ فِيْنَا خَيْراً مِنْ أَنْ نَطِيعَ اللَّهَ فِيكَ » .
وهذا كلامٌ أَخَذَهُ عُمَرُ بنُ ذَرٍّ ، عن عمر بن الخطاب رحمه الله . قال عُمر :

١٥ (١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي البلخي الزاهد ، وكان ذا ثروة عريضة ، ثم
رفض الدنيا وصار إلى الزهد . توفى في بلاد الروم سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٤ : ١٢٧) .

(٢) في جميع النسخ : « فما نلحن حرفاً » . وكلمة « حرفاً » مقحمة ، لم ترد في رواية ابن
الجزري (٤ : ١٣١) ولا فيما سيأتى في (٢ : ٢٢٠) .

(٣) البيت منسوب إلى ابن أدهم في العقد (٢ : ١١٥) وعيون الأخبار (٢ : ٣٣٠) . وانظر
محاسن البهيقي (٢ : ٤٧) والحيوان (٦ : ٥٠٦) .

٢٠ (٤) هـ عن نسخة : « الرعية » .
(٥) هو أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني الكوفي ، كان رأساً في الإرجاء ،
اختلف في توثيقه . توفى سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب .

(٦) هو أبو الجراح عبد الله بن عيَّاش بن عبد الله الهمداني الكوفي ، المعروف بالمنتوف ، روى
عن الشعبي وغيره ، وروى عنه الهيثم بن عدي ، وكان راوية للأخبار والآداب ، وكان يتادم المنصور
ويضحكه . لسان الميزان (٣ : ٣٢٢) . ٢٥

- « إني والله ما أدع حقاً لله لشكايه تظهر ، ولا لضبّ يُحتمل ^(١) ، ولا لحبابة بشرٍ ، وإنك والله ما عاقبت من عصي الله فيك بمثل أن تُطيع الله فيه » .
- ١٥٧ قال : وكتب عمرُ بن الخطاب إلى سعد أبي وقاص ^(٢) : « يا سعد سعد بني أهيب ^(٣) ، إن الله إذا أحبَّ عبداً حبَّبه إلى خلقه ، فاعتبرْ منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن مالك عند الله مثل ما لله عندك » .
- قال : ومات ابنُ لُعمَرَ بنِ ذَرِّ فقال : « أئى بُنئى ، شغلنى الحزنُ لك ، عن الحزن عليك » .
- وقال رجلٌ من بني مُجاشع : جاء الحسنُ في دم كان فينا ، فخطب ^(٤) فأجابه رجلٌ فقال : قد تركتُ ذلك لله ولوجهكم . فقال الحسن : لا تقل هكذا ، بل قل : لله ثم لوجهكم . وآجرك الله .
- ١٠ وقال : ومَرَّ رجلٌ بأبى بكرٍ ومعه ثوبٌ ، فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا عافاك الله . فقال أبو بكرٍ رضى الله عنه : لقد علّمت ^(٥) لو كنتم تعلمون . قل : لا ، وعافاك الله .
- قال : وسأل عمرُ بنُ الخطاب رجلاً عن شيء فقال : الله أعلم . فقال عمر : لقد شقينا إن كنّا لا نعلم أن الله أعلم . إذا سُئِلَ أحدكم عن شيء
- ١٥ لا يعلمه فليقل : لا أدري ^(٦) .

(١) الضب ، بالفتح والكسر : الفيظ والحقد . فيما عدل : « لضب » . وأشير في حواشى هـ إلى رواية « لضب » عن نسخة .

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب - ويقال وهيب - بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى ، أحد العشرة وآخرهم موتاً ، وهو كذلك أحد الستة أهل الشورى . وله عمر الكوفة ثم ولاة عثمان ، ثم عزله بالوليد بن عقبة . توفى بالمدينة سنة ٥٥ الإصابة ٣١٨٧ .

(٣) ل ، هـ : « وهيب » والخبر في رسائل الجاحظ (١ : ٢٩٥) .

(٤) فيما عدل : « جاء الحسن يخطب في دم فينا » . لكن في هـ : « كان الحسن » .

(٥) ل : « فقال قد علمته » .

(٦) فيما عدل : « لا علم لى » .

وكان أبو الدرداء يقول : أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى أَنْ أَظْلِمَهُ مَنْ لَا يَسْتَعِينُ عَلَى
بِأَحَدٍ إِلَّا بِاللَّهِ .

وذكر ابن ذَرٍّ (١) الدنيا فقال : كَأَنْكُمْ زَادَكُمْ (٢) فِي حِرْصِكُمْ عَلَيْنَا ذَمُّ اللَّهِ لَهَا .
ونظر أعرابيٌّ إلى مالٍ له كثيرٍ ، من الماشية وغيرها ، فقال : « يَنْعَةُ ،
ولكل يَنْعَةُ استَحْشَاف (٣) » . فباع ما هُناك مِنْ ماله ، ثُمَّ يَمُّ (٤) ثَغْرًا عَنْ
ثَغُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فلم يَزَلْ به حتى أَتَاهُ الْمَوْتُ (٥) .

قال : وَتَمْنَى قَوْمٌ عِنْدَ يَزِيدَ الرَّقَاشِي (٦) ، فقال : أَتَمْنَى كَمَا تَمْنَيْتُمْ ؟ قالوا :
تَمْنَى . قال : « لَيْتَنَا لَمْ نُخْلَقْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ خُلِقْنَا لَمْ نَعْصِ ، وَلَيْتَنَا إِذْ عَصَيْنَا لَمْ
نَمُتْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ مِتْنَا لَمْ نُبْعَثْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ بَعَثْنَا لَمْ نُحَاسِبْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ حُوسِبْنَا لَمْ
نَعْدُبْ ، ، وَلَيْتَنَا إِذْ عُدِّبْنَا لَمْ نُخَلَّدْ » .

وقال الْحَجَّاج : « لَيْتَ اللَّهِ إِذْ خَلَقَنَا لِلْآخِرَةِ كَفَانَا أَمَرَ الدُّنْيَا ، فَرَفَعَ عَنَّا
الْهَمَّ بِالْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَنْكَحِ . أَوْ لَيْتَهُ إِذْ أَوْقَعَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَفَانَا
أَمَرَ الْآخِرَةِ ، فَرَفَعَ عَنَّا الْإِهْتِمَامَ بِمَا يَنْجِي مِنْ عَذَابِهِ » .

فبلغ كلاهما عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ بْنُ حَسَنٍ ، أَوْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ،
فقال : مَا عَلِمَا (٧) فِي التَّمْنَى شَيْئًا ، مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ (٨) .

وقال أبو الدرداء : مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، ١٥٨
وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا .

(١) هو عمر بن ذر ، المترجم في ص ٢٦٠ .

(٢) هذا ما في هـ . وفي ل : « كَأَنَّهُ زَادَ » وفي سائر النسخ : « كَأَنَّمَا زَادَكُمْ » .

(٣) الاستحشاف : اليبس والتقبض . ل : « استحفاف » تحريف .

(٤) فيما عدل : « لزم » .

(٥) فيما عدل : « حتى مات فيه » .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٢٠٤ .

(٧) ل : « ما عملا » .

(٨) كلمة « فهو » مما عدل .

قال شُريح^(١) : « الحِذَّة كناية عن الجَهْل » .

وقال أبو عُبيدة : « العارضة كناية عن البِذاء »^(٢) .

قال : وإذا قالوا فلانٌ مقتصدٌ فتلك كناية عن البخل ، وإذا قالوا للعامل مستقص فتلك كناية عن الجور .

وقال الشاعر^(٣) ، أبو تمام الطائي :

كَذَبْتُمْ لَيْسَ يُزْهَى مَنْ لَهُ حَسْبُ وَمَنْ لَهُ نَسَبٌ عَمَّنْ لَهُ أَدْبُ
إِنِّي لَذُو عَجَبٍ مِنْكُمْ أَرَدَدُهُ فِيكُمْ ، وَفِي عَجَبِي مِنْ زَهْوِكُمْ عَجَبُ
لَجَاجَةٌ لِي فِيكُمْ لَيْسَ يَشْبَهُهَا إِلَّا لِحَاجَتُكُمْ فِي أَنْكُمْ عَرَبُ
وَقِيلَ لِأَعْرَابِيَّةٍ مَاتَ ابْنُهَا : مَا أَحْسَنَ عَزَاءَكَ عَنْ ابْنِكَ ؟ قَالَتْ : إِنَّ

مَصِيبَتُهُ أَمْتَنِي مِنَ الْمَصَائِبِ بَعْدَهُ .

قال : وقال سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله لطُؤيس المَعْنَى^(٤) : أَيْنَا
أَسْنُ أَنَا أَمْ أَنْتَ يَا طَاوُسُ^(٥) ؟ قال : « بَأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي ؛ لَقَدْ شَهِدْتُ زِفَافَ أَمْلِكِ
الْمُبَارَكَةِ إِلَى أَبِيكَ الطَّيِّبِ^(٦) » . فَاَنْظُرْ إِلَى حِذْقِهِ وَإِلَى مَعْرِفَتِهِ بِمَخَارِجِ الْكَلَامِ ،

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندي الكوفي القاضي ، كان من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، استقصاه عمر على الكوفة ، ثم عثمان ، وأقره على ، وكان يقول له : أنت أفضى العرب ، وولاه زياد قضاء البصرة . توفي سنة ٧٢ . الإصابة ٣٨٧٥ ، وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٢٠) ، والمعارف ١٩١ ، وابن خلكان .

(٢) العارضة : القدرة على الكلام . والبذاء ، كسحاب : الفحش .

(٣) فيما عدل : « وقال حبيب بن أوس الشاعر » .

(٤) طؤيس لقب غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، مولى بني مخزوم . وطؤيس هذا ، هو الذي يقال فيه « أشأم من طؤيس » ؛ وذلك أنه - كما يقولون - ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبي بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل علي . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع . عمر طؤيس حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك . الأغاني (٣ : ١٦٤ - ١٧٢) وثمار القلوب ١١٤ .

(٥) فيما عدل : « طؤيس » . وفي ثمار القلوب : « وكان يسمى طاووسا ، فلما نخثت سمي بطؤيس » .

(٦) انظر الخبر في الحيوان (٤ : ٥٨) .

كيف لم يقل : زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك . وهكذا كان وجهه الكلام فقلّب المعنى .

قال : وقال رجلٌ من أهل الشام : كنت في حلقة أئى مُسهر^(١) ، في مسجد دمشق ، فذكرنا الكلامَ وبراعته ، والصمتَ ونبالته ، فقال : كَلَّا إن التَّجْم ليس كالقمر ، إنك تصِفُ الصمتَ بالكلام ، ولا تصف الكلام بالصمت .
وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيباً : يا بني إذا قللت من الكلام أكثر من الصواب ، وإذا أكثر من الكلام أقللت من الصواب . قال : يا أبة ، فإن أكثر وأكثرت ؟ - يعنى كلاماً وصواباً - قال : يا بُنى ، ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك !

قال : وقال ابن عباس : « لولا الوسواسُ ، ما باليتُ ألا أكلم الناس » .
قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « ما تستبقوه^(٢) من الدنيا تجدوه في الآخرة » .
وقال رجلٌ للحسن : إني أكره الموت . قال : ذاك أنك أتحرت مآلك ، ولو قدّمته لسرّك أن تُلحق به .

قال : وقال عامر بن الظرب العدواني^(٣) « الرأى نائمٌ ، والهوى يقظان ؛ فمن هُنالك يغلبُ الهوى الرأى^(٤) » .

(١) هو أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى الدمشقي الغساني ، وهو أحد من أشخص من دمشق إلى المأمون فامتحنه في خلق القرآن ، فلما دعي له بالسيف قال : مخلوق ! فأمر بإشخاصه إلى بغداد فحبس بها ومات سنة ٢١٨ . ومولده سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٤٦) وتاريخ بغداد ٥٧٥٠ .

(٢) فيما عدل : « ما تستبقوا » . والاستبقاء : ترك البقية . ٢٠

(٣) عامر بن الظرب العدواني ، أحد حكام العرب في الجاهلية ، قالوا : عمر مائتي سنة ، وفيه يقول ذو الإصبع العدواني :

ومنا حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى

انظر المعمرين ٤٤ - ٥٠ وأمثال الميداني في : « إن العصا قرعت لذى الحلم » .

(٤) انظر الخير في المعمرين ٤٨ - ٤٩ . هـ : « فمن هناك » . ٢٥

وقال : مكتوب في الحكمة : « اشكُرْ لمن أنعمَ عليك ، وأنعمْ على من شكر لك » .

وقال بعضهم ^(١) : « أيها الناس ، لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ماتسمعون منا » .

وقال عبدُ الملك على المنبر : « ألا تُنصفوننا يا معشرَ الرعية ؟ تريدون منا سيرةً أرى بكر وعمر ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا بسيرة رعية أرى بكر وعمر ، أسأل الله أن يعين كلاً على كل » .

وقال رجلٌ من العرب : « أربعٌ لا يشبَّعن من أربعة : أنثى من ذكر ، وعينٌ من نظر ، وأرضٌ من مطر ، وأذنٌ من خبر » .

قال : وقال موسى ﷺ لأهله : ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فقال بعضُ المعترضين : فقد قال : ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ . فقال أبو عقيل ^(٢) : « لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ، ومن الجائع المَقْرور »

وقال ليلى بن ربيعة :

ومقام ضيقي فرجته ببيان ولسانٍ وجدلٍ ^(٣)
لو يقوم الفيلُ أو فياله زلٌّ عن مثلٍ مقامي وزحلٍ
ولدى النعمان مئى موطنٍ بين فائورٍ أفاقٍ فالدحلِ ^(٤)

(١) فيما عدل زيادة « وهو أبو الدرداء » .

(٢) الراجع أنه أبو عقيل السواق . انظر الحيوان (٤ : ٧/٢٠٦ : ٢٠٤) .

(٣) الأبيات من قصيدة طويلة في ديوانه ١١ - ١٧ طبع ١٨٨١ .

(٤) فائور : موضع أو واد بنجد . وأفاق ، بالضم : موضع في بلاد بني يربوع . وأنشد ياقوت

البيت في الموضعين . والدحل : ماء بنجد . هـ : « فالدحل » .

إِذْ دَعَنْتَنِي عَامِرٌ أَنْصَرُّهَا فَالتَقَى الْأَسْنُ كَالثَّبَلِ الدَّوْلُ (١)
 فَرَمِيَتْ الْقَوْمَ رِشْقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْعُصْلِ وَلَا بِالْمُقْتَعِلِ (٢)
 فَانْتَضَلْنَا وَابْنُ سَلَمَى قَاعِدٌ كَعَتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضِي وَيُجَلِّ (٣)
 وَقِيلَ مِنْ لُكَيْزٍ شَاهِدٌ رَهْطٌ مَرْجُومٌ، وَرَهْطُ ابْنِ الْمُعَلِّ (٤)
 وَقَالَ لَبِيدٌ أَيْضًا (٥)

وَأَبْيَضَ يَجْتَابُ الْحُرُوقَ عَلَى الْوَجَى خَطِيبًا إِذَا التَّفَّ الْمَجَامِعُ فَاصِلًا (٦)

يجتاب : يفتعل من الجَوْب ، وهو أن يجوب البلاد ، أى يدخل فيها
 ويقطعها . والخُرُوق : جمع خَرَق ؛ والخَرَق : الفلاة الواسعة . والوَجَى : الحَفَا ، ١٦٠
 مقصور كما ترى ؛ وأنه ليتوَجَّى في مشيته ، وهو وَجَج . وقال رؤبة :
 * به الرِّذَايَا مِنْ وَجَجٍ وَمُسْقَطٍ (٧) *

(١) النبل : السهام . والدول ، بالتحريك : المتداول .
 (٢) الرشق : أن يرمى الرامى بالسهم كلها . أى ليس رمى بالعصل من السهام ، وهى
 الموجعة . والمقتعل من السهام : الذى لم يبر برىاً جيداً . والبيت فى اللسان (عصل ، قتل) برواية :
 « المقتعل » ، وفى (قتل) برواية البيان .
 (٣) ابن سلمى هو النعمان بن المنذر . جاء فى الحيوان (٤ : ٣٧٧) : « وأم النعمان سلمى
 بنت الصائغ ، يهودى من أنباط الشام » . وحلى ببصره تحلية ، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد .
 انظر اللسان (٢٠ : ١٦٤) والحيوان (٧ : ٤٧) .
 (٤) لكيز بن أفضى بن عبد القيس . ومرجوم ، بالجيم ، اسمه شهاب بن عبد القيس . قال ابن دريد :
 « وإنما سمي مرجوماً لأنه نافر رجلاً إلى النعمان فقال له النعمان : قد رجعتك بالشرف . فسمى مرجوماً » .
 الاشتقاق ٢٠١ . وابن المعل ، وهو الجارود بن المعل ، كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول وفى عبد القيس
 الأخير سنة عشر ، وأسلم وحسن إسلامه الإصابة ١٠٣٨ والحيوان (١ : ٣٢٧) . والبيت لم يرو فى ديوان لبيد .
 (٥) ب : « وقال » فقط . ح والتميمورية : « وقال لبيد » .

(٦) ديوان لبيد ٢٦ طبع ١٨٨١ . ل : « فيصلا » تحريف . التميمورية والديوان : « فاضلا »
 بالمعجمة . والوجه ما أثبت من ب ، ج . وقبل البيت :

ولن يعدموا فى الحرب ليثا محجراً وذا نزل عند الرزية باذلاً

(٧) التفسير بعد البيت السابق إلى كلمة « الواسعة » من ل . وما بعدها إلى هنا من ل فقط .
 والبيت من أرجوزة رواها أبو عمرو والأصمعى لرؤبة ، ورواها ابن الأعرابى للعجاج . ديوان رؤبة ٨٣ .

وقال أيضاً لييد (١) :

لو كان حىً فى الحياة مَحْلَدًا فى الدَّهر أدركَه أبو يَكْسُوم (٢)
والحارثان كلاهما ومَحْرَقٌ أو تُبِعَ أو فارس اليعموم (٣)
فدعى الملامة ونَبَّ غيرِكِ إنَّه ليس النَّوَالُ يَلُومُ كُلَّ كَرِيم
ولقد بلوثُكِ وابتليتِ خَلِيقَتِي ولقد كفاكِ مُعَلِّمِي تعليمي
وله أيضاً :

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهم وبقيتُ فى خَلْفِ كَجِلْدِ الأَجْرِبِ
يتأكَّلُون مَعَالَةً وَخِيَانَةً ويُعاب قائلُهم وإن لم يَشْعَبِ
والخَلْفُ : البقية الصالحة من ولد الرجل وأهله . والخلف ضد هذا (٤) .

وقال زيد بن جندب ، فى ذكر الشَّعْبِ :
ما كان أغنى رجالاً ضَلَّ سَعْيُهُم عن الجدال وأغناهم عن الشَّعْبِ (٥)
وقال آخر (٦) فى الشَّعْبِ :
إني إذا عاقبتُ ذو عقابٍ وإن تشاغبتنى فذو شِعَابٍ

(١) فيما عدا ل : « وقال لييد » . وانظر ديوان لييد ٨٣ - ٨٤ طبع ١٨٨٠ .

(٢) أبو اليكسوم : كنية أبرهة ، الملك الحبشى صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة . وفى السيرة ٤١ جوتنجن : « فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ملك ابنه يكسوم بن أبرهة . وبه كان يكنى » . وانظر الحيوان (٧ : ١٠١) . وفى شرح الديوان : « أدركه ، الهاء للتخيليد » .
(٣) الحارثان ، هما الحارث الأكبر والحارث الأصغر ، ملكان من ملوك الغساسنة . محرق ، هو عمرو بن هند ملك الحيرة ، لأنه حرق بنى تميم . وهو كذلك لقب للحارث الأكبر الغسانى . انظر القاموس والعمدة (٢ : ١٧٩) . وفى شرح الديوان أنه ملك من ملوك اليمن . وفارس اليعموم ، هو النعمان بن المنذر . واليعموم : فرسه . انظر العمدة (٢ : ١٨٢) والخيل لابن الكلبي ٣١ ونهاية الأرب (١٠ : ٤٥) .
وبدل هذا البيت وتاليه فيما عدا ل :

بكتائب خرس تعود كيشها نطح الكباش شبيهة بنجوم

(٤) هذا التفسير فى ل فقط .

(٥) انظر ما سبق ص ٤٢ . ل : « ضل شغيم » ل ، هـ : « عن الخطب » .

(٦) هو لقيط بن زرارة ، كما سيأتى فى (٢ : ١٧٠) .

وقال ابن أحرمر بن العَمَرِد (١) :

وَكَمْ حَلَّهَا مِنْ تَيْحَانٍ سَمِيدٍ مُصَافِي التَّنْدَى سَاقٍ بَيْنَهُمَا مُطْعِمٌ (٢)

- التَّيْحَانُ : الذى يعرض فى كل شئ لِيُغْنَى فيه . والسَّمِيدُ :

الكريم . والتَّنْدَى : السخاء . والهيماء : الأرض التى لا يَهْتَدَى فيها لطريق (٣) -

طَوَى البطنَ مِثْلَافٍ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا عَلَى الْأَمْرِ غَوَاصٍ وَفَى الْحَى شَيْظِمٌ (٤)

وقال (٥) :

هَلْ لَأَمْنَى قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سَائِلٍ أَوْ فِى مَخَاصِمَةِ اللَّجُوجِ الْأُصَيْدِ

الأُصَيْدِ : السَّيِّدُ الرَّافِعُ رَأْسَهُ ، الشَّامِخُ بِأَنْفِهِ (٦) .

١٦١

وقال فى التطبيق :

فَلَمَّا أَنْ بَدَا الْقَعْقَاعُ لَجَّثَ عَلَى شَرِكٍ تُنَاقِلُهُ نِقَالًا (٧)

١٠

تَعَاوَزَ الْحَدِيثَ وَطَبَّقْتَهُ كَمَا طَبَّقْتَ بِالنَّعْلِ الْمِثَالَا

قال : وهذا التطبيق غير التطبيق الأول . وقال آخر (٨) :

لَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِي بِالْعِلْمِ بَعْدَ تَذُبُّرِ الْأَمْرِ

(١) هو ابن أحرمر الباهلى ، واسمه عمرو بن أحرمر بن العمرد بن عامر بن عمرو بن عبد بن فراض .

١٥ من شعراء الجاهلية الذين أدرکوا الإسلام ، أسلم وغزا مغازى فى الروم ، ونزل الشام ، وتوفى على عهد عثمان . الإصابة ٦٤٦٠ والخزانة (٣ : ٣٨) والمؤتلف ٣٧ .

(٢) التَّيْحَانُ ، بفتح التاء وتشديد الياء المفتوحة والمكسورة . وكان سيويه ينكر لغة الكسر .

(٣) هذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٤) رجل طو : خالى البطن جائع . والشَيْظِمُ : الطلق الوجه المش .

(٥) ل : « وقال آخر » تحريف ، فإن البيت لابن أحرمر ، كما سيأتى صريحا فى (٢ : ١٧١) .

٢٠

(٦) هذا التفسير من ل فقط .

(٧) القَعْقَاعُ : طريق يأخذ من الإمامة إلى البحرين ، كان فى الجاهلية . والشرك : الطرق التى

تخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تراها وربما انقطعت ، غير أنها لا تخفى عليك . والمناقلة : سرعة نقل

القوائم . وضير « تناقله » للنقل ، كما فى : « فإنى أعذبه عذابا » .

(٨) هو ابن أحرمر الباهلى ، كما سبق فى ص ٥ .

٢٥

يعنى إدبار الأمر ^(١) .

وقال المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة :

قال لقمان لابنه : « أئى بُنىّ ، إئى قد ندمت على الكلام ، ولم أنتم

على السكوت » . وقال الشاعر :

ما أن ندمت على سكوتي مرةً ولقد ندمت على الكلام مراراً ٥

وقال الآخر ^(٢) :

خَلُّ جَنبِكَ لَرَامٍ وَاَمْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ

مُتْ بَدَاءَ الصَّمْتِ خَيْرَ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

إِنَّمَا الْمُسْلِمُ مَنْ أَلَّ حَجَمَ فَاهُ بِلِجَامٍ ^(٣)

وقال الآخر ^(٤) فى الاحتراس والتحذير :

اخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بَلِيلَ وَالتَفَتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ

وقال آخر فى مثل ذلك :

لَا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ مَا فِي الضُّمِيرِ لَهُمْ مِنْ ذَاكَ يَكْفِينِي ^(٥)

وقال حمزة بن بيض ^(٦) :

لَمْ يَكُنْ عَنْ جَنَائِي لِحَقَّتْنِي لَا يَسَارَى وَلَا يَمِينَى جَنَّتْنِي ١٥

بَلْ جَنَّاها أَخٌ عَلَى كَرِيمٍ وَعَلَى أَهْلِها بَرِاقُشُ تَجْنِي

(١) هذا الشرح من ل فقط .

(٢) هو أبو نواس ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٧) .

(٣) فى عيون الأخبار : « إنما السالم » . والبيت ساقط من هـ .

(٤) هو أبان اللاحقى ، كما فى الحيوان (٥ : ٢٤١) . ٢٠

(٥) فيما عدل : « ما فى ضميرى لهم منى سيكفينى » . وأشير فى هـ إلى رواية « من ذاك » .

(٦) حمزة بن بيض الحنفى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كوفى خليف ماجن . وكان

منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة ، واكتسب بشعره مالا عظيماً بلغ ألف ألف درهم . الأغاني (١٥ : ١٤ - ٢٥) والمؤتلف ١٠٠ . و « بيض » بكسر الباء .

انظر تحقيق ذلك فى شرح الحيوان (٥ : ٤٥٤) .

لأنّ هذه الكلبة ، وهى براقش ، نَبَحَتْ غَزَى ^(١) قَدْ مَرُّوا مِنْ وَرَائِهِمْ
وَقَدْ رَجَعُوا خَائِبِينَ مُخْفِقِينَ ، فَلَمَّا نَبَحَتْهُمْ اسْتَدَلُّوا بِنَبَاحِهَا عَلَى أَهْلِهَا
وَاسْتَبَاحُوهُمْ ، وَلَوْ سَكَتَتْ كَانُوا قَدْ سَلِمُوا . [فَضْرَبَ ابْنُ بَيْضَ بِهِ الْمَثَلَ ^(٢)] .
وَقَالَ الْأَخْطَلُ :

٥ تَنَقُّ بِلا شَيْءٍ شُيُوخَ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِى
ضَفَادِعَ فِي ظُلُمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَيْتَ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ ^(٣) ١٦٢
النَّقِيقُ : صِيَاحُ الضَّفَادِعِ .

وَقَالُوا : « الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعْلُهُ » .

وَقَالُوا : « اسْتَكْثَرَ مِنَ الْهَيْبَةِ صَامَتٌ » .

١٠ وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ كَلْبٍ طَوِيلِ الصَّمْتِ : بِحَقِّ مَا سَمِعْتُمْكَمُ الْعَرَبُ خُورَسَ
الْعَرَبِ . فَقَالَ : « أَسَكْتُ فَأَسْلَمْتُ ، وَأَسْمَعُ فَأَعْلَمْتُ » .
وَكَانُوا يَقُولُونَ : « لَا تَعْدِلُوا بِالسَّلَامَةِ شَيْئاً » .

وَلَا تَسْمَعِ النَّاسَ يَقُولُونَ : جُلِدَ فُلَانٌ حِينَ سَكَتَ ، وَلَا قُتِلَ فُلَانٌ حِينَ
صَمِتَ ^(٤) وَنَسْمَعُهُمْ يَقُولُونَ : جُلِدَ فُلَانٌ حِينَ قَالَ كَذَا ، وَقُتِلَ حِينَ قَالَ كَذَا وَكَذَا .
١٥ وَفِي الْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ : « رَجِمَ اللَّهُ مَنْ سَكَتَ فَسَلِمَ ، أَوْ قَالَ فَغْنِمَ » .
وَالسَّلَامَةُ فَوْقَ الْغَنِيمَةِ ؛ لِأَنَّ السَّلَامَةَ أَصْلٌ وَالْغَنِيمَةُ فَرْعٌ .

(١) غَزَى : جَمْعُ غَازٍ . فِيمَا عَدَا لَ : « إِنَّمَا نَبَحَتْ غَزِيَا » . وَالْغَزَى : جَمْعُ غَازٍ أَيْضاً ، مِثْلُ نَادٍ وَنَدَى ، وَنَاجٍ وَنَجَى .

(٢) بِهِ ، أَيْ بِذَلِكَ . وَهَذِهِ التَّكْمِلَةُ مِمَّا عَدَا لَ .

(٣) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِ الْأَخْطَلِ ١٣٢ . وَانْظُرِ الْخَيَوَانَ (٣ : ٢٦٨ / ٤ : ٢٤٠ / ٥ : ٥٣٢) . ٢٠

وَاللَّشْعَرُ قِصَّةٌ فِي الْعَقْدِ (٢ : ١٤) وَمُعَاهَدَةُ التَّنْصِيفِ (٢ : ١٩٩) وَالْكَنَايَاتُ ٧٢ .

(٤) فِيمَا عَدَا لَ : « صَمِتَ » مَوْضِعٌ « سَكَتَ » وَبِالْعَكْسِ فِيمَا بَعْدَهُ .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِغَ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ ، تَخَلَّلَ الْبَاقِرَةُ ^(١) بِلِسَانِهَا » .

وقيل : « لو كان الكلام من فِضَّة ، لكان السُّكُوت من ذهب ^(٢) » .

قال صاحب البلاغة والخطابة ، وأهل البيان وَحُبُّ التَّبَيُّنِ ^(٣) : إِنَّمَا

- عاب النبي ﷺ المتشادقين والثَّرَّارِينَ والذي يتخلل بلسانه تَخَلَّلَ الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا ،
والأعرأى المتشادق ، وهو الذي يصنعُ بفكِّهِ وبشِدْقِهِ ما لا يستجيزه أهل الأدب
مِنْ خطباء أهل المدر ؛ فمن تكلف ذلك منكم فهو أَعْيَبُ ، والذَّمُّ له أَلَزَمُ .

وقد كان الرَّجُلُ من العرب يَقِفُ الموقِفَ فيرسلُ عدَّةَ أمثالٍ سائرة ، ولم
يكن النَّاسُ جميعاً لِيَتَمَثَّلُوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع ^(٤) . ومدار العلم

- على الشَّاهِدِ والمَثَلِ . وإِنَّمَا حُتُّوا على الصَّمْتِ لَأَنَّ العامَّةَ إلى معرفة خطأ القول ،
أَسْرَعُ منهم إلى معرفة خطأ الصَّمْتِ . ومعنى الصامت في صَمْتِهِ أخفى من
معنى القائل في قوله ؛ وإلَّا فَإِنَّ السُّكُوتَ عن قول الحقِّ في معنى التَّنَطُّقِ
بالباطل . ولعمري إِنَّ النَّاسَ إلى الكلام ^(٥) لَأَسْرَعُ ؛ لَأَنَّ في أصل التركيب أَنَّ
الحاجة إلى القول والعمل أَكْثَرُ من الحاجة إلى ترك العمل ، والسُّكُوتِ عن
جميع القول . وليس الصَّمْتُ كله أَفْضَلُ من الكلام كله ، ولا الكلام كله أَفْضَلُ
من السُّكُوتِ كله ، بل قد علمنا أَنَّ عامَّةَ الكلام أَفْضَلُ من عامَّةِ السُّكُوتِ .
وقد قال الله عز وجل : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّحْرِ ﴾ . فجعل

سَمَعَهُ وَكَذِبَهُ سواء . وقال الشاعر :

بَنَى عَدِيَّ أَلَا يَا ائْتَهُوا سَفِيهَكُمْ إِنَّ السَّفِيهَ إِذَا لَمْ يُنْهَ مَأْمُورٌ ^(٦)

(١) المعروف في جمع بقر الباقِر والبِقُور والبِقُور والبِقُور والبِقُور والبِقُور . هـ : « كما تتخلل الباقرة » . ٢٠

(٢) فيما عدا ل : « إِنَّ كان الكلام ... فالسُّكُوت » .

(٣) ما عدا هـ : « التَّبَيُّن » .

(٤) المرفق ، كمنبر ومجلس ومسكن : ما استعينَ به . (٥) ل : « كلامهم » .

(٦) يا ائْتَهُوا ، هو من حذف المتأدى ، أَى يا قوم ائْتَهُوا . فيما عدا ل ، هـ : « أَلَا يَنْهَى » .

وقال آخر (١) :

فإن أنا لم أُمِر ولم أُنه عنكما ضَحِكْتُ له حتَّى يلجَّ ويستشري
وكيف يكون الصَّمْتُ أنْفَعَ ، والإيثارُ له أَفْضَلُ (٢) ، ونفعُه لا يكاد
يجاوز رأسَ صاحبه ، ونفع الكلام يُعمَّ ويخصَّ ، والرُّوَاةُ لم تزوِ (٣) سكوت
الضامتين ، كما روث كلامَ الناطقين ، وبالكلام أرسلَ الله أنبياءَه لا بالصَّمْتُ ،
ومواضع الصَّمْتُ المحمودَة قليلة ، ومواضع الكلام المحمودَة كثيرة ، وطولُ
الصَّمْتُ يُفسد اللسان (٤) .

وقال بكر بن عبد الله المزني (٥) : « طول الصَّمْتُ حُبْسَة » كما قال
عمر بن الخطاب رحمه الله : « تَرَكَ الحِرْكَه عَقْلَةً » .
وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطرُه ، وتبلَّدَتْ نَفْسُه ، وفسدَ جسُّه .
وكانوا يروون صبيائهم الأرجاز ، ويعلمونهم المُتَاقِلَات ، ويأمرونهم بَرَفْعِ
الصَّوْتِ وتحقيق الإعراب ؛ لأنَّ ذلك يفتق اللُّهَاء ، ويفتح الجِرم (٦) .
واللسان إذا أَكثَرَتْ تَقْلِيه رَقٌّ ولانَ ، وإذا أَقَلَّتْ تَقْلِيه وَأَطَلَّتْ إِسْكَاتُه
جَساً وغلظ (٧) .

وقال عَبَّايَةُ الجُفُفَى (٨) : « لولا الذُّرْبَةُ وسوءُ العادة لأمرْتُ فتياننا (٩) أن
يُمَارِىَ بعضهم بعضاً » .

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . انظر الحيوان (١ : ١٤) وأمالى المرتضى
(٢ : ٦٠) وثلث ١٧ .

(٢) ل : « ولا يقال له أَفْضَلُ » ، تحريف .

(٣) فيما عدا التيمورية : « لم يرووا » .

(٤) فيما عدا ل : « البيان » .

(٥) تقدمت ترجمته في ص ١٠٠ .

(٦) الجرم ، بالكسر : الخلق .

(٧) ل : « إِسْكَاتُه » : بالتاء . جساً : ييس وصلب .

(٨) أورد له في الحيوان (٥ : ١٩٠) : « ما سَرَّنِي بنصيبِي من المني حمر النعم » .

(٩) ل : « فتياني » .

وأية جارية منعها الحركة ، ولم تمرنها على الاعتمال ، أصابها من التعقد
على حسب ذلك المنع . ولم قال رسول الله ﷺ للتابعة الجعدى :
« لا يَفْضُضُ اللهُ فاك » ؟ ولم قال لكعب بن مالك : « ما نَسِيَ اللهَ لك
مقالك ذلك ^(١) » ؟ ولم قال لهيذان بن شيخ ^(٢) : « رَبُّ خطيب من
عَبَسَ » ؟ ولم قال لحسان : « هَيَّجَ الغطاريف على بنى عبد مناف ^(٣) ، والله
لَشِعْرُكَ أَشَدُّ عليهم من وَقَع السُّهَام ، فى عَبَسَ الظَّلَام ^(٤) » ؟
وما نَشَكُّ أَنَّهُ عليه السلام قد نَهَى عن المراء ، وعن التزُّيد والتكُّلف ،
وعن كُلِّ ما ضارَعَ الرِّياء والسُّمعة ، والنَّفَجَ والبَذخ ^(٥) ، وعن التَّهاتر
والتَّشاعُب ، وعن المماناة والمغالبة ^(٦) . فأَمَّا نَفْسُ البيان ، فكيف يَنْهَى عنه .
وأَيِّن الكلام كلامُ الله ، وهو الذى مَدَحَ التَّيِّين وأهل التفصيل ^(٧) وفى ١٠
هذا كفاية إن شاء الله .

وقال دَغْفَل بن حنظلة : إِنَّ للعلم أربعة ^(٨) : آفة ، ونكدأ ، وإضاعة ،
واستجاعة . فأَفَتُهُ النِّسيان ، ونكده الكَذِب ، وإضاعته وَضْعُهُ فى غير
موضعه ، واستجاعته أَتَكَ لا تشيع منه .
وإِنَّمَا عاب الاستجاعة لسوء تدبير أَكْثَرِ العلماء ، ولخُرْقِ سياسة أَكْثَرِ
الرُّوَاة ؛ لأنَّ الرُّوَاة إِذَا شَغَلُوا عقولهم بالازدياد والجمع ، عن تحفُّظ ما قد حَصَّلوه ،

(١) الكلمة الأخيرة ليست فى ل .

(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة ٩٠٢٧ برسم « هيدان بن سنج العبسى » . وأورد له هذا الخبر
الذى رواه الجاحظ ثم قال : « ولم يتحرر لى ضبط والده » .

(٣) الغطاريف : أصله السيد الشريف . فى الأصول ما عدا هـ : « من بنى » . وما أثبت من هـ
يطابق ما فى العثمانية للجاحظ ٢٤ . وانظر ما كتبت فى حواشيا من تحقيق .

(٤) الغبش : شدة الظلمة . ل . والمعدة : « غلس الظلام » . وهى ظلمة آخر الليل .

(٥) النفج ، بالفتح ، والبذخ بالتحريك ، هما بمعنى الكبر .

(٦) المماناة : المعارضة فى الجدل والخصومة .

(٧) فيما عدا ل : « التفضيل » ، بالضاد المعجمة ، تصحيف . ٢٥

(٨) فيما عدا ل : « أربعة » . وانظر الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ .

وتدبر ماقد دُونَهُ ، كان ذلك الازدياد داعياً إلى النقصان ، وذلك الرّيح سبباً
للخُسران . وجاء في الحديث : « منهومان لا يشبعان : منهم في العلم ، ومنهم
في المال » .

وقالوا : علّم علّمك ، وتعلّم علم غيرك ، فإذا أنت قد علمت ما جهلت ،
وحفظت ما علمت . ٥

وقال الخليل بن أحمد : اجعل تعلمك دراسةً لعلمك ، واجعل مناظرة
المتعلّم تنبيهاً على ما ليس عندك .

وقال بعضهم - وأظنه بكر بن عبد الله المزني - : لا تكثروا هذه
القلوب ولا تهملوها ؛ فخير الفكر ما كان عقيب الجَمَام ^(١) ، ومن أكره
بصره عشي . وعادوا الفكرة ^(٢) عند ثبوت القلوب ، واشحذوها بالمذاكرة ،
ولا تياسوا من إصابة الحكمة إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق ؛ فإن من أدام
قرع الباب ولج .

وقال الشاعر :

إذا المرء أعيته السيادةُ ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديد ^(٣)
وقال الأحنف : « السؤدد مع السواد » . وتقول الحكماء : « من لم
ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يبلغ فيها » . وأنشد ^(٤) :

ودون الندى في كل قلب ثنية لها مصعدٌ حزن ومنحدر سهل ^(٥)
وودّ الفتى في كل نيل يُنبيله إذا ما انقضى ، لو أن نائله جزل

(١) فيما عدل ، هـ : « فخير الكلام » . والجمام ، كسحاب : الراحة .

(٢) فيما عدل : « الفكر » .

(٣) فيما عدل : « أعيته المروءة » .

(٤) ل : « وأنشد قول الشاعر » . وهو إسحاق الخرمي كما في الشعراء ٨٣٣ وزهر الآداب (٤) :

(٢٠١) وما سيأتي في (٢ : ٣٥٢) . وانظر الحيوان (٢ : ٩٥) .

(٥) ل : « ودون العلى » ، وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الحيوان .

وقال الهذلي^(١) :

وإن سيادة الأقيام فاعلم لها صعداء مطلبها طويل^(٢)
أترجو أن تسود ولا تُعنى وكيف يسود ذو الدعة البخيل^(٣)

١٦٥ صالح بن سليمان ، عن عتبة بن عُمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : « ما رأيتُ عُقول الناس إلا وقد كادَ يتقاربُ بعضها من بعض^(٤) ، إلا ما كان من الحجاج وإياس بن معاوية ، فإن عقولهما كانت تُرجحُ على عقول الناس » .

أبو الحسن قال : سمعت أبا الصُّغْدِي^(٥) الحارثي يقول : كان الحجاج أحق ، بنى مدينة واسط في بادية التَّبَط ثم حماهم دخولها^(٦) . فلما مات دلفوا إليها من قريب .

وسمعتُ قحطبة الحُشْنِي^(٧) يقول : كان أهل البصرة لا يشكون أنه لم يكن بالبصرة رجلٌ أعقل من عُبيد الله بن الحسن^(٨) ، وعُبيد الله بن سالم .

وقال معاوية لعمر بن العاصي : إن أهل العراق قد قرئوا بك رجلاً طويلاً اللسان ، قصير الرأي ، فأجد الحَزَّ وطَبَّقَ المَفْصِلَ ، وإياك أن تلقاه برأيك كله .

(١) هو حبيب بن عبد الله الهذلي ، المعروف بالأعلم . انظر ديوان الهذليين ٦٠ - ٦١ نسخة الشنقيطي ، وشرح الهذليين السكري ٦٣ - ٦٤ .

(٢) وكذا روى في شعر الهذليين وعيون الأخبار (١ : ٢٢٦) . ورواه في الحيوان (٢ : ٩٥) برواية : « وإن سياسة » ، وكذا في اللسان (صعد) . والصعداء : الأكمة يشتد صعودها على الراق .

(٣) فيما عدل : « ولن تعنى » ، تحريف : وهذا البيت لم يرد في ديوان الهذليين .

(٤) فيما عدل : « إلا قريباً بعضها من بعض » وهو ما سبق في ص ١٠٠ س ١ .

(٥) ب والتمورية : « الصفري » ج : « الصفري » وأثبت ما في ل ، ه وسيميد الجاحظ هذا الخبر

في (٤ : ١٨) .

(٦) سيأتي : « ثم قال لهم لا تدخلوها » وهو رواية ما عدل هنا .

(٧) الحشني : نسبة إلى خشين بن نمر بن وبرة بن تغلب . فيما عدل : « الجشمي » .

(٨) تقدمت ترجمته في ص ١٢٠ . ل : « عبد الله » تحريف .

باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن
الموجز المحذوف ، القليل الفضول

قال الشاعر (١) :

لها بَشْرٌ مثلُ الحريرِ ومنطقٌ رقيقُ الحواشي لا هراءَ ولا نَزْرُ (٢)

وقال ابن أحرر :

تَضَعُ الحديثَ على مواضعه وكلامُها من بعده نَزْرُ

وقال الآخر :

حديث كطعم الشَّهيد حلو صدوره وأعجازه الخطبان دون المحارم (٣)

وقال بشار بن برد :

أَنْسُ غرائرُ ما هَمَمَنْ بِرِيَّةٍ كُطِّبَاءُ مَكَّةَ صِيْدُهُنَّ حَرَامُ ١٠
يُحَسِّنُ من أنس الحديث زوانياً ويصِدُّهُنَّ عن الحنا الإسلامُ

ولبشار أيضاً :

فَنَعِمْنَا والعَيْنُ حَيٌّ كَمَيِّتٍ بحديث كنشوة الخندريس

ولبشار أيضاً :

وَكأنَ رَفَضَ حديثها ١٥
وتخال ما جمعت عليه
وَكأنَ نَحَتْ لسانها
قَطَعُ الرِّياض كُسِين زَهراً (٤)
هـ ثيابها ذهباً وعطرا
هاروت ينفث فيه سحرا ١٦٦

(١) هو ذو الرمة . ديوانه ٢١٢ وأمالى القائل (١ : ١٥٤) واللسان (هراء) .

(٢) في الديوان : « دقيق الحواشي » . وفي الأملى وما عدل : « رقيم الحواشي » .

(٣) الخطبان ، بالضم : نيت شديد المرارة .

(٤) أنشده في اللسان (رفض) على أن الرفض . بمعنى الجانب . وفي أمالى القائل (١ : ٨٤) :

« وكأن رصف » .

وليشَار العَقِيلَى :

وفتاةٍ صُبَّ الجمالُ عليها بحديثٍ كلَّدة النشوانِ

وقال الأخطل :

فأسْرَيْنَ خمساً ثم أصبحن غُدوةً يُخْبِرُنَ أخباراً ألدَّ من الخمرِ (١)

وقال بشَّار :

وبِكْرِ كَنْوَارِ الرِّياضِ حديثُها تُرُوقُ بوجهٍ واضحٍ وقوامِ

وقال بِشَّار :

وحديثُ كأنه قَطَعُ الروِ ضِ وفيه الصَّفراءُ والحمراءُ

وأخبرنا عامر بن صالح أنَّ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز (٢) كتب

إلى امرأته ، وعنده إخوان له ، بهذه الأبيات :

إِنَّ عِنْدِي أَبْقَاكَ رَيْكُ ضَيْفًا وَاجِبًا حَقُّهُمْ كُهوْلًا وَمُرْدًا

طَرَقُوا جَارَكَ الَّذِي كَانَ قَدْماً لَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ الضَّيْفِ بُدًّا

فَلَدِيهِ أَضْيَافُهُ قَدْ قَرَأَهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَ تَمَرًا وَزُبْدًا

فلهذا جرى الحديثُ ولكنْ قد جعلنا بعضَ الفُكاهةِ جِدًّا (٣)

وأنشد الهذلي :

كُروا الأحاديثَ عن ليلي إذا بُعِدَتْ إِنَّ الأحاديثَ عن ليلي لَتُلهِنِي

وقال الهذلي أيضاً (٤) :

(١) ديوان الأخطل ١٣٥ .

(٢) هو ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، كان أمير مكة والمدينة ، توفي سنة ١٤٤ .

٢٠ تهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدل : « المزاحه » ، وأشار إلى هذه الرواية في هامش ه ، وهذه ضبطت بالضم في

القاموس ، وبالفتح في المصباح .

(٤) فيما عدل : « وقال الهذلي في حلاوة الحديث » . والهذلي هذا هو أبو ذؤيب - انظر ديوانه

١٤٠ واللسان (طفل) .

وإنَّ حديثاً منك لو تبدلته جَنَى التَّحْلِ أو ألبانُ عُوذٍ مَطَافِلِ
مطافيلُ أبكارٍ حديثٍ نِناجِها تُشَاب بِماءٍ مثل ماء المفاصلِ

العُودُ : جمع عائِد، وهى الناقة إذا وضعت، فإذا مشى ولدها فهى مُرْشِجٌ (١)
فإذا تَبِعها فهى مُتَلِية، لأنه يتلوها. وهى فى هذا كُلُّهُ مُطْفِل. فإن كان أَوَّلَ وَلَدٍ (٢)
ولدتَه فهى بِكَر. ماء المفاصلِ فيه قولان : أحدهما أن المفاصل ما بين الجبلين
واحدها مَفْصِل، وإثماً أراد صفاء الماء؛ لأنه ينحدر عن الجبال، لا يمرُّ بطين
ولا تُراب. ويقال إنها مفاصل البعير. وذكروا أن فيها ماءً له صفاءً وعُدوبة (٣).

وفى الكلام الموزون يقول [عبد الله بن] معاوية بن عبد الله بن
جعفر (٤) :

الرم الصمت إن فى الصمت حُكماً وإذا أنت قلت قولاً فزِنُه

وقال أبو ذؤيب :

وسِرِب يُطَلَّى بالعبير كأنه دمَاءُ ظبَاءٍ بالتَّحْوِرِ ذَبِيحُ (٥)
بدلتُ لَهْنَ القولِ إنك واجدٌ لما شئتُ من حُلُو الكلام، مليحُ (٦)

(١) يقال راسح، ومُرْشِج، ومُرْشِج بالتشديد أيضاً.

(٢) فيما عدل، هـ : « أول ولدها ».

(٣) انظر مثيل هذا الكلام فى الحيوان (٢ : ٣٥٠ - ٣٥١).

(٤) التكملة مما عدل. وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أنى طالب، كان من
فتيان بنى هاشم وأجدادهم وشعرائهم، وكان يرمى بالزندقة، خرج بالكوفة فى آخر أيام مروان بن
محمد، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان، فأخذه أبو مسلم فقتله، الأغاني (١١ : ٦٣ - ٧٤).
(٥) أنشدته فى اللسان (ذبح) وقال : « ذبيح وصف للدماء. وفيه شيخان : أحدهما وصف
للدَّم بأنه ذبيح وإثماً الذبيح صاحب الدَّم لا الدَّم. والآخر أنه وصف الجماعة بالواحد. فأما وصفه
الدَّم بالذبيح فإنه على حذف المضاف، أى كأنه دمَاءُ ظبَاءٍ بالتَّحْوِرِ ذَبِيحُ ظبَاوَه، ثم حذف المضاف وهو
الظباء، فارتفع الضمير الذى كان مجزوراً، لوقوعه موقع المرفوع المحذوف لما استتر فى ذبيح. وأما وصفه الدماء
وهى جماعة بالواحد فلأن فعلاً يوصف به المذكور والمؤنث والواحد وما فوقه على صورة واحدة »

(٦) ل : « لهم القول أنى واجد »، صوابه من سائر النسخ والديوان ١١٧ و « مليح » صفة
« واجد »، عنى أنه يجد ما يشاء من حلول الكلام، وأنه مليح أيضاً.

السَّربُ : الجماعة من النساء والبقر والطيور والطَّباء . ويقال فلان آمن السَّرب ، بفتح السين ، أى آمن المسلك . ويقال فلان واسع السرب ^(١) وتخلَّى السَّرب ^(٢) ، أى المسالك والمَذهَب . وإنما هو مثلٌ مضروب للصَّدر والقلب . وعن الأصمعيّ : فلان واسع السَّرب ، مكسور ، أى واسع الصدر ، بطنىء الغضب ^(٣) .

وأنشد للحكم بن ربحان ، من بنى عمرو بن كلاب :
يا أَجْدَلُ النَّاسِ إن جادلته جَدَلًا وأكثرَ الناسِ إن عاتبته عِلَلًا
كأَئِمْما عَسَلُ رُجْعانُ مَنْطِقِها إن كان رَجُعُ كَلامٍ يشبه العَسَلًا ^(٤)
وقال القُطاميُّ ^(٥) :

وفى الخدور غماماتٌ بَرَقْنَ لَنَا حَتَّى تَصِيدَنَّا مِنْ كُلِّ مُصْطَافٍ
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي ^(٦)
فَهَنَ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصَيِّنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي
يَنْبِذَنَّ : يُلْقِينَ . الْعُلَّةُ والغليل : العطش [الشَّدِيد ^(٧)] . والصادى :
العطشان أيضاً ؛ والاسمُ الصَّدَى . وأنشد للأخطل :

شُمُسٌ إِذَا خَطَلَ الْحَدِيثُ أَوَانِسُ يَرْقُبُنْ كُلَّ مُجَدَّرٍ تَنْبَالٍ ^(٨)
أَنْفٌ كَأَنَّ حَدِيثَهُنَّ تَنَادُمُ بِالكَأْسِ كُلِّ عَقِيلَةٍ مِكَسَالٍ ^{١٥}

(١) الكلام من « السرب » إلى هنا ساقط مما عدل ل هـ .

(٢) فيما عدل ل : « وخلي السرب وواسع السرب » .

(٣) فيما عدل ل : « بطنىء التأنيب » .

(٤) الرجعان ، بالضم : مصدر لرجع ، كالرجع والرجوع والرجعى .

(٥) ديوان القطامى ٨ .

(٦) هذا البيت فى ل فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ . وفى الديوان : « ولا مكتوبه » .

(٧) هذه مما عدل ل .

(٨) البيتان لم يرويا فى ديوان الأخطل . هـ ، ب ، جـ : « كل مرقب » . وفى التيمورية : « كل

مجدر » ، كلاهما محرف ، صوابهما فى ل .

الشَّمْسُ : التَّوْفَرُ (١) . والتَّنْبَال : القصير (٢) . والأُنْف : جمع آنفٍ ،
وهي المُنْكِرَة للشَّيء غير راضية (٣) . العقيلة : المصونة في أهلها . [وعقيلة ١٨٦
كل شيء : خَيْرته (٤)] . والمِكْسَال : ذات الكسل عن الحركة .

وقال أبو العَمَيْثِل عبد الله بن خُلَيْد (٥) :

لَقِيتُ ابْنَةَ السَّهْمِيِّ زَيْنَبَ عَنْ عُفْرِ وَنَحْنُ حَرَامُ مُسَيَّ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ (٦)
وَأِنِّي وَإِيَّاهَا لِحَتْمٌ مَبِيتُنَا جَمِيعاً ، وَمَسْرَانَا مُغِدٌّ وَذُو فَتْرِ (٧)
فَكَلَّمْتُهَا ثِنْتَيْنِ : كَالثَّلَجِ مِنْهُمَا عَلَى اللَّوْحِ وَالْأُخْرَى أَحْرُ مِنْ الْجَمْرِ

يقال : مَا يَلْقَانَا إِلَّا عَنْ عُفْرِ (٨) ، أَيْ بَعْدَ مُدَّةٍ . مُسَيَّ : أَيْ وَقْتُ
المساء . يقال أَغَذَّ السَّيْرَ ، إِذَا جَدَّ فِيهِ وَأَسْرَعَ . واللَّوْحُ بِالْفَتْحِ (٩) : العطش ،
يقال لَاحَ الرَّجُلُ يَلُوحُ لَوْحاً ، وَالتَّاحُ يَلْتَاحُ التَّيْحَ ، إِذَا عَطَشَ . وَاللَّوْحُ
بِالْفَتْحِ أَيْضاً : الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ . وَاللَّوْحُ بِالضَّمِّ : الْهَوَاءُ ، يَقَالُ : « لَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ وَلَوْ نَزَوْتُ فِي اللَّوْحِ » ، أَوْ « حَتَّى تَنْزُرُو فِي اللَّوْحِ » .

وَأَنْشُد :

(١) يقال شمس ، بضمه وبضمّتين أيضاً ، مفردة شمس ، بالفتح .

(٢) فيما عدل : « التنبال القصير . والمجذر مثله . والشمس : التوافر » .

(٣) فيما عدل : « غير راضية عنه » . (٤) هذه مما عدل .

(٥) فيما عدل : « وقال أبو العمَيْثِل » فقط . وهو أبو العمَيْثِل عبد الله بن خُلَيْد ، مولى جعفر

ابن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس . وكان كاتب طاهر وولده عبد الله بن طاهر ، وكان كثيراً
من نقل اللغة عارفاً بها شاعراً مجيداً . توفي سنة ٢٤٠ . ابن النديم ٧٢ - ٧٣ وابن خلكان . وفي أمالي

القالبي (١ : ٩٨) حيث أنشد الشعر : « عبد الله بن خالد » تحريف .

(٦) ج : « من عفر » ب و التيمورية « عفر » كلاهما محرف عما أثبت من ل ، هـ و الأمالي .

حرام : أي محرمون . مسي عاشرة العشر ، أي عشية عرفة ، وهي الليلة العاشرة لليوم العاشر .

(٧) في الأمالي : « وسيرانا » بدل « ومسيرانا » . وفي الأمالي : « وسيرانا ، أي سيري أنا مغد ، أي

مسرع ، وسيرها ذو فتري أي ذو فتور وسكون ، لأنها يرفق بها » .

(٨) فيما عدل : « نقول ما يلقانا فلان » . (٩) يقال أيضاً بالضم .

- وإنّا لنُجْرَى بيننا حين نلتقى حديثاً له وشئ كَجَبْرِ الْمَطَارِفِ (١)
 حديث قطع القطر في المَحَلِّ يُشْتَفَى به من جَوَى في داخل القلب لِإِطْفِ
 المَحَلِّ : الجذب ، وسنة مَحُولٌ . وأحل البلد فهو ماحل ومُحِلٌّ ،
 وزمان ماحلٌ ومُحِلٌّ . الجوى ها هنا : شدة الحب حتى يمرض صاحبه .
 لِإِطْفِ : لطيف (٢) . وأنشد للشماخ (٣) بن ضرار التغلبي (٤) :
 يُفَرُّ بعيني أن أُنْبَأُ أنها وإن لم أُنلها أَيْمٌ لم تزُوج (٥)
 وكنت إذا لاقيتها كان سرنا وما بيننا مثل الشواء المُلهَوِّج
 يريد أنهما كانا على عجلة من خوف الرُقباء . والمُلهَوِّج : المعجل
 الذي لم يُنتَظَر به التَّضَج .
 وقال جِرَان العود :

- فإننا سِقَاطاً من حديث كأنه جَنَى النحل أو أبكارُ كَرَمٍ يُقَطِّفُ
 حديثاً لو أنَّ البقل يُوكى بمِثْلِهِ زَهَا البقلُ واخضرَّ العضاءُ الْمُصْنَفُ (٦)

- (١) الحبر ، بالكسر : الوشي ، عن ابن الأعرابي . وفيما عدل : « كوشى » . والمطارف : جمع مطرف ، كمنبر ومصحف ، وهو ثوب من خز له أعلام .
 (٢) هذا التفسير في ل فقط .
 (٣) فيما عدل : « وقال الشماخ » . وهو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن إياس بن عبد بن عثمان ابن جحاش بن بحالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . الأغاني (٨ : ٩٧) والإصابة ٣٩١٣ والخزانة (١ : ٥٢٦) وابن سلام ٤٧ والشعر والشعراء .
 (٤) التغلبي : نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما في ترجمته . وفي جميع النسخ « التغلبي » تحريف . لكن في ل : « وقال الشماخ بن ضرار » فقط .
 (٥) أقر الله عينه وبعينه ، أى أبردها بما يفرح صاحبها ، أو أسكنها فلا تطمح إلى غير ما نال صاحبها من خير كثير . والبيتان من قصيدة له في ديوانه ٥ - ١٧ .
 (٦) البيت في ديوانه ٢١ ، والذي قبله لم يرو في الديوان . وبدله فيه :
 ينازعنا لداً رخيماً كأنه عواثر من قطر حداث صيف
 وللفرزدق :

- إذا هن ساقطن الحديث كأنه جنى النحل أو أبكار كرم تقطف
 المصنف : الذي خرج ورقه واخضر ، وقال السكري : « الذي قد جف بعضه وبقي بعضه » . ل :
 « المضيف » ، وفيما عدل : « المصيف » صوابهما في الديوان .

زها : بدا زهره . العِضَاءُ : جمع عِضَةٍ ، وهى كل شجرة ذات شوك ، ١٦٩
إلا القتادة فإنها لا تسمى عِضَةً .

وقال الكميت بن زيد :

وحدثهنَّ إذا التقيَ من تهائفِ البيضِ الغرائرِ

وإذا ضحكَن عن العدا ب لنا المُسَفَّاتِ الثَواعِرِ (١)

كانَ التهلُّلُ بالتَّبَسُّمِ لا القَهَاقِهَ بالقَرَارِقِ

التهائف : تضاحكٌ فى هُزُو . الغرائر : جمع غريرة ، وهى المرأة القليلة

الخبرة ، العِمرة (٢) . والعذاب ، يريد التَّعَرُّ . والمُسَفَّات : اللثات التى قد

أُسِفَّت بالكحل أو بالتَّوَر ، وذلك أن تُغَرَّرَ بالإبرة ويُدَرَّ عليها الكحل فيعلوها

حُوءٌ . والتهلل ، يقال تهلل وجهه ، إذا أشرق وأسفر . وقال الآخر (٣) :

ولَمَّا تلاقينا جرى من عُيوننا دُموعٌ كَفَفْنَا غَرَبَهَا بالأصابع (٤)

ونلنا سِقَاطاً من حديث كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ ممزوجاً بماء الوقائع

سقاط الحديث : ما بُدِّدَ منه وَلُفِظَ به . يقال ساقطت فلانا الحديث

سِقَاطاً . الوقائع والوقيع : منافع الماء فى مُتون الصُّخُور ، الواحدة وقعة .

وقال أشعث بن سُمَيٍّ (٥) :

هَلْ تَعْرِفُ المبدأ إلى السَّنام (٦) ناطَ به سواحرُ الكلام

كلامُها يشفى من السَّقَامِ (٧)

(١) لم أجد هذه الكلمة ولا تفسيرها فى المعاجم المتداولة . والآيات لم ترو فى الهاشميات .

(٢) الغمر ، بثلاث الغين ، وبالتحريك : من لم يجرب الأمور ..

(٣) هو ذو الرمة . ديوانه ٣٥٨ .

(٤) الغرب : كل فيضة من الدمع . وفى الديوان : « جرت من .. ماءها بالأصابع » .

(٥) فيما عدل : « الأشعث بن سُمَيٍّ » . لكن فى هـ « أشعث بن سُمَيٍّ » .

(٦) لم أجد « المبدأ » . وأما السنام فذكره ياقوت ، وذكر فى القاموس أيضاً ، وهو جبل مشرف

على البصرة ، وجبل بالحجاز بين ماوان والربذة .

(٧) فيما عدل : « كلامهن برء ذى السقام » .

المبدا وسَنَامٌ : موضعان . ناط به : أى صار إليه ^(١) .

وقال الرَّاجِزُ ووصف عيُونَ الطُّبَّاءِ بالسَّحَرِ وذكر قوساً ^(٢) فقال:

صَفَرَاءُ فَرَعٍ خَطَمُوهَا بَوَّرَ ^(٣) لَأَمِ مُمَرٍّ مِثْلِ حُلُقُومِ النَّعْرِ

حَدَثَ طُبَاتٍ أَسْهُمٍ مِثْلَ الشَّرَرِ فَصَرَّعَتْهُنَّ بِأَكْنَافِ الْحَفَرِ ^(٤)

حُورُ الْعَيُونِ بِأَبْلِيَّاتٍ النَّظَرِ ^(٥) يَحْسِبُهَا النَّاطِرُ مِنْ وَحْشِ الْبَشَرِ ^(٦) .

١٧٠. اللَّامُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : الشديد . وَالْمَمَرُّ : المحْكَمُ القَتْلُ ، وَحِبْلٌ مَرِيرٌ مثله .

النَّعْرُ : البلبِل . وَالطُّبَاتُ : جمع طُوبَةٍ ، وهى حَدُّ السَّيْفِ وَالسَّنَانِ وَغَيْرُهُمَا .

وقال آخر ^(٧) :

وَحْدَيْتُهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سَنِينَ تَتَابَعَتْ جَدْبًا

فَأَصَاحَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيًّا وَيَقُولُ مِنْ طَمَعٍ : هَيَّا رَبَّنَا ^(٨) .

★ ★ ★

(١) أصل معنى النوط التعليق . وهذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « قوسا صفراء » .

(٣) فرع : عملت من رأس القضيبي وطره . خطم القوس : علق عليها الوتر .

(٤) أى حدثت القوس طبات هذه الأسهم وقذفها فصرعت هذه الوحوش .

(٥) أى ذات عيون سواحر ، وبابل ينسب إليها السحر .

(٦) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « ويروى البقر » وأراها إقحاماً . كما أن التفسير التالى والبيتين

بعده ساقطان مما عدا ل .

(٧) البيتان التاليان ، رواهما القالى فى أماليه (١ : ٨٤) منسويين لأعرابى .

(٨) فى الأمالى : « من فرح » .

باب آخر من الأسجاع في الكلام

قال عُمَرُ بن ذَرٍّ ، رحمه الله : « الله المستعان على السنة تصيف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخلف »

ولمّا مدَحَ عتيبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال : لا أُعطي مَنْ يعصى الرحمن ، ويُطيع الشيطان ، ويقول البُهتان .

وفي الحديث المأثور ، قال : « يقول العبدُ مالى مالى ، وإنّما لك من مالك ما أكلت فأفنيته ، وأعطيت فأمضيت ، أو لبست فألبيت » .

وقال التَّمُرُ بن تَوَلُب (١) :

أعاذل إن يُصبح صدائى بقفرة بعيداً نأنى صاحبى وقريبى
١. تَرى أن ما أبقيت لم أك ربه وأن الذى أمضيت كان نصيبى (٢)

الصدى هاهنا : طائر يخرج من هامة الميت (٣) إذا بلى ، فينعى إليه ضعفَ وليه وعجزه عن طلب طائلته ، وهذا كانت تقوله الجاهلية (٤) ، وهو هنا مستعار أى إن أصبحت أنا .

ووصف أعرابى رجلاً فقال : « صغير القدر ، قصير الشبر ، ضيق الصدر ، لثيم النجر ، عظيم الكبر ، كثير الفخر » .

الشبر : قدر القامة ، تقول : كم شبر قميصك ، أى كم عدد أشباره (٥). والنجر : الطباع .

(١) انظر الأغاني (١٩ : ١٦١) وابن سلام ٦٠ .

(٢) هذه رواية ل ابن سلام . وفي الأغاني وسائر النسخ : « الذى أنفقت » .

(٣) فيما عدل : « من قبر الميت » .

(٤) فيما عدل : « كانت العرب تقوله فى الجاهلية » .

(٥) فيما عدل : « الشر : القامة » لا غير .

ووصف بعضُ الخطباء رجلاً فقال : « ما رأيتُ أضربَ لمثلٍ ،
ولا أركبَ لجملٍ ، ولا أصعدُ في قُلُبٍ منه » .

وسأل بعضُ الأعراب رسولاً قَدِمَ من أهل السُّند : كيف رأيتمُ
البلاد ؟ قال : « ماؤها وَشَلٌّ ، ولصُّها بَطَلٌ ، وَثَمَرُها دَقْلٌ ^(١) . إنَّ كَثْرَ الجندِ
بها جاعوا ، وإن قُلُوبَها ضاعوا ^(٢) » .

١٧١ وقيل لصعصعة بن معاوية : مِن أينَ أقبلت ؟ قال : من الفجِّ العميق .
قيل : فأين تريد ؟ قال : البيتَ العتيق . قالوا : هل كان مِن مطر ؟ قال :
نعم ، حتَّى عَفَى الأثرُ ، وأُنْضَرَ الشجرُ ، وَدَهَدَى الحجرُ ^(٣) .

واستجار عَوْنُ بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، بمحمَّد بن مروان
بنصيبين ، وتزوَّج بها امرأةً ، فقال محمَّد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : « كثيرةُ
العقارب ^(٤) قليلةُ الأقارب » . يريد بقوله « قليلة » كقول القائل : فلان قليلُ
الحياء ، ليس يريد أن هناك ^(٥) حياءٌ وإن قلَّ . يضعون قليلاً في موضع ليس .
وولَّى العلاء الكلاني ^(٦) عملاً خسيساً ^(٧) ، بعد أن كان على عمل
جسيم ، فقال : « العُنُوقُ بعد التُّوق ^(٨) » .

١٥ (١) الدقل ، بالتحريك : أردأ أنواعِ التمر .

(٢) هذا التفسير من ل فقط .

(٣) أنضره : صيبه ناضراً . ويقال دَهِدَتِ الحجرَ ودَهِدَتْهُ ، أى دَحَرَتْهُ وَقَذَفَتْهُ من أعلى إلى

أسفل . وهو تصوير لاندفاع السيل . فيما عدا ل ، هـ : « ودَّهده » .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٢٢٦ / ٥ : ٣٦٠) .

٢٠ (٥) ب والتيمورية : « هنالك » .

(٦) ل : « وولى العلاء » فقط . وفي الحيوان (٥ : ٤٦٢) : « وقال الكلاني » .

(٧) ل : « حسناً » صوابه من سائر النسخ .

(٨) العنوق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة . وهذا

جمع نادر ، ويجمع أيضاً على أعنق وعنق . والنوق : جمع ناقة . أى كَتَّ صاحب نوق فصرت صاحب

٢٥ عنوق . انظر الحيوان والميداني (١ : ٤٢٠) واللسان (١٢ : ١٤٨) .

قال : ونظر رجلٌ من العُباد إلى بابِ بعض الملوك فقال : « بابٌ جديد ، وموتٌ عَتِيدٌ ^(١) ونَزَعٌ شديد ، وسَفَرٌ بعيد » .

وقيل لبعض العرب ^(٢) : أئى شئٍ تَمَنَّى ، وأئى شئٍ أحب إليك ؟ فقال : لواءٌ منشور ، والجلوسُ على السرير ، والسلامُ عليك أيُّها الأمير .
وقيل لآخر ، وصَلَّى ركعتين فأطالَ فيهما ، وقد كان أميرٌ بقتله :
أَجْرَعَتْ من الموت ؟ فقال : إن أَجْرَعَ فقد أَرَى كَفَنًا منشورًا ، وسَيْفًا مشهورًا ، وقبرًا محفورًا .

ويقال أن هذا الكلام تكلم به حُجْر بن عَدِي الكنديّ عند قتله ^(٣) .
وقال عبدُ الملك بن مروان لأعرابيٍّ : ما أَطْيَبُ الطعام ؟ فقال : « بَكَرَةٌ سَنِمَةٌ ، معْتَبَةٌ غير ضَمِنَةٍ ، في قدور رَذِمَةٍ ، بشِفَارِ خِدْمَةٍ ، في غداة شَبَعَةٍ » .
فقال عبد الملك : وأيّك لقد أَطْيَيْتَ ^(٤) .

معْتَبَةٌ : منحورة من غير داءٍ ؛ يقال اعتَبِطَ الإبلُ والغنمُ ، إذا ذُبَحَتْ من غير داءٍ . ولهذا قيل للدم الخالص عَبِيط . والعَبِيط : ما ذُبَحَ من غير عِلَّةٍ . غير ضَمِنَةٍ : غير مريضة . رَذِمَةٍ : سائلة من امتلائها . بِشِفَارِ خِدْمَةٍ : قاطعة . غداة

(١) عَتِيدٌ : معد حاضر .

(٢) هو ضرار بن الحصين ، كما في (١٧٥ : ٢) .

(٣) هذه العبارة من ل فقط . وحجر بن عدى بن معاوية الكندي ، صحابي جليل ، وفد على الرسول الكريم ، وشهد القادسية والجمل وصفين ، وصحب علياً فكان من شيعته . قتل بأمر معاوية سنة ٥١ أو ٥٣ . الإصابة ١٦٢٤ . وكان يعرف بحجر الخير . وأما حجر الشر فهو حجر بن يزيد بن سلمة الكندي ، وفد على الرسول ، وكان مع علي يوم الجمل ، ثم اتصل بمعاوية فاستعمله على إرمينية . الإصابة ١٦٢٦ ، ووقعة صفين ٢٧٤ .

(٤) يقال أطاب الشيء : وجده طيباً ، وأطاب : قدم طعاماً طيباً . وقد وردت هذه الكلمة « أطيب » على أصلها بدون إعلال . على أن هذه المادة قد ورد فيها بعض مازك على أصله ، حكى سيبويه « استطيه » لغة في استطابه . وأنشد في اللسان :
فكأنها تفاحة مطبوية .

وسيعاد الخبر في ص ٢٩٩ من هذا الجزء .

شبهة : باردة ^(١) . والشَّبْم : البرد .

وقالوا : « لا تغترَّ بمناصحة الأمير ، إذا غشَّك الوزير » .

[وقالوا : « من صادق الكتاب أغنوه ، ومن عاداهم أفقروه » . وقالوا :

« اجعل قول الكذاب ربحاً ، تكن مستريحاً ^(٢) »] .

- وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي : لِمَ تؤثرُ السَّجْع على
المنثور ، وتلزم نفسك القوافي ^(٣) وإقامة الوزن ؟ قال : إنَّ كلامي لو كنتُ
١٧٢ لا أُمَلِّ فيه إلَّا سماع الشاهد لقلَّ خلافي عليك ، ولكني أريد الغائب والحاضر ،
والراهن والغابر ؛ فالحفظُ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ؛ وهو أحقُّ بالتقييد
وبقلة التَّفَلُّت ^(٤) . وما تكلمتُ به العربُ من جيّد المنثور ، أكثرُ ممَّا تكلمت به
من جيّد الموزون ، فلم يُحفظْ من المنثور عُشرُه ، ولا ضاع من الموزون عُشره . ١٠

قالوا : فقد قيل للذي قال : يا رسول الله ، أرايتَ مَنْ لا شرب
ولا أكل ، ولا صاح واستهلَّ ، أليس مثلُ ذلك يُطلَّ ^(٥) . فقال رسول الله
ﷺ : « أسجّع كسجع الجاهليّة » .

- قال عبد الصمد : لو أن هذا المتكلم لم يُرد إلَّا الإقامة لهذا الوزن ، لما
كان عليه بأسٌ ، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطالَ حقِّ ^(٦) فتشادقَ في الكلام . ١٥
وقال غيرُ عبد الصمد : وجدنا الشَّعرَ : من القصيدِ والرجز ، قد سمعه
النبيُّ ﷺ فاستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامةُ أصحاب رسول الله ﷺ

(١) التفسير من مبدئه إلى هنا ساقط مما عدل ، هـ . وفي حواشي هـ : « هذا التفسير ثبت في الأم » .

(٢) هذه التكملة مما عدل ل .

(٣) ل : « القول » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) ل : « التغلب » ، صوابه من سائر النسخ .

(٥) يطل ، أى يهدر دمه . فيما عدل ل : « بطل » تحريف .

(٦) فيما عدل ل : « إبطالا لحق » .

قد قالوا شعراً ، قليلاً كان ذلك أم كثيراً ، واستمعوا واستنشدوا . فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز ، فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل ^(١) .
وقال غيرهما : إذا لم يطل ذلك القول ، ولم تكن القوافي مطلوبة مجتلية ، أو ملتزمة متكلفة ، وكان ذلك كقول الأعراني لعامل الماء : « حُلْتُ رَكَائِي ^(٢) ، وَخُرُتْ ثِيَابِي ^(٣) ، وَضُرِبَ صِيْحَانِي » - حُلْتُ رَكَائِي ، أَيْ ^(٤) مُنِعْتُ إِبِلِي مِنَ الْمَاءِ وَالْكَلَاءِ . وَالرَّكَابُ : مَا رَكِبَ مِنَ الْإِبِلِ - قَالَ : « أَوْ سَجَعُ أَيْضاً ؟ » .
قَالَ الْأَعْرَانِي : فَكَيْفَ أَقُولُ ؟ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ حُلْتُ ^(٥) إِبِلِي أَوْ جَمَالِي أَوْ نُوقِ أَوْ بُعْرَانِي أَوْ صِرْمَتِي ، لَكَانَ لَمْ يَعْبَرْ عَنْ حَقِّ مَعْنَاهُ ، وَإِنَّمَا حُلْتُ رَكَابَهُ ، فَكَيْفَ يَدْعُ الرَّكَابَ إِلَى غَيْرِ الرَّكَابِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : وَخُرُتْ ثِيَابِي ^(٦) ، وَضُرِبَ صِيْحَانِي . لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا قُلَّ وَقَعَ وَقَوْعاً لَا يَجُوزُ تَغْيِيرُهُ ، وَإِذَا طَالَ الْكَلَامُ وَجَدَتْ فِي الْقَوَافِي مَا يَكُونُ مَجْتَلِياً ، وَمَطْلُوباً مُسْتَكْرَهاً .

وَيُدْخَلُ ^(٧) عَلَى مَنْ طَعَنَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أُمِّي لَهَبٍ ﴾ . وَزَعَمَ أَنَّهُ شَعْرٌ ؛ لِأَنَّهُ فِي تَقْدِيرِ مُسْتَفْعِلِنِ مَفَاعِلِنِ ، وَطَعَنَ فِي قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ : « هَلْ أَنْتَ إِلَّا إَصْبَعٌ دَمِيَّتٌ ؟ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ ^(٨) » - فَيَقَالُ لَهُ : أَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ اعْتَرَضْتَ أَحَادِيثَ النَّاسِ وَخَطَبَهُمْ وَرَسَائِلَهُمْ . لَوْ جَدْتَ فِيهَا مَثَلُ مُسْتَفْعِلِنِ مُسْتَفْعِلِنِ ^(٩) ١٧٣

(١) ل : « أصغر » .

(٢) فيما عدا ل : « حلبت » تحريف .

(٣) ب ، ج : « وحرفت » صوابه في ل ، هـ والتميمورية .

(٤) هذه الكلمات الثلاث في ل والتميمورية فقط .

(٥) ب ، ج : « حلبت » تحريف .

(٦) ب : « حرفت » ج : « خرفت » ، صوابهما في ل ، هـ والتميمورية .

(٧) فيما عدا ل : « وفي الحديث المأثور ويدخل » ، وفيه إقحام .

(٨) انظر العمدة (١ : ١٢٣) في باب الرجز والقصيد .

(٩) بدلها فيما عدا ل : « مفاعلن » .

كثيراً ، ومستفعلن مفاعِلُنْ^(١) . وليس أحدٌ في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً .
ولو أنَّ رجلاً من الباعة صاح : مَنْ يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلامٍ في وزن مستفعلن مفعولات . وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟
ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام . وإذا جاء المقدار الذي يُعلم أنه من نتائج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها ، كان ذلك شعراً . وهذا قريبٌ ، والجواب سهلٌ بحمد الله^(٢) .

وسمعتُ غلاماً لصديق لي ، وكان قد سقى بطنه^(٣) ، وهو يقول
لِغلمان مولاه : « اذهبوا بي إلى الطَّبيب وقولوا قد اِكتَوَى » . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج^(٤) فاعلاتن مفاعِلن ، فاعلاتن مفاعِلن مرَّتين . وقد علمتُ
أن هذا الغلام لم يَحْطُرْ على باله^(٥) قطُّ أن يقول بيتَ شعرٍ أبداً . ومثل هذا كثيرٌ ، ولو تتبعته في كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته .

وكان الذي كره الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة ، أنَّ كُهان العرب الذين كان أكثرُ الجاهلية يتحاكمون إليهم ، وكانوا يدعون الكِهانةَ وأنَّ مع كلِّ واحدٍ منهم رَئياً من الجن^(٦) مثل حازي جهينة^(٧) ،

(١) هاتان الكلمتان في ل فقط .

(٢) ما عدا هـ : « والحمد لله » .

(٣) يقال سقى بطنه ، بالبناء للفاعل ، وسقى بطنه ، بالبناء للمفعول ، أى اجتمع فيه ماء أصفر .

(٤) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « لم يحضر بياله » . وهما سيان .

(٦) الرئي ، بفتح الراء وكسرهما مع كسر الهمزة وتشديد الياء : هو الذي يعتاد الإنسان من الجن يحبه ويؤلفه .

(٧) الحازي : الكاهن . وفي الحيوان (٦ : ٢٠٤) : « حارثة جهينة » و « جارية جهينة » . وفي

مروج الذهب (١ : ٣٣٧) : « حارثة بنت جهينة » . وفي ثمار القلوب ٨١ : « أخبارية جهينة » .

- ومثل شِقَّ وسَطِيح^(١) ، وعُزَّى سَلَمَة^(٢) ، وأشباههم ، كانوا يتكهنون
 ويحكمون بالأسجاع ؛ كقوله : « الأرض والسَّماء ، والعقاب الصَّقعاء^(٣) ،
 واقعة ببقعاء^(٤) ، لقد نَفَر المجد بنى العُشراء^(٥) ، للمجد والسَّاء^(٦) » .
 وهذا الباب كثيرٌ . ألا ترى أن ضَمْرَة بن ضَمْرَة ، وهَرَم بن قُطْبَة ،
 والأقرع بن حابس ، ونُفيل بن عبد العُزَّى كانوا يحكمون وينفرون بالأسجاع
 وكذلك ربيعة بن حُذَار^(٧) .
 قالوا : فوقع النَّهْيُ في ذلك الدهر لُقْرُب عهدهم بالجاهليَّة ، ولبقيَّتها
 فيهم وفي صدور كثير منهم^(٨) ، فلما زالت العلة زال التحريم .
 وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين ، فيكون في تلك
 الحُطْب أسجاعٌ كثيرة ، فلا ينهَوْنهم^(٩) .
 وكان الفضل بن عيسى الرِّقَاشي^(١٠) سَجَاعاً في قصصه . وكان عمرو بن

- (١) شق بن أثمار بن نزار ، زعموا أنه كان شق إنسان له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين
 واحدة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٢٧٨ - ٢٨١) وعجائب المخلوقات ٣١٠ . وسطيح هو ابن ربيعة بن
 مسعود بن مازن بن ذئب . انظر السيرة ٤٧ جوتنجن .
 (٢) سيأتي في ص ٣٥٨ أن اسمه سلمة بن أبي حية . وانظر الحيوان (٦ : ٢٠٤) ، والميداني
 في : « إلا ده فلا ده » ورسائل الجاحظ ١٣٠ .
 (٣) الصقعاء : التي في وسط رأسها بياض .
 (٤) البقعاء : هي من الأرض المعزاء ذات الحصى الصغار .
 (٥) نفرهم : حكم لهم بالقلبة على غيرهم . وبنو العشراء ، من بنى مازن بن فزارة بن ذبيان .
 المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٧٢ .
 (٦) وقعت كل هذه الكلمات الممدودة فيما عدل ، ه مقصورة .
 (٧) حذار ، بضم الحاء وكسر ها . وكان ربيعة حكم بنى أسد بن خزيمة ، وقاضيا من قضاة
 العرب في الجاهلية . وفيه يقول الأعشى ، كما في اللسان :
 وإذا طلبت المجد أين عمله فاعمد لبيت ربيعة بن حذار
 (٨) ل : « ولبقيَّتها في صدور كثير منهم » .
 (٩) فيما عدل ، ه : « فلم ينهوا منهم أحداً » .
 (١٠) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي الواعظ البصري ، أحد القدرية المعتزلة . تهذيب
 التهذيب والحيوان (٧ : ٢٠٤) .

- عُبَيْد^(١) ، وهشام بن حَسَّان^(٢) ، وأبان بن أُمَيَّاش^(٣) ، يَأْتُونَ مجلسه .
 ١٧٤ وقال له داود بن أُمَيَّاس^(٤) : لولا أَنَّكَ تفسِّرُ القرآنَ بِرَأْيِكَ لَأَتَيْنَاكَ فِي مجلسِكَ . قال : فهل تَرَانِي أَحَرَمَ حَلالاً^(٥) ، أو أُحِلُّ حراماً ؟ وإِنَّمَا كان يَتَلَوُ الآيَةَ الَّتِي فِيهَا ذَكَرَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، وَالْمَوْتَ وَالْحَشَرَ ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ .
- وقد كان عبد الصَّمَد بن الفضل ، وأبو العباس القاسم بن يحيى ، وعامة قُصَّاصِ البصرة ، وهم أخطبُ مِنَ الخطباء ، يجلس إليهم عامة الفقهاء .
 وقد كان التَّهْمِيُّ ظاهراً عن مَرثِيَةِ أُمَيَّة بن أُمَيَّاس لَقَتْلِي أَهْلِ بَدْرٍ^(٦) ، كقوله :
 ماذا يَسْدِرُ بِالْعَقْنُ — قَلِيلٌ مِنْ مَرَايَةِ جَحَاجِحٍ^(٧)
 هَلَّا بِكَيْتٍ عَلَى الْكِرَامِ بَنَى الْكِرَامِ أَوْلَى الْمَمَادِحِ
 وروى ناسٌ شَبِيهاً بِذَلِكَ فِي هِجَاءِ الْأَعَشَى لِعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاَثَةَ . فَلَمَّا زَالَتِ الْعِلَّةُ زَالَ التَّهْمِيُّ .
- وقال واثلةُ بْنُ خَلِيفَةَ ، فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ^(٨) :

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٣ .
 (٢) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدي القردوسي - بالقاف والذال المضمومين - البصري ، كان من كبار الحفاظ وأعلم الناس بحديث الحسن البصري . توفي سنة ١٤٦ . تهذيب ١٥ وتهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٤) وصفة الصفوة (٣ : ٢٣٢) والقاموس (قدس) .
 (٣) هو أبو إسماعيل أبان بن أُمَيَّاس فيروز البصري ، روى عن أنس وسعيد بن جبيرة . توفي سنة ١٣٨ . تهذيب التهذيب .
 (٤) هو أبو بكر داود بن أُمَيَّاس - واسم أُمَيَّاس هُندَ دُنيار - القشيري البصري . روى عن أنس وعكرمة والشعبي ، وعنه : شعبة والثوري ، وكان ثقة كثير الحديث . توفي سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب ٢٠ وتذكرة الحفاظ (١ : ١٣٨) وصفة الصفوة (٣ : ٢٢١) .
 (٥) ل : « فهل أُمَيَّاس أَحَرَمَ حَلالاً » ، تحريف .
 (٦) المَرثِيَةُ رواها ابن هشام في السيرة ٥٣١ - ٥٣٢ ، وقال : « تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله » . (٧) هذا البيت ساقط من هـ . ويروى : « فالعَقْنُ » .
 (٨) هـ : « وقال أبو واثلة بن خليفة » . تحريف . وعبد الملك بن المهلب ، من نسل المهلب بن أُمَيَّاس ٢٥ صفرة الأزدي . وفي كتاب المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . وقد أورد أبو الفرج لعبد الملك بن المهلب خبراً مع الأخطل ، في الأغاني (٧ : ١٦٩) . والآيات التالية لسعيد =

لقد صبرت للذَّل أعوادُ منبرٍ تقوم عليها ، في يدك قضيبُ
بكى المنبر الغربى إذ قمتَ فوقه وكادت مساميرُ الحديد تذوبُ
رأيتك لما شئتَ أدركك الذى يُصيب سرّاً الأسد حين تشيبُ^(١)
سفاهةُ أحلامٍ ويخلُ بنائيل وفيك لمن عاب المزونَ عيوب^(٢)

قال : وخطب الوليد بن عبد الملك فقال : « إن أمير المؤمنين كان يقول : إن
الحجاج جِلْدَةٌ ما بين عَيْنَيَّ ، أَلَا وإِنَّه جِلْدَةٌ وجهى كله » .
وخطب الوليد أيضاً فذكر استعماله يزيد بن أبى مسلم بعد الحجاج ، فقال :
« كنتُ^(٣) كمن سقط منه درهمٌ فأصاب ديناراً » .

شبيب بن شيبه قال : حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ قَالَ : خَطَبَنَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ
بِوَاسِطِ فَقَالَ : « إِنِّي قَدْ أَسْمَعُ قَوْلَ الرَّعَاعِ : قَدْ جَاءَ مُسْلِمَةٌ ، وَقَدْ جَاءَ الْعَبَّاسُ^(٤) ،
وَقَدْ جَاءَ أَهْلُ الشَّامِ . وَمَا أَهْلُ الشَّامِ إِلَّا تِسْعَةُ أَسْيَافٍ ، سَبْعَةٌ مِنْهَا مَعِي ، وَاثْنَانِ مِنْهَا
عَلَيَّ . وَأَمَّا مُسْلِمَةٌ فَجَرَادَةٌ صَفْرَاءُ . وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَنَسْتُطُوسُ بْنُ نَسْتُطُوسٍ^(٥) ، أَتَاكُمْ فِي ١٧٥

= الجاحظ إنشادها في (٢ : ٣١٣ - ٣١٤ / ٣ : ٧٨) .

(١) الأسد : لغة في الأزد ، وهم قبيل المهلب : فيما عدال : « الأزد » .
(٢) المزون ، بالفتح والضم : اسم لأرض عمان وأهلها من الأزد ، رهط المهلب بن أبى صفرة ، وذلك أن
جدهم الأعلى مازن بن الأزد . انظر اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) والحيوان (٦ : ١٥٧) .
(٣) فيما عدال : « وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتولية يزيد بن أبى مسلم فقال : « إنما مثل ومثل يزيد
ابن مسلم بعد الحجاج » .

(٤) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، القائد العربى الأموى ، قال ابن قتيبة في المعارف
٢٠ : ١٥٧ : « وأما مسلمة فكان يكنى أبا سعيد ، ويلقب الجرادة الصفراء ، لصفرة كانت تعلمه ، وكان شجاعاً
وافتح فتوحاً كثيرة في الروم ، منها طوانة . وولى العراق أشهراً ، وله عقب كثير » . وأما العباس فهو العباس بن
الوليد بن عبد الملك ، كان يسمى فارس بنى مروان ، وكانت أمه نصرانية . انظر المعارف ١٥٧ .
(٥) إشارة إلى أن أمه كانت رومية نصرانية . وفي هامش ب والتيمورية : « أى طيب ابن طيب » وليس بشئ .

برابرة وصقالية، وجرامقة وجرامة^(١)، وأقباط وأنباط، وأخلاق [من الناس^(٢)].
 إنما أقبل إليكم الفلاحون الأوباش^(٣) كأشلاء اللُجَم^(٤) . والله ما لقوا قوماً قطُّ
 كحدِّكم وحديدكم ، وعدَّكم وعديدكم . أعيروني سواعدكم ساعة [من نهار^(٥)]
 تصفِّقون بها خراطيمهم^(٦) ، فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وبين
 القوم الفاسقين^(٧) . »

ثم دعا بفرس ، فأُتي بأبلق^(٨) ، فقال : تخطيطُ وربِّ الكعبة ! ثم ركب
 فقاتل فكثرة الناس^(٩) فانهزم عنه أصحابه ، حتَّى بقي في إخوته وأهله ، فقتل
 وانهزم باقي أصحابه . وفي ذلك يقول الشاعر^(١٠) :

كل القبائل بايعوك على الذى تدعو إليه طائعين وسأروا^(١١)
 حتى إذا حمى الوغى وجعلتهم نَصَبَ الأُسنة أسلموك وطاروا^(١٢)
 إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك وبعض قتل عار^(١٣)

(١) في القاموس (جرحم) انهم قوم من العجم بالجزيرة ، أو نبط الشام .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) ل : « الفلاحون الأوباش » . وهم الأخطا وسفلة الناس .

(٤) اللجم : جمع لجام . وأشلاء اللجام : حدائده بلا سبور . قال كثير :

رأتني كأشلاء اللجام وبعلاها من القوم أبزى منحن متطامن

هـ ، ب ، ج : « اللحم » ، التيمورية : « اللحم » صوابهما في ل .

(٥) هذه مما عدل .

(٦) الصفق : الضرب ؛ صفقه بالسيف إذا ضربه . والخرطوم : الأنف ، أو مقدمه .

(٧) ما بعد هذه الكلمة إلى نهاية الشعر التالى ساقط مما عدل .

(٨) البلق من الحيل مسبوقة متخلفة . الحيوان (١ : ١٠٤ / ٥ : ١٦٦) .

(٩) كثرو الناس : تكاثروا عليه .

(١٠) هو ثابت قطنة . والوقعة التى قُتل فيها هى يوم العقر . انظر الأغاني (١٣ : ٦٣) وشرح

شواهد المغنى ٣٣ - ٣٤ .

(١١) في الأغاني : « تابعوك على الذى » تدعو إليه وبايعوك .

(١٢) في الأغاني : « حمس الوغى » .

(١٣) في شواهد المغنى ومع الهوامع (٢ : ٢٥) : « ورب قتل عار » .

ومدح الشاعر بشاراً ، عُمَرَ هَزَارِ مَرْدٍ ^(١) الْعَتَكِيَّ ، بالخطب وركوبه المناير ،
بل رثاه وأبّنه فقال ^(٢) :

ما بال عينك دمُعها مسكوبُ حُرَيْتُ فَأَنْتَ بِنَوْمِهَا مَحْرُوبُ ^(٣)
وكذلك مَنْ صَحِبَ الحَوَادِثَ لَمْ يَزَلْ تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنَكُوبُ
يَا أَرْضُ وَيَحْلِكِ أَكْرَمِيهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلْعَتَكِيِّ فِيكَ ضَرْبُ
أَبِي عَلَى خَشَبِ الْمَنَابِرِ قَائِماً يَوْمًا وَأَحْزَمُ إِذْ تُشْبُ حُرُوبُ

وقال : كَانَ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ^(٤) ، أَوَّلَ تَمِيمِيٍّ خَطَبَ عَلَى مَنِيرِ الْبَصْرَةِ .
ثم خطب عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ ^(٥) .

وَوَلَّى مَنِيرُ الْبَصْرَةِ أَرْبَعَةَ مِنَ الْقَضَاةِ فَكَانُوا قَضَاةَ أُمَرَاءَ : بِلَالُ بْنُ أُمَيٍّ بُرْدَةَ ١٠
ابن أُمَيٍّ مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَسَوَّارُ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ أُمَيٍّ رِيَّاحُ ^(٦) ، فَكَانَ بِلَالُ
قَاضِياً ابْنَ قَاضِيٍّ ابْنِ قَاضِيٍّ .
وقال رُؤْيَةُ :

فَأَنْتَ يَا ابْنَ الْقَاضِيَيْنِ قَاضِيٌّ ^(٧) مُعْتَرِمْ عَلَى الطَّرِيقِ مَاضِيٌّ ^(٨) ١٧٦

١٥

(١) هو عمر بن حفص بن عثمان بن أمي صفة المهلب ، وكانت العجم تسميه « هزار مرد » أي ألف رجل ؛ إذا كان مشهوراً بالشجاعة والإقدام . ولما إمارة السند في أيام المنصور ، ثم وجهه أميراً على إفريقية فدخل القيروان سنة ١٥١ وقضى على بعض أصحاب الفتنة فيها ، ولكنهم تجمعوا وتكاثروا عليه وعلى جنده ، فقاتلهم زماناً ثم قتل . الطبري (٩ : ٢٧٩) والأغانى (١٨ : ٩ ، ١٠ ، ٢٠) .

(٢) الأبيات سيعيد الجاحظ إنشادها في (٢ : ٣١٤) .

(٣) حررت : سلبت ، كأنها حررت النوم وسلبته . فيما عدل : « سهرت » .

٢٠

(٤) سبقت ترجمته في ص ١٠٠ .

(٥) سبقت ترجمته في ص ١٢٠ .

(٦) ب ، ج : « أحمد بن رباح » والتميمية : « أحمد بن رباح » . وفي حواشي ه : « وزاد أبو العباس

المبرد خامساً وهو عدى بن أوطاة » .

(٧) ل : « بلال يا ابن » صواب إنشاده في الديوان ٨٢ وسائر النسخ .

٢٥

(٨) فيما عدل : « معترم » صوابه في ل ، هـ و الديوان .

قال أبو الحسن المدائني : كان عُبيد الله بن الحسن حيث وَقَدَ على المهديّ معزياً ومهتفاً ^(١) ، أعدّ له كلاماً ، فبلغه أن الناس قد أعجبهم كلامه ، فقال لشبيب بن شيبة : إني والله ما ألتفت إلى هؤلاء ، ولكن سل لي أبا عبيد الله الكاتب عنه . فسأله فقال : ما أحسن ما تكلم به ! على أنه أخذ مواعظ الحسن ، ورسائل غيلان ^(٢) ، فلّقح بينهما كلاماً . فأخبره بذلك شبيب ، فقال عُبيد الله : لا والله إن أخطأ حرفاً واحداً .

وكان محمد بن سليمان ^(٣) له خطبة لا يغيرها ، وكان يقول : « إن الله وملائكته » ، فكان يرفع الملائكة ، فقبل له في ذلك ، فقال : خرجوا لها وجهاً . ولم يكن يدعُ الرفع .

قال : وصلى بنا خزيمة يوم النحر ، فخطب ، فلم يُسمع من كلامه إلا ذكرُ أمير المؤمنين الرشيد ، وولىَّ عهده محمد .

قال : وكان إسحاق بن شيمر ^(٤) يُدارُ به إذا فرغ المنبر ^(٥) . قال الشاعر :

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) هو غيلان الدمشقي أبو مروان . قالوا : أول من تكلم في القدر معبد الجهني ، ثم غيلان بعده . أخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق . المعارف ٢١٢ . وذكر ابن حجر في لسان الميزان (٤ : ٤٢٤) أن اسمه غيلان بن مسلم ، وأنه كان من بلغاء الكتاب ، وأنه آمن بنبوّة الحارث الكذاب ، فأفنى الأوزاعي بقتله . وقال ابن النديم في الفهرست ١٧١ : « وقد استقصيت خبره في مقالة المتكلمين في أخبار المرجئة ، ورسائله مجموع نحو ألفي ورقة » . وانظر آراءه في الفرق بين الفرق ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) هو محمد بن سليمان بن عليّ العبّاسي ، ولّه المنصور البصرة ثم عزله عنها وولاه الكوفة ، ثم ولّاه المهديّ ثم عزله ، ثم أعاده الهادي وأقره الرشيد ، وكان الرشيد في أول أمره يكرمه ويبره بما لا يبر به أحداً ، ثم نقم عليه واستصفى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم ، وتوفي سنة ١٧٣ في اليوم الذي ماتت فيه الخيزران . لسان الميزان (٥ : ١٨٨) وتاريخ بغداد ٢٧٩٥ وجمهرة بن حزم ٢٢ ، ١٤٦ ، ٢١٦ ، ٣١٦ . والخبر في مجالس العلماء للرجّاحي ٥٤ وإنباه الرواة (٢ : ٤٣) .

(٤) فيما عدل : « زهير بن محمد الضبي » . والشعر يقتضي ما أثبت من ل .

(٥) فرع المنبر يفرعه : غلاة .

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نَشْكُو وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ بَغِيرَ عُذْرِ (١)
 غَفَرْتَ ذُنُوبَنَا وَعَفَوْتَ عَنَّا وَلَيْسَتْ مِنْكَ أَنْ تَعْفُو بِنُكْرٍ
 فَإِنَّ الْمَنْبَرَ الْبَصْرِيَّ يَشْكُو عَلَى الْعِلَالَةِ إِسْحَاقَ بْنَ شَيْمِرٍ
 أَضْبَيْتُ عَلَى خَشَبَاتِ مَلِكٍ كَمْزَكِبَ ثَعْلَبٍ ظَهَرَ الْهَزْبِرِ

وقال بعضُ شعراءِ العسكر (٢) ، يهجو رجلا من أهل العسكر :

مَا زِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ الْمَنْبَرِ
 مَا زَالَ مَنبَرُكَ الَّذِي دُئِسَتْهُ بِالْأُمْسِ مِنْكَ كَحَائِضٍ لَمْ تَطْهَرْ
 فَلَا تُنْظَرَنَّ إِلَى الْمَنَابِرِ كُلِّهَا وَإِلَى الْأَسِيرَةِ بِاحْتِقَارِ الْمَنْظَرِ (٣)

١٧٧

وقال آخر :

فَمَا مَنبَرٌ دُئِسَتْهُ يَا ابْنَ أَفْكَلٍ بِزَاكِ وَلَوْ طَهَّرْتَهُ بِأَبْنِ طَاهِرٍ (٤)

١٠

(١) فيما عدل : « وإن كنا نقوم » . و « إن » هنا هي النافية .

(٢) هو أبو الأسد ، يقوله في هجاء الحسن بن رجاء . انظر الحماسة ص ١٥٠٠ بشرح المرزوقي . وأبو الأسد هو نباتة بن عبد الله الحماني ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيبا مليح النوادر مداحا خبيث الهجاء . الأغاني (١٢ : ١٦٧) .

(٣) هذا البيت في ل فقط . والأسرة : جمع سرير .

١٥

(٤) أفكل : علم من أعلامهم ، ومنه الأفكل ، اسم الأفوه الأودي . فيما عدل : « باست أفكل » . وفي حواشي ه مع علامه التصحيح : « بابت أنوال » . والزاكى : الطاهر .

باب أسجاع

عبد الله بن المبارك ، عن بعض أشياخه ، عن الشعبي قال : قال عيسى ابن مريم عليه السلام : « البرُّ ثلاثة : المنطق ، والنَّظَرُ ^(١) ، والصَّمْتُ . فمن كان منطقُه في غير ذكرٍ فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكرٍ فقد لها » .

وقال علي بن أبي طالب : « أفضل العبادة الصمت ، وانتظار الفرج » .

وقال يزيد بن المهلب ، وهو في الحبس : « والهفاه على طليّة ^(٢) بمائة ألف ، وفرج في جنبه أسد ^(٣) » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « استغزوا الدموغ بالتذكر ^(٤) » .

وقال الشاعر :

* ولا يبعثُ الأحزانَ مثلَ التذكّرِ ^(٥) *

حفص بن ميمون ^(٦) قال : سمعت عيسى بن عمر ^(٧) يقول : سمعنا

الحسن يقول : « اقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة ، واعصوها ؛ فإنكم إن أطعتموها

(١) فيما عدل ، هـ : « والمنظر » تحريف . وانظر رسائل الجاحظ (١ : ١٦٨) .

(٢) الطلية : الفرس ، أو الكأس المطلية . ما عدل ، هـ : « طلبة » بالباء ، تحريف . وورد الخبر في عيون الأخبار (١ : ٨٢) محرفا . وانظر الاستدراكات في نهاية الجزء الرابع حيث نجد تحقيقا مسهبا .

(٣) في عيون الأخبار : « وفرح » . وفيما عدل ، هـ : « جبهة الأسد » .

(٤) ل : « لا تستغزوا الدموغ إلا بالتذكر » .

(٥) سيأتى البيت بتمامه في الصفحة التالية .

(٦) فيما عدل ، هـ : « حفص » فقط .

(٧) هو أبو عمر عيسى بن عمر البصرى الثقفى النحوى ، أحد من روى عن الحسن البصرى ، وكان أحد القراء ، إلا أن الغريب والشعر أغلب عليه . وهو شيخ سيويه ، ويزعمون أن سيويه أخذ كتابه « الجامع » وبسطه ، وحشى عليه من كلام الخليل وغيره . وذكر سيويه أنه صنف نيفا وسبعين مصنفاً في النحو . وكان صاحب تقدير في كلامه . توفى سنة ١٤٩ . ابن خلكان ، وياقوت ، وبغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب .

تنزغ بكم إلى شر غاية . وحادثوها بالذكر ، فإنها سريعة الدثور ^(١) .
 اقدعوا : انهموا ^(٢) . طُلْعَةٌ : أى تَطَّلَعُ إلى كل شيء . حادثوا ، أى اجلّوا
 واشحذوا . والدثور : الدُّرُوس . يقال : دثر أثر فلان ، إذا ذهب ، كما يقال دَرَسَ وعفا .
 قال : فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء ، فتعجب من كلامه .
 وقال الشاعر ^(٣) :

سَمِعَنَ بِهِجَاً أَوْجَفَتْ فَذَكَرْتَهُ وَلَا يَبْعَثُ الْأَحْزَانُ مِثْلَ التَّذَكُّرِ
 الوجيف : سير شديد ؛ يقال : وجف الفرس والبعير وأوجفته . ومثله
 الإيضاع ، وهو الإسراع . أراد : بهيجا أقبلت مسرعة .

ومن الأسجاع قول أيوب بن القريّة ^(٤) ، وقد كان دُعِيَ للكلام
 واحتبس القول عليه ؛ فقال : « قد طال السَّهَرُ » ^(٥) ، وسَقَطَ القمر ، واشتد
 المطر ، فما يُنْتَظَرُ . فأجابه فتى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرق ،
 وسقط الشَّقَقُ ، وكثر اللُّثْقُ ، فليَنْطِقْ من نَطَقَ » .
 اللُّثْقُ : التَّنْذِيءُ والوَحْلُ .

وقال أعرابيٌّ ^(٦) لرجل : « نَحْنُ وَاللَّهِ آكُلُ مِنْكُمْ لِلْمَادُومِ ، وَأَكْسَبُ ١٧٨
 مِنْكُمْ لِلْمَعْدُومِ ، وَأَعْطَى مِنْكُمْ لِلْمَحْرُومِ » .

ووصف أعرابيٌّ رجلاً فقال : « إِنَّ رِفْدَكَ لَنَجِيحٍ » ^(٧) ، وَإِنْ خَيْرِكَ
 لَسَرِيحٍ ، وَإِنْ مَنَعَكَ لَمُرِيحٍ .

(١) سيأتي القول في (٣ : ١٣٨) منسوبا إلى عمر بن الخطاب .

(٢) بدلها فيما عدل : « كفوا » .

(٣) هو لىلى الأَحْيَلِيَّة ، من قصيدة في الأغاني (١٠ : ٧٢) . وانظر (٣ : ١٤٨) .

(٤) سبقت ترجمته في ص ٢٠ .

(٥) فيما عدل : « السمر » ، وما أثبت من ل يوافق ما سيأتي : « قد طال الأرق » .

(٦) بهذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من القسم الأول من نسخة كوبرلي المرموز إليها بالرمز « ل » .

(٧) الرfid : العطاء . والنجیح : السريع الوشيك . وسيأتي الخبر في (٢ : ٢٠٠) .

- سَرِيحٌ : عَجَلٌ . ومريحٌ : أى مُريحٌ من كدِّ الطَلَبِ .
- وقال عبد الملك لأعرأى : ما أطيبُ الطعام ؟ فقال : « بَكْرَةٌ سَنِمةٌ ، فى قُدورِ رَذِمةٍ ، بشفائرِ خِذِمةٍ ، فى غداةِ شَبِمةٍ » . فقال عبد الملك : وأبيك لقد أُطِيتَ (١) .
- وسئل أعرأى (٢) فقليل له : ما أشدُّ البَرْد ؟ فقال : « رِيحٌ جَرِيَاءٌ (٣) ، فى ظِلِّ عَمَاءٍ (٤) ، فى غِبِّ سماءٍ (٥) » .
- ودعا أعرأى فقال : « اللهم إئِنى أسألك البقاء والنِّماء ، وطيبَ الإِثاء ، وخطَّ الأعداءِ ، ورفعَ الأولياءِ » . الإِثاء : الرِّزْقُ .
- قال : وقال إبراهيم النَّخَعِى (٦) لمنصور بن المعتمر (٧) : « سَلْ مسألةَ الحَمَقِى ، واحفظ حفظَ الكَيْسِى (٨) » .
- ووصفت عَمَّةُ حاجِرِ اللَّصِّ (٩) حاجِزاً ، ففضلته وقالت : « كان حاجِزٌ

(١) فيما عدل ، هـ : « أطبت » . وقد سبق الخبر فى ص ٢٨٦ .

(٢) فى اللسان (جرب ٢٥٥) أن المسئول هو ابنة الحسن . وفى (عمى ٣٣٤) : « والعرب تقول » .

(٣) الجرياء : ريح تهب بين الجنوب والصبا ، وقيل هى الشمال الباردة .

(٤) فى اللسان (١٩ : ٣٣٤) : « تحت ظل عماء » . والعماء : جمع عماءة ، وهى السحابة الكثيفة المطبقة .

(٥) فى غب سماء ، أى بعد أن تنقطع يوماً . والسماء : المطر .

(٦) هو إبراهيم بن يزيد النخعى المترجم فى ص ١٩٢ .

(٧) هو أبو غياث منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة السلمى الكوفى . روى عن إبراهيم النخعى ، والحسن البصرى ، ومجاهد وغيرهم ، وروى عنه الأعمش ، والثورى ، وشعبة وغيرهم ، وكان أثبت أهل الكوفة فى الحديث . توفى سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٢) .

(٨) الكيسى : جمع كيس ، ويجمع الكيس أيضاً على أكياس ، وإنما جمع على كيسى لإجراء له مجرى ضده ، وهو أحق وحقيقى .

(٩) هو حاجز بن عوف بن الحارث ، من بنى سلامان بن مفرج . شاعر جاهلى مقل ، وهو أحد صعاليك العرب المغيرين ، ممن كانوا يسبقون الخيل عدوا على أرجلهم . انظر أخباره فى الأغاني (١٢) : ٢٥٤٧ - ٥٠ .

لا يَشْبَعُ لَيْلَةً يُضَافُ ، ولا ينام ليلة يَخَافُ .

ووصف بعضهم فرساً فقال: « أَقْبَلَ بُزْبُرَةُ الْأَسَدِ ، وَأَدْبَرَ بَعْجُزُ الذُّئْبِ » .

الزُّبْرَةُ : مَغْرِزُ الْعُنُقِ ، ويقال للشَّعَرِ الذِي بَيْنَ كَتْفَيْهِ . وَصَفَهُ بِأَنَّهُ مَحْطُوطُ الْكَفَلِ ^(١) .

٥ قال : وَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ ، وَقَامَتِ الْخُطَبَاءُ لِبَيْعَةِ يَزِيدَ ، وَأَظْهَرَ قَوْمُ الْكِرَاهَةِ قَامَ رَجُلٌ مِنْ عَذْرَةٍ ^(٢) يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُقْتَنَعِ ، فَاخْتَرَطَ مِنْ سَيْفِهِ شِبْرًا ثُمَّ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ - فَإِنْ مَاتَ فَهَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَزِيدَ - فَمَنْ أَبَى فَهَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى سَيْفِهِ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَنْتَ سَيِّدُ الْخُطَبَاءِ .
قَالُوا : وَلَمَّا قَامَتِ خُطَبَاءُ نَزَارٍ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَذَهَبَتْ فِي الْحُطْبِ كُلِّ مَذْهَبٍ ، قَامَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ ^(٣) ، فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا حَيٌّ فَعَالٍ ، وَلَسْنَا حَيٌّ مَقَالٍ ؛ وَنَحْنُ نَبْلُغُ بِفَعَالِنَا أَكْثَرَ مِنْ مَقَالٍ غَيْرِنَا ^(٤) » .

١٠ قال : وَلَمَّا وَقَدَ الْأَخْنَفُ فِي وَجْهِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، تَكَلَّمَ أَبُو حَاضِرِ الْأَسِيدِيِّ ^(٥) وَكَانَ خَطِيبًا جَمِيلًا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، صَرَفَ الدِّينَارَ ١٧٩ بِالدِّرْهَمِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لَنَا وَلَكَ مِثْلًا ، أَفَتَأْذَنُ فِي ذِكْرِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
١٥ قَالَ : مِثْلُنَا وَمِثْلُكَ وَمِثْلُ أَهْلِ الشَّامِ ، كَقَوْلِ الْأَعْشَى حَيْثُ يَقُولُ :

(١) الكفل : العجز . كفل محطوط : ممدود لا مأكمة له .

(٢) من عذرة ، في ل ، ه فقط .

(٣) هو صبرة بن شيمان بن عكيف بن كيوم الأزدى ، كان رئيس الأزد يوم الجمل ، وكذا في

٢٠ حرب صفين . انظر الاشتقاق ٢٩٩ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ١٣١ .

(٤) انظر الخبر برواية أخرى في الكامل ٥٧ ليسك .

(٥) الأسيدى ، بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء : نسبة إلى أسيد بن عمرو . وأسيد ،

بتشديد الياء تصغير أسود . قال ابن دريد في الاشتقاق ١٢٧ : « ومن رجالهم أبو حاضر ، واسمه صبرة

ابن جبر » . وفي النفاض ٧٤٩ أن اسمه « صبرة بن شريس » .

عَلَّقْتُهَا عَرْضاً وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
أَحَبُّكَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَأَحَبُّكَ أَهْلُ الشَّامِ ، وَأَحَبُّ أَهْلِ الشَّامِ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ .

على بن مجاهد ^(١) ، عن حميد بن أبي البختري ^(٢) قال : ذَكَرَ معاوية
لابن الزبير بيعة يزيد ، فقال ابن الزبير : إِنِّي أَنَادِيكَ وَلَا أَنَا جِيكَ ، إِنَّ أَخَاكَ مَنْ
صَدَقَكَ ، فَاظْطَرَّ قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ ، وَتَفَكَّرَ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ قَبْلَ التَّقْدُمِ ،
وَالْتَفَكُّرَ قَبْلَ التَّندَمِ . فضحك معاوية ثم قال : تَعَلَّمْتَ أَبَا بَكْرٍ السَّجَاعَةَ ^(٣)
عند الكبر ، إِنَّ فِي دُونِ مَا سَجَعْتَ بِهِ عَلَى أَخِيكَ مَا يَكْفِيكَ . ثُمَّ أَخَذَ يَبْدُوهُ
فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ .

أخبرنا ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ ، قَالَ : لَمَّا صَرَفَتِ الْيَمَانِيَّةُ مِنْ أَهْلِ مِزَّةٍ ^(٤) ،
الْمَاءَ عَنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ، وَوَجَّهَهُ إِلَى الصَّحَارَى ، كَتَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْهَيْذَامِ : « إِلَى
بَنِي اسْتَبَاهَا أَهْلُ مِزَّةٍ ، لِيُمَسِّتِنِي الْمَاءُ أَوْ لِيُصْبِحَنَّكُمْ الْخَيْلُ » . قَالَ : فَوَافَاهُمْ
الْمَاءَ قَبْلَ أَنْ يُعْتَمُوا ^(٥) . فَقَالَ أَبُو الْهَيْذَامِ : « الصَّدَقُ يُتْبَى عَنْكَ لَا الْوَعْدُ » .
وَحَدَّثَنِي ثُمَامَةُ عَنْ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ^(٦) قَالَ : لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ
يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَأَتَاهُ الْخَبَرُ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بَعْضَ التَّلَكُّؤِ وَالتَّحَبُّسِ ، كَتَبَ إِلَيْهِ : ١٥

(١) أبو مجاهد على بن مجاهد بن مسلم بن رفيع الكابلي الرازي العبدى ، القاضى ، روى عن ابن
إسحاق والثوري وجماعة ، وروى عنه جرير بن عبد الحميد ، وأحمد بن حنبل وغيرهما . وفي تهذيب
التهذيب : « كَانَهُ مَاتَ سَنَةَ بَضْعَ وَثَمَانِينَ » أَى وَمِائَةٍ .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « البختري » . انظر عيون الأخبار (٢ : ٥٩) .

(٣) هذا المصدر من السجع لم أجده في المعاجم المتداولة ، وكأنه نظير الكهانة والعرافة . وضبط
في هـ بفتح السين .

(٤) المزة ، بالكسر : قرية بينها وبين دمشق نصف فرسخ .

(٥) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « أَى يصيرون في وقت عتمة الليل . وعتمته : ظلامه .

يقال عتم الليل يعتم ، إذا أظلم . وأعتم الناس : صاروا في وقت العتمة » .

(٦) فيما عدا ل : « الشام » .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، إلى مروان بن محمد . أما بعد فإني أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيّهما ^(١) شئت . والسلام . »

وهاهنا مذاهب تدل على أصالة الرأي ، ومذاهب تدل على تمام النفس ^(٢) ، وعلى الصّلاح والكمال ، لا أرى كثيراً من الناس يقفون عليها .

واستعمل عبد الملك بن مروان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن مُحَرَّر خال مروان ، على مكة ، فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان بحذاء المنبر ، ١٨٠ فستم طلحة والزبير ، فلما نزل قال لأبان : أرضيتك من المذهنين في أمير المؤمنين ^(٣) ؟ قال : لا والله ولكن سؤتي ، حسبي أن يكونا شركاً في أمره .

فما أدري أيّهما أحسن كلاماً : أبان بن عثمان هذا ، أم إسحاق بن عيسى ، فإنه قال : « أعيد عليّ أن يكون قتل عثمان ، وأعيد عثمان بالله أن يقتله علي » . فمدح عليّاً بكلام شديد غير نافر ، ومقبول غير وحشي ، وذهب إلى معنى الحديث في قول رسول الله ﷺ : « أشد أهل النار عذاباً من قتل نبياً أو قتله نبياً » . يقول : لا يتفق أن يقتله نبي بنفسه إلا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرؤهم على معصية . وقال هذا : لا يجوز أن يقتله علي إلا وهو مستحق للقتل . ١٥

خطبة من خطب رسول الله ﷺ

قال : خطب رسول الله ﷺ بعشر كلمات : حمّد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيّها الناس ، إن لكم معالِمَ فانتوها إلى معالِمكم ، وإن لكم نهايةً فانتوها

(١) إذا أضيفت « أي » لضمير المؤنث جاز تأنيثها وتذكيرها . هـ : « أيّهما » .

(٢) ل : « وتدل على تمام النفس » .

(٣) عني بالمذهنين طلحة والزبير . كانا يعلنان المطالبة بدم أمير المؤمنين عثمان . والإدهان : المصانعة

والغش والنفاق .

إلى نهايتكم . إِنَّ الْمُؤْمَنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : بَيْنَ عَاجِلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِهِ ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ . فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ذُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ ، وَمَنْ الشُّبُوبَةُ قَبْلَ الْكِبَرَةِ ^(١) ، وَمَنْ الْحَيَاةُ قَبْلَ الْمَوْتِ ^(٢) ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ، وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ ، إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ .

أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : تَكَلَّمَ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ يَوْمًا فَأَوْجَزَ ، فَقِيلَ لَهُ : لَوْ زِدْتَنَا . فَقَالَ : أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِإِطَالَةِ الصَّلَاةِ وَقَصْرِ الْخُطْبِ ^(٣) .

محمد بن إسحاق ^(٤) ، عن يعقوب بن عتبة ^(٥) ، عن شيخ من الأنصار من بنى زُرَيْقٍ ^(٦) ، أن عمر بن الخطاب رحمه الله لما أُتِيَ بِسَيْفِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، دَعَا جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ ^(٧) فَسَلَّحَهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جُبَيْرُ ، مَعْنَى كَانَ النُّعْمَانُ ؟ قَالَ : مِنْ أَشْلَاءِ قَنْصِ بْنِ مَعَدٍّ ^(٨) . وَكَانَ جُبَيْرٌ أَنْسَبَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ أَخَذَ النَّسَبَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رحمه الله وَعَنْ جُبَيْرٍ أَخَذَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ^(٩)

(١) الكِبَرُ ، بِالْفَتْحِ : الْكَبِيرُ . لَ فَقَطْ : « الْكَبِيرُ » .

(٢) لَ : « قَبْلَ الْمَمَاتِ » .

(٣) هـ : « الْخُطْبَةُ » .

(٤) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارِ الْمَدَائِنِيِّ ، صَاحِبُ السِّيَرِ وَالْمَغَازِي ، وَأَحَدُ الرُّوَاةِ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٥٢ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ، وَتَذَكُّرَةُ الْحِفَاطِ (١ : ١٦٤) وَابْنُ النَّدِيمِ ١٣٦ .

(٥) يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقِ الثَّقَفِيِّ الْمَدَائِنِيِّ ، رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَأَبَانَ بْنِ عُمَانَ ، وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِمْ . وَرَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالسِّيَرِ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٨ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .

(٦) بَنُو زُرَيْقٍ : بَطْنٌ مِنَ الْخَزْرَجِ ، مِنْهُمْ أَبُو جَبِيلَةَ : الْمَلِكُ الْفَسَّاسِيُّ . الْإِسْتِثْقَاقُ ٢٧٢ .

(٧) جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ بْنُ عَدَى بْنِ تَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةِ الْقُرَشِيِّ ، صَحَابِيُّ جَلِيلٌ عَارِفٌ بِالنَّسَبِ .

تَوَفَّى سَنَةَ ٧٥ . الْإِصَابَةُ ١٠٨٧ .

(٨) أَوْرَدَ الْخَبَرَ فِي اللِّسَانِ (شَلَلٌ) ، وَقَالَ : « أَرَادَ أَنَّهُ مِنْ بَقَايَا أَوْلَادِهِ » .

(٩) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ٢٠٢ وَفِي الْقَامُوسِ (سَيْبٌ) : « وَكَمَحَدَّثٌ : وَالِدُ سَعِيدٍ ، وَیَفْتَحُ » .

وروى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ^(١) قال : قلت لسعيد بن المسيب : علّمني النسب . قال : أنت رجل تريد أن تُسأَب الناس .

قال : وثلاثة في نسق واحد كانوا أصحاب نسب : عمر بن الخطاب رحمه الله ، أخذ ذلك عن الخطّاب ، وكان كثيراً ما يقول : سمعتُ ذلك من الخطّاب ، ولم أسمع ذلك من الخطّاب ، والخطّاب بن ثَقِيل ، وثَقِيل بن عبد العزّي ، تنافَرَ إليه عبدُ المطلب وحرب بن أميّة ؛ فنَفَرَ عبد المطلب ، أى حكم لعبد المطلب والمنافرة : المحاكمة .

قال : والنسأَب أربعة : دَغَفَل بن حنظلة ^(٢) ، وعُمَيْرُ أبو ضَمَضَم ^(٣) ، وصَبِيع الحَنَفِي ^(٤) وابن الكَيْس التَّمْرِي ^(٥) .

قال الأصمعيّ : دَغَفَل بن حنظلة ، والنسأَب البكري ^(٦) ، وكان نصرانيّاً . ولم يُسَمَّه .

ذكر كلمات خطب بهن سليمان بن عبد الملك

قال : « اتَّخِذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَاماً ، وارضَؤْا به حَكْماً ، واجعلوه قائداً ؛ فإنه ناسخٌ لما قبله ، ولم ينسخه كتابٌ بعده » .

١٥ (١) فيما عدل : « عن بعض ولد طلحة » . وهو إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبد الله التيمي . روى عن عميه إسحاق وموسى ابني طلحة ، والزهرى ، ومجاهد ، وروى عنه وكيع وابن المبارك وغيرهما . توفى سنة ١٦٤ . تهذيب التهذيب .

(٢) هو دغفل بن حنظلة بن زيد الشيباني الذهلي النسابة ، أدرك الرسول ولم يسمع منه . غرق في يوم دولا ب في قتال الخوارج سنة سبعين . الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ والميداني (٢ : ٢٧٣) المعارف ٢٣٢ ، والاشتقاق ٢١١ وتاريخ الإسلام (٢ : ٢٨٧) .

(٣) فيما عدل ، هـ : « عميرة أبو ضمضام » ، وفي المعارف ٢٣٣ : « عمير بن ضمضم » .

(٤) في الحيوان (٣ : ٢١٠) : « صبيح الطائي » . وفي المعارف ٢٣٣ وابن النديم ١٢٣ : « صالح الحنفي » .

(٥) هو زيد بن الكيس التمرى ، كما في الحيوان (٣ : ٢١٠) .

(٦) ذكر في الفهرست ١٣١ ، المعارف ٢٣٣ . وذكر أن رؤية العجاج روى عنه أنه قال : « إن

٢٥ للعلم آفة وهجنة ونكنا » . انظر أيضاً ما سبق في ٢٧٣ ص ١٢ . هـ : « والنسأَب البكري » .

قال : وكان أول كلام بارع سمعوه منه : « الكلام فيما يعينك خير من السكوت عما يضرك ، والسكوت عما لا يعينك خير من الكلام فيما يضرك » .

خلاد بن يزيد الأرقط ^(١) قال : سمعت من يخبرنا عن الشَّعْبِي قال : ما سمعتُ متكلماً على منبرٍ قطُّ تكلمَ فأحسنَ إلاَّ تَمَنَّيتُ أن يسكُتَ خوفاً من أن يُسَيءَ ، إلاَّ زياداً ؛ فإنه كان كلما أكثرَ كان أجودَ كلاماً .

وكان نوفل بن مُساحِق ^(٢) ، إذا دخل على امرأته صمت ، وإذا خرج من عندها تكلم ، فرأته يوماً كذلك فقالت : أمّا عندى فتطرق ، وأمّا عند الناس فتنتطق . قال : لأنى أدقُّ عن جليلك ، وتجلين عن دقيقى .

قال أبو الحسن : قاد عيَّاشُ بنُ الزُّبَيْرِ بن بدر ، إلى عبد الملك بن مروان خمسةً وعشرين فرساً ، فلما جلسَ لينظرَ إليها نسبَ كلَّ فرسٍ منها إلى جميع آبائه وأمهاته ، وحلف على كلِّ فرسٍ يمينٍ غيرِ اليمينِ التى حلف بها على الفرس الآخر ، فقال عبدُ الملك بن مروان : عَجَبى من اختلاف أيمانه أشدُّ من عجبى من معرفته بأنساب الخيل .

وقال : كان للزُّبَيْرِ بن بدر ثلاثة أسماء : القمر ، والزُّبَيْرِ بن بدر ، والحصين .
 وكانت له ثلاثُ كُنَى : أبو شدرة ، وأبو عيَّاش ، وأبو العبَّاس . وكان عيَّاشُ ابنه
 خطيباً مارداً ، شديد العارضة شديد الشكيمة ، وجيهاً ؛ وله يقول جرير :
 أعيَّاشُ قد ذاقَ القُيُونُ مرارتي وأوقدتُ نارى فاذنُ دونك فاصنطِلِ
 فقال عيَّاش : إني إذا لَمَقُرُور . قالوا : فغلب عليه .

(١) سبقت ترجمته فى ص ٥٨ . وسيأتى الخبر فى (٢ : ٤٠) بلفظ آخر .

(٢) هو أبو سعيد نوفل بن مساحق بن عبد الله الأكبر بن مخزومة بن عبد العزيز القرشى العامرى
 المدنى ، القاضى ، ولى قضاء المدينة . توفى سنة ٤٧ . تهذيب التهذيب والإصابة ٨١١٠ والمعارف ١٢٩
 فى ترجمة معقل بن سنان .

باب

ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأبيناء وذكر قبائلهم وأنسابهم

كان التّدير في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الإسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ، ونقسّم أمورهم باباً باباً على جدته ، ونقدّم من قدّمه الله ورسوله عليه السلام في النسب ، وفضّله في الحسب . ولكّني لَمّا عجزت عن نظمه وتنزيده ، تكلفْتُ ذِكرهم في الجملة . والله المستعان ، وبه التوفيق ، ولا حول ولا قوّة إلا به (١) .

كان الفضل بن عيسى الرّقاشيُّ من أخطب الناس ، وكان متكلماً قاصّاً مُجيداً ، وكان يجلس إليه عمرو بن عبّيد ، وهشام بن حسان ، وأبان بن أبي عيَّاش (٢) وكثير من الفقهاء . وهو رئيس الفضليّة (٣) ، وإليه يُنسبون . وخطب إليه ابنته سودة بنت الفضل ، سليمان بن طرخان التيمي (٤) ، فزوّجه

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٩١ .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٩١ .

(٣) الفضلية : طائفة من المعتزلة ، منسوبة إلى الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي البصري . وهذه

الطائفة غير طائفة الفضلية في الخوارج ، المنتسبة إلى الفضل بن عبد الله . انظر مفاتيح العلوم ١٩ .

(٤) في القاموس : « وطرخان ، بالفتح ، ولا تضم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : اسم للرئيس

الشريف ، خراسانية » . وسليمان ، هو أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري ، ولم يكن من

بنى تيم ، وإنما نزل فيهم . وهو أحد حفاظ البصرة الثلاثة ، وهم سليمان ، وعاصم الأحول ، وداود بن أبي

هند . وكان من العباد النساك لا يزال هو وابنه المعتمر يدوران بالليل في المساجد . توفي بالبصرة سنة

١٤٣ . تذكرة الحفاظ (١ : ١٤٢) وصفة الصفوة (٣ : ٢١٨) وتهذيب التهذيب . وقد ورد اسمه في

المعارف ٢٠٩ : « سليمان بن طهمان » تحريف .

فولدت له المعتمر بن سليمان ^(١) . وكان سليمان مبايناً للفضل في المقالة ، فلما ماتت سودة شهيد الجنائز المعتمر وأبوه ، فقدما الفضل .

وكان الفضل لا يركب إلا الحمير ، فقال له عيسى بن حاضر ^(٢) : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب ، فلم ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع . قلت : مثل أى شيء ؟ قال : لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف

الزمان ، ثم هى أقلها داءً وأيسرها دواءً ، وأسلم صريعاً ، وأكثر تصريحاً ، وأسهل مرتقى وأخفض مهوى ، وأقل جماحاً ، وأشهر فارهاً ، وأقل نظيراً ، يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويكون مقتصداً وقد أسرف في ثمنه .

قال : ونظر يوماً إلى حمارٍ فارٍ تحت سلم بن قتيبة ، فقال ^(٣) :

« قعدة نبي وبذلة جبار » .

وقال عيسى بن حاضر : ذهب إلى حمار عذير ، وإلى حمار المسيح ^(٤) ،

وإلى حمار بلعم ^(٥) . وكان يقول : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل ^(٦) ، أن

(١) هو أبو محمد المعتمر بن سليمان بن طرخان ، روى عن أبيه ، وداود بن أبى هند ، وعنه الثوري وابن المبارك وغيرهم . ولد سنة ١٠٠ وتوفى سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٥ - ٢٤٦) .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٥ . وقد ورد الخبر في عيون الأخبار (١ : ١٦٠) مصدراً بقوله : « قال رجل للفضل الرقاشي » .

(٣) في الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشي إلى سلم بن قتيبة على

حمار يريد المسجد قال ... » .

(٤) هو المسيح عيسى بن مريم ، صلوات الله عليه . وفي الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « وأما الحمار

فمركب عيسى بن مريم ، وعذير وبلعم » . فيما عدل : « مسيح الدجال » تحريف كما رأيت .

(٥) في هـ رواية عن نسخة : « بلعم » .

(٦) في ثمار القلوب ٢٩٥ : « وأبو سيارة : رجل من عدوان ، واسمه عميلة بن خالد بن أعزل وكان له

حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة » . وقال ابن دريد في الاشتقاق ١٦٤ : « وعميلة تصغير عملة ، والعملة والعملة الناقة الصابرة » وفي السيرة ٧٨ جوتنجن : « الإفاضة من مزدلفة كانت في

عدوان فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد إسحاق ، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام عميلة بن الأعزل » .

يدفع بالموسم على فرس عربي ، أو جمل مُهَرِّي لفعل ؛ ولكنه ركب غيراً
أربعين عاماً ؛ لأنه كان يتأله ^(١) . وقد ضرب به المثل فقالوا : « أصح من غير
أنى سياره » .

والفضل هو الذى يقول فى قصصه : « سل الأرض فقل : مَنْ شَقَّ
أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؛ فإن لم تُجِبْكَ حِوَاراً ، أجابتك
اعتباراً ^(٢) » .

وكان عبد الصمد بن الفضل أغزر من أبيه وأعجب وأمين وأخطب .

وقال : وحديثى أبو جعفر الصوفى القاص قال : تكلم عبد الصمد فى
خلق البعوضة وفى جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة .

قال : وكان يزيد بن أبان ، عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى ، من
أصحاب أنس ^(٣) والحسن ، وكان يتكلم فى مجلس الحسن ، وكان زاهداً
عابداً ، وعالماً فاضلاً ، وكان خطيباً ، وكان قاصاً مجيداً .

قال أبو عبيدة : كان أبوه خطيباً ، وكذلك جدُّهم ، وكانوا خطباء الأكاسرة
فلما سبوا وولد لهم الأولاد فى بلاد الإسلام وفى جزيرة العرب ، نزعهم ذلك
العرق ، فقاموا فى أهل هذه اللغة كمقامهم فى أهل تلك اللغة ، وفيهم شعر وخطب ،
وما زالوا كذلك حتى أصهر إليهم الغرباء ففسد ذلك العرق ودخله الخور .

ومن خطباء إياد قس بن ساعدة ، وهو الذى قال فيه النبى ﷺ :
« رأيت يسوق عكاظ على جمل أحمَر وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا

(١) التأله : التنسك والتعبد .

(٢) سبق هذا القول فى ص ٨١ .

(٣) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصارى المدنى ، خادم رسول الله ، شهد معه
الحديبية والفتح وحنينا والطائف ، وهو آخر من بقى بالبصرة من الصحابة . توفى سنة ٩٥ . الإصابة
٢٧٥ وتهذيب التهذيب .

وَأَسْمَعُوا ^(١) وَغُوا . مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٌ .
وهو القائل في هذه : « آياتٌ محكمات ، مطرٌ ونبات ، وآباءٌ وأمّهات ،
وزاهبٌ وآت ^(٢) ، ضوءٌ وظلام ، وبرٌّ وأثام ^(٣) ، ولياسٌ ومركبٌ ، ومطعمٌ
ومشرب ^(٤) ، ونجومٌ تمور ^(٥) ، وبحورٌ لا تغور ، وسقفٌ مرفوع ، ومهادٌ موضوع ،
وليلٌ دايج ، وسماءٌ ذات أبراج . مَالِي أَرَى النَّاسَ يَمُوتُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرْضُوا
فَأَقَامُوا ، أَمْ حُسِبُوا فَنَامُوا . »

وهو القائل : « يَا مَعْشَرَ إِيَادَ ، أَيْنَ تَمُودُ وَعَادَ ، وَأَيْنَ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ .
أَيْنَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي لَمْ يُشْكَرْ ، وَالظُّلُمُ الَّذِي لَمْ يَنْكَر . أَقْسَمَ قُسٌّ قَسْمًا بِاللَّهِ ،
إِنَّ اللَّهَ لَدَيْنَا هُوَ أَرْضَى لَهُ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا . »

وَأُنْشِدُوا لَهُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِيَيْنِ مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ ^(٥)
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَيَقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَهُ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

وَمِنَ الْخُطْبَاءِ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٦) أَقَرَّ عَلَيَّ

(١) فيما عدل : « فاسمعوا » .

(٢) ما بعده هذه الكلمة إلى كلمة « مشرب » ساقط مما عدل ، هـ .

(٣) الأثام ، كسحاب : الإثم ، أو جزاؤه .

(٤) في اللسان : « وفي حديث قس : ونجوم تمور ، أى تذهب ونجى » . ل : « تغور » ، وأثبت

ما في اللسان وسائر النسخ .

(٥) فيما عدل : « تمضي الأكابر والأصاغر » .

(٦) هو خالد بن عبد الله القسري أمير العراق من قبل هشام بن عبد الملك الأموي ، قتل في أيام

الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ . انظر الطبري (٩ : ١٧) والمعارف ١٧٤ ووفيات الأعيان (١ : ١٦٩ - ١٧) .

زيد بن عليّ ، وداود بن عليّ ^(١) ، وأيوب بن سلمة المخزومي ، وعليّ محمد بن عمر بن عليّ ^(٢) ، وعليّ سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ^(٣) ؛ فسأل هشام زيدا عن ذلك فقال : أحلف لك . قال : وإذا حلفت أصدقك ؟ قال زيد : اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد يأمر بتقوى الله ؟ قال زيد : لا أحد فوق أن يُوصى بتقوى الله ، ولا دون أن يُوصى بتقوى الله ^(٤) . قال هشام : بلغني أنك تريد الخلافة ، ولا تصلح لها ؛ لأنك ابنُ أمة . قال زيد : فقد كان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ابنُ أمة ، وإسحاق عليه السلام ابنُ حرة ، فأخرج الله من صلب إسماعيل خيرَ ولد آدم محمداً عليه السلام . فعندها قال له : قم . قال : إذن لا ترائي إلا حيثُ تكره ! ولما خرج من الدار قال : « ما أحبّ أحدَ الحياة قطُ إلا ذلٌ » . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعنّ هذا الكلام منك أحد .

وقال محمد بن عُمير ^(٥) : إن زيدا لما رأى الأرض قد طُبقت ^(٦) جَوْرًا ، ١٨٥ ورأى قلة الأعوان وتخاذل الناس ^(٧) ، كانت الشهادة أحبّ الميتات إليه ^(٨) وكان زيدا كثيرًا ما يُنشد :

(١) هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي . وهو زوج أم موسى بنت علي بن الحسين . توفي وهو وال على المدينة سنة ١٣٣ لابن أخيه السفاح . تهذيب التهذيب والمعارف ٩٥ . ١٥
(٢) فيما عدل ، هـ : « وعلي بن محمد بن عمر بن علي » ، تحريف . وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، روى عن عمه محمد بن الحنفية وابن عمه علي بن الحسين بن علي ، وروى عنه أولاده عبد الله ، وعبيد الله ، وعمر . أدرك أول خلافة بني العباس . تهذيب التهذيب .
(٣) فيما عدل ، هـ : « وعلي بن سعد » الخ ، تحريف كسابقه ، سببه كلمة « علي » وسعد هذا ، كان قاضيا من قضاة المدينة زمن هشام . توفي سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٤ وصفة ٢٠
الصفوة (٢ : ٨٢) .

(٤) انظر ما سيأتي في ص ٣٢٥ .
(٥) ذكر الجاحظ فيما مضى ص ٨٤ أنه كان غالبا من مشايخ الشيعة .
(٦) طبقت ، أي ملئت وعمت وغشيت . طبق السحاب الجو : غشاه .
(٧) فيما عدل ، هـ : « ورأى تخاذل الناس » .
(٨) فيما عدل ، هـ : « جمع منية ، وهي الموت » .

شُرِّدَهُ الخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ^(١)
 مُنْخَرَقُ الحُفْنَيْنِ يَشْكُو الوَجَى تَنْكُبُهُ أَطْرَافُ مَزْوٍ حِدَاذِ^(٢)
 قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ
 قَالَ : وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ شِعْرَ الْعَبَسِيِّ فِي ذَلِكَ^(٣) :

إِنَّ الْحَكْمَ مَا لَمْ يَرْتَقِبْ حَسْبًا أَوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أَوْحَدًا الْقَنَا جَنَفًا^(٤)
 مَنْ عَاذَ بِالسَّيْفِ لَاقَى فُرْصَةً عَجَبًا مَوْتًا عَلَى عَجَلٍ أَوْ عَاشَ مُتَنَصِّفًا^(٥)
 وَلَمَّا بَعَثَ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو^(٦) بِرَأْسِ زَيْدِ^(٧) ، وَنَصَرَ بْنِ خَزِيمَةَ^(٨) ، مَعَ

- (١) الأبيات في زهر الآداب (١ : ٧٢) . قال : « وقد رويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين » . وقد سرد في زهر الآداب طائفة كبيرة من أقواله . ل فقط : « فأزرى به » .
 (٢) الوجي : الحفا . تنكبه : تصيبه وتثاله . والأبيات في الطبرى (٨ : ٤١) .
 (٣) في ذلك ، من هـ . والبيتان من أبيات عشرة رواها الجاحظ في الحيوان (٣ : ٨٧) .
 (٤) في الأصل : « من لم » صوابه من الحيوان . ل : « أو يجعل السيف » . جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .
 (٥) في الحيوان : « من لاذ بالسيف » . وفي بعض نسخ الحيوان : « لاقى قرضه » . والقرض ، أصله ما يتجازى به الناس بينهم .
 (٦) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي ، ولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ثم ولاه العراق سنة ١٢١ فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وقصد العراق ، فقتل خالد القسري أمير العراق قبله ، وأقام بالكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه وحجسه في دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسري بثأر أبيه سنة ١٢٧ . وهو ابن ابن عم الحجاج . وفيات الأعيان .
 (٧) زيد هذا ، هو زيد بن علي بن الحسين بن علي ، كان قد خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفي ، وصلبه بالكناسة - موضع بالكوفة - عريانا . وكان زيد يلقب بالمهدى ، فقال شاعر أموى :

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جَذَعٍ نَخْلَةٍ وَلَمْ نَرِ مَهْدِيًا عَلَى الْجَذَعِ يَصْلَبُ

- ويروى الجاحظ أن رأس زيد رُئيت في دار يوسف بن عمر ، فجاء ديك فوطىء شعره ونقره في لحمه ليأكله . انظر الحيوان (٢ : ٢٥١) والكامل ٧١٠ ليسك .
 (٨) ذكر ابن دريد في الاشتقاق ١٦٩ أنه من أهل الكوفة ، وكان من أشجع الناس ، قتل مع زيد بن علي بن الحسين بن علي ، وصلب معه .

شَبَّة بن عِقَالٍ ، وكَلَف آل أَى طالب أن يبرؤوا من زيد ، ويقومَ خطباؤهم بذلك . فَأَوَّل مَنْ قامَ عبدُ الله بن الحسن ، فأوجَزَ في كلامه ثم جلس ، ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فأطنب في كلامه ، وكان شاعراً بينا ، وخطيباً لسيناً ، فانصرف الناس وهم يقولون : ابنُ الطَّيَّار ^(١) أخطبُ الناس ! فقليل لعبد الله بن الحسن في ذلك ، فقال : لو شئتُ أن أقولَ لقلت ، ولكن لم يكن مقامُ سرور . فأعجبَ الناسَ ذلك منه .

ومن أهل الذَّهَاء والتَّكْرَاء ^(٢) ، ومن أهل اللُّسَن واللُّقَن ، والجواب العجيب ، والكلام الفصيح ، والأمثال السائرة ، والمخارج العجيبة : هند بنتُ الحُس ^(٣) ، وهى الزرقاء ، وجمعة بنتُ حابس ^(٤) . ويقال إن حابساً من إيراد . وقال عامر بن عبد الله الفزاري : جُمعَ بين هند وجمعة ، فقليل لجمعة : أَى الرِّجال أحبُّ إليك ؟ فقالت : « الشَّيْقُ الكَتْد ^(٥) » ، الظاهر الجَلْد ، الشديْدُ الجذبُ بالمسَد . وقيل لهند : أَى الرِّجال أحبُّ إليك ؟ قالت : « القريب الأمد ، الواسع البلد ^(٦) » ، الذى يُوفَدُ إليه ولا يَفْد .

١٥ (١) الطيَّار ، لقب جده جعفر وهو جعفر بن أَى طالب : كان قد حمل لواء المسلمين في يوم مؤتة يمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه فقتل وخر شهيدا ، فيقولون إنه عوض من يديه جناحين يطير بهما في الجنة . انظر الإصابة ١١٦٢ .

(٢) التكرء : الدهاء والفتنة .

(٣) هى هند بنت الحُس ، بضم الحاء وتشديد السين ، بن حابس بن قريظ الإبادية ، وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب . انظر جوابها على أسئلة شتى في أمالى القائل (١ : ٢/١٩٩ : ٢٠ . عكاظ . عيون الأخبار (٢ : ٢١٤) .

(٤) يقال لها أيضا « حممة » بالخاء . وفي بلاغات النساء لطيفور ص ٥٨ أنها أخت هند ، وأن القلمس الكنانى سألها في سوق عكاظ .

(٥) الشَّق : الطويل . والكَتْد ، بالتحريك وككتف : أعلى الكتف . فيما عدل : « الشَّق الكَتْد » تحريف . ٢٥

(٦) البلد : الدار ، بمانية .

وقد سئلت هند عن حَرِّ الصيف وبرد الشتاء ، فقالت : « من جعل بُوساً كاذباً (١) . » وقد ضُربَ بها المثل . فمن ذلك قول ليلي بنتِ النَّضْرِ الشاعرة (٢) :
 وَكُنْتُ بِنُ جُدْعَانٍ دَلَالَةُ أُمِّهِ وَكَانَتْ كَبِنْتُ الحُسْنِ أَوْ هِيَ أَكْبَرُ
 وقال ابنُ الأعرابي : يقال بنت الحُسْنِ ، وبنت الحُصْنِ ، وبنت الحُسْنَفِ (٣) وهى الزَّرْقَاءُ . وقال يونس : لا يقال إِلَّا بنت الأَحْسَنِ .
 وقال أبو عمرو بن العلاء : داهيتا نساءِ العربِ هندُ الزَّرْقَاءُ ، وعنْزُ الزَّرْقَاءِ ، وهى زَرْقَاءُ اليمامة .

* * *

وقال البَقَطَرِيُّ : قيل لعبد الله بن الحسن : ما تقول فى المِرَاءِ ؟ قال :
 مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي شَيْءٍ يُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَيُحِلُّ (٣) الْعَقْدَةَ الْوَثِيقَةَ ، فَإِنَّ
 أَقْلَ مَا فِيهِ (٤) أَنْ يَكُونَ دُرِّيَّةً لِلْمَغَالِبَةِ ، وَالْمَغَالِبَةُ مِنْ أَمْتِنِ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ . إِنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لما أتاه السَّائِبُ بنُ صَيْفِيٍّ فقال : أتعرفنى يا رسول الله ؟ قال :
 « كَيْفَ لَا أَعْرِفُ شَرِيكَى الَّذِى كَانَ لَا يُشَارِينِى وَلَا يَمَارِينِى » . قال :
 فَتَحَوَّلْتُ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَلِىٍّ فَقُلْتُ لَهُ : الصَّمْتُ خَيْرٌ أَمْ الْكَلَامُ ؟ قال : أَخْزَى
 اللَّهُ الْمَسَاكَةَ ، فَمَا أَفْسَدَهَا لِلْبَيَانِ ، وَأَجْلَبَهَا لِلْحَصْرِ . وَاللَّهُ لِلْمُمَارَاةِ أَسْرَعُ فِي
 هَدْمِ الْعِىِّ مِنَ النَّارِ فِي بَيْتِ الْعَرْفَجِ ، وَمَنْ السَّيْلُ فِي الْحَذُورِ .
 وَقَدْ عَرَفَ زَيْدٌ أَنَّ الْمُمَارَاةَ مَذْمُومَةٌ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : الْمُمَارَاةُ عَلَى مَا فِيهَا أَقْلُ
 ضَرراً مِنَ الْمَسَاكَةِ الَّتِى تَوَرَّثَ الْبُلْدَةُ (٥) ، وَتَحُلُّ الْعَقْدَةَ ، وَتُفْسِدُ الْمُتَّةَ ، وَتَوَرَّثَ

(١) الخبر برواية أخرى فى الحيوان (١٠٥ : ٥) .

(٢) وبنت الحُسْنَفِ ، مِنْ ل ، هـ فقط .

(٣) فيما عدل ، هـ : « وَيَحْتَل » ، تحريف .

(٤) التيمورية : « وَإِنْ كَانَ فَإِنَّ أَقْلَ مَا فِيهِ » . ب ، ج ، هـ : « وَإِنْ كَانَ لِأَقْلَ مَا فِيهِ » .

(٥) فى اللسان : « وَالْبَلْدَةُ وَالْبَلْدَةُ - أَى بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ - وَالْبَلَادَةُ : ضِدُّ النِّفَازِ وَالذِّكَاةِ وَالْمِضَاءِ

عللاً ، وتؤلّد أدواءً أيسرّها العي . فإلى هذا المعنى ذهب زيد .

* * *

ومن الخطباء : خالد بن سلمة المخزومي من قريش ، وأبو حاضر ،
وسالم بن أبي حاضر ، وقد تكلم عند الخلفاء .

ومن خطباء بني أسيد : الحكم بن يزيد بن عمير ، وقد رأس . ومن
أهل اللسان منهم والبيان : الحجاج بن عمر بن يزيد ^(١) .

ومن الخطباء : سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية ^(٢) .
قال : وقيل لسعيد بن المسيّب : مَنْ أبلغ الناس ؟ قال : رسول الله ﷺ .
فقليل : ليس عن هذا نسألك . قال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ^(٣) ، وما كان
ابن الزبير دونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طلاوة . ١٠

فمن العجب أن ابن الزبير قد ملأ دفاتر العلماء كلاماً ، وهم لا يحفظون ١٨٧
لسعيد بن العاص وابنه من الكلام إلا ما لا بال له .

(١) فيما عدل ، ه : الحجاج بن عمير بن زيد .

(٢) أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي كان
من نديه عثمان لكتابة القرآن ، ولي الكوفة وغزا طبرستان وجرجان ، وولى المدينة لمعاوية ، فكان يعاقب بينه وبين
مروان ، وكان مشهوراً بالكرم حتى إذا سأله السائل وليس له مال حاضر كتب له بما يريد ، فلما توفي كان عليه
ثمانون ألف دينار فوفاهما عنه ولده عمرو الأشدق . توفي في قصره بالعقيق سنة ٥٣ . الإصابة ٣٢٦١ .

(٣) هو أبو أمية عمرو بن سعيد ، المعروف بالأشدق ، الذي مضى ذكره في ص ١٢١ . وكان
يلقب بلطيم الشيطان ، وهو لقب يقال لمن به لقوة أو شتر . انظر الحيوان (٦ : ١٧٨) . وهو أحد
التابعين . وهناك عمرو بن سعيد بن العاص الأكبر ، صحابي قديم . ولي الأشدق المدينة لمعاوية وليزيد ، ثم
طلب الخلافة وغلب على دمشق ؛ وذلك أنه كان بايع عبد الملك بن مروان ، بشرط أن يكون هو الخليفة بعده .
فلما أراد عبد الملك خلعه وأن يبايع لأولاده نفر عمرو من ذلك وخرج عليه . وقتله عبد الملك بعد أن أعطاه
الأمان . وكان ذلك سنة ٧٠ . تهذيب التهذيب وتاريخ الطبري (٧ : ١٧٨ - ١٨١) . الإصابة ٦٨٤٢ .

وكان سعيداً جواداً ، ولم ينزع قميصه قط ، وكان أسود نحيفاً ، وكان يقال له « عُكَّة العَسَل ^(١) » . وقال الخطيئة :

سَعِيدٌ فَلَا يَغْرُزُكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ تَخَذُّدٌ عَنْهُ اللَّحْمُ فَهُوَ صَلِيبٌ ^(٢)
وكان أوَّل مَنْ حَشَّ الإِبِلَ فِي نَفْسِ عَظَمِ الأنفِ . وكان في تدييره اضطراب . وقال قائلٌ من أهل الكوفة :

يا ويلنا قد ذهب الوليدُ وجاءنا مجوعاً سعيدُ
ينقص م الصاع ولا يزيد ^(٣)

قال : الأمراء تتحبَّب إلى الرعية بزيادة المكايل ^(٤) ، ولو كان المذهب في الزيادة في الأوزان كالمذهب في زيادة المكايل ما قصرُوا ، كما سأل الأحنف عمر بن الخطاب الزيادة في المكايل . ولذلك اختلفت أسماء المكايل ، كالزبادى والفالج ^(٥) ، والخالدى . حتَّى صيرنا إلى هذا المُلَجَم ^(٦) اليوم . ثم من الخطباء : عمرو بن سعيد ، وهو الأشدق ^(٧) ، يقال إن ذلك إنما قيل لتشادقه في الكلام . وقال آخرون : بل كان أفعَمَ مائل الدَّقَن ، ولذلك قال عبيد الله بن زيادٍ حين أهوى إلى عبد الله بن معاوية : يَدُكَ عَنِّي يَا لَطِيمَ الشيطان ، ويا عاصي الرحمن ^(٨) . وقال الشاعر :

وعمرُو لَطِيمَ الجَنِّ وابنُ مُحَمَّدٍ بأسوأ هذا الأمرِ يلتبسان ^(٩)

(١) العكة ، بالضم : رزق صغير .

(٢) ديوان الخطيئة ٤٢ وسيأتى في (٣ : ١١٦) . تخذد اللحم : هزل ونقص .

(٣) فيما عدل : ينقص في الصاع .

(٤) ل : الكيل .

(٥) في اللسان (٣ : ١٧٢) : والفالج والفالج - بالكسر - مكيال ضخم معروف وقيل هو القفيز ، وأصله بالسريانية فالغاء ، فعرّب . ومثله في المغرب للجواليقي ٢٤٩ .

(٦) ل : « اللحم » ، تحريف . وانظر الطبري (١٠ : ٢٦٦) وكتاب بغداد لابن طيفور ١٩ حيث ذكر صفته .

(٧) مضت ترجمته في الصفحة السابقة .

(٨) انظر الخبر في الحيوان (٦ : ١٧٨) .

(٩) ل : « فيا سوء » تحريف .

ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْ عَوَانَةَ ^(١) . وَهَذَا خِلَافَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالَ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ وَكُلُّ خَطِيبٍ لَا أَبَالِكَ أَشْدَقُ ^(٢)

وَقَالَ : وَقَدْ كَانَ مَعَاوِيَةَ قَدْ دَعَا بِهِ فِي غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا اسْتَنْطَقَهُ

قَالَ : « إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ مَرْكَبٍ صَعَبٌ ، وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا » . وَقَالَ لَهُ : إِلَى مَنْ

أَوْصَى بِكَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : إِنَّ أُمِّي أَوْصَى إِلَيَّ وَلَمْ يَوْصِ لِي ^(٣) . قَالَ : وَبِأَيِّ شَيْءٍ

أَوْصَاكَ ؟ قَالَ : بِأَلَّا يَفْقَدَ إِخْوَانُهُ مِنْهُ إِلَّا شَخْصَهُ . قَالَ : فَقَالَ مَعَاوِيَةَ عِنْدَ

ذَلِكَ : إِنَّ ابْنَ سَعِيدٍ هَذَا لِأَشْدَقَ . فَهَذَا يَدُلُّ عِنْدَهُمْ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا سَمِيَ ١٨٨

بِالْأَشْدَقِ لِمَكَانِ التَّشَادُقِ .

ثُمَّ كَانَ بَعْدَ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، وَكَانَ نَاسِبًا

خَطِيبًا ، وَأَعْظَمَ النَّاسِ كِبَرًا . وَقِيلَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ : إِنَّ الْمَرِيضَ لِيَسْتَرْجِعَ إِلَى

الْأَنْثَيْنِ ، وَإِلَى أَنْ يَصِفَ مَا بِهِ إِلَى الطَّبِيبِ . فَقَالَ :

أَجَالِيدُ مِنْ رَبِّ الْمَنُونِ فَلَا تَرَى عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ ^(٤)

وَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ خُطْبَاءِ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهِمْ ، فَتَكَلَّمُوا مِنْ قِيَامٍ ،

وَتَكَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ ، فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَقَدْ رَجَوْتُ عَثْرَتَهُ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ

حَتَّى خِفْتُ عَثْرَتَهُ . ١٥

فَسَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، خَطِيبُ ابْنِ خَطِيبٍ ابْنِ خَطِيبٍ .

(١) عَوَانَةُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَهُوَ عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ عَوَانَةَ بْنِ عِيَاضٍ ، الْكَلْبِيُّ الْكُوفِيُّ الْأَخْبَارِيُّ
النَّسَابَةُ . وَكَانَ كَثِيرَ الرِّوَايَةِ عَنِ التَّابِعِينَ ، وَأَكْثَرَ الْمَدَائِنِيِّ فِي النُّقْلِ عَنْهُ ، وَكَانَ عَثْمَانِيَا يَضَعُ الْأَخْبَارَ لِبَنِي
أُمَيَّةٍ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٥٨ . لِسَانُ الْمِيزَانِ (٤ : ٣٨٦) وَابْنُ النَّدِيمِ ١٣٤ وَنَكَتُ الْهَمِيانِ ٢٢٢ .

(٢) أَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ فِي ص ١٢١ .

٢٠

(٣) الْخَبَرُ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (١ : ٢٣٥) وَأُمَالِي الْمُرْتَضَى (١ : ٢٠٠) .

(٤) أَجَالِيدُ : جَمْعُ جَمْعٍ لِلْجِلْدِ ، وَهُوَ الْقَوِيُّ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ .

- ومن الخطباء : سهيل بن عمرو الأعلَم^(١) أحد بني حِسل بن مَعِص^(٢) وكان يُكنى أبا يزيد ، وكان عظيم القدر ، شريف النفس ، صحيح الإسلام . وكان عمر قال للنبي ﷺ : يا رسول الله ، انزعُ ثنيتيه السفليتين حتى يدلّع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً . فقال رسول الله ﷺ : « لا أمثل فيمثل الله لي وإن كنتُ نبياً . دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاماً تحمده » . فلما هاج أهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله ﷺ قام خطيباً فقال : « أيها الناس ، إن يكن محمد قد مات فالله حي لم يموت . وقد علمت أنني أكثركم قتباً في برٍّ ، وجارية في بحر^(٣) » ، فأقروا أميركم وأنا ضامن إن لم يتم الأمر أن أردّها عليكم » ، فسكن الناس . وهو الذي قال يوم خرج آذنُ عمر ، وهو بالباب وعيينة بن حصن^(٤) ، والأقرع بن حابس ، وفلان وفلان ، فقال الآذن : أين بلال ، أين صُهيب ، أين سلمان ، أين عَمَّار ؟ فتمعّرت وجوه القوم ، فقال سهيل : لِمَ تتمعّروا وجوهكم ؟! دُعُوا ودُعينا فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر ، لَمَّا أعدَّ الله لهم في الجنة أكثر .

- ومن الخطباء : عبد الله بن عروة بن الزبير : قالوا : وكان خالد بن صفوان يشبهه به . وما علمت أنه كان في الخطباء أحدٌ كان أجودَ خطباً من خالد بن صفوان ١٥

(١) سبق ترجمته في ص ٥٨ . ل : « الأشرم » وما أثبت من سائر النسخ هو المطابق لما في الإصابة ٣٥٦٦ . والأعلم : المشقوق الشفة العليا ، وقد كان كذلك . أما الأشرم فهو المشروم الأنف .

(٢) كنا . والمعروف أن حسلا ومعيصا أخوان أبوهما عامر بن لؤي . انظر المعارف ٣٢ ومختلف القبائل وموتلفها لابن حبيب ص ٣١ .

(٣) القتب : رجل صغير على قدر السنام . عنى كثرة إبله وسفنه في التجارة . ٢٠

(٤) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الغزاري ، وكان اسمه حذيفة فلقب عيينة ، لأنه كان أصابته شجة فحفظت عيناه . شهد حنيناً والطائف وعاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ٦١٤٦ . ما عدا ه : « وبالباب عيينة بن حصن » .

وشبيب بن شيبة ، للذى يحفظه الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما . ١٨٩
وما أعلم أن أحداً ولّد لهما حرفاً واحداً .

- ومن النسائيين من بنى العنبر ثم من بنى المنذر : الحنّف بن يزيد ^(١) بن
جعفونة . وهو الذى تعرّض له دغفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر ^(٢)
بالبصرة ، فقال له : متى عهدك بسجّاج أمّ صادر ^(٣) ؟ فقال : « مالى بها
عهد منذ أضلّت أمّ جلس » ، وهى بعض أمّهات دغفل . فقال له : تشدّئك
بالله ، أنحن كنّا لكم أكثر غزواً فى الجاهلية أم أنتم لنا ؟ قال : بل أنتم ^(٤) فلم
تفلقوا ولم تنجحوا ، غزانا فارسكم وسيّدكم وابن سيّدكم ، فهزمناه مرّة وأسرناه
مرّة ، وأخذنا فى فدائه بخدر أمه . وغزانا أكثركم غزواً ، وأنبهكم فى ذلك
ذكرا ، فأعرجناه ثم أرجلناه . فقال ابن عامر : أسألكما بالله لَمّا كففتُما .
وكان عبد الله بن عامر ، ومُصعب بن الزبير ، يُحِبَّان أن يَعْرِفَا حالات
الناس ، فكانا يُعْرِيَان بين الوجوه وبين العلماء ، فلا جرّم أنهما كانا إذا سبّا أوجعا .
وكان أبو بكر رحمه الله أنسب هذه الأمة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم
سعيد بن المُسيّب ، ثمّ محمد بن سعيد بن المسيّب . ومحمد هذا هو الذى نفى
آل عَنكِثَةَ المخزوميين ^(٥) فرفع ذلك إلى والى المدينة فجلبه الحدّ . وكان ينشد :

(١) فيما عدل : « بن زيد » .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كزير بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، ابن خال
عثمان بن عفان . كان شجاعاً جواداً ميموناً ، ولّه عثمان البصرة وضم إليه فارس فاقتنح خراسان وأطراف
فارس وسجستان وغيرها . وولاه معاوية البصرة . توفى سنة ٥٩ قبل وفاة معاوية بسنة . الإصابة ٦١٧٥
والمعارف ١٤٠ والجهشياري ١٤٨ .

(٣) هى سجّاج بنت الحارث التميمية ، من بنى يربوع ، وكان يقال لها أم صادر ، وتزوجها
مسيلة المتنبى ، ثم من بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية ، ذكر ذلك
صاحب التاريخ المظفرى . المعارف ١٧٨ والإصابة ٦٠٧ من قسم النساء .

(٤) ل : « قال بل أنتم لنا قال » .

(٥) نفاهم : أى نفى نسبهم إلى مخزوم ، جعل أباهم مولى لهيبة بن أبى وهب .

وَيُرْبِعُ بَنَ عَنكَتَةَ ابْنِ أَرْضٍ وَأَعْتَقَهُ هُبَيْرَةُ بَعْدَ حِينٍ (١)

يعنى هُبَيْرَةُ بَنَ أُنَى وَهَبِ الْمَخْزُومَى (٢)

ومن التّسايين العلماء : عتبة بن عُمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من ذوى الرّأى والدّهاء ، وكان ذا منزلة من الحجّاج بن يوسف . وعمر بن عبد الرحمن خامس خمسة في الشّرف . وكان هو الساعى بين الأُسْدِ (٣) وتميم في الصّلح .

ومن بنى حُرْقُوص : شعبة بن القَلْعَم ، وكان ذا لسانٍ وجوابٍ وعارضة ، وكان وَصَافاً فصيحاً ، وبنوه عبد الله ، وعُمر ، وخالد كلّهم كانوا في هذه الصّفة ، غير أنّ خالداً كان قد جمع مع اللّسن والعلم ، الخلاوة والظّرف (٤) . وكان الحجّاج بن يوسف لا يصبر عنه .

ومن بنى أُسَيْد بن عمرو بن تميم (٥) ، أبو بكر بن الحكم ، كان ناسباً راوية شاعراً ، وكان أخلّى النَّاسَ لساناً ، وأحسنهم منطقاً ، وأكثرهم تصرّفاً . وهو الذى يقول له رؤية :

لقد خشيتُ أن تكون ساحراً راوية مرّاً ومرّاً شاعراً (٦)

ومنهم مُعَلَّل بن خالد ، أحد بنى أنمار بن الهُجَيم ، وكان نسابة علامة ،

(١) ابن أرض ، أى غريب . انظر المقائيس (١ : ٨١) .

(٢) في الاشتقاق ٩٥ : ومن فرسانهم هبيرة بن أنى وهب ، وكان زوج أم هانئ بنت أنى طالب ، فأسلمت وثبت هو على الشرك .

(٣) هـ : الأرد ، وهما لغتان .

(٤) فيما عدل : مع بلاغة اللسان العلم والخلاوة والظرف .

(٥) أسيد هذا : تصغير أسود في لغة بنى تميم ، وسائر العرب يقولون في تصغيره : أسبود . انظر

الاشتقاق ١٢٧ .

(٦) المر ، بالفتح : جمع مرة . ومثله قول ذى الرمة :

لا بل هو الشوق من دار نخونها مرا سحاب ومرا بارح ترب

راويةً صدوقاً مقلداً^(١) . وذكر للمنتجع بن نُبَهان فقال : كان لا يُجَارَى ولا يَمَارَى .

ومنهم من بنى العنبر ، ثم من بنى عمرو بن جندب : أبو الخنساء عباد بن كُسيب^(٢) ، وكان شاعراً علامة ، وراويةً نسابة ، وكانت له حُرمة بأبي جعفر المنصور .
ومنهم : عمرو بن خُوَلة ، كان ناسباً خطيباً ، وراويةً فصيحاً ، من ولد سعيد بن العاصي . والذي أتى سعيد بن المسيب ليعلمه التسب هو إسحاق ابن يحيى بن طلحة .

وكان يحيى بن عروة بن الزبير ناسباً عالماً ، ضربه إبراهيم بن هشام المخزومي إلى المدينة حتى مات ، لبعض القول . وكان مصعب بن ثابت بن عبد الله^(٣) ناسباً عالماً ، ومن ولده الزُّبيري^(٤) عامل الرُّشيد على المدينة واليمن .

ومنهم ثم من قریش : محمد بن حفص^(٥) ، وهو ابن عائشة ، ويكنى أبا بكر . وابنه عبيد الله ، كان يجري مجراه ، ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن بنى خُزَاعِيٌّ بن مازن^(٦) : أبو عمرو وأبو سفيان ؛ ابنا العلاء بن عمار بن العريان . فأما أبو عمرو فكان أعلم الناس بأمور العرب ، مع صيحة سماع وصدق

(١) المقلد ، أصله في الخيل : السابق يقلد شيئاً ليعرف أنه قد سبق .

(٢) أبو الخنساء عباد بن كسيب ، من بنى عمرو بن جندب ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٣ وقال : « وكان راوية للشعر عالماً بأخبار العرب » .

(٣) هو والد الزبيري التالي . وفي الأصول : « مصعب بن عبد الله بن ثابت » . وهذا لا يستقيم مع الكلام التالي ، وانظر لمصعب بن ثابت جمهرة ابن حزم ١٢٢ والأغانى (٢٠ : ١٨٠) .

(٤) اسمه عبد الله بن مصعب ، كما في تاريخ الطبري (١٠ : ١١٢) . وتاريخ بغداد (١٠ : ١٧٣) . وكانت وفاته سنة ١٨٤ .

(٥) فيما عدل ، هـ : محمد بن جعفر بن حفص ، وكلمة « جعفر » مقحمة . انظر ترجمة ولده عبيد الله فيما مضى ص ١٠٢ .

(٦) هم بنو خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . انظر الاشتقاق ١٢٤ - ١٢٥ . فيما عدل « خزاعة » تحريف .

لسان . حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى أَبِي عَمْرٍو عَشَرَ حِجَجٍ مَا سَمِعْتُهُ يَحْتَجُّ بَيْتَ إِسْلَامِي . قَالَ وَقَالَ : مَرَّةً : « لَقَدْ كَثُرَ هَذَا الْحَدِيثُ وَحَسُنَ حَتَّى لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ فِتْيَانَنَا بِرَوَايَتِهِ » . يَعْنِي شَعْرَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقَ وَأَشْبَاهَهُمَا . وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ : كَانَ أَبُو عَمْرٍو أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْغَرِيبِ ^(١) وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَبِالْقُرْآنِ ^(٢) وَالشَّعْرِ ، وَبِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِ النَّاسِ . وَكَانَتْ دَارُهُ خَلْفَ دَارِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ^(٣) .

قال : وَكَانَتْ كُتُبُهُ الَّتِي كَتَبَ عَنْ الْعَرَبِ الْفَصَحَاءِ ، قَدْ مَلَأَتْ بَيْتًا لَهُ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ السَّقْفِ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَقَرَّأَ ^(٤) فَأَحْرَقَهَا كُلَّهَا ، فَلَمَّا رَجَعَ بَعُدَ إِلَى عِلْمِهِ الْأَوَّلِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا مَا حَفِظَهُ بِقَلْبِهِ . وَكَانَتْ عَامَّةُ أَخْبَارِهِ عَنْ أَعْرَابٍ قَدْ أَدْرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ ^(٥) .

- وفي أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق :
- ١٠ مازلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار
- قال : فَإِذَا كَانَ الْفَرَزْدَقُ وَهُوَ رَاوِيَةُ النَّاسِ وَشَاعِرُهُمْ وَصَاحِبُ أَخْبَارِهِمْ ، يَقُولُ فِيهِ مَثَلُ هَذَا الْقَوْلِ ، فَهُوَ الَّذِي لَا يُشْكُ فِي خَطَابَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ .
- وقال يونس : لَوْ لَا شَعْرُ الْفَرَزْدَقِ لَذَهَبَ نِصْفُ أَخْبَارِ النَّاسِ .
- وقال في أبي عمرو مكي بن سودة ^(٦) :
- ١٥ الجامع العلم نسيه ويحفظه والصادق القول إن أنداده كذبوا
- وكان أبو سفيان بن العلاء ناسباً ، وكلاهما كُناهما أَسْمَاؤُهُمَا . وَكَذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ بْنُ كَيْدٍ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْعَلَاءِ بْنُ كَيْدِ التَّغْلِبِيِّ ، خَلِيفَةُ عَيْسَى بْنِ شَيْبٍ الْمَازَنِيِّ عَلَى شَرْطِ الْبَصْرَةِ .

(١) فيما عدل : « بالعرب » . (٢) فيما عدل : « بالقراءة » .

(٣) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٤ .

(٤) تقرأ تقرأ ، أى تنسك . وفي ترجمته عند ابن خلكان : « ثم إنه تقرأ ، أى تنسك » .

(٥) ولد أبو عمرو بن العلاء سنة ٧٠ وتوفي سنة أربع أو ست أو سبع أو تسع وخمسين ومائة . ياقوت وابن خلكان وبغية الوعاة .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٣ .

وكان عَقِيلُ بن أَيْ طالِبٍ ناسباً عالماً بالأَمْهَات ، بَيْنَ اللِّسَانِ سَدِيدِ
الجواب (١) ، لا يقوم له أحد .

وكان أَبُو الجهم بن حُذَيْفَةَ العَدَوِيُّ (٢) ناسباً شديداً العارضة ، كثير
الذِّكْرُ للأَمْهَاتِ بِالْمَثَالِبِ .

ومن (٣) رؤساء النَّسَائِينَ : دَغْفَلُ بن حَنْظَلَةَ ، أحدُ بنِي عمرو بن شَيْبَانَ ، لم
يدرك الناس مثله لساناً وَعِلْماً وَحِفْظاً . ومن هذه الطبقة زيد بن الكَيْسِ التَّمَرِيُّ .
ومن نَسَائِي كَلْبٍ : مُحَمَّدُ بن السائب ، وهشام بن محمد بن السائب ،
وشرْقُ بن القُطَامِيِّ . وكان أعلاهم في العلم وَمَنْ ضُرِبَ به المثل ، حمَّادُ بن بشر .
وقال سِمَاكُ العِكرَمِيُّ (٤) :

فسائِلُ دَغْفَلًا وَأَخَا هَلالَ وَحَمَّادًا يُنْبِئُوكَ اليَقِينَا (٥)
وقد ذكرنا دَغْفَلًا . وأخو هلال هو زيد بن الكَيْسِ . وبنو هلال : حَيٌّ
من التَّمَرِ بن قاسط .

وقال مِسْكِينُ بن أَنَيْفِ الدَّارِمِيُّ (٦) في ذلك :
وعند الكَيْسِ التَّمَرِيُّ عِلْمٌ وَلَوْ أَمْسَى بِمَنْحَرَقِ الشَّمالِ
وقال ثابتُ قُطْنَةَ :

فما العِضَّانِ لو سُئِلَا جَمِيعَا أَخُو بَكْرٍ وَزَيْدُ بَنِي هَلالِ (٧)

(١) في جميع النسخ : « شديد الجواب » . وإنما هو من السداد والإصابة .

(٢) أبو الجهم ذكره ابن النديم في الفهرست ١٦٢ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من حـ والتميمورية وزيدت في بـ .

(٤) حـ : « العكل » مع أثر تصحيح . بـ والتميمورية : « العكرى » .

(٥) لـ : « وأبا هلال » تحريف . يقال فلان أخو القوم ، أى هو منهم .

(٦) مِسْكِينُ ، لقب له ، واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن

عبد الله بن دارم . شاعر شجاع من أهل العراق ، كان معاصراً للفرزدق . الخزائنة (١ : ٤٦٧) والأغاني

(١٨ : ٦٨ - ٧٢) .

(٧) العِض ، بالكسر : الداهية من الرجال ، ومنه قول القطامي :

أحاديث من أنباء عاد وجرهم يثورها العِضَّانُ زيد ودغفل

ولا الكلبي حمّاد بن بشر
وقال زياد الأعجم :

بل لو سألت أختا ربيعة دغفلا لوجدت في شيان نسبة دغفل
إن الأحابن والذين يلبونهم شر الأنام ونسل عبيد أغرل^(٢)
يهجو فيها بنى الحبناء .

ومنهم : أبو إياس النصري^(٣) . وكان أنسب الناس ، وهو الذي قال :
كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دؤاد الإيادي ، وعدى بن زيد العبادي .
وكان أبو نوفل بن أبي عقرب^(٤) ، علامة ناسبا خطيبا فصيحاً ، وهو
رجل من كنانة ، أحد بنى عرج^(٥) .

ومن بنى كنانة ثم من بنى ليث ، ثم من بنى الشداخ^(٦) : يزيد بن بكر
ابن دأب . وكان يزيد عالماً ناسباً ، وراويّة شاعراً . وهو القائل :
الله يعلم في عليّ علمه وكذلك علم الله في عثمان

(١) فاد يفيد فيدا : هلك .

(٢) الأحابن أراد بهم بنى الحبناء . والأغرل : الأكلف . فيما عدل : « عبد الأغرل » تحريف .

(٣) فيما عدل : « إياس النصري » .

(٤) ذكره الجاحظ في الحيوان (٥ : ٢١٩) بلفظ « ابن أبي العقرب الليثي » . كما ذكره ابن

قتيبة في المعارف ٣١ بنسبة « العرجي » . وفي تهذيب التهذيب : « أبو نوفل بن أبي عقرب البكري الكندي العرجي ، قيل اسمه مسلم بن أبي عقرب ، وقيل عمرو بن مسلم بن أبي عقرب ، وقيل معاوية بن أبي عقرب . روى عن أبيه أو جده أبي عقرب ، وعائشة وأسماء بنتي أبي بكر الصديق ، وعمرو بن العاص والعبادة الأربعة ... وسماه شعبة معاوية بن عمرو قال : كنت آتية أنا وأبو عمرو بن العلاء فأسأله عن الفقه ويسأله أبو عمرو عن العربية » . وانظر الإصابة ٧٦٦ من باب الكنى .

(٥) في المعارف ٣١ : « ومنهم بنو عرج ، وهم قليل ، وأبو نوفل بن أبي عقرب العرجي منهم » .
وانظر جمهرة ابن حزم ١٨٤ .

(٦) الشداخ ، بثلاث الشين وتشديد الدال ، من ليث بن كنانة ، واسمه يعمر بن عوف بن كعب . قالوا : سمى بذلك لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي كانت بينهم فقال : شدخت الدماء تحت قدمي » . انظر الاشتقاق ١٠٦ والقاموس واللسان (شداخ) .

وولد يزيد يحيى وعيسى . فعيسى هو الذى يُعرف فى العامة بابن دأب ، وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية ، وكان صاحب رسائل وخطب ، وكان يُجيدُهما جِداً (١) .

ومن آل دأب : حذيفة بن دأب ، وكان عالماً ناسباً . وفى آل دأب علمٌ بالتسبب والخبر .

وكان أبو الأسود الدؤلى ، واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان ، خطيباً عالماً ، وكان قد جمع شِدَّةَ العقل وصواب الرأى وجودة اللسان ، وقول الشعرِ والظرف . وهو يُعدُّ فى هذه الأصناف ، وفى الشيعة ، وفى العُرجان ، وفى المفاليج . وعلى كلِّ شىءٍ من هذا شاهدٌ سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال الخُسرُ لابنته هند : أريد شراءً فحيل لإبلى . قالت : « إن اشتريته فاشتره أسجَحَ الحدين ، غائر العينين ، أرقب ، أحزم أعكى ، أكوَم : إن عُصَى غَشَم ، وإن أطيع تَجَرَّم » .

وهى التى قالت لما قيل لها : ما حملك على أن زنيبتِ بعبدك ؟ قالت : ١٩٣ « طول السَّواد ، وقرب السَّواد » .

السَّواد : السَّرار . أسجَحَ : سَهَّلَ واسع . يقال : « ملكت فأسجَح » .

أرقب : غليظ الرِّقبة . أخزم : منتفخُ المَحْزَم . أعكى : العُكوة مغرِز الوركين فى المؤخر ، تصفه بشِدَّةِ الوركين . إن عُصَى غَشَم : إن عصته النَّاقَةُ غصَبها نفسها . تجرَّم : أى بَقى ، مأخوذٌ من الجرثومة ، وهى الطين والتراب يُجمَع

(١) وكان عيسى يضع الحديث والشعر وأحاديث السمر ، كان يضع الحديث بالمدينة ، وابن

شوكر يضع الحديث بالسند . وفيهما يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن داب

وكان صاحب حظوة عند الهادى ، وروى عنه شبابة بن سوار ، ومحمد بن سلام الجمحى . تاريخ

بغداد (١١ : ١٤٨) ولسان الميزان (٤ : ٤٠٨) .

حول النخلة ؛ ليقوّيها . تصفه بالصَّبْر والقوّة على الضُّراب . أَكَوَمَ : عظيم السنام . وقال الشاعر (١) :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكَلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَاؤُهَا
يقال : فى لسانه حُكَلَة ، إذا كان شديدَ الحُبسة مع لُغ .

قالوا : وعاتب هشامُ بن عبد الملك زيدَ بن على ، فقال له : بلغنى عنك شيءٌ . قال : يا أمير المؤمنين ، أحلف لك ؟ قال : وإذا حلفت لى أصدّقك ؟ قال : نعم ، إنّ الله لم يرفع أحداً فوقَ ألا يَرْضَى به ، ولم يضع أحداً دونَ ألا يَرْضَى منه به (٢) .

وكان زياد بن ظبيان التيمى العائشى خطيباً ، فدخل عليه ابنه عبيد الله (٣) وهو يَكِيدُ بنفسه ، فقال له : ألا أوصى بك الأمير (٤) . قال : لا . قال : ولم ؟ قال : إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت فالحى هو الميت . وكان عبيد الله أفنك الناس ، وأخطب الناس . وهو الذى أتى باب مالك ابن مسمع (٥) ومعه نارٌ ، ليحرق عليه داره ، وقد كان نابه أمر فلم يرسل إليه قبل الناس ؛ فأشرف عليه مالك فقال : مهلاً يا أبا مطر ، فوالله إنّ فى كنانتى

(١) هو العماني الراجز ، كما فى الحيوان (٢٣ : ٤) . وعبرة الإنشاد والبيت وشرحه ساقطة من ل .

(٢) سبق الخبر برواية أخرى فى ص ٣١٠ .

(٣) كان عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاتكاً من الشجعان ، وكان مقرباً من عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك . الطبرى (١٨٦ : ٧) وجمهرة ابن حزم ٣١٥ . وذكره النويرى فى نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) هو وعبيد الله بن زياد بن أبيه . وقال : « وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن عبد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان » . (٤) فيما عدل : « الأمير زيادا » . وكلمة « زيادا » مقحمة . والخبر فى الحيوان (٢ : ٩٥ - ٩٦) وعيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٥) مالك بن مسمع بن شيبان ، من بكر بن وائل . قال رجل لعبد الملك : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فى غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السودد . وهلك فى أول خلافة عبد الملك بن مروان بالبصرة . المعارف ١٨٤ والإصابة ٨٣٥٣ والحيوان (١ : ٢٧٠) .

سَهْمٌ أَنَا بِهِ أَوْثَقُ مَنِّي بكَ . قال : وإنك لتُعَدُّني في كَنانَتِكَ ، فوالله لو قمت فيها لَطَلْتُها ، ولو قعدتُ فيها لَحَرَقْتُها . قال مالك : مهلاً ، أَكْثَرَ الله في العَشيرة مِثْلَكَ ! قال : لقد سَأَلْتُ الله شَطَطاً !

ودخل عُبيد الله على عبد الملك بن مروان ، بعد أن أتاه برأس مصعب بن الزُّبَيْر ، ومعه ناسٌ مِنْ وجوه بكر بن وائل ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْعُدَ معه على سريره فقال له عبد الملك : ما بال الناس يزعمون أَنَّكَ لا تُشَبِّه أَباك ؟ قال : والله لَأَنَا أَشَبُّهُ بِأبي من اللَّيْلِ بالليل ، والغراب بالغراب ، والماء بالماء ، ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يُشَبِّه أباه . قال : ومن ذاك ؟ قال : مَنْ لم يولد لِتَمَام ، ولم تُنْضِجْهُ الأرحام ، وَمَنْ لم يشبه الأخوال والأعمام . قال : وَمَنْ ذاك ؟ قال : ابنُ عَمِّي سُويد بن منجوف ^(١) . قال عبد الملك : أَوْ كَذَلِكَ أَنْتَ يا سُويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا من عنده أَقْبَلَ عليه سُويدُ فقال : وَرَيْتَ بكَ زَنادى ^(٢) ! والله ما يَسْرُنِي أَنَّكَ كُنْتَ نَقَصْتَهُ حَرْفاً واحداً ممَّا قُلْتَ له وَأَنَّ لِي حُمْرَ التَّعَمِّ ^(٣) قال : وأنا والله ١٩٤ ما يَسْرُنِي بِحِلْمِكَ اليَوْمَ عَنِّي سُودُ التَّعَمِّ ^(٤) .

قال : وَأَتَى عُبيد الله ، عَتَابَ بَنِ رِقاء ، وعتابٌ على أصهبان ، فأعطاه ١٥ عشرين ألف درهم ، فقال : والله ما أَحْسَنْتُ فَأَحْمَدُكَ ، ولا أَسَأْتُ فَأَذَمُّكَ ، وإنك لَأَقْرَبُ البُعْداء ، وأبعدُ القُرَباء .

قال : وقال أَشِيمُ بن شقيق بن ثور ، لعُبيد الله بن زياد بن ظَبْيَان : ما أَنْتَ قاتِلٌ لِرَبِّكَ وقد حَمَلْتَ رَأْسَ مصعبِ بن الزُّبَيْرِ إلى عبد الملك بن مروان ؟ قال :

(١) سويد بن منجوف بن ثور السدوسي كان زعيم بكر بن وائل بالبصرة ، وأحد من هاجم الأخطل . الحيوان (٥ : ١٦٢) والاشتقاق ٢١٢ والأغاني (٧ : ١٧٤) .
(٢) في اللسان : « وتقول لمن أنجِدك وأعانك : ورت بك زنادى » . ويقال ورت أيضا . والزناد : جمع زند ، وهو ما تورى به النار .

(٣) العرب تقول : خير الإبل حمرا وصهبيا .

(٤) انظر لقوة السود من الحيوان كتاب الحيوان (١ : ٢٦٢ / ٢ : ٧٩) .

اسْكُتْ ، فَأَنْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْطَبُ مِنْ صَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ إِذَا تَكَلَّمْتَ الْخَوَارِجَ . فَمَا ظَنُّكَ بِبِلَاغَةِ رَجُلٍ عَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ !

وإنما أردنا بهذا الحديث خاصةً ، الدلالة على تقديم صَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ فِي الْخُطْبِ . وَأَدُلُّ (١) مِنْ كُلِّ دَلَالَةٍ اسْتِنطَاقَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ (٢) .

وكان عُثْمَانُ بْنُ عُرْوَةَ (٣) أَخْطَبَ النَّاسَ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ : « الشُّكْرُ وَإِنْ قَلَّ ، ثَمَنٌ لِكُلِّ نَوَالٍ وَإِنْ جَلَّ » .

وكان ثَابِتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، مِنْ أَتْبَاعِ النَّاسِ ، وَلَمْ يَكُنْ خَطِيبًا .

وكان قَسَامَةُ بْنُ زُهَيْرٍ (٤) أَحَدَ بَنِي رِزَامِ بْنِ مَازِنٍ (٥) ، مَعَ تُسْكَنِهِ وَزُهْدِهِ وَمِنْطَقِهِ ، مِنْ أَتْبَاعِ النَّاسِ ، وَكَانَ يُعَدِّلُ بَعَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ (٦) فِي زُهْدِهِ وَمِنْطَقِهِ . وَهُوَ الَّذِي قَالَ : رَوَّحُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ نَجِّ الدُّكْرَ . وَهُوَ الَّذِي قَالَ :

١٠ « يَا مَعْشَرَ النَّاسِ ، إِنَّ كَلَامَكُمْ أَكْثَرُ مِنْ صَمْتِكُمْ ، فَاسْتَعِينُوا عَلَى الْكَلَامِ بِالصُّمْتِ ، وَعَلَى الصُّوَابِ بِالْفَكْرِ » . وَهُوَ الَّذِي كَانَ رَسُولَ عُمَرَ فِي الْبَحْثِ عَنْ شَأْنِ الْمَغِيرَةِ وَشَهَادَةِ أَبِي بَكْرَةَ (٧) .

(١) فيما عدل ، هـ : « وأولى » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٠٢ .

(٣) هو عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام ، كان من خطباء الناس وعلمائهم ، ومن وجوه قريش وساداتهم ، وأمه عمة عبد الملك بن مروان . توفي سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته في ص ٤٥ . وكلمته التالية في رسائل الجاحظ (١ : ٢٩٠)

(٥) في هامش ل ، هـ : دارم بن مالك . وقسامة مازني .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٨٣ .

(٧) أبو بكر ، هو نافع بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان تدلى إلى النبي ﷺ من حصن الطائف ببكرة ، ذلك أنه لما طال حصار الطائف قال رسول الله : « أيما عبد تدلى إلى فهو حر » . فاشتهر بأبي بكرة . الإصابة ٧٨٩٤ وابن خلكان في ترجمة (يزيد بن ربيعة) . والمغيرة ، هو الصحابي الجليل المغيرة بن شعبه . وكان قد اتهم بامرأة من بني هلال يقال لها أم جميل ، فشهد عليه أبو بكر ، وشبل بن معبد ، ونافع بن كلدة وزباد . انظر تاريخ الطبري (٤ : ٢٠٦ - ٢٠٨) في حوادث سنة ١٧ .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية ، خطيباً شاعراً ، وفصيحاً جامعاً ، وجيّد
الرأي كثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء .
ومن خطباء قريش : خالد بن سلمة المخزومي ^(١) وهو ذو الشفة . وقال
الشاعر في ذلك :

فما كان قائلهم دَغْفَلٌ ولا الحَيِّقُطَانُ ولا ذو الشِّفَّةِ

ومن خطباء العرب : عطار بن حاجب بن زُرارة ، وهو كان الخطيب
عند النبي ﷺ ، وقال فيه الفرزدق بن غالب :

ومِنّا خطيب لا يُعَابُ وحاملٌ أَعْرُ إذا التفت عليه الجامع ^(٢)

ومن الخطباء : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ^(٣) ، وكان مع ذلك راوية
ناسبا شاعراً ، ولما رجع عن قول المُرَجَّة ^(٤) إلى قول الشيعة قال :

وأوّل ما نفارق غيرَ شكٍ نفارق ما يقول المرجثونا ^(٥)

وقالوا: مؤمنٌ من أهل جور وليس المؤمنون بجائرينا ^(٦)

(١) خالد بن سلمة المخزومي ، وكان يسمى ذا الضرس ، وذا الشفة . قتل مع يزيد بن عمر بن
هيرة سنة ١٣٢ . انظر الحيوان (٧ : ٧١) .

(٢) الحامل : الذي يحمل عن القوم الحمالة ، وهى الدية والغرامة : يعنى الفرزدق به أباه غالب
ابن صعصعة . وفيه يقول :

دعوا غالباً عند الحمالة والقرى وأين ابنه الشاق تميما نقاتمه

وكان الفرزدق نفسه حمالاً ، قال جرير في رثائه له (ديوانه ٥٣٥) :

رزئنا بحمال الديات ابن غالب وحامى تميم عرضها والبراجم

(٣) هو أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد . وعتبة هذا ، هو
أخو عبد الله بن مسعود . قال ابن سعد : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة رحل إليه عون ، وعمر
ابن ذر ، وموسى بن ألى كثير . فناظره في الإرجاء ، فزعموا أنه وافقهم . توفي بين ١١٠ - ١٢٠ .
تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٥٥) والمعارف ١١٠ .

(٤) المُرَجَّة : طائفة ترجى العمل عن الإيمان : أى تؤخره ، وترى أن الإيمان لا يضر معه معصية . انظر

الملل (١ : ١٨٦) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٣١ والفرق بين الفرق ١٩٠ وطبقات ابن سعد (٧ : ٢١٤) .

(٥) في التهذيب حيث روى هذا البيت وحده : « لأول ما نفارق » .

(٦) هـ : « من آل جور » . وفي المعارف حيث روى الأبيات الثلاثة : « المؤمنون يحاربونا » .

وقالوا : مؤمن دمه حلالٌ وقد حرمت دماء المؤمنين
 وكان حين هرب إلى محمد بن مروان ^(١) في قل ^(٢) ابن الأشعث ^(٣) ألزمه ابنه
 يؤذبه ويقومه ، فقال له يوماً : كيف ترى ابن أخيك ؟ قال : « ألزمتني رجلاً
 إن غبت عنه عتب ، وإن أتيتني حجب ، وإن عاتبتني غضب » . ثم لزم عمر
 ابن عبد العزيز ، وكان ذا منزلة منه . قالوا : وله يقول جرير :

يأئها الرجلُ المرحى عمامته هذا زمانكُ إنني قد مضى زمني
 أبلغ خليفتنا إن كنت لاقية أني لدى الباب كالمصفود في قرن ^(٤)
 وقد رآك وفود الخافقين معاً ومذ وليت أمور الناس لم تَرني ^(٥)

* * *

١٠ . كان الجارود بن أبي سيرة ^(٦) ويكنى أبا نوفل ، من أبين الناس وأحسنهم

(١) هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان أشد بني مروان ، وهو
 قتل إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير بدير الجاثليق ، بين الشام والكوفة ، وكان على الجزيرة . وابنه مروان بن
 محمد آخر من ولي الخلافة من بني أمية . المعارف ١٥٥ .

(٢) الفل : بقية الجيش المنهم . ل : فك ، والصواب ما أثبت من هـ ، ب مع أثر تصحيح في الأخيرة .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج من سجستان إلى العراق سنة ٨١ .
 ولما دخل البصرة في تلك السنة بايعه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرائها وكهولها ، وكان
 بينه وبين الحجاج وقعات منها : الأهواز ، والزواية ، ودير الجماجم ، ومسكن ، ودجيل . وقد قتل عبد الرحمن
 نفسه ، بأن ألقي بها من فوق قصر الطبرى (٨ : ٢ - ٤٢) والمعارف ١٥٦ .

(٤) المصفود : المشدود بالصفاد ، وهو ما يوثق به الأسير من قيد وغل . فيما عدل : « كالمشدود » .

٢٠ . ما أثبت من ل يطابق رواية الديوان ٥٨٨ . والقرن : الحبل يقرن به البعيران . وفي اللسان (قرن) :

أبلغ أبا مسمع إن كنت لاقية أني لدى الباب كالمشدود في قرن

(٥) الخافقان : الشرق والغرب . وبدله في الديوان :

لا تنس حاجتنا لاقية مغفرة قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

(٦) هو الجارود بن أبي سيرة سالم بن سلمة الهذلي البصري ، روى عن أبي ، وطلحة بن عبيد الله ،

وأنس ، وروى عنه قتادة وثابت البناني . توفي سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب .

حديثاً ، وكان روايةً علامَةً ، شاعراً مُفليحاً ، وكان من رجال الشيعة . ولما استنطقه الحجاج قال : ما ظننتُ أن بالعراق مثل هذا . وكان يقول : ما أمكننى وإلّ قطُّ من إذنه إلّا غلبتُ عليه ، ما خلا هذا اليهودى - يعنى بلال بن أبى بُردة (١) - وكان عليه متحاملاً ، فلما بلغه أنه دُهِقَ حتى دُقَّت ساقه (٢) ، وجُعِلَ الوترُ في حُصْيَيْهِ ، أنشأ يقول :

لقد قرَّ عَيْنِي أَنَّ ساقِيه دُقَّتَا وَأَنَّ قَوَى الْأوتارِفي البيضة اليسرى
بَخِلْتُ وراجعتُ الخيانةَ والحنأ فَيَسَّرَكَ اللهُ المقدَّسُ للعُسرى
فما جَذَعُ سَوْءِ خَرَبِ السُّوسِ جَوْفَهُ يُعَالَجُهُ التَّجَارُ يُبْرِى كما تُبْرِى
وإنما ذكر الحُصْيَةِ اليسرى لأنَّ العامَّة تقول : إن الولد منها يكون (٣).

ومن الخطباء الذين لا يُضاهون ولا يُجارون : عبد الله بن عباس . قالوا : خطبنا بمكة ، وعثمانُ محاصرٌ ، حُطْبَةٌ لو شَهِدَتْهَا التُّرْكُ والدَّيْلُمُ لأَسْلَمَتَا .

قال : وذكره حسانُ بن ثابت فقال :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتَقَطَاتٍ لا تُرى بينها فضلاً
كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدغ لذى إزيرة فى القول جدًّا ولا هزلاً
سموتَ إلى العليا بغير مَشَقَّة فنلت ذُرَاهَا لا دَنِيًّا ولا وَغَلًا

١٥

(١) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، واسم أبى بردة عامر ، واسم أبى موسى عبد الله . كان بلال أمير البصرة وقاضياً ، روى ابن الأثير أنه مات فى حبس يوسف بن عمر ، وأنه قتله دهاؤه ، قال للسجان : أعلم يوسف أبى قدمتُ ولك ما يغنيك ، فأعلمه فقال : أرنيه ميتاً ، فجاء السجان فألقى عليه شيئاً غمه حتى مات . توفى سنة نيف وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب والمعارف ١٧٤ .

٢٠

(٢) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمز بهما الساق ، وهى ضرب من العذاب ، يقال له بالفارسية « اشكنجه » . اللسان ومعجم استيعباس ٦٦ .

(٣) انظر الحيوان (١ : ١٢٣) .

وقال الحسن : كان عبد الله بن عباس أول من عرّف (١) بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ، ففسرهما حرفاً حرفاً ؛ وكان والله مثجاً يسيل غريباً (٢) ، وكان يسمى البحر وحرير قريش . وقال فيه النبي ﷺ : « اللهم فقّهه في الدين ، وعلمه التأويل » . وقال عمر : « غصّ غَوَاصُ » . ونظر إليه يتكلم فقال :
 * شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزم *

الشعر لأبي أخزم الطائي ، وهو جد أبي حاتم طي ، أو جد جدّه ، وكان له ابن يقال له أخزم ، فمات وترك بنين فتوثبوا يوماً على جدهم أبي أخزم فأدموه ، فقال :
 إِنَّ بَنِي رَمَلُونِي بِالْدَمِ (٣) شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزم
 أي إنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخلقه . وأحسبه كان به عاقاً . هكذا ذكر ابن الكلبي . والشِنْشِنَةُ مثل الطبيعة والسجّية .

فأراد عمر رحمه الله إلني أعرف فيك مشابيه من أبيك ، في رأيه وعقله .
 ١٩٧ ويقال إنّه لم يكن لقرشي مثل رأى العباس .

ومن خطباء بني هاشم أيضاً : داود بن عليّ (٤) ، ويكنى أبا سليمان ، وكان أنطق الناس وأجودهم ارتجالاً واقتضاباً للقول ، ويقال إنّه لم يتقدّم في تحبير خطبة قط . وله كلام كثير معروف محفوظ ، فمن ذلك خطبته على أهل مكة :
 ١٥

(١) كذا ضبطت هذه الكلمة في ل ، ه ، ب ، والتعريف هنا بمعنى التعليم .

(٢) سبق الخبر في ص ٨٥ .

(٣) رمله بالدم : لطلحه وضرجه . حر والتميمورية : « زملوني » تحريف . انظر اللسان (رمل ٣١٤) .

وأشير في هامش هـ إلى رواية « ضرجوني » عن نسخة . وفي أمثال الميداني : « ضرجوني » قال : « ويروي رملوني ، وهو مثل ضرجوني » . وهذه الرواية الأخيرة هي رواية العقبة والبررة لأبي عبيدة . نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٨) حيث نسب إلى عقيل بن علفه .

(٤) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس . قال ابن قتيبة في المعارف ١٦٣ عند ذكر عمومة أبي العباس السفاح : فأما داود فكان خطيباً جميلاً ، يكنى أبا سليمان ، وولى مكة والمدينة لأبي العباس ، وأدرك من دولتهم ثمانية أشهر . ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وله عقب .

« شكرًا شكرًا . أمّا والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهراً ، ولا لنبنى فيكم قصراً ^(١) . أَظَنَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَنْ لَنْ نَظْفَرَ بِهِ أَنْ أُرْخِيَ لَهُ فِي زِمَامِهِ ، حَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ خِطَامِهِ . فَالآنَ عَادَ الْأَمْرُ فِي نِصَابِهِ ، وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَطْلَعِهَا ، وَالآنَ أَخَذَ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَعَادَتِ النَّبْلُ إِلَى النَّزْعَةِ ^(٢) ، وَرَجَعَ الْحَقُّ ^(٣) إِلَى مَسْتَقَرِّهِ ، فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ : أَهْلِ بَيْتِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ » .

ومن خطباء بنى هاشم : عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد ^(٤) :

« أَيْ بُنَيَّ ، إِنِّي مُؤَدِّ إِلَيْكَ حَقَّ اللَّهِ فِي تَأْدِيكَ ، فَإِذْ إِلَى حَقِّ اللَّهِ فِي حَسَنِ الْإِسْتِاع . أَيْ بُنَيَّ ، كُفَّ الْأَذَى ، وَارْفُضْ الْبَدَا ، وَاسْتَعِزْ عَلَى الْكَلَامِ بِطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ نَفْسُكَ فِيهَا إِلَى الْقَوْلِ ؛ فَإِنَّ لِلْقَوْلِ سَاعَاتٍ يَضُرُّ فِيهَا الْخَطَأُ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ . وَاحْذَرْ مَشُورَةَ الْجَاهِلِ وَإِنْ كَانَ نَاصِحاً ، كَمَا تَحْذَرُ مَشُورَةَ الْعَاقِلِ إِذَا كَانَ غَاشِئاً ، يَوْشُكَ أَنْ يُورِطَاكَ بِمَشُورَتِهِمَا ، فَيَسْبِقَ إِلَيْكَ مَكْرُ الْعَاقِلِ ، وَغَرَارَةُ الْجَاهِلِ » .

قال الحسن بن خليل : كان المأمون قد استثقل سهل بن هارون ، فدخل عليه سهل يوماً والتأَسُّعُ عِنْدَهُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ ، فَتَكَلَّمَ الْمَأْمُونُ بِكَلَامٍ فَذَهَبَ فِيهِ كُلُّ مَذْهَبٍ ، فَلَمَّا فَرَغَ الْمَأْمُونُ مِنْ كَلَامِهِ أَقْبَلَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ عَلَى ذَلِكَ الْجَمْعِ فَقَالَ :

« مَا لَكُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تُعَوِّنُونَ ، وَتَشَاهِدُونَ وَلَا تَفْقَهُونَ ^(٥) ، وَتَنْتَظِرُونَ وَلَا تُبْصِرُونَ . وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَفْعَلُ وَيَقُولُ فِي الْيَوْمِ الْقَصِيرِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بَنُو مُرَّوَانِ » .

(١) ل : « ولا لبنى قصراً » .

(٢) كلمة « والآن » في ل فقط . النزعة : الرماة ، واحدهم نازع . ٢٠

(٣) هـ : « ورجع الأمر » .

(٤) انظر ما سياتي في (٢ : ١٧٤) .

(٥) بعدها فيما عدا ل : « وتفهمون ولا تتعجبون » وأراها مقحمة .

وقالوا في الدهر الطويل . عَرَبُكُمْ كعجمهم ، وعجمكم كعبيدهم ^(١) ، ولكن كيف يعرف اللّواء مَنْ لا يشعر باللّواء .

قال : فرجع له المأمون بعد ذلك إلى الرّأى الأوّل .

ومن خطباء بنى هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان ^(٢) : سليمان بن جعفر والى مَكَّة . قال المكيّ : سمعتُ مشايخنا من أهل مَكَّة يقولون : إنّه لم يَرِدْ عليهم أميرٌ منذُ عَقَلُوا الكلامَ إلّا وسليمانُ أبينُ منه قاعداً ، وأخطبُ منه قائماً .
 وكان داودُ بن جعفرٍ إذا خطبَ اسحنفَر فلم يَرِدْهُ شيءٌ ^(٣) ، وكان في لسانه شبيهٌ بالرّثّة ^(٤) .

١٩٨

وكان أيوبُ ^(٥) فوقَ داودَ ^(٦) في الكلام والبيان ، ولم تكن له مقاماتُ داودَ في الخطب .

١٠

وقال إسحاق بن عيسى ^(٧) لداودَ بن جعفر : بلغني أنّ معاوية قال للنخار بن أوس : أبغني محدثاً ^(٨) قال : ومعى يا أمير المؤمنين تريد محدثاً ؟ قال : نعم ، أستريح منك إليه ، ومنه إليك ، وأنا لا أستريح إلى غير حديثك ، ولا يكون صمتك في حالٍ من الحالات أوفَقَ لى من كلامك .

١٥

(١) ل : «عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم» .

(٢) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويكنى أبا عبد الله . انظر ٣٢١ .

(٣) اسحنفر الخطيب : اتسع في كلامه ومضى .

(٤) الرثّة ، كقوة : العجمة والحكمة في الكلام .

(٥) هو أيوب بن جعفر ، سبقت ترجمته في ٩١ ، ١٠٦ .

٢٠

(٦) ل : «قرين داود» لعلها «فوق داود» .

(٧) إسحاق بن عيسى بن أبي جعفر المنصور . وقد سبق في ٣٠٢ . ما عدل ل : «عيسى بن

إسحاق» تحريف .

(٨) يقال ابغني ، بهزة الوصل من الثلاثي ، أى اطلبه لى ، ومثله ابغ لى . ويقال أيضاً

«أبغنى» بالقطع من الرباعي ، أى أعنى على بغائه وأطلبه معى .

وكان إسماعيل بن جعفر ، من أرق^(١) الناس لساناً وأحسنهم بيانا .
ومن خطباء بني هاشم : جعفر بن حسن بن الحسن بن علي ، وكان أخذ
من ينازع زيدا في الوصية ، فكان الناس يجتمعون ليسمعوا مجاوباتهما فقط .
وجماعة من ولد العباس في عصر واحد ، لم يكن لهم نظراء في أصالة
الرأى وفي الكمال والجلالة ، وفي العلم بقريش والدولة ، وبرجال الدعوة ، مع
البيان العجيب ، والغور البعيد ، والنفوس الشريفة ، والأقدار الرفيعة ؛ وكانوا
فوق الخطباء ، وفوق أصحاب الأخبار ؛ وكانوا يجلبون عن هذه الأسماء إلا أن
يصِفَ الواصفُ بعضهم ببعض ذلك .

منهم عبد الملك بن صالح^(٢) . قال : وسأله الرشيد وسليمان بن أبي
جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان ، فقال له : كيف رأيت أرض كذا وكذا ؟
قال : « مسافى ريج ، ومنابت شيع » . قال : فأرض كذا وكذا . قال :
« هضاب حُمر ، وبراث عُفر » . قال : حتى أتى على جميع ما أراد . قال :
فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغي لنا أن نرضى لأنفسنا بالدُّون من الكلام .
الهَضْبَةُ : الجبل يَنبَسُطُ على الأرض ، وجمعها هَضْبٌ^(٣) . والبراثُ :
الأماكن اللينة السهلة ، واحداها برث . وقوله عُفر ، أى حمرة كحمر التراب .
والظبي الأعفر : الأحمر ؛ لأن حمرة كذلك : والعفر والعفر : التراب ؛
ومنه قيل : ضربه حتى عفره ، أى ألحقه بالتراب .

(١) فيما عدل ، ه : « أدق » بالدال .

(٢) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولي الموصل للهادي سنة ١٦٧ وعزله الرشيد ١٧١ ثم ولاه المدينة ، وبلغه أنه يطلب الخلافة ، فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ . ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ فأقام بالرقعة إلى أن توفي سنة ١٩٦ . فوات الوفيات (٢ : ١٢) وتاريخ الطبري في السنوات المذكورة .

(٣) فيما عدل : « هضاب » ، وكلاهما جمع هضبة .

ومن هؤلاء : عبد الله بن صالح ، والعباس بن محمد ، وإسحاق بن عيسى ، وإسحاق بن سليمان ، وأيوب بن جعفر . هؤلاء كانوا أعلمَ بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة ، من المعروفين برواية الأخبار .

١٩٩ وكان إبراهيم بن السَّندِيَّ (١) يحدِّثني عن هؤلاء بشيء هو خلاف ما في كتب الهيثم بن عدي وابن الكلبي . وإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور (٢) .

وكان عبد الله بن علي ، وداد بن علي يُعدلان بأمة من الأمم .

ومن موالهم : إبراهيم ونصر ابنا السَّندِيَّ .

فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لا يعدو حديث ابن

الكلبي والهيثم بن عدي . ١٠

وأما إبراهيم فإنه كان رجلاً لا نظير له : كان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان فقيهاً ، وكان نحوياً غرضياً ، وحافظاً للحديث ، راويةً للشعر شاعراً ، وكان فحماً الألفاظ شريف المعاني ، وكان كاتب القلم كاتب العمل ، وكان يتكلم بكلام رؤية (٣) ، ويعمل في الحراج بعمل زاذان قُروخ الأعور (٤) ، وكان منجماً طبيياً ، وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالماً بالدولة وبرجال الدعوة ؛ ١٥ وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً وأصبرهم على السهر .

(١) سبقت ترجمته في ص ١٤١ .

(٢) زور الكلام : قومه وأتقنه قبل أن يتكلم به .

(٣) ل : « بلسان رؤية » .

(٤) زاذان قُروخ ، كان دهقاناً من الدهاقين القائمين على أمر الحراج في أيام عبيد الله بن زياد حين ولايته البصرة . انظر الطبري (٢٠٩ : ٧) . ويبدو أنه امتد به الأمر في ذلك إلى زمان الحجاج . الطبري (٢٧١ : ٧) ، وانظر كذلك (٦ : ٧٦) .

ومن خطباء تميم : جَحْدَب ^(١) . وكان خطيباً راوية ، وكان قضى على جرير في بعض مذاهبه ، فقال جرير :

فَبَحِ الْإِلَهِ وَلَا يَقْبَحْ غَيْرَهُ بَطْراً تَفْلَقُ عَنْ مَفَارِقِ جَحْدَبِ

وهو الذى كان لقيه خالد بن سلمة المخزومي الخطيب الناسب ، فقال :
 • والله ما أنت من حظلة الأكرمين ، ولا سعيد الأكرمين ، ولا عمرو الأشدئين ،
 وما فى تميم خيرٌ بعد هؤلاء . فقال له جَحْدَب : والله إنك لمن قريش ، وما أنت من بيتها ولا نُبوتها ، ولا من شُورائها وخلافتها ، ولا من أهل سِدائنتِها وسِقائيتها .

وهو شبيه بما قال خالد بن صفوان ، للعبدري ^(٢) ؛ فإنه قال له :
 « هَشَمْتُكَ هَاشِم ، وَأَمْتُكَ أُمَيَّة ، وخزمتك مخزوم ، وأنت من عبد دارها ،
 ١٠ ومتتهى عارها ، تفتح لها الأبواب إذا أقبلت ، وتغلقها إذا أدبرت » .

* * *

ومن ولد المنذر : عبد الله بن شُبْرمة بن طفيل ^(٣) بن هُبيرة بن المنذر .
 وكان فقيهاً عالماً قاضياً ، وكان راويةً شاعراً ، وكان خطيباً ناسباً ، وكان لاجتماع هذه
 الخصال فيه يُشَبِّهه بعامر الشعبي ، وكان يُكنى أبا شُبْرمة . وقال يحيى بن
 ١٥ نوفل ^(٤) فيه :

(١) جحدب ، ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ١١٥ . وقال : « وكان لجحدب بالكوفة قدر » ، وذكر
 أنه كان شاعراً ، هو والتم السرندي ، وعَلَقَة ، كانوا يجتمعون على هجاء جرير ، فهجاهم هو جميعاً بقوله :

عض السرندي على تغليل ناجذه من أم علقه بطرا عمه الشعر
 وعُضْ عَلَقَة لَا يَأَلُو بِعَرْعَرَة من بظر أم السرندي وهو منتصر

(٢) العبدري : رجل منسوب إلى عبد الدار بن قصي . ٢٠

(٣) تقدمت ترجمته فى ٩٨ وفى نسبه خلاف .

(٤) يحيى بن نوفل : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، ذكره الجاحظ فى مواضع كثيرة من الحيوان

والبيان .

لما سألتُ النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرُمَةُ وَالْعِزُّ وَالْجُرْثُومَةُ الْمُقَدَّمَةُ (١)
وأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْحَكِّمَةُ (٢) تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شُبْرَمَةَ
وابنِ شُبْرَمَةَ الَّذِي يَقُولُ فِي ابْنِ أُنَى لَيْلَى (٣) :

وكَيْفَ تُرْجَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ وَلَمْ تُصَيَّبِ الْحُكْمُ فِي نَفْسِكَا (٤)
وَتَزْعُمُ أَنَّكَ لابْنُ الْجَلَّاحِ وَهِيَّاتِ دَعْوَاكَ مِنْ أَصْلِكَا (٥) .

قال : وقال رجلٌ من فقهاء المدينة : مِنْ عِنْدَنَا خَرَجَ الْعِلْمُ . قال :
فقال ابنُ شُبْرَمَةَ : نَعَمْ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكُمْ .

قال : وقال عيسى بن موسى (٦) : دُلُّونِي عَلَى رَجُلٍ أَوَّلِيهِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا .
فقال ابنُ شُبْرَمَةَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، هَلْ لَكَ فِي رَجُلٍ إِنْ دَعَوْتَهُ أَجَابَكُمْ ، وَإِنْ
تَرَكَتُمُوهُ لَمْ يَأْتِكُمْ ؛ لَيْسَ بِالْمُلْحِ طَلِباً ، وَلَا بِالْمُنْعِنِ هَرَباً (٧) ؟

وَسُئِلَ عَنْ رَجُلٍ ، فَقَالَ : إِنَّ لَهُ شَرْفًا وَبَيْتًا وَقَدَمًا (٨) . فَنظَرُوا فَإِذَا هُوَ
سَاقِطٌ مِنَ السُّفْلَةِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَا كَذَبْتُ ، شَرَفَهُ أَذْنَاهُ ، وَقَدَمُهُ
الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا ، وَلَا بَدٌّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَيْتٌ يَأْوِي إِلَيْهِ .

(١) الجُرْثُومَةُ : الْأَصْلُ . وَالرَّجَزُ فِي الْحَيَوَانِ (٣ : ٤٩٤) يَدُونُ نَسَبَهُ . وَنَسَبٌ فِي أَمَالِي الرَّجَاجِيِّ

١٥٠ إِلَى رُؤْيَا بَنِ الْعَبَّاسِ .

(٢) الْفَارُوقُ : الَّذِي يَفْرُقُ وَيَفْصِلُ . بَ فَقَطْ : « فَارِقٌ » .

(٣) ابْنُ أُنَى لَيْلَى ، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُنَى لَيْلَى ، وَاسْمُ أُنَى لَيْلَى يَسَارٌ . وَابْنُ مُحَمَّدٍ الْقَضَاءُ لِبْنِي
أُمِيَّةٍ ثُمَّ لِبْنِي الْعَبَّاسِ ، وَكَانَ فَقِيْهًا مَفْتِيًّا بِالرَّأْيِ . انْظُرْ أَصْحَابَ الرَّأْيِ فِي الْمَعَارِفِ ٢١٧ .

(٤) الْبَيْتَانِ فِي الْمَعَارِفِ ٢١٦ وَفَهْرَسْتُ ابْنَ النَّدِيمِ ٢٨٥ .

(٥) ابْنُ الْجَلَّاحِ ، هُوَ أَحْيِيَّةُ بْنُ الْجَلَّاحِ . وَفِي الْمَعَارِفِ : « وَهُوَ مِنْ وَلَدِ أَحْيِيَّةِ بْنِ الْجَلَّاحِ ،
وَكَانَ ابْنُ شُبْرَمَةَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ يَدْفَعُونَهُ عَنْ ذَلِكَ » .

(٦) هُوَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، أَحَدُ وُلَاةِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَوَادِمِهِمْ . وَمُوسَى أَبُوهُ
هُوَ أَخُو السَّفَاحِ وَالْمَنْصُورِ . انْظُرِ الْمَعَارِفَ ١٦٥ .

(٧) ل : « بِالْمَنْتَعِ هَرَباً » ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ .

(٨) الْقَدَمُ : التَّقَدُّمُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ .

قال أبو إسحاق ^(١) : قد لعمرى كَذَب ^(٢) ، إنما هو كقول القائل حين سألَهُ بعضُ من أراد تزويجَ حُرْمَتِهِ عن رجل ، فقال : « هو يبيع الدَّوَابَّ » . فلما نظروا في أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبتُ ؛ لأنَّ السُّنُورَ دابةٌ .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ، هذا مثل قول القائل حين سئل عن رجلٍ في تزويج امرأة فقال : « رزين المجلس ، نافذ الطَّعْنَةِ » . فحسبوه سيِّداً فارساً ، فنظروا فوجدوه خَيَّاطاً ! فسئل عن ذلك فقال : ما كذبت ؛ إنَّه لَطَوِيلُ الجُلُوسِ ، جيِّدُ الطَّعْنِ بِالْإِبْرَةِ .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ؛ لأنَّه قد غرَّهم منه .

وكذلك لو سألَهُ رجل عن رجل يريد أن يُسَلِّفَهُ مَالاً عظيماً ، فقال :

« هو يملك مَالاً ما كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف » ، فلما بايعه الرجل وجده ٢٠١ مُعْدِماً ضعيف الحيلة ، فلما قيل له في ذلك قال : ما كذبت ؛ لأنَّه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه ويديه ^(٣) . حتى عدَّ جميع أعضائه وجوارحه .

ومن قال للمستشير هذا القول فقد غرَّه ، وذلك مالا يحلُّ في دين ، ولا يحسن في الحرِّية ^(٤) . وهذا القول معصيةُ الله ، والمعصيةُ لا تكون صدقاً . وأدنى منازل هذا الخير أن لا يُسمَّى صدقاً ، فأما التسمية له بالكذب فإن فيها كلاماً يطول .

* * *

(١) أبو إسحاق ، هو إبراهيم بن سيار النظام البصرى ، شيخ الجاحظ وأحد رموز المعتزلة ، وإليه تنسب الفرقة النظامية . توفى في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين . انظر آراءه في الملل ٢٠ (١ : ١٧) والمواقف ٦٢١ والفرق بين الفرق ١١٣ .

(٢) ما عدل : « بل كذبت » موضع : « قد لعمرى كذب » . لكن في هـ : « بل كذب » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة مما عدل .

(٤) ل : « حرية » . والحرية : مصدر صناعى ، أى كون الإنسان حراً .

ومن الخطباء المشهورين في العوام ، والمقدمين في الخواص : خالد بن صفوان الأهمسي^(١) ، زعموا جميعاً أنه كان عند أبي العباس أمير المؤمنين^(٢) ، وكان من سُمّاره وأهل المنزلة عنده ، ففخر عليه ناسٌ من بلحارث بن كعب ، وأكثروا في القول ، فقال أبو العباس : لِمَ لا تتكلّم يا خالد ؟ فقال : أحوال أمير المؤمنين وأهله^(٣) . قال : فأنتم أعمامُ أمير المؤمنين وعصَبته فقل^(٤) . قال خالد : « وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسِج بُردٍ ، ودابغ جليدٍ ، وسائس قرد ، وراكب عَزْدٍ^(٥) ؛ دَلٌّ عليهم هُدْهُدٌ ، وغَرَقَتهم فَأَرَةٌ ، ومَلَكَتهم امْرَأَةٌ » . فلتن كان خالدٌ قد فكّر وتدبّر هذا الكلامَ إنه للرأوية الحافظ ، والمؤلف المجيد ؛ ولئن كان هذا شيئاً حَصَرَه حين حُرِّك وبُسِطَ فما لهُ نظيرٌ في الدنيا . فتأمل هذا الكلامَ فإنك ستجده مليحاً مقبولا ، وعظيم القدر جليلا .
ولو نَحَطب اليماني بلسان سحبانٍ وائل حَوْلًا كَرِيتا^(٦) ، ثم صكّ بهذه الفقرة ما قامت له قائمة .
وكان أذكّر الناس لأوّل كلامه ، وأحفظهم لكل شيء سَلَف من منطقته . وقال مكّي بن سَوَادَةَ^(٧) في صفته له :

- ١٥ (١) سبقت ترجمته في ص ٢٤ . ونسبته إلى جده : « الاهتم » .
(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية ، المتوفى سنة ١٣٦ وله ثلاث وثلاثون سنة . وفي المعارف ١٧٧ في ترجمة خالد بن صفوان أنه عمر إلى أن حادث أبا العباس . وانظر الحيوان (٢ : ١٧٠) .
(٣) ذلك أن أم السفاح ، واسمها ربيعة ، من بنى الحارث بن كعب . انظر التنبيه والإشراف ٢٩١ . فيما عدل : « وعصيته » ، تحريف ؛ إذ عصبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه .
(٤) هذه الكلمة ساقطة مما عدل ل .
(٥) العرد ، بالفتح : الحمار ، ذكره في القاموس ولم يرد في اللسان . والخبر في الحيوان (٦ : ١٥٢) وذكر فيه أن الخليفة هو المهدي . والمهدي هو ابن أبي جعفر المنصور أخى السفاح ، وكنية المهدي « أبو عبد الله » . وما في معجم البلدان (٨ : ٥٢٤) يطابق ما في البيان . وذكر ياقوت أن اليماني الذي فخر على خالد هو إبراهيم بن مخزومة .
(٦) حول كريت : تام .
(٧) سبقت ترجمته في ص ٣ .

عليه بتنزيل الكلام ملقنٌ ذكورٌ لما سَدَّاهِ أَوَّلُ أَوَّلَا (١)
 يَبْدُ قَرِيعَ القومِ في كُلِّ مَخْفِيلٍ وإن كان سَحْبَانِ الخطيبِ وَدَغْفَلَا (٢)
 تَرى مُحْطَبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ ارْتِجَالِهِ كَأَنَّهُم الكِرْوَانُ عَائِنٌ أَجْدَلَا
 الكِرْوَانُ : جمع كَرَوَان ، وهو ذَكَرُ الحُبَارَى . والأَجْدَلُ : الصَّقَرُ .

وكان يقارض شبيب بن شيبه (٣) ؛ لاجتماعهما على القرابة والجاورة
 والصَّنَاعَةِ ، فذكر شبيب مرةً عنده فقال : « ليس له صديق في السرِّ ، ولا علُوٌّ في
 العلانية » (٤) . وهذا (٥) كلامٌ ليس يعرف قدره إلا الرَّاسِخُونَ في هذه الصناعة . ٢٠٢

وكان خالدٌ جميلاً ولم يَكُنْ بالطَّوِيلِ ، فقالت له امرأته (٦) : إِنَّكَ لَجَمِيلٌ
 يَا أَبَا صَفْوَانَ . قال : وكيف تقولين هذا وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا بُرُئسه .
 ١٠ فقيل له : ما عمود الجمال ؟ فقال : الطَّوِيلُ ، ولستُ بطويل ؛ ورداؤه البياض ،
 ولستُ بأبيض ؛ وبرنسه سواد الشعر ، وأنا اشمط ؛ ولكن قولي : إِنَّكَ لَمَلِيحٌ ظريف .
 وخالدٌ يعدُّ في الصُّلْعَانِ ، ولكلام خالد كتابٌ يدور في أيدي الورَّاقين (٧) .

وكان الأزهر بن عبد الحارث بن ضرار بن عمرو الضبِّيَّ (٨) ، عالماً ناسباً .

(١) سَدَّاهِ ، أى نسجه . وفي اللسان : « وإذا نسج إنسان كلاماً أو أمراً بين قوم قيل سَدَّى بينهم » .

(٢) يَبْدُ : يغلب ويهبط . والقريع : السيد والرئيس .

(٣) يقارضه : من المقارضة ، وهى التجازى بالخير والشر .

(٤) الخير في الحيوان (٥ : ٥٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٧٣) وسبق في ص ٤٧ .

(٥) ل ، هـ والتيمورية : « وما هنا » .

(٦) فيما عدا ل : « امرأة » . والخير بصورة أخرى في تثقيف اللسان .

(٧) للمدائنى كتاب في خالد بن صفوان ، ولعبد العزيز الجلودى كتاب في أخبار خالد بن

صفوان . انظر ابن النديم ١٥١ - ١٦٧ .

(٨) سبقت ترجمته جده ضرار بن عمرو في ص ٢١ .

ومن خطباء بنى ضَبَّة : حنظلة بن ضِرَار ^(١) ، وقد أدرك الإسلام وطال
عُمره حتَّى أدرك يومَ الجمل ، وقيل له : ما بَقِيَ منك ؟ قال : « أذكر القَدِيم
وأنسى الحديث ، وآرقُ بالليل ، وأنامُ وسَطَ القوم » .

- ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم : مَشْجُور بن غِيلان بن خَرْشَةَ ^(٢) ،
وكان مقدِّماً في المنطق ، وهو الذي كتب إلى الحجاج : « إنَّهم قد عَرَضُوا عَلَى
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فما ترى أن آخُذَ ؟ » قال : « أرى أن تأخذَ الذَّهَبَ » .
فذهب عنه هارباً ثم قتلَه بعدُ . وذكره القُلاخُ بن حَزَنٍ المِنْقَرِيُّ ^(٣) فقال :
أَمْثالُ مَشْجُورٍ قَلِيلٌ وَمِثْلُهُ فَتَى الصَّدُقِ إِنْ صَفَّقْتَهُ كُلَّ مَصْفَقٍ ^(٤)
وما كنتُ أَشْرِيهِ بِدُنْيَا عَرِيضَةٍ وَلَا بَابِي خَالٍ بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ ^(٥)
إِذَا قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ مَقَالُهُ وَيَأْخُذُ مِنْ أَكْفَائِهِ بِالْمُحَقِّقِ ١٠

* * *

ومن الخطباء الخوارج ، قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاعَةِ ^(٦) ، وله خطبة طويلة

- (١) ترجم له ابن حجر في الإصابة ٢٠٠٣ ونقل بعض كلام الجاحظ .
(٢) في القاموس (ثجر) : « ومشجور بن غيلان مهجو جرير » . انظر ديوان جرير ٢٣٢ . وذكره
الجاحظ في الحيوان (٣ : ٢١٠) في العلماء بالنسب . وذكره ابن دريد في الاشتقاق ١٢٠ ، كما ذكر أباه
١٥ غيلان بن خرشة الذي يقول فيه : « كان سيد بنى ضبة بالبصرة » .
(٣) في الاشتقاق ١٥٣ : « والقلاخ من القلخ ، وهو أن يردد الفحل صوته في جوفه » . وهو
القلاخ بن حزن من جناب بن منقر ، وهو معدود من الرجاز . انظر المؤلف ١٦٨ والاشتقاق ١٥٣ .
(٤) هو من قولهم : صفقت الريح الشيء وصفقته ، بالتخفيف والتشديد ، إذا قلبته يمينا وشمالا .
٢٠ (٥) أشريه ، أى أبيع ، والشرء من الأضداد .
(٦) قطري بن الفجاعة ، واسم الفجاعة جعونة بن مازن المازني . كان قطري زعيما من الخوارج ،
خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير . وكانت ولاية مصعب سنة
٦٦ فبقى قطري عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يسير إليه جيشا بعد جيش وهو
يستظهر عليهم . وقطري ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى بلده ، وهو بين البحرين وعمان . وفيات الأعيان .

مشهورة^(١) ، وكلام كثير محفوظ ، وكانت له كنيتان : كنية في السلم ، وهى أبو محمد ؛ وكنية في الحرب ، وهى أبو نعمة .

وكانت كنية عامر بن الطفيل في الحرب غير كنيته في السلم : كان يكنى في الحرب بأبى عقيل ، وفي السلم بأبى على .

وكان يزيد بن مزيّد^(٢) يُكنى في السلم بأبى خالد ، وفي الحرب بأبى الزبير . وقال مسلم بن الوليد الأنصارى :

لولا سيوف أبى الزبير وخيله نشر الوليد بسيفه الضحّاكا^(٣)

وفيه يقول :

٢٠٣

لولا يزيد وأيام له سلفت عاش الوليد مع العاوين أعواما^(٤)

سلّ الخليفة سيفاً من بنى مطير يَمْضِي فَيَخْتَرِقُ الْأَجْسَامَ وَالْهَامَا^(٥)

إذا الْخِلَافَةُ عُدَّتْ كُنْتُ أَنْتَ لَهَا عِزّاً وَكَانَ بَنُو الْعَبَّاسِ حُكَّامَا

ألا تراه قد ذَكَرَ قَتَلَ الْوَلِيدَ !

وقد كان خالد بن يزيد^(٦) اكنى بها في الحرب ، في بعض أيامه بمصر .

(١) ستأتى خطبته في (٢ : ١٢٦) .

(٢) يزيد من مزيد بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر الشيباني ، وهو ابن أخى معن بن زائدة . أمير شجاع ، ندبه هارون لقتال الوليد بن طريف الشيباني الشاري الخارجي ، فقتله وعاد إلى أرمينية حيث كان واليا عليها . توفي سنة ١٨٥ . ابن خلكان

(٣) الوليد هو الوليد بن طريف الشاري . خرج على الرشيد سنة ١٧٨ وقتله يزيد بن مزيد سنة ١٧٩ . والضحاك ، هذا ، هو الضحاك بن قيس الشيباني ، أحد زعماء الخوارج الشجعان ، سار إلى العراق واستولى على الكوفة سنة ١٢٧ وبلغ جيشه مائة وعشرين ألفاً وبابعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وصليا خلفه . انظر ما سأتى في كلام الجاحظ . وقتل أيام مروان بن محمد سنة ١٢٨ . الطبري (٩ : ٧٥ - ٧٧) .

(٤) فيما عدل : ومقدار له سبب ، وهى رواية ابن خلكان (٢ : ٢٨٤) . فيما عدل : مع العاوين ، ولعل صوابهما مع العامين ، كما هو عند ابن خلكان ؛ فإن الوليد ظل عامين محارباً ، كما سبق القول .

(٥) فيما عدل : يَخْتَرِقُ الْأَرْوَاحَ .

(٦) يعنى خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني .

١٥

٢٠

٢٥

وهذا البابُ مستقصى مع غيره في أبواب الكُنى والأسماء ، وهو واردٌ عليكم إن شاء الله .

ومن خطباء الخوارج : ابن صُدَيْقَة ^(١) ، وهو القاسم بن عبد الرحمن ابن صُدَيْقَة ، وكان صُفْرِيًّا ^(٢) ، وكان خطيباً ناسباً ، وَيَشُوبُ ذلك ^(٣) ببعض الظرف والهزل .

ومن علماء الخوارج : شُبَيْل بن عَزْرَة الصَّبْعِي ^(٤) ، صاحب الغريب . وكان رَويَةً خطيباً ، وشاعراً ناسباً ، وكان سبعين سنةً رافضياً ثم انتقل خارجياً صُفْرِيًّا .

ومن علماء الخوارج : الضَّحَّاك بن قيس الشَّيْبَانِي ، ويكنى أبا سَعِيد ، وهو الذى مَلَكَ العراق ، وسار فى خمسين ألفاً ، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام ، وصَلَّى خلفه ، وقال شاعرهم ^(٥) :

ألم تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ قَرِيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

* * *

(١) كذا ضبط فى ل ، ه .

(٢) الصفرية : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال لهم الزيدانية أيضاً ، وقولهم كقول الأزارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفين ونسائهم وهم يرون ذلك . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٨٣) والفرق ٧٠ والسماعى ٣٥٤ والمواقف ٦٣٠ ومفاتيح العلوم ١٩ والكامل ٦٠٤ ليسك .

(٣) فيما عدل ل : ويشوبه .

(٤) قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٩٣ : شبل بن عزة العلامة ، كان فصيحاً عالماً شريفاً ، مات بالبصرة ، وأدرك دولة بنى العباس ، وكان يرى رأى الخوارج . وذكره فى الفهرست ٦٨ قال : « من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وهو صاحب قصيدة الغريب ، وكان أولاً رافضياً نحو سبعين ، ثم انتقل إلى الشراة وقال : برئت من الروافض فى القيامه وفى دار المقامة والسلامه . »

وشبل بهيئة التصغير ، وعزة بفتح العين . انظر التهذيب وتقريب التهذيب .

(٥) هو شبل بن عزة الصبعى . الطبرى (٩ : ٦٤) . وانظر ما سياتى فى (٣ : ٢٦٥) .

وكان ابن عطاء الليثي يسامر الرشيد ، وكان صاحب أخبار وأسمار ^(١) وعلم بالأنساب ، وكان أظرف الناس وأحلامهم .

وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ^(٢) ، رواية ناسبا ، وعالما بالعريّة فصيحاً .

وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ^(٣) من أئيين الناس وأفصحهم .
وكان مَسْلَمَة بن عبد الملك ^(٤) يقول : إني لأُنحى كور العِمامة عن أذني لأسمع كلام عبد الأعلى .

وكانوا يقولون : أشبه قريش نعمة وجهارة بعمر بن سعيد ^(٥) ، عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ^(٦) .

قال : وقال بعضُ الأمراء - وأظنه بلال بن أبي بُردة - لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة ^(٧) : ماذا تصنعون عند عبد الأعلى إذا كنتم عنده ؟ قال : يشاهدنا بأحسن استماع ، وأطيب حديث ^(٨) ، ثم يأتي الطباخ فيمثل بين يديه ^(٩) فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندي لونٌ كذا وجدى كذا ، ودجاجة كذا ، ٢٠٤ ومن الحلواء كذا . قال : ولم يسأل عن ذلك ؟ قال : ليُقصِر كلُّ رجلٍ عما لا يشتهي ، حتّى يأتيه ما يشتهي . ثمّ يأتون بالخوان فيتضايق وتُتسع ، ويقصّر

١٥ (١) أصل السمر الحديث ليلاً ، ولكنه يراد به في مثل هذا الموضع حديث الخرافة ، وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين في الفهرست (المقالة الثامنة) . وانظر الحيوان (٣ : ٢١٢) .
(٢) سبقت ترجمة والده في ٣١٨ .

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، أبو عبد الرحمن البصري . وكان مشهوراً بالجرود . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته في ص ٢٩٢ . ٢٠

(٥) مضت ترجمته في ص ٣١٤ . (٦) هذه الفقرة من ل ، ه فقط .

(٧) ترجم في ص ٣٢٩ . (٨) فيما عدا ل : ه وأحسن حديث ه .

(٩) فيما عدا ل : ه بين عينيه ه . وانظر العقد (٦ : ٢٩٤ - ٢٩٥) .

ونجتهد ، فإذا شعبنا خَوَّى نخوة الظُّلُم (١) ، ثم أَقْبَلَ يأكل أَكَل الجائع المَقْرور .
قال : والجارود هو الذى قال : « سوءُ الخُلُق يُفسِدُ العمل ، كما يفسد الخُلُ العسل » . وهو الذى قال : « عليكم بِالْمِرْيَد (٢) ؛ فإنه يطرد الفِكر ، ويجلو البَصَر ، ويجلب الخَبَر ، ويجمع بين ربيعة ومُضَر » .

قال : وصعد عثمانُ المنبرَ فَأَرْتَجَ عليه ، فقال : « إِنَّ أبا بكرٍ وعمرَ كانا يُعِدَّان لهذا المقامَ مقالا ، وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أَحَوُّجُ منكم إلى إمامٍ خطيبٍ ، وستأتِيكم الخطْب (٣) على وجهها ، وتعلمون إن شاء الله » .

قال : وشخصَ يزيدُ عُمَرَ بنَ هبيرةَ إلى هشامِ بن عبد الملك فتكلَّم ، فقال هشام : ما مات مَن خَلَفَ هذا . فقال الأبرشُ الكلبيُّ (٤) : ليس هناك ، أَمَا تراه يَرشَحُ جبينُهُ لِضيقِ صدرِهِ ! قال يزيد : ما لذلك رَشَحٍ ولكنَّ ١٠
لجلوسك في هذا الموضع .

وكان الأبرشُ ثَلَاثةَ نِسَابَةٍ ، وكان مصاحبا لهشامِ بن عبد الملك ، فلمَّا أَفضت إليه الخلافةُ سَجَدَ وسجدَ من كان عنده من جُلُسائِهِ ، والأبرشُ شاهدٌ لم يسجد . فقال له : ما مَنَعَكَ أَنْ تسجدَ يا أبرش ؟ قال : وَلِمَ أسجدُ وَأنت اليومَ معى ماشياً ، وغداً فوقَ طائرا . قال : فَإِنْ طرْتُ بك معى ؟ قال : أَتراك فاعلا ؟ قال : نَعَمْ . قال : ١٥
فالآنَ طاب السُّجود (٥) .

قال : ودخلَ يزيدُ بن عمر (٦) على المنصور وهو يومئذُ أميرٌ ، فقال : « يَا أَيُّهَا

(١) الظلم : ذكر النعام . والنخوة : أن يفرج ما بين عضديه وجنبه . وهى من الطائر أن يرسل جناحيه .

(٢) المريد : سوق من أسواق العرب ، بالقرب من البصرة .

(٣) هـ : « الخطبة » .

(٤) اسمه الأبرش بن حسان كما سيأتى فى (٢ : ١٣٩) . وكان ذا منزلة عند هشام . يروى أبو

الفرج فى (٢ : ١١٧) أنه حج مع هشام فكان عديله فى عمله .

(٥) فيما عدل : « فالآن » .

(٦) هو يزيد بن عمر بن هبيرة المترجم فى ١٩٩ .

الأمير ، إنَّ عهدَ الله لا يُنكَثُ ، وعَقْدَه لا يُحْلَلُ ، وإنَّ إمارتكم بكرٌّ فأذيقُوا الناسَ حلاوتَها ، وجنبوهم مرارتها » .

قال سهل بن هارون : دخل قُطْرِبُ النَحْوِيُّ على المخلوع ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين ، كانت عِدَّتُكَ أَرْفَعَ من جائزتك - وهو يتبسّم - قال سهل : فاغتاظ الفضل بن الربيع ، فقلت له : إن هذا من الحَصَرِ والضعف ، وليس هذا من الجلد والقوة . أما تراه يَقْتَلُ أصابعه ، ويرشّح جبينه .

قال : وقال عبدُ الملك لخالده بن سلمة المخزومي ^(٢) : مَنْ أخطَبَ الناسَ ؟ قال : أنا . قال : ثمّ من ؟ قال : سيّدُ جُدّام - يعنى رُوح بن زُبَيْع ^(٣) - قال : ثمّ من ؟ قال : أُخَيْفِش ثَقِيف - يعنى الحَجَّاج - قال : ثمّ من ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ويحك ، جعلتني رابع أربعة . قال : نَعَمْ ، هو ما سمعت .
ومن خطباء الخوارج وعلمائهم ورؤسائهم في الفُتْيَا ، وشعرائهم ، ورؤساء قَعَدِهِمْ ^(٤) : عِمْران بن حِطّان ^(٥) . ومن علمائهم وشعرائهم وخطبائهم : حَبِيبُ بنُ خُدْرَةَ الهَلَالِي ^(٦) ، وعداده في بني شيبان .

(١) المخلوع ، هو الخليفة محمد الأمين بن هارون . انظر خبر خلعه في حوادث ١٩٦ .
١٥ من الطبرى وغيره من التواريخ .

(٢) سبقت ترجمته في ٣٢٨ .

(٣) كان أحد ولاية فلسطين أيام يزيد بن معاوية . الأغاني (١٧ : ١١١) . وذكر الجاحظ في الحيوان (١ : ٢٢٦) أن عبد الملك زوّجه أم جعفر بنت النعمان بن بشير .

(٤) القعد : الخوارج الذين يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس .
٢٠ قال أبو نواس في الخمر :

فكأنى وما أحسن منها قعدى يزين التحكيما
كل عن حمله السلاح إلى الحـ رب فأوصى المطلق ألا يقيما

(٥) ترجم في ص ٤١ .

(٦) ل : بن جدرة ، تصحيف ، صوابه بالخاء المعجمة المضمومة . وفي القاموس : وحبیب بن خدره تابعى محدث .
٢٥

- ومن كان يرى رأى الخوارج : أبو عبيدة النحويّ معمر بن المثنيّ ، مولى
 تيم بن مروة . ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعيّ أعلم بجميع العلم منه .
 ومن كان يرى رأى الخوارج : الهيثم بن عدي الطائي ثم البحترى ^(١) .
 ومن كان يرى رأى الخوارج : شعيب بن رثاب الحنفي ، أبو بكّار ،
 صاحب أحمد بن أبي خالد ، ومحمد بن حسان السكسكي ^(٢) .
 ومن الخوارج من علمائهم ورؤسائهم : مسلم بن كورين ^(٣) ، وكنيته
 أبو عبيدة وكان إباضيّا ، ومن علماء الصّفرية .
 ومن كان مقنعا في الأخبار لأصحاب الخوارج والجماعة جميعا :
 مليل ^(٤) ، وأظنه من بني تغلب ^(٥) . ومن أهل هذه الصّفة : أصفر بن
 عبد الرحمن ^(٦) ، من أحوال طوق بن مالك .
 ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم : المقعطل ^(٧) ، قاضي عسكر
 الأزارقة ، أيام قطري .
 ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم : عبيدة بن هلال اليشكري ^(٨) .

- (١) ترجم في ص ٥٦ . وهو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدي
 ابن خالد بن خيثم بن أبي حارثة بن جدى بن تدول بن (بختر) بن عتود بن عتين بن سلامان بن ثعل
 ابن عمرو بن الغوث بن جلهمه ، وهو طي .
 (٢) نسبة إلى سكسك بن أشرس ، وهو أبو السكاسك من اليمن .
 (٣) فيما عدل : « كورين » تحريف ، وكورين بضم الكاف . انظر تاج العروس (كور) .
 وسيأتي في (٣ : ٢٦٥) أن مسلم بن كورين كان مولى لعروة بن أذينة .
 (٤) هـ : « أصفر » وسيأتي في (٣ : ٢٦٥) : « ومن علمائهم مليل وأصفر ابنا عبد الرحمن » .
 (٥) التيمورية : « ثعلب » ب ، ح : « ثعلبة » مع أثر تصحيح فيها .
 (٦) انظر الحاشية رقم ٤ هذه الصفحة .
 (٧) تقدم ذكره في ص ٣٨ .
 (٨) في الفرق بين الفرق ٦٦ : « وكان عبيدة بن هلال اليشكري قد فارق قطريا وانحاز إلى
 قوس ، فتبعه سفيان بن الأبرد وحاصره في حصن قوس إلى أن قتله وقتل أتباعه » . وفي الاشتقاق
 ١٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطري بن الفجاءة ، ثم ولى بعده أمر الخوارج . وهو الذى
 يقول في حصارهم لما حاصروهم سفيان بن الأبرد الكلبى بالرى :
 إلى الله أشكو ما نرى من جيادنا تساو ك هزل نخهن قليل » .
 وانظر ما مضى في ص ٥٥ .

وكان في بني السَّمين^(١) من بني شيبان^(٢) ، خطباء العرب ، وكان ذلك فيهم فاشياً ؛ ولذلك قال الأخطل :

فَأَيْنَ السَّمينُ لا يَقومُ خطيبُها وأين ابن ذى الجَدَّين لا يتكلَّمُ^(٣)

وقال سُحيم بن حفص^(٤) : كان يزيد بن عبد الله بن رُويم^(٥) الشيبانيّ من أخطب الناس ، خطب عند يزيد بن الوليد ، فأمر للناس بعهاءين .

ومن الخطباء معبد بن طَوِقِ العنبريّ ، دخل على بعض الأمراء فتكلَّم وهو قائم فأحسن ، فلما جلس تتعَّع في كلامه^(٦) فقال له : ما أظرفك قائماً ، وأموّك قاعداً ! قال : إني إذا قمت جدّدت ، وإذا قعدتُ هزلت . قال : ما أحسنَ ماخرجتَ منها .

ومن خطباء عبد القيس : مصقلة بن رَبة ، [ورقبة^(٧)] بن مصقلة ، ٢٠٦ وكرِب بن رَبة .

والعرب تذكر من خطب العرب « العجوز » وهي خطبة لآل رَبة ، ومتى تكلموا فلا بدّ لهم منها أو من بعضها . و « العذراء » وهي خطبة قيس بن خارجة لأنّه كان أبا عذرها . و « الشَّوْهاء » ، وهي خطبة سحبان وائل ، وقيل لها ذلك من حسنّها ، وذلك أنّه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعرٌ ولم يخطب خطيبٌ . ١٥

(١) في القاموس (سمن) : « وكأمر لقب عبد الله بن عمرو بن ثعلبة ؛ لأنه كان بين أخ وعم وعدد كثير » .

(٢) فيما عدل ، ه : « ومن بني شيبان » .

(٣) ذو الجدين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني ، سمي بذلك لأنه كان أسيراً له فداء كثير ، فقال رجل : إنه لنو جد في الأسر ، أى له حظ ! فقال آخر : إنه لنو جدين . وابنه هو بسطام بن قيس المترجم في ص ٢١ . انظر جنى الجنتين ١٥٧ . ٢٠

(٤) ترجم في ص ٤٠ .

(٥) فيما عدل : « رؤية » .

(٦) تتعَّع : تردد من حصر أوعى . فيما عدل : « تلهيع » أى أفرط .

(٧) التكملة مما سبق في ص ٩٧ . وكلمة « بن مصقلة » من ل فقط . ولرَبة بن مصقلة أخبار متفرقة في الكتاب . ٢٥

وكان ابن عَمَّار الطائِيُّ ^(١) خطيبَ مَذْحِجَ كُلِّهَا ، فبلغ النعمانَ حسنُ حديثه فحمله على منادمته ؛ وكان النعمان أحمر العينين ، أحمر الجلد ، أحمر الشعر ، وكان شديد العريضة قتالاً للندماء ، فنهاه أبو قُرْدُودَةَ الطائِيُّ عن منادمته ، فلما قتله رثاه فقال :

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ لَا تَأْمَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرَةَ ^(٢) .
 إِنَّ الْمَلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ تَطُرُ بِنَارِكَ مِنْ نيرانِهِمْ شَرَّه
 يَا جَفْنَةُ كِإِزَاءِ الْحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا وَمِنْطَقًا مِثْلَ وَشَى الْيَمْنَةِ الْحَبِيرِ

قال الأصمعيّ : وهو كقوله :

وَمِنْطِقُ خُرْقٍ بِالْعَوَاسِلِ ^(٣) لَذَّ كَوْشَى الْيَمْنَةِ الْمَرَّاحِلِ ^(٤)

١٠

* * *

قال ^(٥) : وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الأَهم عن الزُّبْرَقان بن بدر ، فقال : « إِنَّهُ لَمَانَعٌ لِحَوْزَتِهِ ، مَطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ » . قال الزُّبْرَقان : إِنَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي شَرَفِي ، فَقَصَّرَ بِي . قال عمرو : « هُوَ وَاللَّهِ زَمِيرُ الْمَرْوَةِ ، ضَيْقُ الْعَطَنِ ، لَيْمُ الْخَالِ » . فنظر النبي ﷺ في عينيه ، فقال : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، ١٥ وَغَضِيتُ فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا عَلِمْتُ ، وَمَا كَذِبْتُ فِي الْأَوَّلَى وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَةِ » . فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » .

* * *

(١) هو عمرو بن عمار الطائي المترجم في ٢٢٢ .

٢٠

(٢) الأبيات سبقت في ٢٢٣ .

(٣) منطق ، أى صاحب منطق . والعواسل : الرماح اللدنة . وانظر (٢ : ٢٩٢) .

(٤) المراحل : التى نقش فيها تصاوير الرجال ، جمع مرحل ، بالتشديد .

(٥) سبق الخبر برواية أخرى في ٥٣ .

قال : وتكلم رجل في حاجة عند عمر بن عبد العزيز ، وكانت حاجته في قضائها مشقة ، فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز ، وتأثي لها ، فقال عمر : والله إن هذا للسحر الحلال .

ومن أصحاب الأخبار والآثار أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة^(١) ، وكان القاضي قبل أبي يوسف .

ومن أصحاب الأخبار : أبو هنيذة وأبو نعام ، العدويان . ٢٠٧

ومن الخطباء : أيوب بن القريّة^(٢) ، وهو الذي لما دخل على الحجاج قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : « ثلاثة حروف »^(٣) ، كأنهم ركب وقوف : دُنيا وآخرة ومعروف . ثم قال له في بعض القول : « أقلني عثرتي ، وأسغني ريقى^(٤) ؛ فإنه لا بُدَّ للجواد من كَبوة ، وللسيف من ثبوة ، وللحليم من هفوة » . قال : كَلَّا والله حتى أوردك نار جهنم . ألسن القائل برُستقباد^(٥) : تغدوا الجدى قبل أن يتعشاكم ؟

قال : ومن خطباء غطفان في الجاهلية : خويلد بن عمرو ، والعشراء^(٦)

١٥ (١) أبو بكر هذا أحد من سمي بكنيته . وذكر ابن حجر في التهذيب (١٢ : ٢٧) أن اسمه عبد الله ، أو محمد . وجده أبو سيرة صحابي شهد بدرا . وكان أبو بكر يفتي بالمدينة . ثم كتب إليه فقدم بغداد فولى قضاء موسى الهادي بن المهدي وهو ولي عهد . ومات ببغداد سنة ١٦٢ وهو ابن ستين في خلافة المهدي ، فلما مات استقضى أبو يوسف مكانه . انظر التهذيب والمعارف ٢١٤ ، ٢٥٩ ، وتاريخ بغداد ٧٦٩٧ .

(٢) ترجمته مضت في ص ٢٠ .

(٣) ل ، ب : « صروف » صوابها ما أثبت من هـ ، حد والتيمورية . وقد سبق الخبر في ص ١١٢ . ٢٠

(٤) أسغني ريقى ، أى أمهلنى ولا تعجلنى . ل ، حد : « واسغني » تحريف .

(٥) يقال أيضا « رستقباد » وهى من أرض دستوا بفارس .

(٦) في الاشتقاق ١٧٢ : « ومن بنى مازن بن فزارة بنو العشراء » . ب : « العشراء » ل :

« العشراء » ، وأثبت ما فى هـ ، حد والتيمورية .

ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَيَّ بن مازن بن فزارة . وخويلد خطيب يوم الفجار .

ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب ^(١) وأهل البيان : الوضاح بن خَيْمَةَ . ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب والحكم ^(٢) عند أصحاب النفورات ^(٣) بنو الكوّاء ، وإياهم يعني مسكين بن أبييف الدارمي ، حين ذكر أهل هذه الطبقة فقال :

كِلَانَا شَاعِرٌ مِنْ حَيٍّ صِدِيقٍ وَلَكِنْ الرَّحَى فَوْقَ الثُّفَالِ ^(٤)
وَحَكْمٌ دَغْفَلًا وَارْحَلُ إِلَيْهِ وَلَا تُرْجِ الْمَطَى مِنَ الْكَلَالِ
تَعَالَ إِلَى بَنَى الْكَوَّاءِ يَقْضُوا بِعِلْمِهِمْ بِأَنْسَابِ الرِّجَالِ ^(٥)
هَلُمَّ إِلَى ابْنِ مَذْعُورٍ شِهَابٍ يُنْبِئُ بِالسَّوَاغِلِ وَالْعَوَالِي ١٠
وَعِنْدَ الْكَيْسِ التَّمْرِ عِلْمٌ وَلَوْ أَضْحَى بِمَنْخَرِ الشَّمَالِ ^(٦)
ومن الخطباء القدماء : كعب بن لؤي ، وكان يخطب على العرب عامة ، ويحضر كنانة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب بن لؤي إلى عام الفيل .

١٥

* * *

ومن الخطباء العلماء الأثنياء ، الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة ^(٧) : شبيب بن شيبه ، وهو الذي يقول في صالح بن أبي جعفر المنصور ، وقد كان

(١) كلمة « والنسب » من ل ، هـ . و « الخطب » من هـ .

(٢) فيما عدل : « والحكام » .

(٣) النفورة : الحكومة . وفي اللسان : « ونافر الرجل منافرة ونفارا : حاكمه واستعمل منه النفورة كالحكومة . قال ابن هرمه :

يرقن فوق رواق أبيض ماجد يدعى ليوم نفورة ومعاقل »

(٤) الثفال ، بالكسر : ماوقيت به الرحي من الأرض .

(٥) فيما عدل : « تعال إلى » .

(٦) سبق البيت في ص ٣٢٢ .

(٧) انظر ما سيأتى في ص ٣٥٥ .

٢٥

المنصور أقام صالحاً فتكلم ، فقال شبيب : « ما رأيتُ كالسيوم أُبينَ بياناً ، ولا أجودَ لساناً ، ولا أربطَ جناحاً ، ولا أبلُ ريقاً ، ولا أحسنَ طريقاً ، ولا أغمضَ عُروقاً ^(١) من صالح . وحُقَّ لمن كان أميرُ المؤمنين أباه ، والمهدى أخاه ، أن ٢٠٨ يكون كما قال زهير ^(٢) :

يطلبُ شأواً امرأينِ قدما حسنا نالا المُلوكَ وبدا هذه السُّوقا ^(٣)
هو الجوادُ فإن يلحقُ بشأوهما على تكاليفه فمثله لِحِقا ^(٤)
أو يسبقاه على ما كان من مهلٍ فمثل ما قدما من صالح سبعا ^(٥) »

قال : وخرج شبيبٌ من دار الخليفة ^(٦) يوماً فقال له قائل : كيف رأيتَ الناس ؟ قال : رأيتَ الداخل راجياً والخارج راضياً .

قال : وقال خالد بن صفوان : « اتَّقُوا مَجَانِيقَ ^(٧) الضُّعَفَاء » ، يريد الدعاء .

قال : وقال شبيب بن شيبه : « اطلب الأدب فإنه دليلٌ على المروءة ، وزيادةٌ في العقل ، وصاحبٌ في العُربة ، وصِلَة في المجلس » .

وقال شبيبٌ للمهدى يوماً : « أراك الله في بَيْنِكَ ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بَيْنَكَ فيك ما أراك في أَيْيِكَ » . ١٥

(١) أغمض ، من الغموض ، وهو الغُور .

(٢) في مدحِ هرم . والأبيات في ديوان زهير ٥١ .

(٣) الشأواً : السبق . بدا : غلبا . والسوق : جمع سوقة ، وهم أوساط الناس ، أو ما بين الملوك والأوساط .

(٤) في شرح ثعلب : تكاليفه : شدته ، الواحدة تكلفة . وفي اللسان : « وهى الكلف والتكلف ، واحبتها تكلفة » . ومما هو جدير بالذكر أن الكوفيين يطردون زيادة الياء في هذا الجمع وحذفها .

(٥) المهل : التقدم . يقول : هو معذور إن سبقاه لأنهما أخذاه مهلة قبله فتقدماه . والألف في « سبق » للإطلاق ، أى مثل فعلهما سبق .

(٦) في عيون الأخبار (١ : ٩١) : « دار الخلافة » .

(٧) المجانيق ، جمع منجنيق ، وهى من آلات في القتال . وانظر (٣ : ٢٧٤) . ٢٥

وقال أبو الحسن : قال زيد بن عليّ بن الحسين : « اطلب ما يعينك وأترك ما لا يعينك ؛ فإنّ في ترك ما لا يعينك دركاً لما يعينك ، وإنما تقدّم على ما قدّمت ، ولست تقدّم على ما أخرت . فآثّر ما تلقاه غداً ، على ما لا تراه أبداً » .

أبو الحسن ، عن إبراهيم بن سعد قال : قال خالد بن صفوان :

« ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة ^(١) ، أو بهيمة مهملة » .

أبو الحسن قال : كان أبو بكر خطيباً ، وكان عمر خطيباً ، وكان عثمان خطيباً وكان على أنخطبهم ^(٢) . وكان من الخطباء : معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان ، وسليمان ^(٣) ، ويزيد بن الوليد ، والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . ومن خطباء بني هاشم : زيد بن علي ، وعبد الله بن الحسن ، وعبد الله بن معاوية ، خطباء لا يُجارون . ومن خطباء الثُّسك والعُباد : الحسن بن أبي الحسن البصريّ ، ومطرف بن عبد الله الحرثي ^(٤) ، ومورق العجلي ^(٥) ويكر بن عبد الله المزني ^(٦) ، ومحمد بن واسع الأزديّ ^(٧) ، ويزيد بن أبان

(١) ل فقط : « مهملة » . وقد سبق الخبر في ١٧٠ .

(٢) فيما عدا ل : « خطيباً » .

(٣) ل : « مروان بن سليمان » .

(٤) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري ، المترجم في ١٠٣ . وقال السمعاني في الأنساب ١٦٣ : « هذه النسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس . وأكثرهم نزل البصرة ، ومنها تفرقت إلى البلاد . وفي الأزدي الحريش بن خزيمه بن الحجر بن عمران . قاله ابن حبيب . والمشهور بهذه النسبة مطرف بن عبد الله الحرثي » .

(٥) هو مورق بضم الميم وفتح الواو وتشديد الراء المكسورة - بن مشمرج - بكسر الراء - بن عبد الله العجلي ، أبو المعتمر البصري ، ثقة عابد من كبار الثالثة . مات بعد المائة . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ١٧٣) . ويحرف هذا الاسم فيجعل « مورق » بالهمز . انظر القاموس (ورق) .

(٦) ترجم في ص ١٠٠ .

(٧) هو أبو بكر أو أبو عبد الله محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري ، روى عن أنس ومطرف والأعمش وغيرهم . وكان أحد النساك العباد الزهاد . توفي هو ومالك بن دينار سنة ١٢٣ .

تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٩ وصفه الصفوة (٣ : ١٩٠) .

الرقاشي^(١) ومالك بن دينار السامي^(٢) .

وليس الأمر كما قال ؛ في هؤلاء القاصُّ المُجيدُ ، والواعظُ البليغُ ، وذو المنطقِ الوجيزِ . فأما الخطبُ فإنَّنا لا نعرفُ أحداً يتقدَّمُ الحسنَ البصريَّ فيها . وهؤلاء وإن لم يُسمَّوا خطباءً فإنَّ الخطيبَ لم يكن يشقُّ غبارهم .

٥ أبو الحسن قال : حدَّثني أبو سليمان الحميريُّ قال : كان هشام بن عبد الملك يقول : إني لأستصفقُ العمامةَ الرقيقةَ تكون على أذني إذا كان عندي عبد الأعلى بن عبد الله^(٣) ؛ مخافةً أن يسقط عني من حديثه شيء .

ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غطفان : أبو البلاد^(٤) ، كان رواية ناسبا . ومنهم : هاشم بن عبد الأعلى الفزاري . ومن الخطباء : حفص بن معاوية الغلابي^(٥) وكان خطيباً ، وهو الذي قال حين أشركَ سليمان بن عليَّ بينه وبين مولى له على دار القَتَبِ : « أشركتَ بيني وبين غير الكفيِّ ، وولَّيتني غير السنِّي » .

ومن بنى هلال بن عامر : زُرعة بن ضَمرة ، وهو الذي قيل فيه : « لولا غلوُّ فيه ما كان كلامه إلَّا الذهب » . وقام عند معاوية بالشَّام خطيباً فقال معاوية : يا أهل الشام هذا خالي فاثقوني بخالٍ مثله . وكان ابنُه التَّعمان بن زُرعة ابن ضَمرة ، من أخطب الناس ، وهو أحدُ مَنْ كان تَخْلَصُ من الحجاج من قُلِّ

(١) ترجم في ص ٢٠٤ .

(٢) إنما قيل له السامي لأنه كان مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤي ، كما سبق في ترجمته ص ١٢٠ .

(٣) انظر ما سبق في ص ٣٤٤ س ٥ - ٧ .

(٤) في المعارف ٢٣٥ : « أبو البلاد الكوفي ، كان من أروى أهل الكوفة وأعلمهم . وكان أعمى

٢٠ جيد اللسان ، وهو مولى لعبد الله بن غطفان ، وكان في زمن جرير والفرزدق » . وأبو البلاد هذا غير أبي

البلاد الطهوي ، أحد شعراء بني طهية ، وهو المعروف أيضا بأبي الغول الطهوي ، انظر المؤلف ١٦٣

وشرح التبريزي للحماسة (١ : ١٤) .

(٥) الغلابي : نسبة إلى أهل بيت بالبصرة يعرفون ببني غلاب ، وغلاب على وزن فعال مثل

حذام ، من بنى نصر بن معاوية . الاشتقاق ١٧٨ .

ابن الأشعث^(١) بالكلام اللطيف .

- وقال سُحيم بن حفص^(٢) : ومن الخطباء عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي : تكلم هو وعبد الله بن الأهم ، عند عمر بن هبيرة وعبد الله بن هبيرة ، ففضل عاصماً عليه . قال سحيم : فقال قائل يومئذ : الخُلُ حامضٌ ما لم يكن ماء .
- ومن خطباء بني تميم : عمرو بن الأهم^(٣) ، كان يُدعى « المُكْحَل » .
- لجماله ؛ وهو الذي قيل فيه : إتما شعره حُلَلٌ مُنْشَرَّةٌ بين أيدي الملوك ، تأخذ منه ما شاءت . ولم يكن في بادية العرب في زمانه أخطبُ منه .

- ومن بني منقر : عبد الله بن الأهم ، وكان خطيباً ذا مقاماتٍ ووفادات .
- ومن الخطباء : صفوان بن عبد الله بن الأهم ، وكان خطيباً رئيساً ، وابنه خالد ابن صفوان ، وقد وَقَدَ إلى هشام ، وكان من سُمَارِ أُمَيِّ العباس .

- ومنهم : عبد الله بن عبد الله بن الأهم ، وقد وَلِيَ خُرَاسَانَ ووفد على الخلفاء ، وخطب عند الملوك . ومن ولده شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم ، وعبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم ، و خاقان بن الأهم هو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم .
- ومن خطبائهم : محمدٌ الأحول بن خاقان ، وكان خطيبَ بني تميم ، وقد رأيتُه وسمعت كلامه .

- ومن خطبائهم : مَعْمَرُ بن خاقان ، وقد وَقَدَ .
- ومن خطبائهم : مؤمِّل بن خاقان . وقال أبو الرُّبَيْرِ الثَّقَفِي : ما رأيتُ خطيباً من خطباء الأمصار أشَبَّهَ بخطباء البادية ، من المؤمِّل بن خاقان .

ومن خطبائهم : خاقان بن المؤمل بن خاقان . وكان صَبَاح بن خاقان ^(١) ، ذا علمٍ وبيانٍ ومعرفة ، وشدة عارضة ، وكثرة رواية ، مع سخاءٍ واحتمالٍ وصبرٍ على الحق ، ونصرة للصديق ، وقيامٌ بحق الجار .
ومن بنى منقر : الحكم بن النضر ، وهو أبو العلاء المنقرى ، وكان يصرف لسانه حيث شاء ، بجهارةٍ واقتدار .

ومن خطباء بنى صريم بن الحارث : الخزرج بن الصدي .

ومن خطباء بنى تميم ثم من مُقاعِس : عُمارة بن ألى سليمان . ومن ولد مالك بن سعد ^(٢) : عبد الله وجبر ^(٣) ابنا حبيب ^(٤) ، كانا ناسبين عالمين أديبين دينيين . ومن ولد مالك بن سعد ^(٥) : عبد الله والعباس ابنا رؤية ، وكان العباس علامةً عالماً ، ناسباً راوية ، وكان عبد الله أرجز الناس وأفصحهم ، وكان يكنى أبا الشعثاء ، وهو العجاج ^(٦) .

ومن أصحاب الأخبار والنسب : أبو بكر الصديق ، رحمه الله عليه ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم قتادة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة المسعودي ^(٧)

(١) في القاموس (صبح) : « وكسحاب ابن الهذيل أخو زفر الفقيه ، وابن خاقان ، كريم » .

(٢) هو مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وفي ب : « سعيد » تحريف .

(٣) فيما عدل ، ه : « بن عبد الله » وكذلك « خير » . وقد صححت في ح وجعلت « جبر » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية .

(٥) فيما عدل ، ه : « بن سعيد » تحريف .

(٦) العجاج هذا والد رؤية بن العجاج ، كلاهما راجز مجيد عارف باللغة وحشيها وغريها . وكان رؤية

أكثر شعراً من أبيه العجاج بن رؤية وأفصح منه . خزائن الأدب (١ : ٤٣) ، والمؤتلف ، والشعر والشعراء .

(٧) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله الهذلي المدني ، أحد الفقهاء

السبعة بالمدينة ، روى عن أبيه ، وأرسل عن عم أبيه عبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة ، وعنه :

أخوه عون الزهري وأبو الزناد وغيرهم . وهو معلم عمر بن عبد العزيز . وكان عالماً ناسكاً ، وأضر رحمه الله

بأخوه . توفي سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٥٧) ونكت الهميان ١٩٧ - ١٩٨

والأغاني (٨ : ٩٤ - ٩٥) .

الذى قال فى كلمة له فى عمر بن عبد العزيز ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان
ابن عفان ^(١) :

مُسَا ثَرَابُ الْأَرْضِ مِنْهُ خَلَقْتُمَا وفيه المعاد والمصيرُ إلى الحشرِ ^(٢)
ولا تأنفَا أن ترجعا فُتُسَلَّمَا فما حُشِيَ الإنسانُ شرًّا من الكِبَرِ
فلو شئتُ أدلّى فيكما غيرُ واحدٍ علانيةً أو قال عندى فى سِرِّ
فإن أنا لم آمرُ ولم أنه عنكما ضحكْتُ له حتّى يَلَجَّ وَيَسْتَشْرِى ^(٣)
وهو الذى قيل له كيف تقول الشعر مع التُّسك والفقه ؟ فقال : « إنَّ
المصدورَ لا يملك أن ينفث ^(٤) » .

٢١١

وقد ذكر المصدور أبو زبيد الطائى فى صفة الأسد فقال :

لِلصَّدرِ مِنْهُ عَوِيلٌ فِيهِ حَشْرَجَةٌ كأنما هو من أحشاء مصدورٍ ^{١٠}
ومن خطباء هذيل : أبو المليح الهذلى أسامة بن عمير ^(٥) ، ومنهم : أبو بكر
الهذلى ^(٦) ، كان خطيباً قاصّاً ، عالماً بيناً ، عالماً بالأخبار والآثار . وهو
الذى لما فآخر أهل الكوفة قال : « لنا السَّجَّ والعاج ، والدَّيْباج والخرَّاج ،
والنهر العجَّاج ^(٧) » .

(١) انظر القصة فى أمالى ثعلب ١٧ والمرضى (٢ : ٦٠) وجمع الجواهر للحصرى ص ٣ ١٥
والنهر لابن حبيب ٢٩٧ .

(٢) كذا بالخزم فى أوله فى ل . وفيما عداها « مُسَا » . وانظر الحيوان (١ : ١٤ : ١٥) .

(٣) ذكر فى الأغاني (١٣ : ١٠) أن العتي سرق هذا المعنى فى قوله :

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

(٤) ويروى : « لابد للمصدور أن ينفث » . نكت الهميان .

(٥) ذكره فى التهذيب (١٢ : ٢٤٦) فى باب الكنى وقال : اسمه عامر أو زيد بن أسامة .

(٦) ذكره الجاحظ فيما سبأى ص ٣٦٨ . وقال : « وهو عبد الله بن سلمى » وذكره فى

التهذيب (١٢ : ٤٥) فى باب الكنى ، وأن اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى ، أو روح . روى عن

الحسن وابن سيرين وأبى المليح الهذلى وغيرهم ، وعنه : ابن جريج وابن عياش . وكان من العلماء بأيام الناس .
توفى سنة ١٦٧ .

(٧) انظر (٢ : ٩٤) .

باب

من أسماء الكهّان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان

قالوا : أَكْهَنُ العرب وأسجعهم سَلَمَة بن أَى حَيَّة ، وهو الذى يقال له
عَزَى سَلَمَة ^(١) . ومنهم من خطباء عُمَان : مُرَّة بن فَهْم التَّلِيد ، وهو
الخطيب الذى أوفده المهلب إلى الحجاج .

ومن العتيك : بَشْر ^(٢) بن المغيرة بن أَى صُفْرة ، وهو الذى قال لبنى
المهلب : « يابنى عَمَى ، إِنِّى والله قد قَصَّرت عن شكاة العاتب ، وجاوزت شكاة
المستعتب ، حتَّى كَأَنِّى لستُ موصولا ولا محروما ، فَعُدُّونى أمراً خفتم لسانه ،
أو رجوتم شكره . وإِنِّى وإن قلتُ هذا فلَمَّا أبلانى الله بكم أعظمُ مما أبلاكم بى » .

ومن خطباء اليمن ثم من حِمير : الصَّبَّاح بن شَقَّى الحميرى ، كان
أخطب العرب . ومنهم ثم من الأنصار : قيس بن شَمَّاس ^(٣) . ومنهم : ثابت
ابن قيس بن شَمَّاس خطيبُ النبى ﷺ . ومنهم : رَوْح بن زُبَاع ^(٤) ، وهو
الذى لما همَّ به معاوية قال : « لا تُشِمِتَنَّ بى عَدُوًّا أنتَ وقَمَتَه ^(٥) ، ولا تسوءَنَّ
فِىَّ ^(٦) صديقاً أنتَ سررتَه ، ولا تهْدِمَنَّ مِنِّى ركنا أنتَ بنيتَه . هَلَّا أَتى حلمك
وإحسانك على جهلى وإساءتى » .

(١) كذا ورد بضبطه فى ل . وفى هـ بفتح اللام . وفى ب والتيمورية : « غرى سلمة » .

(٢) فى ل : « بسر » بضم الباء بعدها سين مهملة .

(٣) فيما عدا ل : « الشماس » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٣٤٦ وكلمته فى أمالى الزجاجى بتحقيقنا ص ٧ .

(٥) الوقم : الإذلال والقهر والرد أقبح الرد .

(٦) هـ : « لى » .

ومن خطبائهم: الأسود بن كعب ، الكذابُ العنسيّ ^(١) . وكان
طليحة ^(٢) خطيباً وشاعراً، وسجّاعاً كاهناً ناسباً . وكان مُسيلمة الكذاب ^(٣)
بعيداً من ذلك كلّهُ .

٢١٢

وثابت بن قيس بن شماس هو الذي قال لعامر ^(٤) ، حين قال : أما والله
لئن تعرّضتُ لعنّي ^(٥) وفنّي ، وذكاءٍ سنّي ^(٦) ، لتولّين عني ، فقال له ثابت :
« أما والله لئن تعرّضتُ لسبائي ، وشبّا أنيائي ^(٧) وسرعة جواي ، لتكرهنَّ

-
- (١) هو الأسود بن كعب بن غوث ، من بني عنس بن مالك . تنبأ باليمن . الاشتقاق ٢٤٨ . وذكر
المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٤٠ أن الأسود لقب له ، واسمه عebile بن كعب بن الحارث بن عمرو بن
عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج ، وأنه كان يدعى « ذا الحمار » لحمار كان معه قد راضه وعلمه ، يقول له
اجث ، فيجثو . قتله قيس بن مكشوح المرادي سنة ١١ من الهجرة . وانظر الطبري (٣ : ٢١٣ - ٢٢٠) . ١٠
- (٢) هو طليحة بن خويلد الأمدى ، تنبأ في خلافة أبي بكر في بني أسد بن خزيمه . وعاضده عيينة
بن حصن الفزاري ، فوجه أبو بكر إليه خالد بن الوليد ، فهرمه وفض جموعه وأسر عيينة . وذلك في سنة ١١
من الهجرة . وقد أسلم طليحة بعد ذلك ، واستشهد بهاوند سنة ٢١ . الإصابة ٤٢٨٣ . والتنبيه والإشراف .
- (٣) هو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفى ، من أهل البجامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع
أسجاجاً ، عارض فيها القرآن بزعمه . منها قوله : « والشمس وضحاها ، في ضوءها ومجلاها ، والليل إذا
عداها ، يطلبها ليغشاها ، فأدركها حتى أتاها ، وأطفأ نورها ومحاها » . وقوله : « يا ضفدع نقى نقى كم تنقين ،
لا الماء تكدرين ، ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره في البجامة وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو
بكر إليه خالد بن الوليد في جيش لمقارعتة ، فكان له النصر على بني حنيفة في يوم البجامة . وقتل مسيلمة وكثير
من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل . انظر المعارف ١٧٨ والطبري (٣ : ٢٤٣ - ٢٥١)
والتنبيه والإشراف ٢٤٧ والسيرة ٩٤٦ . ٢٠

(٤) هو عامر بن عبد قيس ، المترجم في ٨٣ ، الذي قال : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في
القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان » . وانظر ٢٣٧ س ١ ، ٣٢٧ س ١٠ ، ٣٦٣ س ٣ .
(٥) هـ : « للعنّي » . تحريف .

(٦) ذكاء السن : تمامه باتباء الشباب ، ومنه قول الحجاج : « فررت عن ذكاء » .

٢٥

(٧) شبّا الأنياب : حدها .

- جَنَانِي « قَالَ : فقال النبي ﷺ : يكفيك الله وإبنا قَيْلَة (١) » .
- لَعَنِي : أى لما يعرُّ لى ويعرِّض . فَنِي : مذهبي في الفن (٢) .
- وأخذتُ هذا الحديث من رجل يضع الأخبار فأنا أَنَّهُمْ (٣) .
- ومن خطباء الأنصار : بشر بن عمرو بن مَخَصَنٍ ، وهو أبو عمرة الخطيب .
- ومن خطباء الأنصار : سعد بن الربيع (٤) ، وهو الذي اعترضت
- ابنته (٥) النبي ﷺ ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : ابنة الخطيب النَّقِيب
- الشهيد : سعد بن الربيع . ومنهم خالُ حَسَّان بن ثابت ، وفيه يقول حَسَّان :
- إن خالي خطيبُ جَابِيَةِ الْجَوِّ لِأَن عند التُّعْمَان حين يقومُ (٦)
- وإياه يعنى حَسَّانُ بقوله :
- رُبَّ خَالٍ لِي لو أَبْصَرْتَهُ سَبَطَ الْمِشْيَةِ في اليومِ الْخَصِيرِ (٧)
- ومنهم من الرواة والنسايين والعلماء : شَرِيقُ بن القطامي (٨) الكلبي ، ومحمد

- (١) في هامش التيمورية : « ابنا قيلة هما الأوس والخزرج ، وهم الأنصار ، وكانوا أشجع الناس . قال عبد الله بن عباس : ماسلت السيوف ولا زحفت الرحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم ابنا قيلة » . وفي اللسان : « اسم أم لهم قديمة ، وهي قيلة بنت كاهل » .
- (٢) هذا التفسير ساقط من هـ .
- (٣) في هامش التيمورية : « يشير إلى أن الراوي لهذا الحديث غير موثوق به لا سيما في عطف ابنا قيلة على لفظه الجلالة ما لا يخفى » . هـ : « من رجل يصنع الكلام » .
- (٤) هو سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري الخزرجي ، أخى الرسول بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، واستشهد يوم أحد . الإصابة ٣١٤٧ .
- (٥) هي أم سعد بنت سعد . انظر الإصابة ١٢٨٧ قسم النساء .
- (٦) جابية الجولان ، من أعمال دمشق .
- (٧) رواية الديوان ٢٠٤ : « سبط الكفين » . وقيله :
- سألت حسان من أخواله إنما يسأل بالشئ الغمر
- قلت: أحوالى بنو كعب إذا أسلم الأبطال عورات الدبر
- (٨) الشرق لقب له ، واسمه الوليد بن الحصين ، كان وافر الأدب ، أقدمه المنصور بغداد ، وضم إليه المهدي ليأخذ من أدبه . تاريخ بغداد ٤٨٣٨ وابن النديم ١٣٢ ولسان الميزان (٣ : ١٤٢ - ١٤٣) . والقطامي لقب أبيه ، واسمه الحصين بن حمال ، يقال بفتح القاف وضمها ، مأخوذ من القطامي بفتح القاف وضمها ، وهو الصقر . والقطامي شاعر ذكره صاحب المئلف ١٦٦ - ١٦٧ . وهو غير القطامي التغلبي ، الشاعر المشهور ، واسمه عمير بن شميم .

ابن السائب الكلبي^(١) ، وعبد الله عيَّاش الهمداني^(٢) ، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي^(٣) . والهيثم بن عدى الطائي^(٤) ، وأبو روق الهمداني واسمه عطية بن الحارث^(٥) ؛ وأبو ميخنف لوط بن يحيى الأزدي^(٦) ، ومحمد بن عُمَرَ الأسلمي الواقدي^(٧) ، وعَوَّانَةُ الكلبي^(٨) ، وابن أبي عُيينة المَهَلَبِي^(٩) ، والخليل بن أحمد الفراهيدي^(١٠) ، وخَلْفُ بن حَيَّان الأحمر الأشعري^(١١) .
قالوا : وَمَنَا فِي الجاهلية عُبيدُ بن شَرِيَّة^(١٢) ، وَمَنَا شِقُّ بن الصَّعْب ، وَمَنَا ربيع بن ربيعة السَّطِيحُ الذُّبِّي^(١٣) .

(١) ترجم في ٢٤٢ .

(٢) ترجم في ٢٦٠ .

(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست وساق ثبت مصنفاته الكثيرة في ١٤٠ - ١٤٣ وهو صاحب الجمهرة في النسب ، وذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٢٠٤ . وانظر تاريخ بغداد ٧٣٨٦ .

(٤) ترجم في ص ٦ .

(٥) أبو روق عطية بن الحارث الهمداني الكوفي ، روى عن أنس وعكرمة والشعبي ، وروى عنه الثوري وعمارة . تهذيب التهذيب .

(٦) أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي ، شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصنعق بن زهير ، وجابر الجعفي ، ومجالد . وروى عنه المدائني وعبد الرحمن بن مغراء ، ومات قبل السبعين ومائة . انتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان (٤ : ٢٩٢) وابن النديم ١٣٦ .

(٧) ترجم في ٣٧ . ل : محمد بن عمرو ، تحريف . انظر أيضاً تهذيب التهذيب (٩ : ٣٦٣) .

(٨) ترجم في ٣١٦ .

(٩) ترجم في ٥٠ .

(١٠) الفراهيدي : نسبة إلى فراهود ، بالضم ، وهم حنّ من يحمّد ، وهم بطن من الأزد

(١١) ترجم في ١٢٩ .

(١٢) عبيد ، بهيئة التصغير ، كما ضبط في ل ، هـ ، وكما يفهم من سياق ابن حجر في الإصابة

٦٣٩١ . وشربة قال ابن حجر : « بمعجمة وزن عطية » . وضبط في هـ بفتح الشين وسكون الراء . وقال

ياقوت في إرشاد الأريب (١٢ : ٧٢) : « عبيد بن سارية ، ويقال ابن سارية ، ويقال ابن شربة » . وهو أحد معمرى العرب ، أدرك الإسلام فأسلم وقدم على معاوية وجرى بينهما حديث طويل طريف ، أورده ياقوت والسمجستاني في المعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب في التاريخ من المسلمين . الفهرست ١٣٢ .

(١٣) سبقت ترجمة شق وسطيح في ص ٢٩٠ .

ومنا المأمور الحارثي^(١) ، والدَيَّانُ بن عبد المدان ، الشَّريفان الكاهنان .

ومنهم : عمرو بن حنظلة بن نهيد الحَكَم ، وله يقول القائل :

عمرو بن حنظلة بن نهْد من خيرِ ناسٍ في معدّ

ومنهم : أبو السُّطَّاح اللُّحْمَى^(٢) ، وجمع معاوية بينه وبين دَغَل بن

حنظلة البكري . ومنهم أبو الكُبَّاس الكندي^(٣) ومنهم أَظْفَرُ بن مِخْوس^{٢١٣} الكندي^(٤) . وكانا ناسبين عالمين .

ومن أصحاب الأخبار والآثار: عبد الله بن عقبة بن لهيعة^(٥) ويكنى أبا

عبد الرحمن .

ومن القدماء في الحكمة والرياسة والخطابة عُبيد بن شَرِيَّة الجرهمي ، وأسْقُف

نجران ، وأكيدرُ صاحب دُومة الجَنْدَل ، وأُفَيْعَى نجران ، وذَرِب بن حَوْط ، وعُليم^{١٠}

ابن جناب^(٦) وعمرو بن ربيعة - وهو لُحَي^(٧) - بن حارثة بن عمرو مُزَيْقياء .

وجذيمة بن مالك الأبرش^(٨) ، وهو أول من أسرج الشَّمْع ورَمَى بالمتجنق .

(١) المأمور الحارثي ، اختلف في اسمه ، ف قيل هو الحارث بن معاوية ، قال ابن دريد في الاشتقاق

٢٦٩ : « وكان من فرسان مذحج ، وكانت في أمره تقدم وتأخر » . وقيل هو معاوية بن الحارث .

الأمال (٣ : ١٤٩) . وقيل هو المأمور بن تراء . معجم المرزبانى ٤٧٢ . أو هو المأمور بن زيد . القالي^{١٥}

(٣ : ١٤٩) . ونسبته إلى بنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، كما في

النقائض ٦٠٠ . وله خير في يوم الكلاب الثاني . الأغاني (١٥ : ٧٠) والنقائض ١٤٩ .

(٢) فيما عدال ، هـ : « أبو الشطاح » بالشين المعجمة . وانظر الحيوان (١ : ٣٦٥ و ٣ : ٢٩) .

(٣) فيما عدال : « الكناس » .

(٤) هذا ما في ل . وفي هـ : « ومنهم ابن مخوس الكندي » . وفي سائر النسخ : « ابن مخوس » .^{٢٠}

(٥) كذا في ل ، هـ ، وفيما عداهما : « عبد الله بن عتبة بن لهيعة » . وكلاهما خطأ ، وصواب

اسمه « عبد الله بن لهيعة بن عقبة » . وابن لهيعة محدث جليل ، وقاض فقيه ، روى عن الأعرج وعطاء

وابن المنكدر وغيرهم ، وروى عنه الثوري وشعبة والأوزاعي . تهذيب التهذيب .

(٦) هو عليم ؛ ببينة التصغير ، ابن جناب بن هبل ، الاشتقاق ٣١٦ .

(٧) لحى هو لقب ربيعة ، كما في الاشتقاق ٢٧٦ . وقال : « ومن بنى عمرو بن لحى تفرقت^{٢٥}

خزاعة » . وفي العرب « عمرو بن لحى » آخر ، هو عمرو بن لحى بن قمعة بن الياس بن مضر . انظر

السيوة ٥٠ - ٥١ . وفي هذا الأخير ورد حديث : « رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه في النار » .

(٨) هو جذيمة بن مالك بن فهم بن عمرو بن درس بن الأزد ، ملك الحيرة . والأبرش لقب

جذيمة . ويقال له أيضا « الوضاح » . العملة (٢ : ١٧٨) .

باب

ذكر التَّسَاك والزَّهَاد من أهل البیان

عامر بن عبد قيس ^(١) ، وصِلَّةُ بن أَشِيم ^(٢) ، وعثمان بن أدهم ،
وصفوان بن مُجَرِّز ^(٣) والأسود بن كلثوم ^(٤) ، والربيع بن خُثَيْم ^(٥) ، وعُمَرُو
ابن عُتْبَةَ بن فرقد ^(٦) ، وَهْرَمُ بن حِيَّان ^(٧) ، ومُورِّقُ العجلى ، وبكر بن عبد الله
المُزَنَّى ، ومُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشَّحِيرِ الحَرَشِيِّ ^(٨) .

(١) ترجم في ٨٢ .

(٢) هو أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوي الناسك ، زوج معاذة العدوية الناسكة ، لقي جماعة
من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وغيره ، وقتل شهيداً في غزاة ، في أول إمرة الحجاج على العراق سنة
٧٥ . واجتمعت النساء عند معاذة للتعزية فقالت : مرحباً ، إن كنتن جثتن لتهنتي فمرحبا بكن ، وإن
كنتن جثتن لغير ذلك فارجعن . صفة الصفوة (٣ : ١٣٩) والإصابة ٤١٢٧ .

(٣) صفوان بن محرز بن زياد المازني ، أسند عن ابن عمر ، وأبي موسى ، وابن مسعود . وعنه عاصم وقتادة
وغيرهم . توفي بالبصرة سنة ٧٤ في ولاية بشر بن مروان . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٤٩) .

(٤) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣ : ٢١٢) في الطبقة الثالثة من أهل البصرة .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بتقديم التاء على الياء ، ابن عائذ بن عبد الثوري الكوفي ثقة عابد من
كبار التابعين . قال له ابن مسعود : « لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك » . توفي سنة إحدى وقيل ثلاث
وستين . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣١) وابن النديم ٢٦٠ .

(٦) فيما عدل : « عمر » تحريف . وهو عمرو بن عتبة بن فرقد السلمى الكوفي . روى عن ابن مسعود
وسبيعة الأسلمية كتابة . قتل في تستر في خلافة عثمان . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣٧) .

(٧) هرم بن حيان العبدي ، أحد عمال عمر ، وبعثه عثمان بن أبي العاص إلى قلعة بَحْرَة فافتتحها
عنوة سنة ٢٦ . الإصابة ٤٩٤٧ وصفة الصفوة (٣ : ١٣٧) .

(٨) ترجم مورق في ص ٣٥٣ ، وبكر في ص ١٠٠ ، ومطرف في ص ١٠٣ .

وبعد هؤلاء : مالك بن دينار ^(١) ، وحبيب أبو محمد ^(٢) ، ويزيد الرقاشي ، وصالح المُرِّي ^(٣) ، وأبو حازم الأعرج ^(٤) ، وزيد مولى عيَّاش بن أبي ربيعة ^(٥) ، وعبد الواحد بن زيد ^(٦) ، وحيَّان أبو الأسود ، وذهَّتم أبو العلاء .
ومن النساء : رابعة القيسية ^(٧) ، ومُعَاذَةُ العدوية ^(٨) امرأة صِلَةَ بن أشيم ،

(١) ترجم في ١٢٠ .

(٢) هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمي ، أو الفارسي ، البصري ، أحد الزهاد المشهورين ، روى عن الحسن وابن سيرين وبكر بن عبد الله ، وعنه سليمان التيمي وحماد بن سلمة . قال المعتز عن أبيه سليمان : « ما رأيت أحدا قط أزهد من مالك بن دينار ، ولا رأيت أحدا قط أخشع من محمد بن واسع ، ولا رأيت أحدا قط أصدق يقينا من حبيب أبي محمد » . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ٢٣٦) .
وقد ذكر خطأ في الفهرست ٢٦٠ باسم « محمد بن حبيب الفارسي » . ١٠

(٣) ترجم يزيد بن أبيان الرقاشي في ٢٠٤ ، وصالح بن بشير المري في ١١٣ .

(٤) هو أبو حازم سلمة بن دينار ، الأعرج الأقرن الحمار المدني القاص ، مولى الأسود بن سفيان الخزرمي ، وكان ثقة كثير الحديث . توفي بعد سنة ١٤٠ في خلافة المنصور . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٢ : ٨٨) .

(٥) الصواب أنه مولى عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة القرشي . وزيد ، هو زيد بن أبي زيد ميسرة ، وكان عبدا ، وكان عمر بن عبد العزيز يستزيه ويكرمه ، وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه فأبى وأعتقه .
توفي سنة ١٣٥ . صفه الصفوة (٢ : ٥٩) وتهذيب التهذيب . ١٥

(٦) كان عبد الواحد بن زيد من الزهاد البكائين ، وكان يحضر مجالس مالك بن دينار ، قال ابن الجوزي : أسند عن الحسن البصري وأسلم الكوفي . صفه الصفوة (٣ : ٢٤٠) . وفي لسان الميزان (٤ : ٨٠) أنه كان متبعا في حفظه كثير الوهم . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٦٠ في جماعة العباد والزهاد . ٢٠

(٧) هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية البصرية ، وهي تعد أشهر الزاهدات المتعبدات ، كانت تقول إذا وثبت من مرقدها : « يانفس كم تنامين ، وإلى كم تنامين . يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » . انظر لسائر أقوالها صفه الصفوة (٤ : ١٧) . وذكر ابن خلكان أن وفاتها كانت في سنة ١٣٥ ، وقبرها بظاهر القدس ، على رأس جبل يسمى جبل الطور .

(٨) هي أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوية البصرية ، زوج صلة بن أشيم المترجم في ٣٦٣ . روت عن عائشة وعلى ، وعنهما قتادة والحسن وأيوب وعاصم الأحوال وغيرهم . يقال إنها لم تتوسد فراشا بعد أبي الصهباء حتى ماتت . وكانت تقول : « عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور » . تهذيب التهذيب (٢ : ٤٥٢) وصفه الصفوة (٤ : ١٣) . ٢٥

وَأُمُّ الدرداء (١) .

ومن نساء الخوارج : البُلجاء (٢) ، وَغَزَالَة (٣) ، وَقَطَام ، وَجَمَادَة (٤) ، وَكُحَيْلَة .

ومن نساء الغالية : ليلي الناعظية (٥) : والصُدوف ، وهِنْد .

ومن كان من النُساك ممن أدركناه : أبو الوليد ، وهو الحَكَم الكِنْدِي ،

ومحمد بن محمد الحمرأوى (٦) .

ومن القدماء ممن كان يُذكر بالقُدْر والرِّياسَة ، والبيان والخطابة ،
والحكمة والدَّهَاء والتكراء : لقمان بن عاد ، ولُقَيْم بن لقمان ، ومجاشع بن
دارم ، وسَلَيْط (٧) بن كعب بن يَرْبوع ، سَمَّوه بذلك لسلطنة لسانه . وقال جرير :

* إِنَّ سَلَيْطاً كاسمه سَلَيْط *

ولُؤَيّ بن غالب ، وقُسّ بن ساعدة ، وقُصَيّ بن كلاب . ١٠

ومن الخطباء البلغاء والحُكَّام الرؤساء : أكرم بن صَيْفِي ، وربيعة بن
حُذَار ، وهَرَم بن قطبة ، وعامر بن الظُّرْب ، ولييد بن ربيعة ، وكان من الشعراء .

(١) أم الدرداء ، هي زوج أبي الدرداء الصحابي ، واختلف علماء التراجم في أم الدرداء ،
بعضهم يجعلهما شخصين : أم الدرداء الكبرى ، وأم الدرداء الصغرى ، وكلاهما زوج لأبي الدرداء .
وبعضهم يقول : هما واحدة . ويختلفون في ذلك اختلافاً . انظر الإصابة ٣٨٤ من قسم النساء وتهذيب
١٥ التهذيب (١٢ : ٤٦٥) وصفة الصفوة (٤ : ٢٦٦) حيث يرجح ابن الجوزي أن العابدة هي
الصغرى ، واسمها هجيمة بنت حبي ، واسم الكبرى خيرة بنت أبي حدر .

(٢) لعلها « الشجاء » . انظر الحيوان (٥ : ٥٨٨ - ٥٨٩) .

(٣) هي غزالة الشيبانية ، زوج شبيب بن يزيد الخارجي الشيباني ، وكانت من الشجاعة
والفروسة بالموضع العظيم . وكان الحجاج في بعض حروبه قد هرب منها ، فعبره أسامة بن سفيان البجلي بقوله :

٢٠ أسد على وفي الحروب نعامه رداء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الضحى بل كان قلبك في جناحي طائر

تقدمت ترجمة يزيد في ص ١٢٨ . وفي الحيوان (٥ : ٥٩٠) أن خالد بن عتاب قتلها .

(٤) هي حمادة الصغرى ، ذكرها الجاحظ في الحيوان (٥ : ٢٩٠) .

(٥) ترجمت في ص ٣٠ . في الأصول : « الناعظية » ، بالطاء المهملة ، تحريف .

(٦) فيما عدل : « الحمرأوى » . (٧) في الديوان ٣٣٢ : وقال لُبْنَى سَلَيْط :

٢٥ إن سَلَيْطاً كاسمها سَلَيْط أولاً بنو عمرو وعمرو عَيْتَب

قلت ديافيون أو نبيط

وأسماء الصوفية من النسك ممن كان يجيد الكلام

كِلَابٌ^(١) ، وَكَلِيبٌ ، وَهَاشِمُ الْأَوْقَصِ ، وَأَبُو هَاشِمِ الصَّوْفِيِّ^(٢) ،
وصالح بن عبد الجليل .

ومن القدماء العلماء بالنسب وبالعرب^(٣) : الْخَطَفِيُّ وهو^(٤) جَدُّ
جرير بن عطية بن الخطفَى ، وهو حُدَيْفَةُ بن بدر بن سلمة بن عوف بن
كليب بن يربوع . وإنما سُمِّيَ الْخَطَفِيُّ لِأَيَّامِ قَالِهَا ، وهى :

يَرْفَعَنَّ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أُسْدَفَا أَعْنَاقَ جِثَانٍ وَهَامَأَ رُجْفَا

وَعَنْقًا بَاقِيَ الرَّسِيمِ خَيْطَفَا

الْعَنْقُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ ، وَهُوَ الْمُسْتَبْطَرُ ؛ فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنِ الْعَنْقِ قَلِيلًا
فَهُوَ التَّزِيدُ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ الدَّمِيلُ . وَالرَّسِيمُ فَوْقَ الدَّمِيلِ .
وَالْخَيْطَفُ : السَّرِيعُ ، أَيْ يَخْطِفُ كَمَا يَخْطِفُ الْبَرْقُ . وَخَيْطَفٌ مِنَ الْخَطَفِ ،
وَالْيَاءُ فِي خَيْطَفٍ زَائِدَةٌ ، كَمَا قَالُوا رَجُلٌ صَيَّرَفٌ مِنَ الصَّرَفِ ، وَرَجُلٌ جَيِّدَرٌ مِنَ
الْجَدَرِ وَهُوَ الْقَصَرُ^(٥) . وَأَصْلُ الْخَطَفِ الْأَخْذُ فِي سُرْعَةٍ^(٦) ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِكُلِّ
سَرِيعٍ .

١٥

(١) هو كلاب بن جري . ذكر في صفة الصفوة (٣ : ٢٨٩) .

(٢) أبو هاشم الصوفي الزاهد ، من قدماء زهاد بغداد ، جلس إليه سفيان الثوري . صفة
الصفوة (٢ : ١٧٢) .

(٣) في هامش هـ : « وبالعريب » عن نسخة .

(٤) هذه الكلمة من هـ .

(٥) فيما عدل : « القصير » .

(٦) ل : « بسرعة » .

ذكر القصائص

قَصُّ الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ :

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالِكَ نَاجِيَا

- وَقَصَّ الْحَسَنُ وَسَعِيدٌ ابْنَا أُمِّ الْحَسَنِ ^(١) . وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ الْحَسَنِ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ حَلَقَةً وَأَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ . وَقَصَّ إِبْرَاهِيمُ التَّمِيمِيُّ ^(٢) . وَقَصَّ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيُّ ^(٣) وَجَلَسَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ . حَدَّثَنِي بِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ فَاذِلٍ بِإِسْنَادٍ لَهُ .

- وَمِنَ الْقَصَاصِ : أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمٍ ^(٤) ، وَكَانَ بَيْنَا خَطِيْبَا صَاحِبِ أَخْبَارٍ وَأَثَارٍ . وَقَصَّ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ ^(٥) فِي مَكَانِ أَبِيهِ . وَمِنَ الْكِبَارِ الْقَصَاصِي ثُمَّ مِنْ هَذِيلٍ : مُسْلِمُ بْنُ جَنْدَبٍ ^(٦) وَكَانَ قَاصُّ مَسْجِدِ النَّبِيِّ .

(١) أَبُو الْحَسَنِ : كَنِيَّةٌ وَالِدُهُمَا يَسَارٌ . أَمَّا الْحَسَنُ فَهُوَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ ابْنُ أُمِّ الْحَسَنِ يَسَارُ الْبَصْرِيُّ ، مَوْلَى الْأَنْصَارِ ، وَلَدَ لَسْتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١١٠ . وَأَخُوهُ سَعِيدُ بْنُ يَسَارٍ أَكْبَرُ مِنْهُ ، تَوَفَّى قَبْلَهُ سَنَةَ ١٠٠ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ . فِيمَا عَدَلَ : « ابْنُ أُمِّ الْحَسَنِ » ، تَحْرِيفٌ . (٢) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ شَرِيكَ التَّمِيمِيِّ ، تَيْمُ الرِّيَابِ ، الْكُوفِيُّ ، كَانَ مِنَ الْعِبَادِ ، رَوَى عَنْ أَنَسٍ وَعُمَرَ بْنِ مَيْمُونٍ ، وَأُرْسِلَ عَنْ عَائِشَةَ . قَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا سَجَدَ تَحْمِيءُ الْمَصَافِيرِ فَتَنْقَرُ ظَهْرُهُ . تَوَفَّى فِي حَبْسِ الْحِجَابِ سَنَةَ ٩٢ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ (٣ : ٥٠) .

(٣) فِيمَا عَدَلَ : « عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ ، لَكِنْ فِي هـ » عَبْدُ اللَّهِ ، كَلَامُهُمَا تَحْرِيفٌ . وَهُوَ عُبَيْدُ ابْنِ عُمَيْرٍ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ جَنْدَعٍ بْنِ لَيْثِ اللَّيْثِيِّ ، أَبُو عَاصِمٍ الْمَكِّيُّ ، قَاضِيُ أَهْلِ مَكَّةَ . رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَعُمَرَ وَعَلَى وَأُمِّ هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمْ ، وَذَكَرَ الْعَوَامُ بْنُ حَوْشَبٍ أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فِي حَلَقَةٍ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ يَكْنَى . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٨ . تَهْذِيبُ وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ (٢ : ١١٦) .

(٤) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ٣٥٧ . فِيمَا عَدَلَ : « ابْنُ أُمِّ سُلَيْمَانَ » .

(٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ مُطَرِّفٍ فِي ١٠٣ . ل : « وَقَصَّ ابْنُ مُطَرِّفٍ » . وَفِيمَا عَدَلَ : « وَقَصَّ ابْنَهُ مُطَرِّفٌ » وَكَلَامُهُمَا خَطَأٌ .

(٦) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُسْلِمُ بْنُ جَنْدَبٍ الْهَذَلِيُّ الْقَاضِي ، كَانَ مِنْ فَصَحَاءِ النَّاسِ ، وَكَانَ مُعَلِّمَ

عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ يَقْضِي بَغِيرَ رِزْقٍ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٠٦ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .

ﷺ بالمدينة ، وكان إمامهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز : « من ٢١٥ سرّه أن يسمع القرآن غصّاً فليسمع قراءة مسلم بن جندب » .

ومن القصّاص : عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوضين ، وله مسجدٌ في بني شيبان .

٥ ومن القصّاص : موسى بن سيّار الأسواريّ ^(١) ، وكان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فتقعد العربُ عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسّرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسّرها لهم بالفارسية ، فلا يُدرى بأى لسانٍ هو أتّين . واللّغتان إذا التقّتا في اللّسان الواحد أدخلت كلّ واحدةٍ منهما الضّمّ على صاحبها ، إلّا ما ذكرنا ^(٢) من لسان موسى بن سيّار الأسواريّ .

ولم يكن في هذه الأئمة بعد أبي موسى الأشعريّ أقرأ في محراب من موسى بن سيّار ثم عثمان بن سعيد بن أسعد ، ثم يونس النحويّ ، ثم المعلّى . ثم قصّ في مسجده ^(٣) أبو عليّ الأسواريّ ، وهو عمرو بن فائد ^(٤) ، ستّاً وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة ، فما ختم القرآن حتّى مات ، لأنّه كان حافظاً للسّير ، ولوجوه التأويلات فكان ربّما فسرّ آيةً واحدةً في عدّة أسابيع ، كأنّ الآية ذُكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث كثيراً ^(٥) . وكان يقصّ

(١) ترجم له في لسان الميزان (٦ : ١٣٠) وذكر أنه كان قدريّاً . وذكره السمعاني في الأنساب ٣٧ .

(٢) فيما عدل : « ما ذكروا » .

(٣) أى المسجد الذى كان يقص فيه موسى بن سيّار .

(٤) عمرو بن فائد الأسواريّ ، قال العقيليّ : كان يذهب إلى القدر والاعتزال ، وكان منقطعاً إلى

محمد بن سليمان أمير البصرة ، وأخذ عن عمرو بن عبيد ، وله معه مناظرات ومات بعد المائتين يسير . لسان الميزان (٤ : ٣٧٢ - ٣٧٣) . ونسبته إلى نهر الأساورة بالبصرة . انظر الحيوان (٦ : ١٩١) .

(٥) هـ : « الكثيرة » .

في فنون من القَصَص ، ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك . وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ، ويحتج به . وخصاله المحمودة كثيرة .

ثم قص من بعده القاسم بن يحيى ، وهو أبو العباس الضَّرير ، لم يدرك في القصاص مثله . وكان يقصُّ معهما وبعدهما مالك بن عبد الحميد المكفوف ، ويزعمون أنَّ أبا عليٍّ لم تُسمع منه كلمة غيبة قط ، ولا عارض أحداً قط من المخالفين والحُسَّاد والبُغاة بشيء من المكافأة .

فأما صالح المُرِّي ، فكان يكنى أبا بشر^(١) ، وكان صحيح الكلام رقيق المجلس . فذكر أصحابنا أنَّ سفيان بن حبيب^(٢) ، لما دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار^(٣) قال له مرحوم : هل لك أن تأتي قاصاً عندنا هاهنا ، فتفترج

٢١٦ بالخروج والتظر إلى الناس ، والاستماع منه ؟ فأتاه على تكرُّره ، كأنه ظنه

كبعض من يبلغه شأنه ، فلما أتاه وسمع منطقَه ، وسمع تلاوته للقرآن ، وسمعه يقول حدَّثنا شُعْبة عن قتادة^(٤) ، وحدَّثنا قتادة عن الحسن ، رأى بياناً لم يحتسبه ، ومذهباً لم يكن يظنُّه^(٥) ، فأقبل سفيان على مرحوم فقال : ليس هذا قاصاً ، هذا نذير !

(١) فيما عدل : « فإنه كان » . وترجمة صالح في ١١٣ .

(٢) هو أبو محمد سفيان بن حبيب البصري ، أحد المحدثين الثقات . توفي سنة ١٨٣ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو محمد مرحوم بن عبد العزيز بن مهران العطار الأموي البصري . كان من الثقات

العباد . توفي سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .

(٤) ترجمة قتادة في ٢٤٢ . وأما شعبة ، فهو فيما عدل : « سعيد » وكلاهما محتمل ؛ إذ أن

٢٠ قتادة روى عنه شعبة ، وسعيد . وشعبة هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدی الواسطي البصري ، محدث كثير الرواية ، كان الشعبي يقول فيه : شعبة أمير المؤمنين في الحديث . ويقولون إنه أول من تكلم في الرجال . ولد سنة ٨٢ وتوفي سنة ١٦٠ . تهذيب التهذيب . وأما سعيد فهو سعيد بن أبي عروبة العدوي البصري ، قال ابن أبي خيثمة . أثبت الناس في قتادة سعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي . توفي سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب .

باب

ما قيل في المخاصر والعصى وغيرهما

كانت العرب تخطب بالمخاصر ^(١) ، وتعتمد على الأرض بالقسي ،
وتشير بالعصى والقنا . نَعَمْ حَتَّى كَانَتْ الْمَخَاصِرُ لَا تَفَارِقُ أَيْدِيَ الْمُلُوكِ فِي
مَجَالِسِهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ ^(٢) :

فِي كَفِّهِ خَيْرُ زَانٍ رِيحُهُ عَبَقٌ بِكَفِّ أَرْوَغٍ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يَكْلُمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ
إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاخَتْ الْكَلِمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رَكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ ^(٣)

وقال الشاعر قولاً فسر فيه ما قلنا . قال :

بِمَجَالِسِهِمْ تَخْفُضُ الْحَدِيثُ وَقَوْلُهُمْ إِذَا مَا قَصَصُوا فِي الْأَمْرِ وَخِي الْمَخَاصِرِ

وقال الكميّ بن زيد :

(١) المخاصر : جمع مخصرة ، وهى ما يختص به الإنسان فيمسكه بيده ، من عصا أو مقرة أو عترة أو عكازة أو قضيب .

(٢) هو الفرزدق يقول في هشام بن عبد الملك ، كما في أمالي المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزبن الكنانى في عبد الملك بن مروان كما في ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو الفرزدق في على بن الحسين كما في العمدة (٢ : ١١٠) وأمالي المرتضى . أو للعين المنقرى فيه ، كما في العمدة . أو لكثير بن كثير السهمى في محمد بن على بن الحسين ، المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم في قثم بن العباس ، كما في العمدة . وهذا مثل لمبلغ اختلاف الرواة في نسبة الشعر . انظر الحيوان (٣ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢/٢٩٤ : ١٩٦) .

(٣) البيتان الأولان في (٣ : ٤١ - ٤٢) . والثالث ساقط من هـ . زيد بعد هذا البيت فيما عدال :

كم هاتف لك من داع وداعية يدعون يا قثم الخيرات يا قثم

- وَنَزُورُ مَسْلَمَةَ الْمَهْدِ بَ بِالْمُؤَيَّدَةِ السَّوَاتِرِ (١)
 بِالْمُذْهَبَاتِ الْمُعْجِبَاتِ تِ لِمُفْحِمٍ مَنَا وشاعر (٢)
 أَهْلُ التَّجَاوُبِ فِي الْحَا فَلِ وَالْمَقَاوِلِ بِالْمَخَاصِرِ (٣)
 فَهْمٌ كَذَلِكَ فِي الْحَا لِسِ وَالْحَاوِلِ وَالْمَشَاعِرِ (٤)

٢١٧ وكما قال الأنصارى في الجامع حيث يقول :

- وسارت بنا سَيَّارَةٌ ذاتُ سَوْرَةٍ بِكُومِ المطايا والخيول الجَمَاهِرِ (٥)
 يُؤْمِنُونَ مُلْكَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا ملوكاً بأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ المنَابِرِ
 يُصَيِّبُونَ فَصْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ
 وفي المخاصِرِ والعصى وفي خَدِّ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعَصَى ، قال الخطيئة :

- أَمْ مَنْ لَخَصِمٍ مُضْجِعِينَ قَسِيَهُمْ صُعُرٍ تُحْدُوهُمْ عِظَامَ الْمَفْخَرِ ١٠
 وقال كبيد بن ربيعة في الإشارة :

- غُلِبَ تَشْدَرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جُنُ الْبَيْدَى رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا (٦)

وقال في خَدِّ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعَصَى والقسي :

- نَشِينُ صَحَاخَ الْبَيْدِ كُلِّ عَشِيَةِ بُعُوجِ السَّرَّاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجَّبٍ (٧)

- (١) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك . انظر ٢٩٢ . المؤيدة : التي يبقى ذكرها على الأبد . ١٥
 عني بها القصائد والمدح . ل : « بالمهذبة » وفي هامشها : « خ : بالمؤيدة » .
 (٢) في اللسان : « والمفحم » الذي لا يقول الشعر .
 (٣) المقاول : جمع مقول ، وهو البين الظريف اللسان .
 (٤) المشاعر : مواضع المناسك . والأبيات الثلاثة الأولى في (٣ : ١١٧) .
 (٥) الكوم : جمع أكوام وكوماء ، وهو ما علا سنامه . وانظر (٣ : ١١٦ - ١١٧) . ٢٠
 (٦) الغلب : الغلاط الأعناق . تشدر : يوعده بعضهم بعضا برفع اليد . والذحول : جمع ذحل ،
 وهو الحقد والثأر . والبدي : موضع ، أو هو البادية . والبيت من معلقته .
 (٧) في شرح ديوانه ٤٥ : « نشين صحاح البدي ، يقول : نخط بأطراف قسينا ، كلما ذكرنا
 يوما نقول : وهذا ! ... بعوج السراء ، يعني بهذه القسي . عند باب محجب ، يعني باب الملك . قال :
 وعند باب الملوك يتلاقى الناس فيتنافحون ويخطون بقسيم فيؤثرون في الأرض ، فذلك شينهم صحاح
 البدي » . ل : « بعود السراء » . ٢٥

عوج : جمع عوجاء ، وهى هاهنا القوس . السَّراء : شجر تعمل منه القسي .
وفي مثله يقول الشاعر :

إذا اقتسم النَّاسُ فَضْلَ الْفَخَارِ أَطْلُنَا عَلَى الْأَرْضِ مَيْلَ الْعَصَا
وقال الآخر :

كَتَبْتُ لَنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمَ مُحَرِّقِ أَيَّامُنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمًا فَيَصِلَا (١)
وقال لبيد بن ربيعة في ذكر القسي :

ما إنْ أَهَابُ إِذَا السَّرَادِقُ غَمَّهُ قَرَعُ الْقِسِيِّ وَأُزْعِشُ الرُّعْدِيْدُ (٢)
وقال معنُ بن أَوْسٍ الْمُزَنِيُّ (٣) :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رَسُولًا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذْ عَجَلَ الرُّسَالَا (٤)
ثُعَاقِلُ دُونِنَا أَبْنَاءَ ثَوْرِ وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصَى وَمَالَا (٥)

إذا اجتمع القبائل جثت رِدْفَا وَرَاءَ الْمَاسِحِينَ لَكَ السَّبِيلَا (٦)
فَلَا تُعْطَى عَصَا الْخُطْبَاءِ فِيهِمْ وَقَدْ تُكْفَى الْمَقَادَةَ وَالْمَقَالَا (٧)

فَإِنِّكُمْ وَتَرَكْ بَنَى أَيْيَكُمْ وَأَسْرَتَكُمْ تَجْرُونَ الْحَبَالَا (٨)

(١) انظر لمحرق ما مضى في حواشي ٢٦٧ .

(٢) السرادق ، أى سرادق الملك . غمه : علاه وستره ، أى كثر فيه . ل : « عمه » وما أثبت

من سائر النسخ يطابق رواية الديوان ٢٧ طبع ١٨٨٠ .

(٣) معن بن أوس : شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، له مدائح في جماعة من

الصحابة . وعمر إلى زمان ابن الزبير . وهو الذى قال له : « لعن الله ناقة حملتني إليك » . فقال : « إن

وراكبها » . وكف في آخر عمره . الأغاني (١٠ : ١٥٦) والإصابة ٨٤٤٥ ونكت الهميان ٣٩٤

والخزانة (٣ : ٢٥٨) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة في الأغاني ونكت الهميان ٣٩٤ والخزانة

(٣ : ٢٥٨) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة في الأغاني (١٠ : ١٦٢) . وإلى عبد الله بن

الزبير الأسدي في الخزانة (٢ : ١٠٠) وزهر الآداب (٢ : ١٦٤) .

(٤) عجله : سبقه . وفي الكتاب : « أعجلتم أمر ربكم » .

(٥) تعاقل : من العقل ، وهو الدية . حصى ، أى عدا .

(٦) السبال : جمع سبلة ، وهو مقدم اللحية . ومسح اللحى كناية عن التهديد والتوعد ، أو هو

تأهب للكلام . انظر تفسير البغدادى في الخزانة (١ : ٥٢٥) لقول الشماخ :

أَتَتْنِي سَلِيمٌ قَضَاهَا بِقَضِيضِهَا تَمَسَحُ حَوْلِي بِالْبَقِيْعِ سِبَالَهَا

فيما عدا ل : « أمام الماسحين » ، تحريف .

(٧) يقول : لست برئيس ولا خطيب . ل : « فلا يعطى عطا » صوابه في سائر النسخ .

(٨) هذا البيت وما بعده ل فقط . وانظر (٣ : ٩) .

وَوُذِّكُمُ الْعِدَى مِمَّنْ سِوَاكُمْ لِكَالْحِيرَانِ يَتَّبِعُ الضَّلَالَا

ومما قالوا في حمل القناة قوله :

إلى امرئ لا تخطأه الرفاق ، ولا جذب الخوان إذا ما استثنى المرق (١)

صلب الحيازم لا هذر الكلام إذا هز القناة ولا مستعجل زهق (٢)

وكما قال جرير بن الخطفي (٣) :

من للقناة إذا ما عى قائلها أم للأعنة ياشب بن عمار (٤)

وقال : ومثل هذا قول أبي المجيب الربيعي (٥) : « ما تزال تحفظ أخاك

حتى يأخذ القناة ، فعند ذلك يفضحك أو يحمك » . يقول : إذا قام بخطب .

وفي كتاب جبل بن يزيد (٦) : « أحفظ أخاك إلا من نفسه » .

وقال عبد الله بن ربيعة (٧) : سأل رجل ربيعة عن أخطبي بنى تميم ، فقال : ١٠

(١) لا تخطأه الرفاق : لا يتخطونه ، يقول : هو أبداً أمامهم . فيما عدل : « الرقاب » . يقول :

هو كثير الطعام على الخوان . الاستثناء والاستشاق بمعنى . يقول : هو في وقت الأزمة والسنة حين يشهى الناس الطعام مخصب ذو يسر وكرم . فيما عدل ، هـ : « العراق » تحريف .

(٢) الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن . هز القناة ، أى الرمح حين الخطبة . في اللسان

« وفلان زهق ، أى نزع » . ١٥

(٣) فيما عدل : « وقال جرير الخطفي » ؛ وهو خطأ ، إذ أن الخطفي لقب جده عوف وهو

جرير بن عطية بن عوف الخطفي .

(٤) كذا في ل ، هـ . وفيما عداهما : « شيب بن عمار » . وكلاهما خطأ في الرواية ؛ إذ أن البيت

من أبيات في ديوان جرير ٢٣٦ - ٢٣٧ يروى بها عقبة بن عمار ، أوها :

٢٠ يا عقب لا عقب لي في البيت أسمع من للأرامل والأضياف والجار

أم من لباب إذا ما اشتد حاجبه أم من الخصم بعيد السأو خطار

أم من يقوم بفاروق إذا اختلف غياطل الشك من ورد وإصدار

أم للقناة إذا ما عى قائلها أم للأعنة يا عقب بن عمار

(٥) أبو المجيب الربيعي : أحد فصحاء العرب الذين روى عنهم ابن الأعرابي ، انظر ابن النديم ١٠٣ .

(٦) جبل بن يزيد : كاتب عمارة بن حمزة ، وكان مترجماً من معدودي البلغاء والبرعاء . وعمارة ٢٥

ابن حمزة ، كان مولى لأبي جعفر المنصور وكتباً له . انظر ابن النديم ١٧١ .

(٧) هو العجاج ، والد ربيعة . والعجاج لقبه ، وكنيته أبو الشعثاء .

« خدّاش بن لبید بن بَيْبَةَ » یعنی الْبَيْعِثُ ^(١) . وإِثْمًا قِيلَ لَهُ الْبَيْعِثُ لِقَوْلِهِ :
 تَبَعْتُ مِنِّي مَا تَبَعْتُ بَعْدَ مَا أُمِرْتُ جِبَالِي كُلِّ مِرَّتِهَا شَرْرًا ^(٢)
 وَزَعَمَ سُحَيْمُ بْنُ حَفْصٍ أَنَّهُ كَانَ يَقَالُ : أَخْطَبُ بَنِي تَيْمِ الْبَيْعِثُ إِذَا أَخَذَ الْقَنَاءَ .
 وَقَالَ يُونُسُ : لَعَمْرِي لَوْ أَنَّكَ مَغْلِبًا فِي الشُّعْرِ لَقَدْ كَانَ غُلْبٌ فِي الْخُطْبِ ^(٣) .

* * *

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَغْلِبُ شَيْءٌ قَالَهُ فِي شِعْرِهِ ، عَلَى اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ ، فَيَسْمَى
 بِهِ بِشَرٍّ كَثِيرٍ ^(٤) . فَمِنْهُمْ الْبَيْعِثُ هَذَا . وَمِنْهُمْ عَوْفُ بْنُ حِصْنٍ ^(٥) بْنُ حُذَيْفَةَ
 ابْنِ بَذْرٍ ، غَلِبَ عَلَيْهِ عُوفِيٌّ الْقَوَافِي لِقَوْلِهِ :

سَاكِذِبَ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّنِي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِيَا
 فَسَمَى عُوفِيٌّ الْقَوَافِي لَذَلِكَ .

وَمِنْهُمْ : يَزِيدُ بْنُ ضِرَارٍ التَّغْلِبِيُّ ، غَلِبَ عَلَى اسْمِهِ الْمَرْزُودُ ؛ لِقَوْلِهِ :

فَقُلْتُ تَرْزُدُهَا عُبَيْدُ فَإِنَّنِي لُدْرُدُ الْمَوَالِي فِي السَّنِينَ مُرْزُودٌ ^(٦)
 فَسَمَى الْمَرْزُودُ ^(٧) .

وَمِنْهُمْ : عَمْرُو بْنُ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ ، غَلِبَ عَلَيْهِ مُرْقُشٌ ^(٨) ؛ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ :

(١) ترجم في ٢٠٤ . ونسبه في المؤلف ٥٦ : خدّاش بن بشر بن خالد بن بيبه .

(٢) أمرت شررا : أحكم قتلها عن اليسار . وقيل سمى البعث لقله :

تبعث مني ما تبعث بعد ما أسـ تمر فؤادي واستمر عزيمى

(٣) انظر ما سيأتى في (٤ : ٨٤) .

(٤) انظر ذكر من لقب ببيت شعر قاله ، في المهر (٢ : ٤٣٤ - ٤٤٣) والعمدة (١ : ٢٣ - ٢٤) .

(٥) فيما عدل ، هـ : هـ حصين ، تحريف . انظر الاشتقاق ١٧٣ . ونسبه في الأغاني

(١٧ : ١٥٠) : عوفيف بن معاوية بن عقبة بن حصن - أو ابن عقبة بن عينة بن حصن - بن
 حذيفة بن بدر . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكنى الكوفة .

(٦) الدرد : جمع أدرد ودرداء ، وهو الذى ذهب أسنانه . فى السنين : فى الجذب . وكلمة « ترزد »

و « مرزد » لم يرد لهما تفسير فى المعاجم ، وهما من الزرد بمعنى الابتلاع والبيت فى صفة زهدة ، كما فى المؤلف ١٩٠ .

(٧) وهو أخو الشماخ بن ضرار الشاعر المعروف .

(٨) فيما عدل : « المرقش » . ما عدا هـ : عمرو بن سعيد ، تحريف .

الذَّارَ قَفَرٌ والرَّسُومَ كَمَا رَقَشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ^(١)
 فَسَمَّى مَرَقْشًا. وَمِنْهُمْ : شَأْسُ^(٢) بَنُ نَهَارٍ الْعَبْدِيُّ ، غَلَبَ عَلَيْهِ الْمَمَزَّقُ^(٣) لِقَوْلِهِ :
 فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَّقُ^(٤)
 فَسَمَّى الْمَمَزَّقُ. وَمِنْهُمْ : جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ الضُّبَيْعِيُّ ، غَلَبَ عَلَيْهِ الْمُتَلَمَّسُ لِقَوْلِهِ :
 فَهَذَا أَوَانُ الْعِرْضِ حَتَّى ذَبَابُهُ زَنَايِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَلَمَّسُ^(٥) .
 وَمِنْهُمْ : عَمْرُو بْنُ رِيَّاحِ السُّلَمِيُّ^(٦) ، أَبُو خَنْسَاءَ ابْنَةِ عَمْرٍو ، وَغَلَبَ الشَّرِيدُ
 عَلَى اسْمِهِ لِقَوْلِهِ^(٧) :

تَوَلَّى إِخْوَتِي وَيَقِيْتُ فَرْدًا وَحِيدًا فِي دِيَارِهِمْ شَرِيدًا
 فَسَمَّى الشَّرِيدَ . وَهَذَا كَثِيرٌ .

* * *

١٠

- (١) من قصيدة له في المفضليات (٢ : ٣٧ - ٤١) .
 (٢) في الأصول : « سالم » تحريف صوابه في ابن سلام ١٠٨ والاشتقاق ١٩٩ والمزهر (٢ : ٤٣٥)
 والعمدة (١ : ٢٣) وزهر الآداب (١ : ٣٦) والقاموس واللسان (مزق) والمؤتلف ١٨٥ ومعجم المرزبان
 ٤٩٥ . وفي الأخير : « وقيل اسمه يزيد بن نهار » .
 (٣) الممزق ، بفتح الزاي المشددة وكسرهما . وهو شاعر جاهلي من بني عبد القيس .
 (٤) البيت من قصيدة له في الأصمعيات ٤٧ ليسبك ، يقولها لعمر بن هند حين هم يغزو
 عبد القيس ، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه . انظر المؤتلف . وهذا البيت تمثل عثمان في رسالة
 بعث بها إلى علي بن أبي طالب ، وذلك حين أحيط به ، قال : « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزرى ، وبلغ
 الحزام الطبيين ، وتجاوز الأمر بى قدره ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كلثيم ، ولم يغلبك
 كمغلب . فأقبل إلى ، معى كنت أو على ، غل أى أمريك أحببت :
 ٢٠ فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَّقُ »
 العمدة (١ : ١٧١) وابن سلام ١٠٨ وزهر الآداب (١ : ٣٦) .
 (٥) العرض : واد بالتمامه . حى ذبابه ، من الحياة ، والمراد هنا الانتعاش . ويروى : « جن ذبابه » .
 وفيما عدل : « طن ذبابه » . والأزرق : ضرب من الذباب .
 (٦) ب فقط : « رياح » بالباء الموحدة ، والمعروف في نسب الخنساء أنها بنت عمرو بن الشريد
 ٢٥ ابن رياح . الإصابة ٣٥٣ من قسم النساء والخزانة (١ : ٢٠٨) . وفي الأغاني (١٣ : ١٢٩) أنها
 بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح .
 (٧) فيما عدل : « غلب عليه الشريد لقوله » .

قال : ودخل رجلٌ من قيسِ عَيْلان على عبد الملك بن مروان ، فقال
زُبَيْرُ عُمَيْرٍ ^(١) والله لا يَحُبُّكَ قلبي أبدا ! فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنما
يَجْزَعُ من فَقْدانِ الحُبِّ المرأةُ ، ولكن عدلْ وإنصافاً » ^(٢) .

وقال عمر لأبي مريم الحنفى ^(٣) ، قاتل زيد بن الخطاب : « لا يَحُبُّكَ قلبي
أبداً حتَّى تحبَّ الأرضُ الدَّمَّ المسفوح » . وهذا مثل قول الحجاج : « والله
لأَقْلَعَنَّكَ قَلْعَ الصَّمْعَةِ » . لأنَّ الصمغة اليابسة إذا قُرِفَتْ ^(٤) عن الشجرة
انقلعت انقلاع الجُلْبَةِ ^(٥) . والأرض لا تُنْشَفُ الدَّمَّ المسفوح ولا تَمْصُهُ ،
فمتى جفَّ الدم وتجلَّب ^(٦) لم تروه أخذ من الأرض شيئاً .

* * *

ومن الخطباء : العُضْبَانُ بن القَبْعَرَى ^(٧) ، وكان محبوساً في سجن الحجاج ، ١٠

(١) ل : هـ عمرى . وسيعاد الخبر في (٢ : ٨٩) .

(٢) الخبر في عيون الأخبار (٣ : ١١) مع إيجاز .

(٣) هذا الصواب في ل . وفيما عدل ل : « الحنفى السلولى » وهو خلط في النسب . وفي الكامل
٣٤٦ ليسك أنه « السلولى » . وفي حواشيه : « وهم أبو العباس رحمه الله في قوله أبو مريم السلولى ، إنما هو
١٥ أبو مريم الحنفى ، وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب ، وكان أبو مريم صاحب مسيلمة
الكذاب ، واسم أبى مريم إياس بن صبيح ، ثقة كوفى . واسم أبى مريم السلولى مالك بن ربيعة ، من
الصحابه ، روى عنه ابنه يزيد وغيره » . والخبر أيضاً في عيون الأخبار (٣ : ١٣) والحيوان (٣ : ١٣٦)
(٤ : ٢٠١) .

(٤) قرفت : قشرت وقلعت . ماعدا هـ : « فرفت » تحريف . وفي اللسان : وقولهم تركته على مثل
٢٠ مقرف الصمغة ، وهو موضع القرف ، أى مقشر الصمغة » .

(٥) الجلبة بالضم : القشرة تعلو الجرح عند البرء . وانظر (٣ : ٦٠) .

(٦) المعروف فيه جلب وأجلب ، أى ييسل . « تجلبف » ولا وجه له .

(٧) القبعرى ، بفتححات بينها سكون العين ، أصل معناه الجمل العظيم الضخم . والعضبان هذا
رجل شيباني ، وكان من زعماء مروانية أهل العراق الذين كان عبد الملك يرعى جانبهم . انظر الطبرى
٢٥ (٧ : ١٨٤) . وقد أوفده الحجاج بكتاب إلى قطرى بن الفجاءة ، نصه في الكامل ٢١٤ ليسك .

فدعا به يوماً ، فلما رآه قال : إنك لَسَمِين ! قال : القَيْدُ والرَّثْعَةُ ^(١) ، وَمَنْ يكن ضيفاً للأُمير يَسْمَن .

وقال يزيد بن عياض ^(٢) : لما نَقِمَ النَّاسُ على عثمان ، خرج يتوكأ على مروان ^(٣) ، وهو يقول : « لكلُّ أُمَّةٍ آفةٌ ، ولكلِّ نعمةٍ عاهةٌ ، وإنَّ آفةَ هذه الأُمَّةِ عَيَّابُونَ طَعَّانُونَ ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ ما تُحِبُّونَ ، وَيُخْفُونَ ما تُكْرَهُونَ ، طَعَّامٌ مثلُ النِّعَامِ ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ ، لَقَدْ نَقِمُوا على ما نَقَمُوهُ على عُمر ، ولكن قَمَعَهُمْ عُمرٌ وَرَقَمَهُمْ . واللهُ إِنِّي لأَقْرَبُ ناصراً وأعزَّ نفراً . فَضَلَّ فَضْلٌ من مالى ، فما لِي لا أَفْعَلُ فى الفضل ما أَشَاء . »

قال : ورأيتُ النَّاسَ يتداولون رسالة يحيى بن يعمر ^(٤) ، على لسان يزيد ابن المهلب ^(٥) : « إِنَّا لَقَيْنَا العَدُوَّ فقتلنا طائفةً وأسَرْنَا طائفةً ، ولحقَّتْ طائفةٌ ١٠

(١) الرثعة ، بالفتح وبالتحريك : الاتساع فى الخصب . والخبر فى اللسان (رجع) بلفظ : الخفض والدعة ، والقيد والرثعة ، وقلة التمتع . - وأول من قال « القيد والرثعة » هو عمرو بن الصق ، وكانت شاكر من همدان قد أسره ، فأحسنوا إليه ، وقد كان يوم فارق قومه نحيفاً ، فهرب من شاكر فلما وصل إلى قومه قالوا : أى عمرو ، خرجت من عندنا نحيفاً وأنت اليوم بادن ! فقال : القيد والرثعة . انظر اللسان والميداني (٢ : ٤١) .

١٥

(٢) هو أبو الحكم يزيد بن عياض بن جعدبة الليثى المدنى ، من ضعاف أهل الحديث ، توفى بالبصرة فى خلافة المهدي . تهذيب التهذيب .

٢٠

(٣) مروان هذا ، هو مروان بن الحكم والد عبد الملك ، ولد لستين خلتما من الهجرة ، وقبض رسول الله وهو ابن ثمان سنين ، وولى لعبد الله بن عامر رستاقاً من أردشير خره ، ثم ولى البحرين لمعاوية ثم المدينة مرتين ، ثم بويع له بالخلافة ، فوليا عشرة أشهر ، ومات بالشام سنة خمس وستين .

٢٠

(٤) يحيى بن يعمر التابعى ، أديب نحوى فقيه ، كان من فصحاء أهل زمانة وأكثرهم علماً باللغة ، سمع ابن عمر وجابراً وأبا هريرة ، وأخذ النحو عن أبى الأسود . وله فتية بن مسلم قضاء خراسان وتوفى سنة ١٢٩ . بغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب ، وابن الأثير .

٢٥

(٥) وجه الرسالة إلى الحجاج ، كما فى اللسان (٦ : ٢٣٥) وما يفهم من السياق . ويزيد هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، من أمراء الدولة الأموية وقوادها ، وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب ، وكان يكرهه لنجاته ، فأشار على عبد الملك بعزله ، فعزله ثم حبسه الحجاج وعذبه ، فهرب إلى سليمان بالشام فأواه ، وحبسه عمر بن عبد العزيز فهرب أيضاً. ولما ولى يزيد بن عبد الملك خلعه فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله . وفيات الأعيان .

بِعَرَايرِ الْأُودِيَةِ وَأَهْضَامِ الْغَيْطَانِ ، وَبَتْنَا بِعُرْعُرَةِ الْجَبَلِ ، وَبَاتَ الْعُدُوُّ بِحَضِيضِهِ «
قال : فقال الحجاج : ما يزيدُ بأني عُذِرَ هذا الكلام (١) . فقليل له : إنَّ معه
يحيى بنَ يعمر ! فأمر بأن يحمل إليه (٢) فلما أتاه قال : أين وُلِدْتَ ؟ قال :
بالأهواز . قال : فأنتَ لك هذه الفصاحة ؟ قال : أخذتها عن أبي .

عراعر الأودية : أسافلها . وعراعر الجبال : أعاليها . وأهضام الغيطان :
مداخلها . والغيطان : جمع غائط ، وهو الحائط ذو الشجر .

ورأيتهم يديرون (٣) في كتبهم أن امرأةً خاصمت زوجها إلى يحيى بن
يعمر فانتهرها مراراً ، فقال له يحيى بن يعمر : « أأن سألْتُك ثمن شكرها
وشبَّرك ، أنشأتَ تطلُّها وتضنُّهَها (٤) » .

قالوا : الضَّهْل : التَّفْهِيل . والشُّكْر : الفرج (٥) والشُّبْر : النِّكَاح (٦) .
وتطلُّها : تذهب بحَقِّها ؛ يقال دمٌ مطلول . ويقال بشر ضَهول ، أى قليلة الماء .

قال : فإن كانوا إنَّما رَوَوْا هذا الكلام لأنَّه يدلُّ على فصاحةٍ فقد باعده
الله من صفة البلاغة والفصاحة . وإن كانوا إنَّما دَوَّنُوهُ في الكتب ، وتذاكروه
في المجالس لأنَّه غريب ، فأبياتٌ من شعر العجاج وشعر الطُّرَّاح وأشعار
هذيل ، تأتي لهم مع حُسن الرِّصْف على أكثر من ذلك (٧) . ولو خاطب
بقوله « أأن سألْتُك ثمن شكرها وشبَّرك أنشأتَ تطلُّها وتضنُّهَها » الأصمعي ،

(١) يقال هو أبو عذر هذا الكلام وعذرتَه أيضا ، أى أول من قاله ، كأنه اختصَّ أولا . فيما عدا
ل : « بأني عذرة » .

(٢) بدلها فيما عدا ل : « فحمل إليه » .

(٣) ل : « يزيدون » تحريف .

(٤) الخبر في اللسان (شكر ، شير ، طلل ، ضهل) ، والصناعتين ٣٠ .

(٥) فيما عدا ل : « الجماع » والصواب ما أثبت من ل .

(٦) فيما عدا ل : « البضع » كلاهما صحيح .

(٧) فيما عدا ل : « مما ذكروا » . وما أثبت من ل يطابق ما في الصناعتين .

لظننتُ أنه سيجهل بعض ذلك . وهذا ليس من أخلاق الكتاب ولا من آدابهم .
قال أبو الحسن : كان غلامٌ يَقْعُرُ في كلامه ، فأتى أبا الأسود الدؤلي (١)
يلتمس بعض ما عنده ، فقال له أبو الأسود : ما فعل أبوك ؟ قال : « أخذته
الحُمى فطبخته طبخاً ، وفنخته فنخاً ، وفضخته فضخاً ، فتركته فرخاً » .

فنخته : أضعفته . والفنيخ : الرخو الضعيف . وفضخته : دقته .

فقال أبو الأسود : « فما فعلت امرأته التي كانت تُهاؤه وتشارُهُ (٢) ،
وتجارُهُ (٣) وتزَارُهُ ؟ » قال : « طَلَّقَهَا فتزوَّجت غيره ، فرضيت وحظيت وبظيت » .

٢٢١ قال أبو الأسود : قد عرفنا رضيت وحظيت ، فما بظيت ؟ قال : حرف من
الغريب لم يبلغك . قال أبو الأسود : يا بُنَيَّ كلُّ كلمةٍ لا يعرفها عمُّك فاسترّها كما
تستر السنور جعرها (٤) .

١٠

تزاره : تعاضه . والزَّرُّ : العض . وحظيت : من الحُظوة . وبظيت : إتياع
لحظيت .

قال أبو الحسن : مرَّ أبو علقمة النحوي (٥) ببعض طرق البصرة ، وهاجت به
مرَّةً ، فوثب عليه قوم منهم فأقبلوا يَعَضُّونَ إبهامه ويؤذنون في أذنه ، فأفلت منهم (٦)
فقال : « ما لكم تتكأكون علىَّ كما تكأكون على ذى جِنَّةٍ (٧) ، افرثقوا »

١٥

(١) فيما عدل : « الدئلي » . ويقال في النسبة إلى « دئل » : « دؤلي » و « دئلي » .

(٢) تهاؤه : تهر في وجهه كما يهر الكلب . وتشاره : تعاديه وتخاصمه . فيما عدل : « تشاره وتجاره » .

(٣) تجاره : تلحق به الجريرة .

(٤) فيما عدل : « خرها » .

(٥) أبو علقمة النحوي التميمي . قال : ياقوت : أراه من أهل واسط . وقال القفطي : قديم

العهد يعرف اللغة ، كان يتقعر في كلامه ويعتمد الحوشى من الكلام والغريب . بغية الوعاة ٣٢٥ .

وإرشاد الأريب (١٢ : ٢٠٥ - ٢١٥) .

(٦) فيما عدل : « من أيديهم » . وانظر الخبر في الصناعتين ٢٧ .

(٧) الجنة : الجنون . فيما عدل : « كانكم تتكأكون » .

عَنِّي ^(١) . قال : دَعُوهُ فَإِنَّ شَيْطَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِالْهِنْدِيَّةِ .

قال أبو الحسن : وَهَاجَ بِأَبَى عُلْقَمَةَ الدَّمِ فَأَتَتْهُ بِحَجَّامٍ ، فَقَالَ لِلْحَجَّامِ :
« اشدُّدْ قَصَبَ الْمَلَاظِمِ ^(٢) ، وَأَرْهِفْ طُجَابَاتِ الْمَشَارِطِ ، وَأَسْرِعِ الْوَضْعَ وَعَجِّلِ
النَّزْعَ ، وَلِيَكُنْ شَرْطُكَ وَخَزَاً ، وَمَصْلُكَ نَهْزاً ، وَلَا تُكْرِهَنَّ أَبْيَاً ، وَلَا تَرَدَّنَّ
أَتْيَاً . فَوَضَعَ الْحَجَّامُ مُحَاجِمَهُ فِي جُودَتِهِ ثُمَّ مَضَى ^(٣) .

فَحَدِيثُ أَبِي عُلْقَمَةَ فِيهِ غَرِيبٌ ، وَفِيهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَجَّاماً مَرَّةً مَا زَادَ
عَلَى مَا قَالَ . وَلَيْسَ فِي كَلَامِ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهُ غَرِيبٌ ،
وَهُوَ أَيْضاً مِنَ الْغَرِيبِ بَغِيضٌ .

وَذَكَرُوا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : لَمَّا جَاءَ ابْنُ الزَّيْبِرِ وَهُوَ بِمَكَّةَ قَتَلَ
مِرْوَانَ الضَّحَّاكَ ^(٤) بِمَرْجٍ رَاهِطٍ ، قَامَ فِينَا خَطِيباً فَقَالَ : « أَنْ تَعْلَبَ بِنِ
تَعْلَبَ ، حَفَرَ بِالصَّحْصَحَةِ ، فَأَخْطَأَتْ اسْتُهُ الْحَفْرَةَ ^(٥) . وَالْهَفْ أُمٌّ لَمْ تَلِدْنِي
عَلَى رَجُلٍ مِنْ مُحَارِبٍ ^(٦) كَانَ يَرْعَى فِي جِبَالِ مَكَّةَ ، فَيَأْتِي بِالصَّرِيَةِ مِنْ
الْلَبَنِ ^(٧) فَيَبِيعُهَا بِالْقُبْضَةِ مِنَ الدَّقِيقِ ، فَيَبِزِي ذَلِكَ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ ، ثُمَّ أَنْشَأَ
يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ وَوَرَاثَةَ النَّبَوَةِ » .

١٥

(١) يروى هذا القول أيضاً لعيسى بن عمر ، كما في بغية الوعاة ٢٢٥ .

(٢) الخبر في الصناعتين ٢٦ - ٢٧ . والملازم : جمع ملزم ، بالكسر ، وهو خشبتان مشدود
أوساطهما بحديد تجعل في طرفها فتاحة فتلزم ما فيها لزوماً شديداً .

(٣) فيما عدل : « وانصرف » . الجونة : سليقة مستديرة مغشاة أدمًا .

(٤) الضحّاك هذا هو الضحّاك بن قيس بن خالد القهري ، ولد في زمان الرسول بعد الهجرة ،
ولاه معاوية الكوفة ثم عزله ، ثم ولاه دمشق . ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله مروان
فقتل بمِرج رَاهِط سنة ٦٤ الإصابة ٤١٦٤ والطبري (٧ : ٣٧ - ٤١) .

(٥) الصحصحة والصحصح : الأرض المستوية الواسعة . والخبر في اللسان (٣ : ٣٣٩) . وقال :
« وهذا مثل للعرب تضربه فيمن لم يصب موضع حاجته . يعني أن الضحّاك طلب الإمارة والتقدم فلم ينلها » .

(٦) يعني الضحّاك بن قيس ، ينتهي نسبه إلى محارب بن فهر .

(٧) الصرية : الواحدة من الصرب ، وهو اللبن الحقيق الحامض . فيما عدل : « بالشرية » .

وهذه العبارة في اللسان (صرب) . ٢٥

وأَوَّلُ هذا الكلامِ مستكره ، وهو موجود في كلِّ كتاب ، وجارٍ على لسان كلِّ صاحبِ خبر . وقد سمعتُ لابن الزُّبَيْر كلاماً كثيراً ليس هذا في سبيله ، ولا يتعلَّق به .

وقال أبو يعقوب الأَعْمُور ^(١) :

- وَحَلَجَةٌ ظَنٌّ يَسْبِقُ الطَّرْفَ حَزْمُهَا تُشَيِّفُ عَلَى غَنَمٍ وَتُمْكِنُ مِنْ دَخِلِ ٥
صَدَعَتْ بِهَا وَالْقَوْمُ فَوْضَى كَانَتْهُمْ بِكَارَةُ مِرْيَاحٍ تُبْصِصُ لِلْفَحْلِ
خلجة ظنٍّ : أى جذبة ظنٍّ ، كأنَّه يجذب صوابَ الرأى جذبا . والخلج :
٢٢٢ الجذب ^(٢) . تُشَيِّفُ : أى تُشْرِفُ ؛ يقال أَشَافَ وَأَشْفَى بمعنى واحد ، أى
أشرف . بِكَارَةُ مِرْيَاحٍ : أى نَوْقٌ فتايا ^(٣) قد أُذِلَّتْ للفحل . مِرْيَاحٍ : أى نوق
رئيس ^(٤) . والمِرْيَاحُ : رُبْعُ الغنِمةِ فى الجاهليَّةِ لصاحب الجيش . وقال ابن عَنَمَةَ ^(٥) :
١٠ لك المِرْيَاحُ منها والصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ ^(٦)
وقال رجل من بنى يربوع :
إلى الله أشكو ثم أشكو إليكما وهل تنفع الشكوى إلى مَنْ يَزِيدُهَا
حزازاتِ حُبٍّ فى الفؤادِ وَغَيْرُهُ أَظَلُّ بِأَطْرَافِ البنانِ أَذْوَدُهَا ^(٧)
يَحْنُ فُؤَادِي مِنْ مَخَافَةِ بَيْنِكُمْ حنين المَرْجَى وَجْهَةً لا يَزِيدُهَا ١٥

(١) فيما عدل : « الأعمور السلمي » ولست منه على بينة . وقد أنشد له الجاحظ شعرا فى الحيوان (٣ : ٧٢٠) وذكره أيضا فى (٥ : ٣١٦) .

(٢) بدل هذا كله فى هـ : « خلجة ظن ، أى ظن سريع » .

(٣) فتايا : جمع فتية . فيما عدل « صغار » .

(٤) فى الأصول : « ربع » وفى اللسان : « ما يأخذه الرئيس » . ٢٠

(٥) هو عبد الله بن عنة الضبى ، أحد شعراء المفضليات ، وهو مخضرم شهد القادسية ، ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٣٣٤ . وانظر الخزانة (٣ : ٥٨) .

(٦) البيت فى اللسان (ربع ، صفا ، نشط ، فضل) . وهو من أبيات ثمانية فى الحماسة (١ : ٤٢٠) .

(٧) الحزازة : وجع فى القلب من غيظ ونحوه . ل : « حرارات » .

وقد أحسن الآخر حيث قال :

وأكرم نفسي عن مناكح جمّة . ويقصّر مالى أن أنال الغواليا

وقال الآخر :

وإذا العبد أغلق الباب دونى لم يُحرّم على متن الطريق

وقال الخليل العطاردى^(١) : كُنّا بالبادية إذ نشأ عارض وما فى السماء

قرعة معلّقة^(٢) ، وجاء السيل فاكسح أبياتا من بنى سعد ، فقلت :

فَرِحْنَا بِوَسْمَى تَأَلَّقَ وَذُقْهُ عِشَاءً فَأَبْكَانَا صَبَاحاً فَأَسْرَعَا^(٣)

لَهُ ظِلَّةٌ كَأَنَّ رَيْقَ وَبْلَهَا عَجَاجَةٌ صَيْفٌ أَوْ دِخَانٌ تَرْفَعَا^(٤)

فكان على قوم سلاماً ونعمةً وألحق عاداً آخرين وثُبعا^(٥)

وقال أبو عطاء السندى^(٦) ، لعبيد الله بن العباس الكندى :

قُلْ لِعَبِيدِ اللَّهِ لَوْ كَانَ جَعْفَرٌ هُوَ الْحَى لَمْ يَبْرَحْ وَأَنْتَ قَتِيلٌ^(٧)

إلى معشر أزدوا أخاك وأكفروا أباك فماذا بعد ذاك تقول ٢٢٣

فقال عبيد الله : أقول : عَضُّ أَبُو عَطَاءٍ يَنْظُرُ أُمَّهُ ! فَعَلَّبَ عَلَيْهِ .

قال أبو عبيدة : قال أبو البصير ، فى أبى رُهم السُدوسى ، وكان يلى

الأعمال لأبى جعفر : ١٥

(١) قال فى المؤلف ١١٣ : « الخليل السعدى ، وهو الخليل بن زفر ، أحد بنى عطارد بن

عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، يقال له الخليل العطاردى » .

(٢) القرعة ، بالتحريك : واحدة الفزغ ، وهو قطع السحاب .

(٣) الوسى : مطر الربيع الأول . والودق : المطر .

(٤) الریق : أول كل شئ . ترفع : ارتفع .

(٥) ل : « سلاماً وسرة » . ألحق الآخرين عاداً : أهلكتهم مثلهم .

(٦) أبو عطاء السندى ، هو أفلح بن يسار ، مولى لبنى أسد ، وشاعر من مخضرمى الدولتين . وكان من

شعبة بنى أمية . توفى عقب أيام المنصور . الخزانة (٤ : ١٧٠) والشعر والشعراء والأغاني (١٦ : ٨٨ - ٨٤) .

(٧) فيما عدل ، هـ : « وقل » بدون الحزم . كما أن هذا البيت فيما عداها متأخر عن لاحقته .

رَأَيْتُ أَبَا رُحَيْمٍ يَقْرُبُ مُنْجِحاً غلامَ أبى بشرٍ ويُقصي أبى بشرٍ^(١)
فقلت ليحيى كيف قَرَّبَ مُنْجِحاً فقال : له أيرُ يزيد على شبرٍ

* * *

- وقال أبو عثمان : وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب في خُطْبِهَا المَحْصَرَةَ والقنَاءَ والقَضِيبَ ، والاتكأَ والاعتماد على القَوْسِ ، واخْذُ في الأرض ، والإشارة .
بالقَضِيبِ ، بكلامٍ مستكرهٍ سنذكره في الجزء الثاني^(٢) ، إن شاء الله . ولابد من أن نذكر فيه بعضَ كلامٍ معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، وابن الزبير ، وسليمان ، وعمرَ ابنِ عبد العزيز ، والوليد بن يزيد بن الوليد ؛ لأنَّ الباقيين من ملوكهم لم يُذكرَ لهم من الكلام الذى يُلحق بالخطب ، وبصناعة المنطق ، إلا اليسير . ولابد من أن نذكر فيه أقسامَ تأليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآن جميع الكلام .
الموزون والمنثور ، وهو منشورٌ غير مقفًى على مخارج الأشعار والأسجاع ، وكيف صار نظمُهُ من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج . ولابد من أن نذكر فيه شأنَ إسماعيل عليه السلام وانقلابَ لغته بعد أربع عشرة سنة ، وكيف نسيَ لغته التى رَبَّى فيها ، وجرى على أعراقها ، وكيف لَفَظَ بجميع حاجاته بالعربية على غير تلقين وترتيب ، وحتى لم تدخله عجمة ، ولا لُكْنَةٌ ولا حُبْسَةٌ ، ولا تعلقٌ بلسانه شئٌ من تلك العادة ، إن شاء الله .

ولابد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه ، وبعض ما يحضرنى من كلام آبائه وجِلَّةِ رَهْطِهِ . ولابد أيضاً من ذكر من صعد المنبر فَحْصِرَ أو خَلَطَ ، أو قال فأحسن ؛ ليكون أتمَّ للكتاب^(٣) . إن شاء الله .

(١) فيما عدل : « ويحفو أبى بشر » . وأشير في هـ إلى رواية : « يقصى » . ٢٠

(٢) فيما عدل : « الثالث » وهو خطأ .

(٣) فيما عدل : « ليكون الكتاب أكمل » .

ولا بدّ من ذكر المنابر وَلِمَ اتُّخِذَتْ ، وكيف كانت الخطباء من العرب ٢٢٤
 في الجاهلية وفي صدر الإسلام ^(١) ، وهل كانت المنابرُ في أمةٍ قط غير أمتنا ،
 وكيف كانت الحال في ذلك . وقد ذكرنا أنَّ الأمم التي فيها الأخلاق والآداب
 والحكم والعلم أربع ، وهى : العرب ، والهند ، وفارس ، والروم . وقال حُكَيْمُ بْنُ
 عِيَّاشٍ الكلبيُّ ^(٢) :

ألم يك مُلْكُ أرضِ الله طُرّاً لأربعةٍ له متميّزينا
 لحميرَ والتَّجاشيَ وابنِ كِسرى وقيصَرَ غيرَ قولِ الْمُمْتَرينا
 فما أدرى بأى سببٍ وضع الحبشةَ بهذا المكان . وأما ذكره لحمير فإنَّ كان
 إنّما ذهب إلى تَبَعِ نفسه في الملوك ، فهذا له وجه . وأما التَّجاشيُّ فليس هو عند
 الملوك في هذا المكان ، ولو كان النجاشيُّ في نفسه فوق تَبَعِ وكِسرى وقيصر لما
 كان أهلُ مملكته من الحبش في هذا الموضع . وهو لم يفضّل النجاشيَّ لمكان
 إسلامه ، يدلُّ على ذلك تفضيله لكِسرى وقيصر . وكان وضع كلامه على ذكر
 الممالك ، ثم ترك الممالك وأخذ في ذكر الملوك . والدليل على أن العرب أنطقُ ،
 وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدلُّ ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والأمثال
 التي ضُرِبَتْ فيها أجود وأسير . والدليل على أن البديهة مقصورةٌ عليها ، وأن
 الارتجال والاقتضاب خاصٌّ فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي

(١) فيما عدل ، هـ : « صدور الإسلام » .

(٢) ضبط « حكيم » من هـ . وحكيم هو المعروف بالأعور الكلبي . وهو شاعر مجيد كان
 منقطعاً إلى بني أمية بدمشق ، ثم انتقل إلى الكوفة . وكان بينه وبين الكميت بن زيد مفاخرة . وهو القائل
 ٢٠ في تعصبه لليمن على مصر :

ما سرني أن أمي من بني أسد وأن رقي نجاتي من النار
 وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار
 إرشاد الأريب (١٠ : ٢٤٧ - ٢٤٩) والأغاني (١٥ : ١٢٢ - ١٢٣) .

تسميه الرُّوم والفرس شعراً . وكيف صار التَّسْيِب في أشعارهم وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم ، وهذا لا يُصاب في العرب إلا القليل اليسير . وكيف صارت العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، فتضع موزوناً على موزون ، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسُّط حتَّى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون .

وسنذكر في الجزء الثاني من أبواب العيِّ واللحن والغلط والعقلة ؛ أبواباً طريفة ^(١) ، ونذكرُ فيه التَّوَكِّي من الوجوه ومجانين العرب ، ومن ضُرب به المثل ٢٢٥ منهم ، ونوادِر من كلامهم ، ومجانين الشعراء . ولستُ أعنى مثل مجنون بنى عامر ، ومجنون ^(٢) بنى جعدة ، وإنما أعنى مثل ألى حيّة في أهل البادية ، ومثل جُعيفران في أهل الأمصار ، ومثل أريسيموس ^(٣) اليونانيّ .

وسنذكر أيضاً بقية أسماء الخطباء والتَّسَاك الظُّرفاء والملحاء ، إن شاء الله . وسنذكر من كلام الحجاج وغيره ، ما أمكننا في بقية هذا الجزء إن شاء الله .

* * *

وقال أبو الحسن المدائني : قال الحجاج لأنس بن مالك ، حين دخل عليه في شأن ابنه عبد الله ، وكان خرج مع ابن الأشعث : « لا مرحباً بك ولا أهلاً . ١٥ لعنةُ الله عليك من شيخ جَوّال في الفتنة ، مرّة مع ألى تراب ، ومرّة مع

(١) فيما عدل ، هـ : « ظريفة » بالمعجمة .

(٢) الحق أن هذا المجنون والذي قبله واحد . فإن المجنون العامري هو قيس بن الملوح بن مزاحم ابن قيس بن عدس بن ربيعة بن جعدة . انظر المؤتلف ١٨٨ حيث ساق أيضاً ممن يسمى بالمجنون من الشعراء : المجنون الشريدي ، والقشيري ، والتيمي .

(٣) كذا في ل . وفي هـ : « أريسيموس » ، وسائر النسخ : « أريسيموس » .

ابن الأشعث . والله لأقلعنك قلع الصنعة ^(١) ، ولأعصبتك عصب
السلمة ^(٢) ، ولأجردتك تجريد الضب ^(٣) . قال أنس : من يعنى الأمير أعزه
الله ^(٤) ؟ قال : إياك أغني ، أصم الله صدك ^(٥) ! فكتب أنس بذلك إلى
عبد الملك بن مروان ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن المستفهمة بعجم الزبيب ^(٦) ، والله
لقد هممت أن أركلك ركلة تهوى بها في نار جهنم ^(٧) . قاتلك الله ، أخيفش
العنين أصلك الرجلين ^(٨) ، أسود الجاعرتين . والسلام . »

وكان الحجاج أخيفش ، منسلق الأجفان ، ولذلك قال إمام بن أرقم
التميري ^(٩) ، وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه ،
فلما خرج قال :

طليق الله لم يمتن عليه أبو داود وابن أوى كثير
ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلب طرفها حذر الصقور
لأن طير الماء لا يكون أبداً إلا منسلق الأجفان .

قال : وخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته : « والله ما بقى من الدنيا

(١) انظر ما سبق في ص ٣٧٦ .

(٢) السلم : شجر من العضاء . وإنما يعصب لتخبط أوراقه فتناثر للماشية . انظر اللسان
(عصب) حيث تفسير العبارة .

(٣) تفسيره في اللسان (جرد) : « أى لأسلخنك سلخ الضب ؛ لأنه إذا شوى جرد من جلده . »

(٤) فيما عدا ل : « أبقاه الله . »

(٥) الصدى : رجع الصوت . وهذا كناية عن الإهلاك ، إذا مات الرجل فإنه لا يسمع صوته ولا يجاب .

(٦) وكذا في اللسان (خرم) وفي ل : « بحب الزبيب » وعجم الزبيب : حبه . والمستفهمة : التى

تجعل الدواء في هنا ليضيق .

(٧) ل : « إلى نار جهنم . »

(٨) الصلك : اضطراب الركبتين والعرويين .

(٩) فيما عدا ل : « إمام بن أرقم . »

إلا مثل ما مضى ، وهو أشبه به من الماء بالماء . والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه .

المفضل بن محمد الضبي قال : كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم : أن ابعث إلى بالآدم الجعد^(١) ، الذي يفهمني ويفهم عني . فبعث إليه غدام بن شتير^(٢) فقال الحجاج : لله دره ! ما كتبت إليه في أمر قط إلا فهم عني وعرف ما أريده .

وقال أبو الحسن وغيره : أراد الحجاج الحج ، فخطب الناس فقال : « أيها الناس ، إني أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابني محمداً هذا ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله ﷺ في الأنصار . إن رسول الله ﷺ أوصى أن يقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، ألا وإني قد أوصيته ألا يقبل من مُحسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم . ألا وإني ستقولون بعدى مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى^(٣) . ستقولون بعدى : لا أحسن الله له الصحابة^(٤) ! ألا وإني مُعجل لكم الإجابة^(٥) ، لا أحسن الله عليكم الخلافة . ثم نزل . وكان يقول في خطبته : « أيها الناس ، إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله » .

وقال عمرو بن عبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها ، وهي : « إن الله عز وجل جعل لعباده عقولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسن بنعمة الله

(١) الآدم : الأسود . والجعد : الخفيف ، وقيل المجتمع الشديد .

(٢) فيما عدل ، هـ : « غدام بن شتير » .

(٣) ل : « مقالا ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى » .

(٤) في القاموس : « صحبه ، كسمعه ، صحابة ويكر » .

(٥) ل : « الجواب » .

عليه ، ومسيءٌ بخذلان الله إياه . والله النعمة على المحسن ، والْحُجَّةُ على المسيءِ
 فما أَوْلَى مَنْ تَمَّتْ عليه النعمة في نفسه ، ورأى العبرة في غيره ، بأن يضع
 الدُّنيا بحيث وضعها الله فيعطى ما عليه منها ، ولا يتكثَّر مما ليس له فيها ؛ فإنَّ
 الدُّنيا دارُ فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولا بدُّ من لقاء الله عزَّ وجلَّ . فأحذِّركم
 الله الذي حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة ، قبل أن تُصيروا
 إلى الدار التي صاروا إليها ، فلا تقدروا ^(١) فيها على توبة ، وليست لكم منها
 أوبة وأنا أستخلف الله عليكم ، وأستخلفه منكم » .

وقد رُويَ هذا الكلام عن الحجاج ، وزيادٌ أحقُّ به منه .

★ ★ ★

(١) في جميع النسخ : « فلا تقدرون » .

باب

ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يحو أثر الكلام

قال جرير :

تُكَلِّفُنِي رَدَّ الْفَوَائِتِ بَعْدَ مَا سَبَقَنَ كَسْبَقَ السِّيفِ مَا قَالِ عَاذُلُهُ (١)

وقال الكميت بن معروف (٢) :

خَذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْقَوْمُ عَقْلَكُمْ وَكُونُوا كَمَنْ سَيِّمَ الْهُوَانَ فَأَرِيعَا (٣)
 ٢٢٧ وَلَا تَكْثُرُوا فِيهِ الضَّجَّاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السِّيفُ مَا قَالِ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا (٤)
 والمثل السابق (٥) : « سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ » (٦) .

* * *

- ١٠ ومن أهل الأدب : زكرياء بن درهم ، مولى بنى سُليم بن منصور ،
 صاحب سَعِيد بن عَمْرٍو الْحَرَشِيِّ (٧) . وزكرياء هو الذى يقول :

(١) فيما عدل : « رد العواقب » تحريف . والقصيدة من النقااض ٦٣٩ يجيب بها الفرزدق .
 ورواية الديوان ٤٨٣ والنقااض :

• وما بك رد للأوبد بعد ما •

(٢) وكذا جاءت النسبة في حماسة البحرى ١١ وشرح الحماسة للثيريزى (١ : ٢٠٦ بولاق) .
 ١٥ وقيل هو الكميت بن ثعلبة . الخزانة (٤ : ٥٦٠) والمؤتلف ١٧٠ .

(٣) العقل : الدية . فيما عدل : « العقل قومكم » . سامه الهوان : أرادته عليه . وأريع : أقام في
 المربع عن الارتباد والنجعة . ويروى : « فارتعا » ، وفسره في الخزانة بأنه من قولهم أَرَعَ إبله ، جعلها تأكل
 ما شاءت . انظر الحيوان (٣ : ٧٩) .

(٤) فيه ، أى فى الأمر . ويروى : « فيها » ، أى فى القضية . وابن دارة هو سالم بن مسافع بن
 ٢٠ يربوع ، كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا ، فقتله زميل الفزارى .

(٥) فيما عدل : « والمثل السائر من قبل هذا » .

(٦) العدل ، بالتحريك : اسم من عدله يعذله ، إذا لاه . والمثل للحارث بن ظالم ، كان قد
 ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره فقال : « سبق السيف العدل » .

(٧) سعيد بن عمرو الحرشى : أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شذبا الحارجى وقتل بمن معه سنة ١٠١ ،
 ٢٥ وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بإمارته ، فعزله وعذبه . والحرشى : نسبة
 إلى الحرشى بن كعب بن ربيعة . انظر الجهشيارى ١١ والطبرى (٨ : ١٤٢ ، ١٦٨ - ١٧٥) والحيوان (٤ : ٢٣) .

- لا تُنْكِرُوا لسعيد فضل نعمته لا يشكر الله من لا يشكر الناس
- ومن أهل الأدب ممن وجهه هشام إلى الحرشي : السُّرادق بن عبد الله
السَّدُوسِيّ الفارسي^(١) . ولما ظفر سلم بن قتيبة^(٢) بالأزد ، كان من الجند في دور
الأزد انتهاب وإحراق ، وآثار قبيحة ، فقام شبيب بن شيبه إلى سلم بن قتيبة
فقال : أيها الأمير ، إن هُرَيم بن عدى بن أُمى طَحْمة^(٣) - وكان غير منطيق - قال
ليزید بن عبد الملك في شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، إنا والله ما رأينا أحداً
ظَلِمَ ظَلَمَكَ ، ولا نُصير نصرَكَ ، ولا عفا عفوك^(٤) . وإنا نقول أيضاً : أيها
الأمير ، إنا والله ما رأينا أحداً ظَلِمَ ظَلَمَكَ ، ولا نُصير نصرَكَ . فافعل الثالثة نُقْلُها .
- قال الهيثم بن عدى : قام عبد الله بن الحجاج الثَّغَلِيّ إلى عبد الملك
ابن مروان ، وقد كان أراد الاتصال به ، وكان عبد الملك حَقِيقاً عليه ، فأقام
ببابه حولاً لا يصل إليه ، ثم ثار في وجهه في بعض ركباته فقال :
أَدْنُو لَتَرْحَمَنِي وَتَرْتُقَ نَحْلَتِي وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ^(٥)
فقال عبد الملك : إلى النار ! فقال :
وَلَقَدْ أَذْقَتَ بَنِي سَعِيدٍ حَرَّهَا وَابْنَ الرَّزِيرِ فَعَرَّشَهُ مَتَضَعُضِعُ^(٦)
فقال عبد الملك : قد كان ذلك ، وأنا أستغفر الله .

(١) فيما عدل ، هـ : « الفارسي » تحريف .
(٢) ل والتيمورية : « مسلم بن قتيبة » تحريف . وترجمة سلم في ١٧٤ .
(٣) كان هريم من فرسان بني تميم في الإسلام . الاشتقاق ١٤٨ . وكان مع المهلب في قتال الأزارقة ،
ومع عدى بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب . ولما كبر حول اسمه في أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو . فقيل
له : إنك لا تحسن أن تكذب . فقال : إلا أكتب فإني أحمو الصحف . المعارف ١٨٣ - ١٨٤ .
(٤) هذه الجملة في ل والتيمورية فقط . وانظر (١٠٧ : ٢) .
(٥) « لترحمني وترتق » كتبت في ح والتيمورية بنقطتين من أعلى وآخرين من أسفل . وفي ب :
« ليرحمني ويرتق » .
(٦) فيما عدل : « فرأسه متضعضع » . وأشير في حواشي ه إلى رواية : « فعرشه » .

وقال أبو عبيدة : كان بين الحجاج وبين العُدَيْل بن الفَرَح العَجَلِيَّ (١)
بعضُ الأمر ، فتَوَعَّدَه الحجاجُ ، فقال العُدَيْل :

أُخَوِّفُ بالحجاج حتَّى كأنما يحركُ عظمً في الفؤاد مَهِيضُ
ودون يدِ الحجاج من أن تنالني بَسَاطُ لأيدي اليعملات عريضُ (٢)

٢٢٨ مَهاهُ أشباهُ كأن سرائها مُلَاءُ بأيدي الغاسلاتِ رحيضُ (٣)
المهيض : الذي قد كُسِرَ ثم جُبِرَ ثم كُسِرَ . اليعملات : العوامل ،
والياء زائدةٌ لأنها من عملت (٤) .

ثم ظفر به الحجاج فقال : إليه (٥) يا عُدَيْل ، هل نجاكَ بَسَاطُكُ
العريض ؟ فقال : أيُّها الأمير ، أنا الذي أقول فيكم (٦) :

لو كنتُ بالعنقاء أو بيسومها لكان لحجاج على دليل (٧)
١٠ خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفهُ لكلِّ إمامٍ مصطفى و خليلُ

(١) العديل ، هيئة التصغير . والفَرَح ، بالفتح ، وضبط في الخزانة (٢ : ٣٦٨) بضم الفاء ،
وأراه تحريفاً . وضبط بالفتح في الاشتقاق ٢٠٨ ل : « فرج » ، التيمورية « فرج » ب ، هـ : « فرخ »
والوجه ما أثبت من حـ . والعديل شاعر إسلامي مقل في الدولة المروانية . الخزانة والأغاني (٢٠ : ١١ -
١٩) والشعر والشعراء وحامسة ابن الشجري ١٩٩ .

١٥

(٢) البساط ، بالفتح ، ويكسر : الأرض البسيطة الواسعة .

(٣) ملأ بالضم : جمع ملأة . رحيض : مغسول .

(٤) هذا التفسير في ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « له » .

٢٠

(٦) فيما عدا ل : « فيك » .

(٧) العنقاء : أكمة فوق جبل مشرف . كذا في القاموس ومعجم ياقوت . ويسوم : قال في اللسان :
« جبل صخره ملساء » ، وقال ياقوت : « في بلاد هذيل .. وقيل يسوم جبل قرب مكة » . في جميع النسخ :
« بأسومها » صوابه ما أثبت . ومثله قول محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي ، للحجاج حين خاف منه :
ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها لخلتلك إلا أن تصد ترائي

٢٥

انظر الكامل ٣٥٣ ليسلك . ورواية صدر بيت العديل في المراجع المتقدمة :

• ولو كنت في سلمى أجا وشعابها •

بنى قُبَّةَ الإسلامِ حَتَّى كَانَمَا هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ
فَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ : ارْبِخْ نَفْسَكَ ، وَاحْقِنْ دَمَكَ ، وَإِيَّاكَ وَأَخْتَهَا ؛ فَقَدْ
كَانَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَتْلِكَ أَقْصَرَ مِنْ إِبْهَامِ الْحُبَارَى .

قال : وَقَامَ الْوَلِيدُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، خَطِيبًا بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ وَالْيَهَا ،
يَنْعَى مَعَاوِيَةَ وَيَدْعُو إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ ، فَلَمَّا رَأَى رَوْحُ بْنُ زَيْنَبٍ إِبْطَاءَهُمْ قَالَ :
« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا لَا نَدْعُوكُمْ إِلَى لَحْمٍ وَجَذَامٍ وَكَلْبٍ ، وَلَكِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى
قَرِيشٍ وَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ وَاخْتَصَّهُ بِهِ ، وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ
الطَّعْنِ وَالطَّاعُونَ ، وَفَضَالَاتُ الْمَوْتِ ^(١) ، وَعِنْدُنَا إِنْ أَجَبْتُمْ ^(٢) وَأَطَعْتُمْ مِنْ
الْمَعُونَةِ وَالْعَائِدَةِ ^(٣) مَا شِئْتُمْ » . فَبَايَعَ النَّاسُ .

قال : وَخَطَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، مِنْ وَلَدِ الْمَغِيرَةِ الْخَزْرُمِيِّ فَقَالَ : « أَنَا
ابْنُ الْوَحِيدِ ، مِنْ شَاءِ أَجَزَّ نَفْسَهُ ^(٤) صَقْرًا يُلَوِّذُ حَمَامُهُ بِالْعَرْفِجِ ^(٥) » .
ثُمَّ قَالَ :

اسْتَوْسِقِي أَحْمَرَةَ الْوَجِينِ ^(٦) سَمِعَنْ جِسَّ أَسَدٍ حَرُونَ

فَهَنَ يَضْرِبُ ظَنًّا وَيَنْتَرِيزُ

ثُمَّ قَالَ : « وَاللَّهِ إِنِّي لِأُبْغِضَ الْقُرَشِيَّ أَنْ يَكُونَ فِطْرًا ^(٧) . يَا عَجَبًا لِقَوْمٍ
يَقَالُ لَهُمْ مَنْ أَبُوكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أُمُّنَا مِنْ قَرِيشٍ » .

(١) الفضالة ، بالضم : ما فضل من الشيء . فيما عدل ، هـ « فضلات » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « أحببتم » .

(٣) العائدة : النفع . فيما عدل ، هـ : « والفائدة » .

(٤) أجزر نفسه الصفر : جعلها له جزورا . ل : « أجزرتي نفسه » ، وفيما عدل : « أحرز
نفسه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) اقتباس ، هو عجز بيت سبق في ص ٤٨ . وصدوره :

• وبعثت من ولد الأغر معتب •

(٦) استوسقي : اجتمعي . والوجين : شط الوادي .

(٧) ل : « فضا » بالضاد المعجمة . ٢٥

فتكلم رجل من غرض الناس^(١) وهو يخطب ، فقال غيره : مَهْ^(٢) فَإِنَّ الْإِمَامَ يخطب . فقال : إِنَّمَا أُمِرْنَا بِالْإِنصَابِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، لَا عِنْدَ ضُرَاطِ أَحْمَرَةِ الْوَجِينِ . وقال آخر : سمعت عمر بن هبيرة وهو يقول على هذه الأعواد^(٣) في دعائه :

٢٢٩

اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَدُوٍّ يَسْرِي ، وَمِنْ جَلِيسٍ يُغْرِى ، وَمِنْ صَدِيقٍ يُطْرِي . قال أبو الحسن : كَانَ نَافِعُ بْنُ عُلْقَمَةَ بْنُ نَضْلَةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ ، خَالَ مَرْوَانَ ، وَالْيَأَى عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَكَانَ شَاهِرًا سَيْفَهُ^(٤) لَا يُغْمَدُهُ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ فَتًى مِنْ بَنِي سَهْمٍ يَذْكُرُهُ بِكُلِّ قَبِيحٍ ، فَلَمَّا أَتَى بِهِ وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ قَالَ الْفَتَى : لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ ، وَدَعْنِي أَتَكَلَّمُ . قَالَ : أَوْ بِكَ كَلَامٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَأَزِيدُ ، يَا نَافِعَ وَلَيْتَ الْحَرَمَيْنِ تَحْكُمَ فِي دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا ، وَعِنْدَكَ أَرْبَعُ عَقَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَبَنِيثَ يَاقُوتَةَ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمُرَّةِ - يَعْنِي دَارَهُ - وَأَنْتَ نَافِعُ بْنُ عُلْقَمَةَ بْنِ نَضْلَةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ ، أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَكْمَلُهُمْ حَسَبًا ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا التُّرَابُ^(٥) ، لَمْ نَحْسُدْكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، وَلَمْ نَنْفَسْهُ عَلَيْكَ ، فَفَقِصْتُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ . قَالَ : فَتَكَلَّمْتُ حَتَّى يَنْفَكَ فَكَأَكَ^(٦) .

عَلَى بْنِ مُجَاهِدٍ^(٧) ، عَنْ الْجَعْدِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ، قَالَ : قَالَ صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ : مَا أَعْيَانِي جَوَابُ أَحَدٍ مَا أَعْيَانِي جَوَابُ عُثْمَانَ ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ : ١٥ أَخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا أَنْ قُلْنَا رَبُّنَا اللَّهُ ! فَقَالَ : نَحْنُ الَّذِينَ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا أَنْ قُلْنَا رَبُّنَا اللَّهُ ؛ فَعَمْنَا مَنْ مَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَمَنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ . قَالَ : وَقَالَ الْحِجَاجُ عَلَى مَنْبَرِهِ : « وَاللَّهِ لَأَلْحُوْنَكُمْ لَحْوَ الْعَصَا ، وَلَأَغْصِبَنَّكُمْ

(١) هـ : « مِنْ الْبَادِيَةِ » . وَفِي حَوَاشِيهَا : « خ : النَّاسِ » .

(٢) فِيمَا عَدَلَ : « صه » . وَكَلَامُهُمَا بِمَعْنَى اسْكُتْ . يَتَوَّانُ عِنْدَ الْوَصْلِ . ٢٠

(٣) أَيْ أَعْوَادَ الْمَنْبَرِ . فِيمَا عَدَلَ : « عَلَى هَذِهِ الْأَعْوَادِ وَهُوَ يَقُولُ » .

(٤) ل : « وَكَانَ سَيْفُهُ شَاهِرًا » .

(٥) فِيمَا عَدَلَ : « فَلَمْ » .

(٦) ل : « حَتَّى يَنْفَكَ فَكَأَكَ » .

(٧) تَرْجَمَ فِي ٣٠١ .

عَصَبُ السَّلْمَةِ ، ولأَضْرَبَكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ . يا أهل العراق ، ويا أهل الشُّقَاقِ والتَّفَاقِ ، ومساوَى الأخلاقِ ، إني سمعتُ تكبيراً ليس بالتكبير الذي يُرادُ به الله في التَّرعِيبِ ، ولكنَّه التَّكْبِيرُ الذي يرادُ به التَّرهيبُ . وقد عَرَفْتُ أَنَّهَا عِجَاجَةٌ تَحْتَهَا قَصْفُ فِتْنَةٍ . أَي بَنَى اللَّكِيعةَ وَعَبِيدَ الْعِصَا ، وَأَبْنَاءَ الْإِمَاءِ ، وَاللَّهُ لَنِ قَرَعَتْ عَصاً عَصاً ^(١) لِأَتَرْكَنَكُمْ كَأَمْسِي الدَّابِرِ .

مالكُ بن دينار قال : ربُّما سمعتُ الحَجَّاجَ يَخْطُبُ ، يَذْكُرُ ما صَنَعَ به أهلُ العراقِ وما صَنَعَ بهم ، فيقعُ في نفسِ أَتَمِّهم يَظْلُمُونَهُ وأَنَّهُ صَادِقٌ ؛ لِبَيَانِهِ وَحَسَنِ تَخْلُصِهِ بِالْحَجَجِ .

قال : وَقَسَمَ الحَجَّاجُ مَالاً ، فَأَعْطَى مِنْهُ مالِكُ بن دينار ، وأَرَادَ أَنْ يَدْفَعَ مِنْهُ إِلَى حَبِيبِ أَبِي مُحَمَّدٍ ^(٢) فَأَنَّى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئاً ، ثُمَّ مَرَّ حَبِيبٌ بِمالِكِ ، فَإِذَا ٢٣٠
هُوَ يَقْسِمُ ذَلِكَ الْمَالَ ، فَقَالَ لَهُ مالِكُ : أَبَا مُحَمَّدٍ ، لِهَذَا قَبِلْنَاهُ ^(٣) ! قَالَ لَهُ حَبِيبٌ : دَغْنِي مِمَّا هُنَاكَ ، أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ الْحَجَّاجُ الْيَوْمَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ قَبْلَ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : بَلِ الْيَوْمِ . فَقَالَ حَبِيبٌ : فَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ حَبَّبَ إِلَيْكَ الْحَجَّاجَ .

وَمَرَّ غِيلَانُ بن خَرَشَةَ الضُّبِّيُّ ، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بن عامر ^(٤) ، عَلَى نَهْرٍ أَمَّ عَبْدُ اللَّهِ ^(٥) ، الَّذِي يَشُقُّ الْبَصْرَةَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا أَصْلَحَ هَذَا التَّهَرُّ لَأَهْلِ هَذَا الْبَصْرِ ! فَقَالَ غِيلَانُ : أَجَلٌ وَاللَّهِ أَثْبَتُهَا الْأَمِيرُ ، يَعْلَمُ الْقَوْمُ صَبِيانَهُمْ فِيهِ السَّبَّاحَةَ ، وَيَكُونُ لِسُقْيَاهُمْ ^(٦) وَمَسِيلِ مِيَاهِهِمْ ، وَتَأْتِيهِمْ فِيهِ مِرْثَتُهُمْ . قَالَ : ثُمَّ مَرَّ غِيلَانُ

(١) هذه الكلمة الأخيرة ساقطة مما عدل . وما بعد « الإماء » إلى نهاية الفقرة ساقط من هـ .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٣٦٤ .

(٣) ل : « قبلته » .

٢٠

(٤) ترجمة غيلان في ٣٤١ وعبد الله في ٣١٨ . وكان غيلان أحد أصحاب أبي موسى الأشعري . ثم انتقض

عليه وكان سبباً في أن يعزل عثمان أبا موسى الأشعري ويولى مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشيارى ١٤٧ .

(٥) نهر أم عبد الله ، منسوب إلى أم عبد الله بن عامر . كما في معجم البلدان (٨ : ٣٣٦) .

وفي الأصل : « نهر عبد الله » تحريف . والخبر في الحيوان (٥ : ١٩٨) بخلاف في اللفظ .

(٦) في الأصول : « لشفاهم » صوابه من العمدة (١ : ١٦٥) .

٢٥

يساير زياداً على ذلك النهر ، وقد كان عادى ابنَ عامر ، فقال زياد : ما أضُرَّ هذا النهر ، بأهل هذا المصر ! قال غيلان : أجلُ واللهُ أيُّها الأمير ، تنزُّ منه دورهُم ، وتغرَّق فيه صبيائُهُم ، ومن أجله يكثرُ بعوضُهُم .

فالذين كرهوا البيانَ إتما كرهوا مثلَ هذا المذهب ؛ فأما نفسُ حسن البيان فليس يذمه إلا من عَجَزَ عنه . ومن ذَمَّ البيانَ مدحَ العِبيِّ ، وكفى بهذا خبالاً (١) .

ولخالد بن صفوان كلامٌ في الجُبْنِ المأكول ، ذهبَ فيه شبيهاً بهذا المذهب . قال : ورجع طاوسٌ عن مجلسِ محمَّد بن يوسف ، وهو يومئذ والى اليمن ، فقال : ما ظننتُ أن قولَ سبحان اللهِ معصيةٌ لله حتى كان اليومَ . سَمِعْتُ رجلاً أبلغ ابنَ يوسفَ عن رجلٍ كلاماً فقال رجلٌ من أهل المجلس (٢) : سبحان الله ! ١٠ كالمستعظم لذلك الكلام . فغضب ابنُ يوسف .

قال أبو الحسن وغيره ، قالوا : دخل يزيدُ بن أُمى مسلم (٣) على سليمان ابن عبد الملك ، وكان دميماً ، فلما رآه قال : على رجلٍ أجركَ رَسَنك ، وسلطك على المسلمين ، لعنةُ الله ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتنى والأمرُ عني مدبر ، ولو رأيتنى والأمرُ علىَّ مقبلاً لاستعظمتُ من أمرى ما استصغرت ! ١٥ قال : فقال سليمان : أفترى الحجاجَ بلغ قعر جهنم بعد ! قال (٤) : يا أمير المؤمنين ، يجيء الحجاج يومَ القيامة بين أهلك وأخيك ، قابضاً على يمين أهلك وشمال أخيك ، فضَّعه من النار حيث شئت .

(١) فيما عدل : « وكفى بذلك جهلاً وخبالاً » .

(٢) فيما عدل : « في المجلس » وانظر (٢ : ٢٩٤) .

(٣) يزيد بن أُمى مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفي ، كان مولى الحجاج بن يوسف ، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثل الحجاج وأبن أُمى مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان .

(٤) فيما عدل : « فقال يزيد » .

وذكر يزيد بن المهلب ، يزيد بن أنى مسلم ، بالعفة عن الدينار والدرهم ،
وهم بأن يستكفيه مهماً من أمره ، قال : فقال عمر بن عبد العزيز : أفلا أدلك ٢٣١
على من هو أزهّد في الدرهم والدينار منه ، وهو شرّ خلق الله ؟ قال : من
هو (١) ؟ قال : إبليس .

٥ قال : وقال أسيلم بن الأحنف ، للوليد بن عبد الملك قبل أن
يُستخلف : أصلح الله الأمير ، إذا ظننت ظناً فلا تحققه ، وإذا سألت الرجال
فسلهم عما تعلم ، فإذا رأوا سرعة فهمك لما تعلم ظنّوا ذلك بك فيما لا تعلم ،
ودُسّ من يسأل لك عما لا تعلم .

وكان أسيلم بن الأحنف الأسديّ ، ذا بيانٍ وأدب وعقل وجاه ، وهو
الذى يقول فيه الشاعر : ١٠

ألا أيّها الركب المحبّون هل لكم بسيد أهل الشام تُحبّون وترجعون (٢)
أسيلم ذاكم لا خفاً بمكانه لعين تُرجى أو لأذنٍ تسمع (٣)
من التفّر البيض الذين إذا انتموا وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا (٤)
جلا الأذقر الأحوى من المسك فرقه وطيب الدّهان رأسه فهو أنزع
إذا التفّر السود اليمانون حاولوا له حوك بُرديه أرقوا وأوسعوا ١٥
وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة .

(١) فيما عدل : « قال بلى » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل . والمحبون : الذين تحب بهم دواهم : تسرع . وفي النسخ جميعها :

٢٠ « المحبون » تحريف . والأبيات في الحيوان (٤٨٦ : ٣) والعقد (٤٢٣ : ٣) والكامل ١٠٣ والبخلاء ورسائل
الجاحظ ٧٩ ساسي . وانظر (٣٠٥ : ٣) .

(٣) خفا : مقصور خفاء . فيما عدل : « تدجى » وضبطت هذه الكلمة في هـ ، ب بفتح التاء
والدال وتشديد الجيم المفتوحة .

(٤) جعلهم نفرا لقتلهم ، والكرام قليل . حلقة الباب ، أى باب الملك . وفي حواشى هـ .

الهيثم بن عدى قال : قَدِمْتُ وفودُ العراق على سليمان بن عبد الملك ،
بعد ما استخلف ، فأمرهم بشتم الحجاج ، فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم ، إنَّ
عدوَّ الله الحجاج ، كان عبداً زبانياً^(١) ، قَتُوراً ابن قُنُور^(٢) ، لا نسبَ له في العرب .
فقال سليمان : أىُّ شتمٍ هذا ؟ إنَّ عدوَّ الله الحجاج كتب إلى : « إنما أنت نقطة
من مداد ، فإن رأيتَ فئى ما رأى أبوك وأخوك كنتُ لك كما كنتُ لهما ،
وإلا فأنا الحجاج وأنت النقطة ، فإن شئت محوُّك ، وإن شئت أثبتُّك » .
فالعنوه لعنه الله ! فأقبل الناسُ يلعنون ، فقام ابن أبى بُردة بن أبى موسى^(٣)
فقال : يا أمير المؤمنين ، أخيرُك^(٤) عن عدوِّ الله بعلم . قال : هاتِ . قال :
كان عدوُّ الله يتزيَّن تزئينَ المومِسة ، ويصعد على المنبر فيتكلم بكلام الأخيار ،
وإذا نزلَ عَمِلَ عَمَلُ الفراعنة^(٥) وأكذبُ في حديثه من الدجال . ١٠

فقال سليمان لرجاء بن حيوة^(٦) : هذا وأبيك الشتمُ لا ما تأتى به هذه السفلة .

وعن عوانة قال : قطع ناسٌ من عمرو بن تميم وحنظلة ، على الحجاج
ابن يوسف ، فكتب إليهم :

من الحجاج بن يوسف . أما بعد فإنكم قد استصحبتم الفتنة^(٧) وقال بعضهم

(١) الزباب ، بالفتح : الجاهل ؛ مأخوذ من الزباب ، وهو ضرب من الفأر أصم . ل : « زبانا » ١٥
ولا وجه له .

(٢) القنور : العبد . وأنشد أبو المكارم :

أصحت حلالل قنور مجدعة لمصرع العبد قنور بن قنور

(٣) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى . واسم أبى بردة عامر ، واسم أبى موسى عبد الله بن

قيس . وكان أبو بردة وبلال ابنة قاضيين . مات بلال في عذاب يوسف بن عمر . المعارف ١١٥ ، ١٧٤ . ٢٠

(٤) فيما عدا ل : « إنا نخبرك » .

(٥) هـ : « الجبابة » . وفي حواشيها : « خ : الجبابة » .

(٦) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندى الفلسطينى ، كان ثقة فاضلاً كثير العلم ، من عباد

أهل الشام وفقهائهم وزهادهم . توفي سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ١٨٦) .

(٧) فيما عدا ل : « استخلصتم الفتنة » .

قد استنتجتم الفتنة ^(١) - فلا عن حق تقاتلون ، ولا عن منكر تنهون ، وأيم الله
إني لأهم أن يكون أول ما يرد عليكم من قبلي خيل تنسف الطارف والتالد ،
وتخلّي ^(٢) النساء أياي ، والأبناء يتامى ، والديار خراباً ، والسوداء بياضاً .
فأئماً رفقة مرّت بأهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتّى تصير إلى الماء
الذى يليه . تقدمة منى إليكم ، والسعيد من وعظ بغيره . والسلام .

مسلمة بن محارب قال : كان الحجاج يقول : « أخطب الناس
صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ^(٣) ، إذا شاء خطب ، وإذا
شاء سكت » . يعنى الحسن . فيقول : لم ينصب نفسه للخطاب ^(٤) .
قال : ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية فى شأن يزيد ، وفيهم الأحنف ،
قام رجل من حمير ، فقال : إنا لا نطبق أفواه الكمال - يريد الجمال -
عليهم المقال ، وعلينا الفعال . وقول هذا الحميرى : إنا لا نطبق أفواه
الكمال ^(٥) ، يدل على تشاؤم خطباء زرار .

سفيان بن عيينة ^(٦) قال : قال ابن عباس : « إذا ترك العالم قول
لا أدري أصيبت مقاتله » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « من قال لا أدري فقد أحرز نصف العلم » .
لأن الذى له على نفسه هذه القوة قد دلنا على جودة الثبوت ، وكثرة الطلب ،
وقوة المنة .

(١) هذه العبارة من ل فقط .

(٢) فيما عدل : « وتدع » .

(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، هو البيت من القصب . ٢٠

(٤) فيما عدل : « يقول إنه لم ينصب نفسه للخطب » .

(٥) بدلها فيما عدل : « وهذا من الحميرى » فقط .

(٦) ترجم فى ١٠٤ ، ١٧٥ . والخبر فى (٢ : ٩٠) .

قال : وقيل لعيسى ^(١) بن مريم عليه السلام : من نُجالس ؟ قال : مَنْ يزيد في علمكم منطقتَه ، ويُذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم في الآخرة عمله .
قال : ومَرَّ المسيح ﷺ بقوم سيكون ، فقال : ما بال هؤلاء ^(٢) سيكون ؟ قيل له ^(٣) : يخافون ذنوبهم . قال : اتركوها يُغفر لكم .

الوصافي ^(٤) قال : دخل الهيثم بن الأسود بن العريان ^(٥) ، وكان خطيباً شاعراً ، على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدني قد ابيضّ مني ما كنتُ أحبّ أن يسودّ ، واسودّ مني ما كنتُ أحبّ أن يبيضّ ، واشتدّ مني ما كنتُ أحبّ أن يلين ، ولأنّ مني ما كنتُ أحبّ أن يشتدّ . ثم أنشد :

اسمع أنبيك بآيات الكبر نوم العشاء وسُعال بالسحر
وقلة النوم إذا الليل اعتكّر ^(٦) وقلة الطعم ^(٧) إذا الزاد حضر ٢٣٣
وسرعة الطرف وتحميج النظر ^(٨) وتركي الحسناء في قبل الطهر ^(٩)
وحذراً أزدأده إلى حذر والناس يملّون كما يملّ الشجر

(١) فيما عدل : للمسيح .

(٢) فيما عدل : ما هؤلاء .

(٣) فيما عدل : قالوا . وفي هـ : تغفر لكم . ١٥

(٤) هو أبو إسماعيل عبيد الله بن الوليد الوصافي الكوفي ، من ولد الوصاف بن عامر العجلي . روى عن محارب وطاوس وجماعة ، وعنه الثوري ووكيع وآخرون ، منهم برواية الضعيف والموضوع . الأنساب ٥٨٤ والتذهيب .

(٥) في الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، وأنه يكنى أبا العريان . وقد ساق القصة بوجه آخر ، قال : « عاد عمرو بن حريث أبا العريان فقال : كيف تجدك » ... الخ . وفي اللسان (عكر) أنه أبو العريان . وانظر ما سيأتي في (٣ : ٦٩) . ٢٠

(٦) اعتكّر الليل : اشتد سواده .

(٧) الطعم ، بالضم : الطعام .

(٨) من مبدأ هذا البيت إلى كلمة « عبد » في (٢ : ١٠) ساقط من التيمورية . والطرف : تحريك الجفون في النظر ؛ والطرف أيضاً : العين ، لا يجمع ولا يثنى ؛ لأنه في الأصل مصدر . والتحميج : تصغير العين للتمكن من النظر . وفي الحيوان (٥ : ٥٠) : « وضعف في النظر » . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢١) . ٢٥

(٩) قبل ، بضم القاف وإسكان الباء ، أى في أول الطهر بعد انقطاع الدم . وفي الحديث : « طلقوا النساء من قبل طهرهن » ، أى في إقباله وأوله .

وقال الآخر : « مُرُوا الْأَحْدَاثَ بِالْمِرَاءِ ، وَالْكَهُولَ بِالْفِكْرِ » . فقال عبد الله ابن الحَسَن (١) : المِرَاءُ رائد الغضب ، فَأَخْزَى اللَّهُ عَقْلًا يَأْتِيكَ بِالْغَضَبِ (٢) . وقالوا : أربعة تشتد معاشرتهم : الرجل المتواني ، والرجل العالم ، والفرس المرحُ ، والملك الشديد المملكة .

وقال غازي أبو مجاهد ، يعارضه : أربعة تشتد مؤونتهم : النديم المعريد ، والجلس الأحمق ، والمعنى التائه ، والسفلة إذا تقرأ (٣) . وكان أبو شيمر الغسانی يقول (٤) : أقبل على فلان باللحظ واللفظ ، وما الكلام إلا زجر أو وعيد .

قال : وقال عمير بن الحُباب (٥) ، وروى ذلك عنه مسمر (٦) : ما أغرث على

١٠ (١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، كان من العباد ، وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد ، وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز . توفي سنة ١٤٥ . تهذيب التهذيب . فيما عدل : « ابن الحسين » تحريف .

(٢) فيما عدل : « يأتيك به الغضب » وليس بشيء .

(٣) السفلة : الأذال ، يقال للجميع وللواحد أيضا ، يقال هو سفلة . تقرأ : تنسك . انظر ما مضى في حواشي ص ٣٢١ . وهذا ما في ل ، وفي هـ : « تقرعوا » ، وسائر النسخ « نفروا » وهذه محرفة .

(٤) فيما عدل : « وقال أبو شمر الغسانی » .

(٥) هو عمير بن الحباب بن جعدة بن إلياس بن حزاب بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، شاعر إسلامي قتلته بنو تغلب بالحشاك ، وهو إلى جانب الثرثار بالقرب من تكريت . انظر معجم المرزبانى ٢٤٥ والأغاني (١١ : ٥٥ - ٦٠) وللحشاك ياقوتا في معجم البلدان ، والميداني في الأمثال (٢ : ٣٦٧) وإياه يعنى الأخطل بقوله :

٢٠ ألا سائل الجحاف هل هو نائر بقتل أصيب من سليم وعامر

الأغاني (١١ : ٥٨) .

(٦) هو مسمر ، بكسر أوله وفتح العين ، بن كدام ، ككتاب ، بن ظهير الهلال . أبو سلمة الكوفي ، ثقة ثبت فاضل ، توفي سنة اثنتين ، أو ثلاث ، أو خمس وخمسين بعد المائة . تهذيب التهذيب والمعارف ٢١١ والفهرست ٢٨٧ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضني فجعله الله محدثا » لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفيه يقول ابن المبارك :

من كان ملتصقا جليسا صالحا فليأت حلقة مسمر بن كدام

حَيٍّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَحْزَمَ امْرَأَةً وَلَا أَعْجَزَ رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ ، وَلَا أَحْزَمَ رَجُلًا وَلَا أَعْجَزَ امْرَأَةً مِنْ تَغْلَبَ .

قال : وقامت امرأة من تغلب إلى الجحاف بن حكيم ^(١) حين أوقع بالبشر ، فقتل الرجال ، وبقر بطون النساء ، فقالت له ^(٢) : « فُضَّ اللَّهُ فَاكْ ، وَأَصْمَكْ وَأَعْمَاكْ ، وَأَطَالَ سَهَادَكَ ، وَأَقَلَّ رِقَادَكَ ؛ فَوَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَ إِلَّا نِسَاءً .
أَسَافِلَهُنَّ دُمِي » ^(٣) ، وأعالين يُدِي » . فقال الجحاف لمن حوله : « لَوْلَا أَنْ تَلَدَ مِثْلَهَا لَخَلَّيْتُ سَبِيلَهَا » ^(٤) . فبلغ ذلك الحسن فقال : « إِنَّمَا الْجَحَافُ جَنُوءٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » .

وكان عامر بن الظرب العدواني حكيماً ، وكان خطيباً رئيساً . وهو الذي قال :
« يَا مَعْشَرَ عَدَوَانِ ، إِنَّ الْخَيْرَ أَلُوفٌ عَزُوفٌ ، وَلَنْ يُفَارِقَ صَاحِبَهُ حَتَّى يَفَارِقَهُ » ^(٥) ،
وإِنِّي لَمْ أَكُنْ حَلِيمًا حَتَّى اتَّبَعْتُ الْحُكَمَاءَ ، وَلَمْ أَكُنْ سَيِّدًا حَتَّى تَعَبَّدْتُ لَكُمْ » .
وقال ^(٦) أعشى بنى شيبان :

وَمَا أَنَا فِي أَمْرِي وَلَا فِي خَلِيقَتِي بِمَهْتَضَمٍ حَقٍّ وَلَا قَارِعٍ سِنِي ^(٧)

(١) الجحاف بن حكيم السلمى ، قاد قومه وأغار على بنى تغلب بموضع يسمى البشر ، بين الفرات والشام فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة (٢ : ١٦٧) وأمثال الميداني (٢ : ٣٣٥ ، ٣٧٦) .

(٢) الخير ساقه الجاحظ في الحيوان (١ : ٢٤) على هذا النحو . أما أبو الفرج في الأغاني (١٩ : ١٢٩ - ١٣٠) والميداني في (١ : ٣٦٠) فيجعلان الحديث للحمراء بنت ضمرة وعمر بن هند ، في خبر طويل .

(٣) دمي ، بضم الدال وكسر الميم وتشديد الياء : جمع دم . قال سيبويه : « الدم أصله دمي على فعل بالتسكين ؛ لأنه يجمع على دماء ودمى ، مثل طبقى وطلباء وطلبى » . اللسان (١٨ : ٢٩٤) .
(٤) ترجم في ٢٦٤ . وستأني هذه الخطبة في (٢ : ١٩٩) .

(٥) بعدها في المعمرين ٤٧ : « لَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ » . وقد ساق السجستاني هذه الفقرات في خطبة طويلة لعامر أوصى بها قومه . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٦٦) .

(٦) ل : « فقال » . والأبيات منسوبة إلى أعشى بنى ربيعة ، في عيون الأخبار (١ : ٢٧٧) .

(٧) مهتضم : منتقص . وقرع السن كناية عن الندم .

ولا مُسلمٍ مولاي من شرٍّ ما جَنَى ولا خائفٍ مولاي من شرٍّ ما أُجْنَى
 وإنَّ فؤاداً بين جنبيَّ عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني ٢٣٤
 وفضلني في العقل والشعر أننى أقول بما أهوى وأعرف ما أعنى
 وقال رجل من ولد العباس : ليس ينبغي للقرشي أن يستغرق شيئاً (١)
 من العلم إلا علم الأخبار ، فأما غير ذلك فالتفت والشدو من القول (٢) .
 وقال آخر (٣) :

وصافية تُعشى العيون رقيقة رهينة عام في الدنان وعام
 أذرنّا بها الكأس الرويّة بيننا (٤) من الليل حتّى انجاب كلُّ ظلام
 فما ذرّ قرن الشمس حتى كأننا من العي نحكي أحمد بن هشام (٥)
 ومَرَّ رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد (٦) وهو يقرأ كتاب ١٠

(١) فيما عدل : « أن يستغرق في شيء » . وما أثبت من ل يطابق ما في إرشاد الأريب (١) :
 (٩٦) . وقد نسب القول فيه إلى معاوية .

(٢) الشدو : كل شيء قليل من كثير .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، كما في حماسة ابن الشجري ٢٥٩ .

(٤) رواية ابن الشجري : « موهنا » . ١٥

(٥) أحمد بن هشام هذا ، من أعيان الدولة العباسية وشعرائها . يروى أبو الفرج في الأغاني
 (٦٣ : ٥) أنه وجه إلى إسحاق بن زعفران ، وكتب إليه :

اشرب على الزعفران الرطب متكئاً وانعم نعمت بطول اللهو والطرب
 فحرمه الكأس بين الناس واجبة كحرمه الود والأرحام والأدب
 فكتب إليه إسحاق : ٢٠

اذكر أبا جعفر حقاً أمت به إلى وإياك مشغوفان بالأدب
 وإننا قد رضعنا الكأس درتها والكأس حرمتها أولى من النسب
 وفيه يقول محمد بن وهيب . الأغاني (١٧ - ١٤٢) :

إن الأمير على البرية كلها بعد الخليفة أحمد بن هشام

(٦) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، ذكره في الاشتقاق ٤٩ ، قال : « وأسيد فاعيل ٢٥
 من قولهم أسد يأسد أسداً . إذا صار كالأسد » . أسلم عتاب يوم فتح مكة ، ولما خرج الرسول إلى
 حنين استعمله على مكة وعمرو نيف وعشرون سنة ، فلم يزل عليها حتى أقره أبو بكر عليها . وتوفي هو
 وأبو بكر في وقت واحد . الإصابة ٥٣٨٣ والمعارف ٣٣ ، ١٣٢ .

سيبويه ، فقال : أفٍ لكم ، علم المؤدّين وهمّة المحتاجين !

وقال ابن عتّاب ^(١) : يكون الرجل نحوياً عروضياً ، وقسماً قرضياً ، وحسن الكتاب جيّد الحساب ، حافظاً للقرآن ، راوية للشعر ، وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهماً . ولو أنّ رجلاً كان حسن البيان حسن التخرج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم ؛ لأن النحوى الذى ليس عنده إمتاع ^(٢) ، كالنجار الذى يدعى ليعلق باباً ^(٣) وهو أحذق الناس ، ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له : انصرف . وصاحب الإمتاع يُراد في الحالات كلّها .

خبرنا عبيد الله بن زيد السفياني ^(٤) قال : عوّد نفسك الصبر على المجلس السيّئ ^(٥) ، فإنّه لا يكاد يخطئك .

وقال سهيل بن عبد العزيز ^(٦) : من ثقل عليك بنفسه ، وعمك في سؤاله ، فأعره أذنأ صماء ، وعينأ عمياء .

سهيل بن أبى صالح ^(٧) عن أبيه ^(٨) قال : كان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال : اللهم اغفر له وأرخنا منه !

(١) الخبير رواه ياقوت في مقدمة إرشاد الأريب (١ : ٩٥ - ٩٦) .

(٢) هذا ما في ل . وفي هـ « الذى لا إمتاع عنده » . وسائر النسخ : « لا إمتاع عنده » الأخيرة معرفة .

(٣) تعليق الباب : نصبه وتركيبه . اللسان (١٢ : ١٣٧) والحيوان (٣ : ٢٨٦) .

(٤) فيما عدل : « وقال عبد الله بن يزيد السفياني » .

(٥) منع هذا الوصف الأخفش ، وأجازه غيره . اللسان (سؤ) .

(٦) فيما عدل ، هـ : « سهل بن عبد العزيز » .

(٧) هو أبو زيد سهيل بن أبى صالح - واسمه ذكوان السمان الزيات - المدني كان ثقة كثير الحديث . توفى في ولاية أبى جعفر . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٢٩) .

(٨) أبوه أبو صالح ذكوان السمان الزيات المدني ، من ثقات المحدثين ، وكان من أوثق الناس في

أبى هريرة ، وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٨٣) .

وقال ابن أمية ^(١) :

شهدت الرقاشي في مجلسي وكان إلى بغيضاً مقيتاً

فقال : اقترح يا أبا جعفر فقلت اقترحت عليك السكوتا ^(٢)

وقال ابن عباس : العلم أكثر من أن يُحصى ، فخذوا من كل شيء بأحسنه ^(٣) . ٢٣٥

المداثني عن العباس بن عامر ، قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة ^(٤)

إلى عمر بن عبد العزيز أخته فقال :

« الحمد لله رب العزة والكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ^(٥) .

أما بعد فقد أحسن بك ظناً من أودعك حرمة ، واختارك ولم يختار عليك ، وقد

زوّجناك على ما في كتاب الله ، إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان » . ١٠

قال : وخطب أعرابي وأعجبه القول ^(٦) وكره أن تكون خطبته بلا تمجيد

ولا تمجيد ، فقال : « الحمد لله ، غير ملال ^(٧) لذكر الله ، ولا إشارٍ غيره عليه » .

ثم ابتدأ القول في حاجته .

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جعل الله حظكم في الخير ، ولا جعل حظَّ

السائل منكم عذرة صادقة ^(٨) » . ١٥

(١) هو محمد بن أمية بن أبي أمية ، كان كاتباً شاعراً ظريفاً معاصراً لأبي العتاهية ، وكان ينادم إبراهيم

ابن المهدي . انظر أخباره في الأغاني (١١ : ٣٠ - ٣٥) .

(٢) فيما عدل : « اقترح كل ما تشتهي » . وفي حواشي هـ عن نسخة : « بعض ما تشتهي » . وفي

البيت ما يسميه البلاغيون « المشاكلة » ، كما في قول أبي الرقمق :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبعه قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً ٢٠

(٣) فيما عدل : « أحسنه » .

(٤) فيما عدل : « بن عتية » .

(٥) يقال خاتم الأنبياء ، بفتح التاء وكسرهما أي آخرهم . وبهما قرئ .

(٦) ل : « فأعجبه أمر » .

(٧) ل : « أما بعد بغير ملال » . ٢٥

(٨) العذرة ، بكسر العين ، مثل الركبة والجلسة : الاعتذار . وانظر (٣ : ٢٦٨) .

وكتب إبراهيم بن سيابة ^(١) إلى صديق له كثير المال ، كثير الدُّخْل ، كثير الناض ^(٢) يستسلف منه نفقة ، فكتب إليه ^(٣) : « العيال كثير ، والدُّخْل قليل ، والدين ثَقِيل ، والمال مَكْنُوب عليه » . فكتب إليه إبراهيم : « إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت مُليماً فجعلك الله معنوياً ^(٤) » .

وقال الشاعر :

لعل مُفِيدَات الزَّيْمَان يُفِدْنَنِي بنى صامِتٍ في غير شيءٍ يَضِيرُهَا ^(٥)

قال : وقال أعرابيٌّ : « اللهم لا تُنزلني بماءٍ سَوِيٍّ فأكون امرأً سَوِيٍّ ^(٦) » .

وقال أعرابيٌّ : « اللهم قنّ عَثْرَاتِ الْكَرَامِ » .

قال : وسمع مُجَاشِعُ الرَّبْعِيِّ رجلاً يقول : الشَّحِيحُ أَعَذَّرَ مِنَ الظَّالِمِ .

فقال : أَخْرَى اللَّهُ شَيْئَيْنِ خَيْرَهُمَا الشَّحُّ .

قال : وَأَنشَدَنَا ^(٧) أَبُو فُرُوزَةَ :

إِنِّي امْتَدَحْتُكَ كَاذِباً فَأَتَبَتَّنِي ، لَمَّا امْتَدَحْتُكَ ، مَا يَثَابُ الْكَاذِبُ

وَأَنشَدَنِي عَلِيٌّ بْنُ مَعَاذٍ :

ثَالِبْنِي عَمْرُوٌّ وَثَالِبْتُهُ فَأَتَيْتُ الْمَثْلُوبَ وَالثَّالِبُ ^(٨)

كَلْتُ لَهُ خَيْراً وَقَالَ الْخَنَا كُلُّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبُ

(١) سيابة ، كسحابة ، وأصل معنى السياب البلح أو البسر . وإبراهيم بن سيابة شاعر من شعراء الدولة العباسية من موالى الهاشميين ، وكان يمدح إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ويتغنيان هما بشعره ، ويرفعان من شأنه ويذكرانه للخلفاء والوزراء . الأغاني (١١ : ٥ - ٨) . والخير في الأغاني والعقد (٦ : ١٩٢) . ونسب في تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) إلى بشر المريسي .

(٢) الناض والنض : الدراهم والدنانير . فيما عدا ل : « النض » .

(٣) فيما عدا ل : « إما مستسلفاً وإما سائلاً ، فكتب إليه الرجل » .

(٤) مليم ، بضم الميم ، من قولهم : ألام الرجل : أتى بما يلام عليه . فيما عدا ل : « محجوجاً » .

وفي حواشي هـ : « فجعلك الله معنوياً ، أي جعل عذرتك صادقة » .

(٥) في حواشي هـ : « يعني بنى صامت المال . في غير شيء يضرها ، أي أستفيدها في غير مشقة ولا تعب » .

(٦) الحيوان (٢ : ٤٧٢) . وسيأتي في (٣ : ٢٦٩) .

(٧) ل : « وَأَنشَدَ » .

(٨) المثالبة : مفاعله من الثلب ، وهو شدة اللوم والأخذ باللسان .

أبو معشر^(١)، قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان ٢٣٦ عمرو بن سعيد قام خطيباً فقال : « إِنَّ أبا ذُبَّانَ قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ ^(٢) . كَذَلِكَ تُؤَلَّى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » .

ولما جلس عثمان بن عفان على المنبر قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَيْكُمْ إِفْرِيقِيَّةً ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكُمْ ابْنَ أَبِي سَرْجٍ ^(٣) ، عَبْدَ اللَّهِ الزُّبَيْرَ بِالْفَتْحِ ^(٤) . قم يا ابن الزُّبَيْرِ » . قال : فقامت فخطبتُ ، فلما نزلتُ قام فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، انكِحُوا النِّسَاءَ عَلَى آبَائِهِنَّ وَإِخْوَتِهِنَّ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرِ لَأَبَى بَكْرَ الصَّدِيقِ وَلِذَا أَشْبَهَ بِهِ مِنْ هَذَا ^(٥) » . وقال الحُرَيْمِيُّ ^(٦) : وَأَعَدَدْتُهُ ذَخِيراً لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَسَنَهُمُ الْمَنَایَا بِالذَّخَائِرِ مُوَلَّعٌ ^(٧) وذكر أبو العِيزَار ^(٨) جماعة من الخوارج بالأدب والخطب فقال :

(١) هو أبو معشر نجیح بن عبد الرحمن السندی المدني ، مولى بنی هاشم ، سقى فى وقعة يزيد بن المهلب بالجمامة والبحرين . وكان من المحدثين الأئمين ، أقدمه المهدي من المدينة إلى بغداد سنة ١٦٠ فلم يزل بها حتى مات سنة ١٧٠ فى خلافة هارون . وكان من أعلم الناس بالمغازي . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٣٠٤ .
(٢) أبو ذبان : كنية عبد الملك بن مروان . انظر الحيوان (٣ : ٣٨١ ، ٣٨٢) والبيان (٢ : ٩٥) .
١٥ ولطيم الشيطان : لقب عمرو بن سعيد الأشدق . انظر حواشى ص ٣١٤ .
(٣) هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن سرح القرشى العامري ، كان أخا عثمان من الرضاة ، اشترك فى فتح مصر ، ولما عزل عثمان عمرو بن العاص سنة ٢٥ ولأها عبد الله بن سعد ، فغزا إفريقية سنة ٢٢ ، وكان فتحاً من أعظم الفتوح ، ولما وقعت فتنة عثمان سنة ٣٥ لجأ إلى عسقلان ولم يبايع لأحد ، ومات بها سنة ٣٦ . وقيل : بل شهد صفين وعاش إلى ٥٧ . الإصابة ٤٧٠٢ .
٢٠ (٤) فى الإصابة ٤٦٧٣ : « وشهد ابن الزبير اليرموك مع أبيه الزبير . وشهد فتح إفريقية ، وكان البشير بالفتح » .

(٥) ذاك أن أم عبد الله بن الزبير هى أسماء بنت أبى بكر . والخبر فى (٢ : ٩٥) .
(٦) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، المترجم فى ١١ : ١١٥ .
(٧) انظر الحيوان (٣ : ٦ / ١٤٨ : ٤٢٣) والكامل ٧٠٣ ليسك .
٢٥ (٨) وكذا جاءت النسبة فى الحيوان (٦ : ٤٢٣ - ٤٢٤) . لكن الشعر قد نسب فى الكامل ٧٠١ ليسك إلى عبيدة بن هلال ، المترجم فى ٥٥ .

ومسومٌ للموت يركب ردَّعه بين القواضب والقنا الخطار^(١)
يدنو وترفعه الرماح كأنه شلواً تنشَّب في محالِب ضاري
فكوى صريعاً والرماح تنوشه إن الشراة قصيرة الأعمار^(٢)
أدباء إما جثهم خطباء ضمناء كل كتيبة جرار^(٣)

* * *

ولما خطب سفيان بن الأبرد الأصم الكلبى^(٤) ، فبلغ في الترهيب
والترغيب المبالغ ، ورأى عبيدة بن هلال الشكري^(٥) أن ذلك قد فت في
أعضاء أصحابه ، أنشأ يقول :

لعمري لقد قام الأصم بخطبة لها في صدور المسلمين غليل
لعمري لئن أعطيت سفيان تبعتي وفارقت ديني لأنسى الجهول^{١٠}

ولما قام أحد الخطباء الذين تكلموا عند رأس الإسكندر قال أحدهم^(٦) :
« الإسكندر كان أمسٍ أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » .
فأخذه أبو العتاهية فقال^(٧) :

٢٣٧ بكيتك يا على بدر عيني فما أغنى البكاء عليك شيئاً^(٨)

١٥ (١) ركب ردعه : خر صريعاً لوجهه على دمه وعلى رأسه . والدع : الدم .

(٢) نوى : هلك . تنوشه : تأخذه وتتناوله .

(٣) الضمناء : الكفلاء ، جمع ضمين . وذكر الوصف « جرار » كأنه ذهب بالكتيبة إلى معنى

الجيش والعسكر .

(٤) سبقت ترجمته في ٦١ .

(٥) ضبط « عبيدة » في الاشتقاق ٢٠٧ بضم العين ، وفي الكامل ٧٠١ بالفتح ، كلاهما

٢٠ ضبط قلم . فيما عدل : « عبد الله بن هلال » ، تحريف .

(٦) انظر ما سبق من تفريغ هذا الخبر في حواشي ص ٨١ والحويان (٣ : ٦ / ٩١ : ٥٠٥)

والأغاني (٣ : ١٤٢) .

(٧) فيما عدل : « فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال » .

(٨) على هذا ، هو على بن ثابت ، وكان صديقاً لأبي العتاهية . انظر الأغاني (٣ : ١٤٢) .

٢٥ فيما عدل : « فلم يغن البكاء » . وكذا وردت هذه العبارة في (٣ : ٢٥٨) .

طوئِكَ خَطُوبٌ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ كَذَاكَ خَطُوبُهُ نَشْرًا وَطَيًّا
كَفَى حُزْنًا بَدْفُنَكَ ثُمَّ أَنَّى نَفَضْتُ تَرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّا
وَكُنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا

ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية حين خاصمت ابنها ^(١) إلى عامل الماء فقالت : « أَمَا كَانَ بَطْنِي لَكَ وَعَاءً ؟ أَمَا كَانَ حِجْرِي لَكَ فِنَاءً ؟ أَمَا كَانَ ثَدْيِي لَكَ سِقَاءً ؟ » . فقال ابنها : « لَقَدْ أَصْبَحْتُ خَطِيْبَةً ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ » . لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام الْمُتَخَيَّرِ كما يبلغ الخطيبُ بخطبته .

وقال التمر بن تولب :

« نَ أَلَا فَاسْمِعْ نَعِظْكَ بِخَطْبِيَةِ فَقُلْتُ : سَمِعْنَا فَاَنْطَقِي وَأَصْبِيِي ^(٢)
فَلَنْ تَنْطَقِي حَقًّا وَلَسْتَ بِأَهْلِهِ فَقَبَّحْتُ مِمَّا قَاتِلُ وَخَطِيبِ ^(٣) »

قال أبو عباد كاتب ابن أبي خالد ^(٤) : ما جلس أحدٌ قط بين يديَّ إلاَّ تمثَّل لي أني سأجلس بين يديه ^(٥) .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ . ليس يريد بلاغة اللسان ، وإنَّ كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيثُ يريد إلاَّ بالبلاغة .

قال : وكانت خطبة قريش في الجاهلية - يعني خطبة النساء - : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، ذُكِرْتُ فَلَانَةٌ وَفُلَانٌ بِهَا مَشْغُوفٌ . بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، لَكَ مَا سَأَلْتُ وَلَنَا مَا أَعْطَيْتَ » .

(١) فيما عدل : « الأعرابية لابنها حين خاصمته » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « فاسمع للفظي وخطبتي » . وفي هـ : « فقلت سميعا » .

(٣) ما عدا هـ : « فإن » ، وهي رواية نبه عليها في حواشي هـ .

(٤) هو أحمد بن أبي خالد ، كما سبق في ٣٤٧ ص ٥ . والخبر رواه الجاحظ في الحيوان (١٤٠ : ٥) .

(٥) زاد في الحيوان : « وما سرتني دهر قط إلا شغلني عنه تذكر ما يليق بالدهور من الغير » .

يليق : يعلق . والغير : الأحوال المتغيرة .

ولما مات عبد الملك بن مروان صعد الوليد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « لم أر مثلها مصيبة ، ولم أر مثلها ثواباً : موت أمير المؤمنين ، والخلافة بعده . إنا لله وإنا إليه راجعون . والحمد لله رب العالمين على النعمة . انهضوا فبايعوا على بركة الله » . فقام إليه عبد الله بن همام ^(١) فقال :

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها
فبايع الناس .

٢٣٨

وقيل لعمر بن العاصي ^(٢) في مرضه الذي مات فيه : كيف تجدك ؟
قال : « أجدني أذوب ولا أثوب ^(٣) ، وأجد نجوى أكثر من رزنى ^(٤) ، فما بقاء
الشيخ على ذلك » .

١٠

(١) عبد الله بن همام المولى السلولى . والسلولى نسبة إلى سلول أمهم ، وأبوهم مرة بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن . المعارف ٣٩ . وعبد الله من شعراء الدولة الأموية . وكان معاوية قد أمر لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير ، فأبى والها النعمان بن بشير أن ينفذ ما أمر به معاوية ، فقال عبد الله يطلب النعمان بها :

زيادتنا نعيمان لا تحرمنا تنى الله فينا والكتاب الذى تتلو
الأغاني (١٤ : ١١٥ - ١٦٦) . ولما تزوج مصعب بن الزبير شكينة على ألف ألف ، كتب عبد الله ابن همام إلى عبد الله بن الزبير :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجنود جيعا
لو لأبى حفص أقول مقالتي وأبث ما أبشكم لارتاعا
فكان هذا الشعر سببا في عزل مصعب عن البصرة . الأغاني (١٤ : ١٦٣) . وانظر الخزائن (٣ : ٦٣٩) ومعاهد التنصيص (١ : ٩٦) والشعراء لابن قتيبة .

(٢) في تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصي بالياء لا يجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضى للشافعية (٢ : ٣٠٣) .
(٣) أنوب : أرجع ، أى لا أرجع إلى صحتي ولا تحسن حالى .
(٤) رزنى ، أى ما أرزؤه من الطعام وأصيبه . والخبر في اللسان (١ : ٧٩) .

٢٥

وقيل لأعرابيٍّ كانت به أمراضٌ عدّه ، كيف تحيدك ؟ قال : « أما الذي يَعمِدُنِي فحُصْرٌ وأَسْرٌ ^(١) » .

وعن مقاتل ^(٢) قال : سمعت يزيد بن المهلب ^(٣) ، يخطب بواسط ، فقال : « يا أهل العراق ، يا أهل السُّبْق والسَّيَّاق ، ومكارم الأخلاق ، إنّ أهل الشام في أفواههم لُقمةٌ دَسِمةٌ ، زَبِيتٌ لها الأشداق ^(٤) ، وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركيها لكم بالمرء والعِجْدال ؛ فالبَسُوا لهم جُلودَ الثُّمور ^(٥) » .

[تم الجزء الأول من تجزئة المؤلف]

- (١) عمدته : أضناه وأوجعه. والحصر ، بضم وبضمّتين : احتباس البطن . والأسر ، بالضم : احتباس البول . والخبر في الحيوان (٥ : ٢٩١) واللسان (٤ : ٢٩٦) .
- (٢) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى الخراساني صاحب التفسير ، أخذ التفسير عن الكلبي ، وكان متهماً في الرواية . توفي سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب .
- (٣) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة . خرج في أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر بن عبد العزيز في رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وسار إلى البصرة ، واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتقت جيوش الزهريين بالمقر ، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ - ٢٧٨ .
- (٤) زيت الأشداق : اجتمع الريق في جوانبها وتعلّب . ما عدا هـ : « زبت » ، تحريف .
- (٥) يقال : لبس لفلان جلد الثور ، إذا تنكر له وأظهر الحقد والغضب .

فهرس الأبواب (٥)

صفحة	
٣	الباب الأول
٢٣	ذكر ما جاء فى تلقىب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه
٣٤	ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة وما يحضرنى منها
٧٥	باب البيان
٨٨	البلاغة
٩٨	باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأبناء والفقهاء والأمرء ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل
١٦٦	ذكر ما قالوا فى مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنشور وما جاء فى الأثر وصح به الخبر
١٧٢	وباب آخر فى ذكر اللسان
١٧٦	وباب آخر
١٩٤	باب فى الصمت
٢١٠	باب من القول فى المعانى الظاهرة باللفظ الموجز من ملتقطات كلام الناس
٢١٢	باب آخر . وقالوا فى حسن البيان ، وفى التخلص من الخصم بالحق والباطل ، وفى تخليص الحق من الباطل ، وفى الإقرار بالحق ، وفى ترك الفخر بالباطل
٢١٨	باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب
٢٢٢	وباب منه آخر . ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوها كبرود العصب ، وكالحلل والمعاطف ، والديباج والشوى وأشباه ذلك

(٥) هذه هى العنوانات التى وردت فى صلب الكتاب كما وضعها الجاحظ . أما تفصيل الأبواب
فموضعه فى ملحقات الكتاب ، مع الفهارس العامة .

صفحة

وباب آخر . ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويفضلون إصابة المقادير ، ويذمون الخروج من التعديل .	٢٢٧
باب آخر من الشعر مما قالوا في الخطب واللسان والامتداح به والمدح عليه	٢٣١
باب . وكانوا يعيبون النوك والعى والحمق وأخلاق النساء والصبيان	٢٤٤
باب في ذكر المعلمين	٢٤٨
وباب منه آخر	٢٥٠
وباب آخر في ذم التشادق والإغراق	٢٥٤
باب من الخطب القصار من خطب السلف ، ومواعظ من مواعظ النساك ، وتأديب من تأديب العلماء	٢٥٧
باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المخذوف القليل الفضول	٢٧٦
باب آخر من الأسجاع في الكلام	٢٨٤
باب أسجاع	٢٩٧
خطبة من خطب رسول الله ﷺ	٣٠٢
ذكر كلمات خطب بهن سليمان بن عبد الملك	٣٠٤
باب ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأئبياء وذكر قبائلهم وأنسابهم	٣٠٦
باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان	٣٥٨
باب ذكر النساك والزهاد من أهل البيان	٣٦٣
وأسماء الصوفية من النساك ممن كان يجيد الكلام	٣٦٦
ذكر القصاص	٣٦٧
باب ما قيل في المخاصر والعصى وغيرها	٣٧٠
باب ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام	٣٨٩